عِظات

الجزء الثاني

أغناطيوس الرابع
بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

عظات

الجزء الثاني

منشورات
بطريركية الروم الأرثوذكس
دمشق

٢٠٠٣

المحتويات

توطئة

وزعوا الرزق بالعدل ينتفِ الجوع ١

ربّوا أولادكم وإلا تولاهم غيركم ٥

رخيص، رخيص من يبيع نفسه ٩

المسيح إما في القلب أو لا يكون ١٤

القيامة ليست خلود النفس ١٦

الله والكراهية لا يتساكنان ٢١

ناموس المحبة ناموسنا ٢٤

الله حر وكذلك خليقته ٢٧

عيدنا عيد الطهارة ٣١

المحبة أقوى من الموت ٣٤

الأوائل بنوا الكنائس والنفوس ٣٦

في النعمة يكبر الإنسان ٣٩

الكنيسة بقديسيها وليست بعديدها ٤٣

الإنسان هو الغاية والهدف ٤٧

لا كنيسة بدون المطران ٥٠

وحدنا لا ندخل الملكوت ٥٤

ليس لابن الإنسان مكان يسند إليه رأسه ٥٦

نكره الخطيئة وليس الخاطئ ٦٠

بغير القيامة بماذا نفرح؟ ٦٤

القديس بطل للحق والحقيقة	٦٨
الكنيسة أسرة كبرى	٧١
في الكنيسة نأخذ لنعطي	٧٥
الرسول قناة لإيصال البشارة	٧٧
لا نريد أنصاف رجال	٨٠
الخطيئة إلى المجمع خطيئة إلى الكنيسة	٨٤
الحجر ينطق إذا وضعت لغتك فيه	٨٧
الصمت أفعل من الكلام	٩١
العيد عيد لكل الناس	٩٤
الفقر المختار فضيلة	٩٧
رؤساؤكم خدامكم	١٠١
الله هو الغافر	١٠٤
كلمة الله هي هو	١٠٨
في الامتحان يُكرم المرء أو يُهان	١١٢
المسيح يمحو آثامنا	١١٦
الشعب يحب الأب الحار	١١٩
لسنا عبدة أيقونات	١٢٢
نحن عشاق كرامة	١٢٦
من عمل وعلم يُدعى عظيماً	١٢٩
لا يموت حق وراءه مطالب	١٣٣
الكنيسة ليست مؤسسة إنها بيت	١٣٨
ربنا صام فلماذا لا نصوم	١٤١
الكنيسة كالعذراء تحوي الرب	١٤٥

عالم القيامة عالم جديد	١٤٩
شخصيتنا في إيماننا	١٥٤
القيامة هي اليوبيل الأكبر	١٥٩
القديس دليلنا إلى الله	١٦٢
كونوا أقوياء فتراثكم صحيح ومقدس	١٦٦
الله لم يكتب ولكنه أوحى	١٧٠
كنائسنا كانت أول المعلّمين	١٧٣
والتنظيم مهم في الكنيسة	١٧٨
العذراء نموذج لطهارتنا	١٨١
قوة الإنسان من صدقه	١٨٤
تأبين مطران حلب	١٨٧
نحن نفرح بالبتولية	١٩٣
في الكنيسة المحبة هي القانون	١٩٧
تراب هذه الأرض يخصنا ونخصه	٢٠١
المطران مطران بالروح القدس	٢٠٤
الكنيسة للمؤمن ولغير المؤمن	٢٠٧
نحن في فرنسا كنيسة أرثوذكسية	٢١٠
من ثمارهم تعرفونهم	٢١٤
الجبناء يبرزون الأبطال	٢١٨
الجنة أن تكون محباً ومحبوباً	٢٢٣
تعال وانظر	٢٢٦
كلنا مدعو إلى مائدة الرب	٢٢٩
ضميرنا دليلنا	٢٣٢

الشر صنع البشر	٢٣٦
الإنسان ليس إنساناً بدون الحرية	٢٤٠
الطبيعة أيضاً مباركة	٢٤٦
أطيعوا مدبريكم	٢٤٩
الله وحده الكبير	٢٥٣
ماذا فعلت لأخيك؟	٢٥٦
السقوط أن نخطط للشر ونفعله	٢٦٠
البيت للتربية وليس مطعماً	٢٦٣
آدم على صورة الله وحواء كذلك	٢٦٦
النساء أول من بشّر بالقيامة	٢٧٠
الصليب كان لعنة فأصبح بركة	٢٧٤
صوموا، صوموا، صوموا	٢٧٧
الكلمة تقتل أحياناً	٢٨٠
الكنيسة مقصرة إذن أنت مقصر	٢٨٥
ليس أغبى من المتكبر	٢٩٠
يجب أن ننقي عيوننا حتى نرى جيداً	٢٩٤
لا توكيل في الكنيسة	٢٩٩
كونوا رجالاً، تقووا	٣٠٢
إيماننا مسؤوليتنا	٣٠٦
أحبب قريبك كنفسك	٣٠٩
المسيح إله بالفعل وإنسان بالفعل	٣١٣
المسيحي يقع ولكنه يقوم	٣١٥
الاستقرار نوع من الموت	٣١٧

الإنسان خلق ليحب لا ليكره	٣٢٢
النعمة الإلهية وحدها تخلص	٣٢٤
قوّني يا رب حتى يعرفوا اسمك	٣٢٩
مريم المجدلية: قدوة	٣٣٣
الكنيسة أمنا	٣٣٥
الاستقامة خطنا	٣٣٨
اللهم اجعلنا أبناء السلام	٣٤٠
المسيحية بطولة على حسابك	٣٤٣
رسالة في الصوم	٣٤٦
الملاك رسول الله إلينا	٣٤٨
الصوم فترة استعداد	٣٥٢
والأغنياء يؤمنون	٣٥٥
الطاعة هي التعبير الحقيقي للمحبة	٣٥٨
المسيح وحده المخلص	٣٦١
عيد الميلاد عيد الكرامة لكل إنسان	٣٦٣
الحياة في الكره جهنم	٣٦٧
لسنا مشركين وإلهنا واحد أحد	٣٧١
حضارة المال	٣٧٤
وكان عندهم كل شيء مشتركاً	٣٧٦
لا سلام في دار السلام	٣٨٧
القديس مرشدنا	٣٩٠
هاءنذا أمة للرب	٣٩٣
الصوم صومك والصلاة صلاتك	٣٩٧

فقط الإنسان يؤذي ليؤذي	٤٠٠
السلم نصعده درجة درجة	٤٠٤
لا استقالة من الكهنوت	٤٠٧
صورة العذراء باب للفرج	٤١٠
المسيح هو الطبيب الشافي	٤١٤
معنا هو الله	٤١٧
مبارك الآتي باسم الرب	٤١٩
نحن مقدسون بكليتنا	٤٢١
الخميرة الصغيرة تخمر العجنة كلها	٤٢٣
مع المسيح نموت ومعه نقوم	٤٢٥
المسيحي يتطلع إلى الآتي	٤٢٨
كرامة الإنسان من كرامة الله	٤٣١
المسيح فوق الجميع	٤٣٥
الروح القدس يجمع	٤٣٨
المخلص يخلص الجميع	٤٤١
الأنبياء تكلموا فصدقوا	٤٤٥
الشيطان مصدر الشر	٤٤٩
الرحمة فوق العدل	٤٥٢
المرأة ليست سلعة تجارية	٤٥٦
الاكليريكي أب وليس موظفاً	٤٦٠
الله هو الشافي	٤٦٤
الأنانية تدمر	٤٦٧

الرحمة قانون الحياة	٤٦٩
نحن أبناء الكنيسة الأولى	٤٧٢
أنتم أبناء النور	٤٧٧
أيها الصالح ماذا أفعل؟	٤٨١
الغاية هدفنا	٤٨٤
رب الكنيسة سيدها	٤٨٧
اليهودية لليهودي والمسيحية للجميع	٤٩٠
الكهنوت واحد ويختلف الأشخاص	٤٩٣
أرضنا أرض مقدسة	٤٩٨
أنت صالح إذاً هنالك صلاح	٥٠١
الصلاة للمؤمنين	٥٠٤

توطئة

«عظات» كتاب في جزءين والذي بين يديك هو الجزء الثاني. والجزءان يغطيان الفترة منذ السنة ١٩٧٩ سنة تنصيب غبطته وحتى السنة ٢٠٠٢.

هذه العظات غير محصورة في أبرشية دمشق وحدها حيث المقر البطريركي بل إنها تغطي كل أنحاء الكرسي الانطاكي هنا وحيثما يمتد.

ونحن نأسف أن هذه العظات ليست كل ما قيل لأنِ أحداً لم يكن يهتم بالتسجيل وغبطته يرتجل كل عظاته تقريباً إذن هي تحتاج إلى مَن يسجل وإلى مَن يفــرّغ... لذلك ما عندنا ليس إلا جزءاً قد يكون يسيراً من الكل الذي يجب أن يكون.

ولكــن عــدم وجود النهر لا يجعلنا نغض الطرف عن الساقية. فقد تفي الساقية بالغرض وتروي عطشنا.

هذه العظات قيلت في زمان ومكان معينين ولكي نكون أمناء أشرنا إلى الزمان والمكان. وهذا لا يعني إطلاقاً حصرها في زمان ومكان معينين لأن صاحب الغبطة لا يحب الحرف لأن «الحرف يقتل» وهو يتطلع إلى البعيد البعيد. يحدثنا عن الماضي لعلنا نحمل الحاضر ولكن همه هو المستقبل وكيف نصنعه. إذن الهم الكبير هو الآن وكيف نهيئ للمستقبل. الجمود موت والجدة مطلوبة «هاءنذا أصنع كل شيء جديداً».

الـــرب يسوع لم يأت لقلة تحتكره حتى الاختناق. جاء من أجل خلاص العالم، كل العالم بكامل فئاته وانتماءاته واعتقاداته والخطأة في رأس القائمة وكلنا خطأة «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى».

ومـــا دامـــت المسيحية ديانة التجسد فلنجسدها فينا وهذه دعوة دائمة. لذلك إذا كانت السنة الجديدة كسابقتها فهي ليست جديدة.

والقـــيامة كان لها مكان هام في العظات إذ بدون القيامة لا مسيحية ولا مســـيحيون. الأنبـــياء والقديسون هم سبيلنا إلى يسوع الذي «تركوا كل شيء وتبعوه».

وأما الأخلاق العيسوية فهي موجودة لنتخلق بها وعلى المسيحي ألا يخاف التمايز في هذا الموضوع وإلا فكيف يكون مسيحياً حقاً.

ولا ننس أن الأسرار هي التي تصبغنا مسيحيين وتجعل الروح فينا لترفعنا إلى فوق. وأما القداس الإلهي والصلاة والصوم هما استعداد له فلمن هو إن لم يكن لنا. وكيف نتناول الجسد والدم الكريمين بدون الصلاة والصوم؟

الله قـــبل أن يخلق الإنسان أوجد العالم بكامله: غابات، حيوانات، مياه وكـــل خـــيرات الأرض وضعها الله في تصرف الإنسان ليحسن الاهتمام بها لا ليبيدها.

هذا غيض من فيض ونترك للقارئ الكريم أن يكشف بنفسه عما تتضمنه العظات.

ولا بـــد من ملاحظة بسيطة وهي أن لغة الكتاب بسيطة ولكن الأفكار ليست كذلك إنها تحتاج إلى تأمل وطول أناة وقد يحتاج الإنسان إلى أكثر من قراءة ليزداد فهمه ويتجه لأن يكون مؤمناً عارفاً أو في أقصى الحالات غير مؤمن ولكنه يعلم شيئاً عن الإيمان.

«هاءنذا أصنع كل شيء جديداً» يصح أن يكون العنوان لكتابنا.

وزعوا الرزق بالعدل ينتفِ الجوع*

«لأجـــل ذلك مَسحني وأرسلني لأُبشّر المساكين وأشفي منكسري القلوب، وأُنـــادي للمأسورين بالتخلية وللعميان بالبصر، وأُطلق المهشمين إلى الخلاص وأكرز بسنة الرب المقبولة» (أشعيا٦١: ١ ــ لو٤: ١٨). هذه الكلمات، أيها الأحباء، التي تبدو لي بدء البشارة بربنا يسوع المسيح، وكأنها برنامجه، وكأنها خطته. هذه الكلمات ليست جديدة، عمرها ألفان وستمائة سنة، هذه قيلت قبل الميلاد، وقالها أشعيا النبي. هـــذه الكلمات تأتي بعد وقت قصير من كلمات الشريعة الموسوية. الشريعة الموسوية هي تلك التي قالت بإتّباع الشريعة، بالخضوع لها إشارة للإله الواحد، وهي التي قالت بالخـــتان للذكـــور. هذه هي الشريعة التي بشّرت بأنه يجب أن تكون لله أمة ليست كسائر الأمم، وشعب ليس كسائر الشعوب.

هذه كلمات عتيقة ولكنها ترن في آذاننا وكأنها ابنة اليوم. المسيح منذ حوالي ألفـــي ســـنة قـــال هذه الكلمات ذاكراً المساكين، ذاكراً الفقراء، ذاكراً منكسري القلـــوب، والمأســـورين في السجون والمهشمين إطلاقاً. هذا معناه، أيها الأحباء، أننا طالمـــا كنا نعرف شيئاً من التاريخ، فإننا نعرف أنه كان في كل وقت، فقراء، ولو لم يكـــن هـــنالك أنبياء، لو لم تكن هنالك جماعة مؤمنة لما كان لهؤلاء ذكر في كتب التاريخ. كتب التاريخ لا تذكر الفقير، لا تذكر المأسور. كتب التاريخ، تذكر القوي، تذكـــر صـــاحب السلطان، تذكر الغني، تذكر الذين تسلّط عليهم الأضواء. وكيف تســـلّط الأضواء على مَن هُم في السجون ومَن هم تحت الأرض ومَن هم قابعون في بيوتهم لا أحد يحبهم، ولا أحد يقول لهم كل عام وأنتم بخير؟

أيها الأحباء، إلى هؤلاء أتى المسيح. المسيح لم يأتِ للشبعان، المسيح لم يأتِ

*الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد رأس السنة، ١٩٩٧/١/١

للمكـــتفي، المسيح لم يأتِ لمن صحته جيدة. بالطبع أتى من أجل هؤلاء ولكن ليس من أجلهم وحدهم، إنه أتى من أجل من ذَكرت، والذين إجمالاً لا نذكرهم. سألوه: يـــا معلم أين تذهب؟ هل لائق بكَ وأنتَ المعلم أن تكون مع العاديين من الناس من هنا وهناك؟ هل يليق أن تكون بينهم؟ قال: لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. أنا ما جئت لأخلّص صدّيقين أو قديسين، أنا أتيتُ لأدعو خطأة إلى التوبة، أتيتُ لمن يحـــتاجون إلي، لا لمـــن لا يحـــتاج إلى كثير من اللطف. الكلمة اللطيفة لا تُقال لَمن يحـــتاجها. العمـــل الطيب لا يصب حيثما يجب أن يصب أي عند الذين يستحقون التعييد. أين تعيّد؟ مع مَن تعيّد؟

إجمالاً أنت تعيّد مع الذين لا يحتاجون إليك في العيد. أما الذين ينتظرون في العـــيد وجهك وينتظرون ابتسامتك وينتظرون نظرتك الحنون، هؤلاء غالباً ما تكون بعيداً عنهم. وعندما بدأ المخلّص رسالته في خطبته على الجبل التي ذكرها لوقا ومتى الإنجيليان، مَن أتى إليه ليسمع كلمته؟ بالتأكيد ليس الذي ينقصه الوقت بسبب كثرة الأوراق التي أمامه على المكتب أو الأعمال التي تنتظره من صرف المال هنا وهنالك، ومن دفع المعاشات الكبرى أو الصغرى. هذا ليس عنده وقت لكي يأتي إلى المسيح. أتى إليه جماعة بعد أن جلسوا معه شبه نهار كامل ليسمعوا كلماته. لم تكن مع واحد مـــنهم لقمة طعام، مما اضطر الرب يسوع إلى أن يتنبّه إلى حاجاتنا، حتى إلى حاجتنا إلى الطعـــام. الرب لا يسمح أن يجوّع أحداً ولا يسمح أن يجوع أحد. الرب يسوع قال لتلاميذه: الناس جاعوا ومن أين يأكلون؟ اذهبوا وفتّشوا عن طعام ومهما وجدتم أطعموهـــم. الشعب يحتاج إلى طعام، وكيف يؤمِّن طعامه مَن عنده أسرة. مَن عنده أولاد يجب أن يغذيهم، يجب أن يلبسوا، يجب أن يذهبوا إلى المدارس فيما الأب الذي يعـــول العائلة، لا يقبض أكثر من مبلغ معين؟ ولو كان عنده في البيت اثنان أو ثلاثة يدخـــنون، لمـــا كان راتبه يكفي ثمن الدخان الذي يجب أن يصرف على جماعته في البيت. الرب يسوع لا يريد أن يجوع أحدٌ، وهو يعرف أن الإنسان يأكل. واليوم في

تخطيطه، كما قرأنا، التخطيط الذي وضع قبل الميلاد على الأقل بسبعمائة إلى تسعمائة سـنة، هذا التخطيط هو تبناه وسار فيه. سار إلى الجائع لكي يحاول أن يسد رمقه. عـلى كل حال الرب يسوع لم يكن عنده من الطعام أكثر من أي جائع على وجه الأرض. مـا كان يطبخ، ما كان عنده طباخ، ما كان عنده إلا ما كان يُعطى له من هذا وذاك من المؤمنين به. فهل يفعل المؤمنون به ما كانوا يفعلونه في ذلك الوقت؟!. أيضاً مائة وخمسون مليون جائعاً على وجه الأرض، ماذا سيقول التاريخ عنا؟ سيقول الـتاريخ أيام كان الكثيرون يَدَّعون أن الاختراعات كانت عظيمة وأن الحياة كانت مرفهة وان الآلة سهلت كل شيء للإنسان. كان يجوع مَنْ حولهم، أي ٨٥٠ مليون خليقة مثلهم على صورة الله ومثاله؟

مـا هو عدد الأطفال على وجه الكرة الأرضية الذين لا يشبعون؟ كم من النسـاء يردن أن يرين أولادهن يأكلون كما يأكل أي طفل، أي ابن لأي أب أو أم على وجه البسيطة؟

قيل لنا إن الأرض لا تنقصها الأرزاق. ليس صحيحاً أن البشر يتكاثرون إلى درجة أن الأرض لم تعد تنتج ما يلزمهم للأكل والتغذية. قيل لنا إن كل ثروة الأرض يتمـتع بها أقل من ثلاثين في المئة من سكانها، يعني أن ثلاثين بالمئة لا أكثر من سكان الأرض يتمتعون بثروة توازي ثروة سبعين في المئة من سكان الأرض.

فكيف لا يجوع الناس ولا يكون هنالك فقراء؟! وزعوا الرزق. لماذا العلوم؟ لمـاذا الدراسات؟ لماذا نترك الناس يحجز واحدهم الرزق عن الآخر؟!. أليست عندنا وسـائل في هـذه الأرض لكي نحسن توزيع الثروة التي أعطاها الله لكل ساكن على وجه الأرض لا لفئة خاصة؟! الله ليس عنده فئوية فهل نحن كذلك؟!

أيهـا الأحباء، هذا يدفعني إلى أن أقول لكم إن آذاننا جميعاً تتخدش عندما نسـمع بأن فلاناً من أجل طعامه يهدر ما يمكن أن يغذي أسرة بكاملها لأيام، وأن

فلانـــاً من أجل عرسه يهدر ما يمكن أن يجعل أسرة تعيش لمدة شهرين بل ثلاثة أشهر وأكـــثر. إن الـــبعض من أجل خدمة أحد المنتقلين إلى الحياة الأبدية يصرف ما كان يكفي لمئة فم كان يمكنها أن تقول بصوت واحد وبكلمة واحدة: رحمه الله، لقد أنهى حياته بعمل خير. تتخدش الأذان عندما نسمع هذا الأمر، أيها الأحباء. نذكر الفقراء وأود أن أذكـــر المأســـورين. عندما أنت تمشي في الشارع وتذهب إلى بيتك عندما تشاء، وتتركه ساعة تشاء. وتسافر في السيارة والطيارة حيثما تريد، يجب أن لا تنسى أن هنالك جماعة مثلك، جماعة خلقها الله، جماعة تخطئ كما نخطئ نحن، والكثير منها صـــالح لأن يـــتأدب، صـــالح لأن يتربّى، صالح لأن يعيش في حنان زوجته، وحنان أولاده، وحنان أصدقائه. هؤلاء ليسوا معكم في هذا العيد ولا في أي عيد آخر.

أيهـــا الأحـــباء، عيدنا ليس عيداً لنا وحدنا، عيب علينا أن نعيِّد كل واحد لوحده. عيدنا يكون عيداً إذا كان السجين حراً، وإذا كان الجائع يأكل، وإذا لم يكن من طفل يبكي، لأنه ينتظر لقمة لا يتمكن من الحصول عليها.

هل تكون السنة جديدة بالفعل إذا لم يكن فيها مثل هذا؟

وكل عام وأنتم بخير.

✞ ✞ ✞

ربّوا أولادكم وإلا تولاهم غيركم*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين.

نُعيّد اليوم لشفيع هذه الكنيسة المقدسة أنطونيوس الكبير الذي ورّث الكنيسة مدرسة جديدة من حيث العيش، طريقة جديدة من أجل تمضية هذه الحياة على الأرض. نُعيّد لأنطونيوس الكبير وهو أبو الرهبان لأنه علمنا شيئاً غير مألوف كثيراً في أيامنا هذه. حيث التفكير ينصب على أمور كثيرة ما عدا هؤلاء الرهبان، ولماذا صاروا رهباناً؟

أيها الأحباء، الإنسان الذي يعيش يعمل، يجتهد، يتعب. ومن الطبيعي أنه بعد وقت من الأوقات ينتهي إلى القول ماذا أعمل ولماذا هذا كله؟ صحيح أنه يسأل نفسه لماذا كل هذا التعب؟. القديس أنطونيوس الكبير شفيع هذه الكنيسة المقدسة كان يعيش في عاصمة كبيرة هي الإسكندرية، المدينة التي بناها الإمبراطور الاسكندر وبناها جميلة، وما سمعناه عنها كثير. كنا نسمع المدائح وكنا نسمع عنها الكثير كما نسمع عن باريس اليوم. كل ما فيها منظم. ولها على شاطئ البحر شاطئ كبير. مَن هم الناس الذين كانوا يسكنونها؟ هم المسؤولون، الحكومة، الدوائر. سكنها إجمالاً الذين يعملون بالتجارة. مستوى المعيشة في المدينة، كان أعلى من مستواه في القرى مثلاً. كان هناك ترف شديد في مدينة الإسكندرية يظهر في اللباس، في الأكل، يظهر في التصرفات، يظهر في التجارة. ترف في كل شيء. وفي نهاية المطاف، وصل هذا الترف إلى الكنيسة. أصبحت جماعاتنا، جماعات الكنيسة، لا ترضى بأي شيء، مثلاً يجب أن يكون بيتي كبيت الذين أعيش معهم: قصراً بين القصور، يجب أن أكون واحداً من هؤلاء. أما إذا وصل مثل هذا الأمر إلى الكنيسة، فإنه في نظر القديس

*كنيسة القديس أنطونيوس، جرمانا، دمشق، عيد القديس أنطونيوس، الجمعة ١٩٩٧/١/١٧

أنطونيوس الكبير يعني أن هنالك خللاً كبيراً قد حصل. قال أنطونيوس الكبير يجب أن نتصدى لهذا الوضع، ومَن يتصدى له يجب أن يكون شجاعاً لأن الجبان منجرف تماماً. الإنسان في معظم حياته يعيش في الوهم إذا انجرف يجرف معه ألف أمر وأمر. أما الشخص الشجاع فقبل الإقدام يسأل نفسه ما الفائدة من هذا العمل؟ هل هو مظاهر أم تمثيل ورواية؟ هذا لا يقوله إلا الإنسان الشجاع القوي. أمام هذا الترف في مدينة الإسكندرية لم يكن أنطونيوس الكبير مقتنعاً بأن تلك المسيرات كانت مسيرات من أجل صحة الناس وراحتهم وراحة أولادهم. لو أتى أنطونيوس الكبير اليوم لقال: ما بال الناس يحتاجون إلى كل هذا؟ نحتاج إلى جبة، فلماذا نقتني عشرة؟ نحتاج إلى طقم، فلماذا العشرة؟ نحتاج لأن نأكل كمية معينة من الطعام، لماذا كل هذا الطعام والمطابخ وأنت إذا زدت من الطعام قليلاً تموت؟ لماذا تعرّض نفسك لهذه الأمور؟

أنطونيوس الكبير يرى أنه لا حاجة لكل هذا، وكلما زاد ما لديك كلما أخذ من فكرك وعقلك. إذا كان عندك عشر ليرات تأخذ من ذهنك ووقتك دقائق معينة فيما الألف تأخذ أكثر والخمسمائة ألف تأخذ أكثر وأكثر وبالتالي تصبح أنت مملوكاً للمال بقدر ما تمتلكه. كل ما يقع تحت الحس والذوق والنظر واللمس هذا يموت. ونرى كل يوم كيف يموت الواحد منا. أنطونيوس الكبير تحدى الذين يكدسون ملابسهم في الخزائن لكي يأكلها العفن وقال لهم إن أكثر مَن تكون جيوبهم كبيرة تكون نفوسهم صغيرة، وإن الكثيرين ينفقون بلا حساب على السهرات الصاخبة بأنواعها ويغمضون أعينهم عن الجار الفقير الذي لا يملك ما يسد به جوع أطفاله.

أنطونيوس الكبير صوت ذهب إلى البرية وقال: هنا أنا سأعيش. فبرهن بذلك على أن الإنسان يمكنه أن يعيش بالقليل القليل مما يستهلكه الآن. و لم يكتف بذلك ولكنه كان محركاً للناس الذين انتبهوا إلى أن يسألوا أنفسهم: ما بالنا نتعب كل هذا التعب وقد امتلأت الصحراء بالبشر؟ لهذا نعيّد نحن لأنطونيوس الكبير.

الإنسان لا يمكنه أن يعيش إلا إذا وضع أمامه برنامجاً للعيش. إن نساءنا اليوم في معظمهــن ينــتقين حاجاتهن من الصور التي تأتي في المجلات والتلفزيون والمدعوة الفــنانة فلانــة. كما أن رجالنا في كثير من الأحيان يقعون ضحية الخِداع. علينا أن نعرف أن الناس لا يختلفون بما يأكلون بل يختلفون بالقيم التي عندهم وبما يعملون من أجل أرواحهم. إنني أوصي الآباء والأمهات أن يربوا أولادهم ويكونوا معهم وينتبهوا إلــيهم لئلا ينشأ أولادهم مع الغير ويتعلموا من الغير. أوصيهم أن يجالسوا أولادهم ويحدثوهــم عن خبراتهم في هذه الدنيا كي لا يضلوا سواء السبيل ويُخدعوا. رافقوا أولادكم وصارحوهم لكي يصارحوكم ويطلعوكم على حقائق أمورهم فتنبهوهم إلى مواطــن الخطــأ. هــذا الصباح، أيها الأحباء، يذكرنا أنطونيوس الكبير بجميع هذه الأمور.

هذه الكنيسة، أيها الأحباء، منذ وقت قصير لم تكن موجودة. أشكر الله أنها موجــودة الآن. هل سيتاح لنا أن نبني كنيسة في مكان آخر؟ إننا نحمد الله على ما أعطانــا. الذين تعمدوا قبلكم كانوا يجتمعون في مجمع اليهود. لم تكن هناك كنائس وكان ممنوعاً عليهم أن يجتمعوا فوق الأرض بل كانوا يجتمعون تحت الأرض. الكنيسة هي قلبك أنت، وليست قيمتها عددية. إن الكنيسة الحقيقية هي أنت. قال الرسول: أنتم هيكل الله، أنتم الكنيسة، أنتم تكوِّنونها، ولا أحد يكوِّنها لكم. الكنيسة هي قلبك والإنجيل في قلبك إن كنت تدرسه فأنت تدرسه في قلبك.

يــا أحباء، هذه الكنيسة إن دلت على شيء فإنما تدل على أننا عندما نأتي إليها يجب أن يكون ذلك صورة عما في قلبنا.

أنــا سعيد جداً أن أكون معكم في هذا الصباح ولئن سمحت لنفسي بشيء من الإطالة، فما ذلك إلا تعويضاً عن غياب طويل.

عــليّ أن أتقــدم بالشكر: أولاً لله الذي يلهم بالخير ولا يأتي الخير إلا من

عنده، ثم للهيئات التي عملت على إيجاد هذه الكنيسة كي يمجد فيها اسم الله. أشكر جمـــيع الذين تبرعوا لأن الكنيسة لهم. قلما يعرف الناس أن الكنيسة ملكهم لا ملك سواهم، وأن البيوت التي يسكنونها قد لا تكون لهم في بعض الظروف، بينما الكنيسة تبقى لهم دائماً. شكراً لجميع الذين أسهموا في جعل هذا المكان على ما هو عليه لائقاً بالكـــرامة الإلهـــية. وإنـــي — تقديراً لما قدّمه الأخ أمين سفر وزوجته من فضل — أدعوهما لكي يتقلدا صليب الرسولين بطرس وبولس، ولتتقلد زميلتنا في التعليم (مدام سفر) النجمة التي لدينا في الكرسي الأنطاكي.

كل عيد وأنتم بخير.

✞ ✞ ✞

رخيص، رخيص من يبيع نفسه*

«سمعـــنا اليوم كلاماً من الإنجيل يشبّهنا بالنسبة للمسيح كالأغصان بالنسبة للشجرة. هذا يعني أن الحيوية تتدفق من جذع الشجرة لتغذي الأغصان، كما يعني أن الأغصـــان لا تستطيع أن تعيش وحدها. أنتم أغصان الشجرة والمسيح هو جذعها، فإيـــاكم أن تبتعدوا عن الجذع فتتعرضوا لليباس. عليكم أن تكونوا قريبين من المسيح الذي تؤمنون به، لأنه هو الذي يعطي الحياة، ولأنكم إذا ابتعدتم عنه يكون مصيركم كمصـــير الخضـــار التي تجف بابتعادها عن الأرض وتزول خضرتها فلا تعود صالحةً للأكل وتُطرح. يقول الإنجيلي إن مثل هذه الخضار اليابسة لا تصلح إلا وقوداً للنار. ونحـــن، عندما نريد أن نشعل النار نوقدها أغصاناً يبست بفعل انفصالها عن الجذوع التي أعطتها.

يُقال لنا ذلك، أيها الأحباء، أيام الصوم الأربعيني المقدس لنتذكر من أين أتتنا الحياة؟ الحياة أتتنا من الذي يعطي الحياة. الحياة لا تأتي من الخشبة ولا من الحجر، لا من هنا ولا من هناك. هذا يعني ألا ننسى أين هو النبع الذي أتينا منه. أنت أتيت إلى الحـــياة من نبع الحياة بواسطة أبيك وأمك. هكذا أراد لك الله أن تأتي، ولو لم تكن هذه إرادته لما أتيت، لأن أمك وأباك يستطيعان أن يعيشا معاً بدون أن تأتي.

إننا نلاحظ بعض الأحيان، أيها الأحباء، أن الكثيرين منا لا يأخذون مسائلنا مـــأخذ الجد، بل يكتفون بالظواهر، وببعض العادات. هذا لا يكفي. نريد أن تكون قلوبـــنا مفتوحة لله أكثر مما هي مفتوحة الآن، وأنا لا أقول إن قلوبكم غير مفتوحة. كلا! لست أقول ذلك، بل أقول إننا نحتاج إلى أن نفتح قلوبنا لله أكثر مما نفعل الآن، فـــإذا لم يكن الله في قلوبنا، سيحتلها غيره، وهذا الغير هو روح الشر، روح الحسد،

*الكاتدرائية المريمية، دمشق، المديح الأول من الصوم، الجمعة ١٤/٣/١٩٩٧

روح النمـــيمة، روح الغضب، روح الكره. هذه الأرواح التي لا يوجد ما هو أسوأ منها على الإطلاق، لأنها تحرق مَن يراها ومَن يحملها ومَن يتحلق حولها. ليس هنالك أكره من أن يعيش الإنسان بالغضب والكره والحقد وما يماثلها، وليس هنالك ما هو أبغـــض مـــن ذلـــك لأن الإنسان لا يستطيع أن ينام نوماً هنيئاً إذا كان ضميره حياً يحاسبه، وكانت نار هذه الشرور تحرقه.

علينا إذن ألا نترك أي فراغٍ في قلوبنا. علينا أن نضع الرب يسوع في قلوبنا، لأن مَـــن يضـــع الرب يسوع في قلبه، لا يترك في قلبه مكاناً للشيطان، بل يطرد منه روح الشر وكل الشياطين.

نحن اليوم نذكر السيدة العذراء. هذا يعني أننا نريد أن نكوِّن لأنفسنا صورةً عنها: هي عذراء صبية، إنسانية، نظيفة، نقية، طاهرة. هي التي قالت الكتب إنها تحبل بالـــرب يسوع. يقول لنا الإنجيل إن الملاك عندما كلمها لم يقل لها إنها ستحبل رغماً عنها بولدٍ اسمه يسوع، بل قال لها إنه جاء لينقل لها خبراً ساراً ويسألها رأيها في ذلك فتقول له: أنا ممتنة للرب، أنا عبدةٌ لله، أنا خاضعةٌ لله، خاضعة لمشيئته.

ونحن عندما نتكلم عن الخضوع نتصور أن هنالك مَن يحمل عصا يهددنا بها ويجبرنا على الخضوع. ليس هذا هو المقصود بالخضوع في الكنيسة. في الكنيسة كل منا يخضع للآخر على أساس أنه يحب هذا الآخر كما يحب نفسه. لا قهر بين المحبين ولا خضـــوع ولا غضـــب ولا إكراه. والأمر الأكيد هو أن المحبين يطيعون بعضهم بعضاً، ويحفظ كل منهم كرامة الآخر ويستجيب لطلبه ويعمل ما يمليه عليه بكل طيبة خاطـــر. لا غضب في الكنيسة، ولا غضب في الإيمان. لذلك، علينا أن نطهِّر كلمة الخضـــوع من هذا المعنى المغلوط الذي يوحي بالعبودية. عبدُ الله هو إنسان حر، أما العبد غير الحر فهو عبد الإنسان.

العـــذراء هـــي الصورة التي يعطينا إياها الله عندما يكلمنا، هي الصورة التي

تأتيـــنا مـــع كلمة الإنجيل التي تعرّفنا لماذا جاء الإنجيل. الإنجيل جاء من أجلنا، لا من أجـــل الله، لأن الله يعـــرف الإنجيل، لكن بعضنا لا يعرفه. ربنا يفهم أن ما جاء في الإنجيل جاء ليس من أجل أن نمشي إلى الوراء، بل لكي تتحسن أحوالنا ونتقدم، لكننا نحـــن قد لا نفهم ذلك. الإنسان المحب، أيها الأحباء، هو صاحب القلب الكبير الذي لا يســـتطيع أن يكـــون ـــ كما قلنا ـــ مبغضاً حاقداً غضوباً لا يحب الآخرين. أما الإنســـان غير المحب، فهو صغير حتماً، وإذا لم يكن صغيراً في نظر بعض الناس، فهو حتماً صغيرٌ في عين الله، وهذا أمرٌ مهم جداً.

العذراء سمعت كلمة الله في إيمانها بالله. ونحن نؤمن بإلهٍ واحد، نحن لا نعبد أحداً، لا نعبد عجولاً أو حيوانات، لا نعبد الشمس ولا القمر. نحن جماعةٌ نعبد الله وحده. وما دمنا الآن في صلاة العذراء وهي سيدة مثل سيداتنا، فإننا نذكر السيدات، ونذكر اللـــواتي يغـــيِّرن أحياناً دينهن، ونتساءل ما إذا كان لا يزال هنالك رجال. تروي لنا الكنيســـة أن هـــنالك قديسين وشهداء طُلب إليهم أن يعبدوا إلهاً غير الذي يعبدونه فرفضوا وقالوا إنهم يفضلون أن يموتوا قبل أن يغيروا معتقداتهم وإيمانهم. لن تموت أية امـــرأة من نسائنا إذا لم تحظَ برجلٍ أو إذا تأخرت في العثور عليه. نحن ندفع ثمناً لكل ســـلعة يعادل قيمتها لا أكثر، وإذا دفعنا مئة ضعف لسلعة لا تعادل إلا خمسة نكون من الجهلة. الأمر لا يستحق مثل هذه الخسارة. عندما تتعلق هذه الفتاة بهذا أو بذاك بشكلٍ أعمى، لا نتوجه إليها لأنها عمياء عاجزة عن رؤية الصواب، لكننا نتوجه إلى أصـــحاب الأعـــين المفتوحة. وأصحاب الأعين المفتوحة هم الأم والأب والأصدقاء. نـــتوجه إلى الأم والأب ونســـألهما ما هو الأمر الذي يهتمان به إذا كانا لا يهتمان بأولادهما وبناتهما بصورة خاصة، وإذا كانا لا يوجهانهم التوجيه الصحيح ويوعيانهم عـــلى أنهـــم يتـــوهمون الأمور ولا يعرفونها كما يعرفها الأب والأم. الشباب إجمالاً يـــتـــوهمون وعلى الأم والأب والأصدقاء أن ينـــزعوا الوهم من رؤوسهم. فأين هم هؤلاء المسؤولون وما بالهم ساكتين؟ وإذا كانوا غير مهتمين بمثل هذه الأمور الكبيرة،

فبماذا تراهم يهتمون: أبالطبخ والأكل ومثل ذلك من الأمور البسيطة لا أكثر؟

إنني أسمع أن هنالك سيدات يجدن أن واجبهن يقتصر على العناية بالبيت وبما في البيت من طناجر وكراسٍ وضيوف وأثاث وغير ذلك. هؤلاء السيدات مخطئات جداً لأن في البيت ما هو أثمن بكثير من هذه الأشياء وما يستحق أن نهتم به أكثر بكثير من اهتمامنا بها. في البيت أولاد لا تقدّر قيمتهم بثمن ونحن علة وجودهم. العذراء خرجت من بيت كبيوتنا، ويجب أن يخرج من بيوتنا أناسٌ مثلما خرجت هي. يجب أن يخرج من بيوتنا مَن يقول لله إنه – كالعذراء – يسمع كلمة الله ولا يحيد عنها، ولا يبيع نفسه بالمال، قليلاً كان أو كثيراً. رخيص رخيص هو الذي يبيع نفسه، لكننا نحن المسؤولون بالنتيجة. الأمهات هن المسؤولات بالدرجة الأولى. مَن منهن تجالس ابنتها وتلقنها الصح من الخطأ وتنبهها إلى طريق الصواب وتحذرها من الضلال؟ أنا لا أحب مَن يحمل العصا في وجه أولاده، ولا أطلب سوى توجيههم وإرشادهم. ثم إن الكلام وحده لا يعلّم. أنا أحب الذين يختارون الطريق الصحيح بحرية. الكنيسة كنيستكم وهي تكره الغباء وتتعلق بالحقيقة لأن المسيح نورٌ، والنور لا يأتي عن طريق السحر، فعلّموا أولادكم. أنا لا أوجه كلامي للرجل، بل أوجهه للمرأة كذلك. أين هي المرأة المؤهلة؟ يجب أن نتنبه ونفتح أعيننا جيداً. إنجيلنا يوصينا بالسهر، وأنا أحترم مَن لا يغمض عينيه ويقول حقيقة ما في داخله؛ فإذا كان هنالك مَن يرى أن كنيسته ليست كنيسة الله وأن إنجيله غير صحيح ويؤمن بصحة ذلك أقول له: مبروك عليك إيمانك، بشرط أن تعرف إلى أين أنت ذاهب، وأحترمه. لكني لا أحترم من أبنائنا أولئك الذين يتصرفون كأنهم لا ينتمون إلى أحد، وكأنه ليس هنالك مَن يهتم بأمورهم. تلك دينونةٌ لنا. قولوا لأولادكم: اذهبوا إلى الكنيسة وصلوا واسمعوا ما يُقال، ولا تكتفوا بما تسمعون من الراديو أو التلفزيون أو غير ذلك فإنكم لن تسمعوا سوى النافل من الكلام، ولن تروا سوى المظاهر المؤذية، واعلموا أن بين مَن يرقص الرقصات غير المحتشمة في مظاهرها يوجد شريفات. نحن لا نريد أن

نظلم أحداً على الإطلاق. في جميع المجالات أناس شرفاء وإن كانوا يعطونك صورة معاكسة. ما أغبى الإنسان الشريف الذي يظهر مظهراً يوحي بأنه ليس كذلك.

إن ما نتمناه، أيها الأحباء، هو أن تتعلموا من كنيستكم، وليس من سواها. ونتمنى ألا تكون آذانكم مفتوحة فحسب، بل أن تطبقوا في حياتكم كل أمر جيد تسمعونه، ونتمنى أن تفتحوا قلوبكم كذلك لتستوعب ما يُقال في الكنيسة من كلام الله، وتعرف أن ما يُقال فيها موجه إلينا، وأن لا أحد يستطيع أن يزايد علينا، لأننا نحن أصحاب الإيمان المستقيم، ومنذ ألفي سنة، ولسنا مستعدين للتخلي عن موقعنا هذا، لأننا إذا تخلينا نكون كمَن يتخلى عن بلده وعن نفسه. نتمنى ألا يوجد بيننا مَن يقول: هذا خائن، وهذا رخيص، ولا نحب لأحدٍ أن يكون خائناً أو رخيصاً.

نسأل الله أن تكون الصلاة التي صليناها بركةً لكم جميعاً، وأن يكون الصيام بركةً كذلك. آمين.

✞ ✞ ✞

المسيح إما في القلب أو لا يكون*

أيهـــا الأحـــباء، ها قد أنهينا الأسبوع الأول من الصوم الأربعيني المقدس. قطعناه وكأنه هو عيد. في الواقع، الصوم عندنا يجب أن يكون مرفقا بالابتهاج. فقد قال الرب يسوع: «إذا صمتم فلا تكونوا معبسين كالمرائين».

الصـــائم ليس ذلك الإنسان الذي يعطي ربه منة. الصائم هو ذلك الإنسان الـــذي يفرح لأنه يفتح قلبه لاستقبال الرب وبذلك يبتهج في فترة الصوم الأربعيني المقدس.

المـــناخ الذي خلقته القراءات حولنا، والمقطع الذي سمعناه من الرسالة إلى العـــبرانيين وكان التشديد فيه على الإيمان، كان حديثاً موجهاً للمسيحيين بعد مجيء المسيح، كان موجهاً لأناس لم يعد الرب يسوع ماثلاً أمامهم بالجسد كما كان يوم كان على الأرض. من يدري فقد كانوا يتساءلون كما يتساءل الكثيرون اليوم: أين هـــو الرب يسوع؟ فكان الجواب الذي أعطاه الرسول: الرب يسوع لا تراه بعينيك الخارجيتين بعد أن صعد إلى السماء ولكنك تراه بعينيك الداخليتين، تراه في الداخل. المســـيح لا يفتش عنه في الزوايا ولا يفتش عنه في الغرف هنا وهنالك. المسيح إما أن يكون في القلوب وإما أن لا يكون.

والصـــوم هـــو عبارة عن عملية تنظيف، تنظيف لنفوسنا، تنظيف لعيوننا ومســـح الغـــبار عنها لكي تصبح قادرة أن ترى الرب يسوع وتشهد تألق وجهه. تقـــززت العـــيون، لم تعد قادرة أن ترى إلا العظم واللحم والحجارة وما إلى ذلك. تقززت العيون لأننا لا نمسحها.

تقول الكنيسة: يجب أن نصوم، يجب أن نُدْخِل الطهارة في القلوب. فالذي

---

* ١٩٩٧/٣/١٦

لا يتمرن على الشيء لا يمكنه القيام به، ومن لا يدرب عينيه على رؤية شعاع المسيح لـــن يتمكن من رؤية الشعاع ولو كان الشعاع يخترقه. المسيح ليس في الهواء وليس فكرة، المسيح ليس غبارا منثورا في الجو، المسيح ليس بعيداً.

في الصـــوم أنت تتهيأ لقبول الرب يسوع. كلنا لم نعد نأخذ شأن المسيح بجدية فعلية، نعم لم نعد كذلك. في كثير من الأحيان يسأل الإنسان نفسه وبحق أين أصـــبح المسيح بالنسبة للمسيحيين أنفسهم. وهنا أذكر تلك القطعة التي يُصَوَّر فيها المسيح بين كل الناس وهو ذاهب إلى الصليب، وهو موضوع في قبره. يصور لنا أنه هو ذاك الغريب. غريب هو المسيح، نعم. غريب عند المسيحيين، غريب عندكم. عن البيـــت غريـــب، عن الطعام غريب، عن الصداقة غريب، عن الحديث غريب، عن الـــتفكير غريب، عن الاهتمام غريب، فأين المسيح إذا كان خارج هذه كلها؟ أيها المسيحيون أين هو المسيح بالنسبة إليكم إذا كان غريباً عن هذه كلها؟

بالصـــوم، أنا أعترف أمام الرب بأنني أحتاج إلى التقديس من الرأس حتى أخمـــص القدمـــين، وإنـــي أحتاج إلى التقديس والنعمة الإلهية من الخارج والداخل وأحـــتاج إلى التقديس في الفكر وفي القول وفي النية وفي كل شيء. هذا هو الصيام ولذلك نحن فيه نأتي إلى المسيح كما خرجنا من يده الإلهية، نأتي إليه بالأكل والشرب والـــنوم والفـــرح والحزن والفكر والقول وفي كل شيء. نتقدم إليه كما أعطانا هو الوجود والحياة.

لعل هذه الكلمات توقظ في قلوبنا تلك الشرارة التي لم يقصر الله في وضعها فيـــنا. الشـــرارة الإلهـــية توجد في قلب كل واحد. لعل هذه الكلمات توقظ هذه الشرارة.

بالإيمـــان، بالإيمان تكلم الرسول عن عُزَّل قهروا الممالك وعن ودعاء وقفوا أمام الحيوانات. بالإيمان، بإيمانكم أنتم. بارك الله بكم. آمين.

القيامة ليست خلود النفس*

المسيح قام... حقاً قام.

أيها الأحباء، قبل كل شيء، أتمنى أن يُنعم الله عليكم جميعاً وعلى كل السامعين بأيام حلوة وأوقات يتمكن فيها الإنسان، براحة وبحرية، أن يمجد الله خالقه، وأن يمارِس حياته الروحية بهناءٍ وبمحبةٍ للجميع. في هذه الفرصة أيضاً ونحن نتمنى الهناء والفرح لكم جميعاً، أتمنى بصورة خاصة هذا الفرح وهذا الهناء لسيادة الرئيس حافظ الأسد، رئيس هذه البلاد وحاميها.

تسمعون اليوم كلمة «القيامة» وقد أَلِفت آذانكم هذه الكلمة. أما الواقع فهو أنها لم تكن مألوفةً إلى هذا الحد. لأن الناس كلهم لم يكونوا يعرفون القيامة، لأن الناس كلهم لم يكونوا يعتقدون بالقيامة. وقديماً في أيام الأنبياء، عندما كان يُقال: قام فلان من الأموات، كان المقصود أن عجيبةً قد حدثت لوقت من الأوقات، وأن الذي قام من بين الأموات سيعود بعدئذ إلى الأموات. إننا نذكر في العهد الجديد حدثين على الأقل:

الحدث الأول: هو الذي صارَ لابن أرملةٍ في إحدى قرى فلسطين، في نايين. كان الشاب ميتاً فحن عليه الرب، الذي عندما رأى أمه الأرملة تبكيه، لم يتمكن إلا أن يندفع ويقول للصبي: قمْ، فيقوم الصبي من الأموات. لكن هذا الصبي مات بعدئذٍ.

والحدث الثاني: هو أن الرب أقام لعازر بعد ثلاثة أيام، ولكن لعازر، عاد بعد قيامته إلى الموت، ونحن نعرف أين قبره اليوم. واحدٌ أحد، هو الرب يسوع المسيح ابن الله الوحيد المتجسد مات ثم قام ولم يعد إلى الموت من بعد. نعم هو

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، اثنين الفصح، ٢٨/٤/١٩٩٧

الوحيد. من أجل ذلك نحن نعتقد أننا جميعاً في قيامة المسيح لن نبقى في حالة الموت. المسيح مات من أجلنا حقيقةً، والمسيح قام من أجلنا حقيقةً، وليس من أجله وحده، وكــلما ذكـــرتم إنساناً يموت، أنتم تذكرونه على رجاء القيامة، على رجاء الحياة الأبدية. ذُكرت القيامة في العهد الجديد، في الإنجيل المقدس. اختلفت الفرق اليهودية عـــندما سمِعَت بها، وعندما كانت تسمع الرب يسوع يقول إن ابن الإنسان سيموت ويُقبر ويقوم في اليوم الثالث، كانت تتساءل ما هي القيامة؟

عـــندما كان بولس الرسول يحدث اليونانيين عما حصل له في دمشق وفي أماكن أخرى، ثم ذكرَ كلمة القيامة، قيل له: «يا بولس هل جُننت، ما القيامة؟ أهي آلهـــة جديدة مؤنثة تذكرها لنا كالآلهات المؤنثة الكثيرة التي عندنا نحن اليونانيين؟ عمَّ تتحدث؟ هل فقدتَ رشدك؟». ذلك، أيها الأحباء، أن اليونانيين المفكرين والفلاسفة كما يعرفهم الدارسون، ما كانت عندهم قيامة. كانوا يقولون بخلود النفس، أي بأن الـــنفس لا تمـــوت ولذلك لا تقوم. عندما سمعوا بالقيامة، سمعوا بشيء جديد جداً. ومعظم فلاسفتنا في العالم العربي أخذوا الكثير من الفِكر الإغريقي وتحدثوا عن الخلود أي عـــن عـــدم موت النفس وعدم القيامة. تكلموا عن ذلك أكثر مما تكلموا عن القيامة، والذين تكلموا عن القيامة في هذا الشرق هم فقط المؤمنون. الأديان الكبرى والعظمـــى الـــتي نشأت في هذا الشرق هي التي عَلّمت بالقيامة وأن الإنسان حتماً يمـــوت، يموت بروحه، يموت بجسده، وأنه حتماً يقوم إنما بعد المرور بالموت. الموت قَـــدَر على كل إنسان، إنْ كان بالروح أو كان بالجسد أو كان بكليهما معاً، ونحن نعـــتقد أنه يموت بكليهما معاً. نحن نقوم بالإرادة الإلهية التي أرادت لنا منذ البدء أن نكون من حبة تراب أو من لا شيء. بولس الرسول يعرف أن كلمة القيامة ستجعل الكثيرين يصفونه بالمجنون وستكون موضع شك للكثيرين، لذلك خاطب المؤمنين منذ ذلـــك الوقـــت. نحن في القرن الأول المسيحي قبل الإسلام و لم تكن اليهودية كدين

منتشـــرةً إلى هذا الحد في ذلك الوقت. قبل الإسلام وفي الفترات الأولى من المسيحية اضطر بولس الرسول إلى أن يدافع عن نفسه عندما تكلم عن القيامة، فقيل له كيف تقـــوم من بين الأموات؟ هل هذا ممكن؟ فأجاب: ليس ذلك ممكناً فقط ولكنه صار، حـــدث، هو واقع. ما دامَ المسيح قد مات حقيقة وقام حقيقة وظهر لكثيرين وتحدث معهم وتحدثوا معه وأكلوا وشربوا معه، فمعنى ذلك أن القيامة يمكن أن تكون حقيقة واقعـــة. وقـــال: إن الذي لا يؤمن بالمسيح لا يؤمن بالقيامة لأن المسيح به حصلت القـــيامة الحقيقـــية وهـــي ليست محصورة بأحد، أيها الأحباء. قالوا له: كيف يقوم الإنســـان؟ نعرف كيف يموت، نراه كيف يموت، نراه لأننا نضعه في القبر، وبعد مدة نـــنظر إلى القـــبر فلا نجده، نجد بقايا. هل من هذه البقايا يخرج إنسان قائماً من بين الأمـــوات؟ قال لهم: انظروا إلى الزارع، إلى الفلاحين جميعاً، إنهم يضعون الحنطة في بـــاطن الأرض، فتموت أولاً ثم ينبت منها شيء، نبات جديد، ليس جديداً بالنسبة إلـــيها، فهو منها، ولكنه ليس صورة عن الجسد الذي كانت تحمله هي. حبة الحنطة فـــيها شيء يموت وفيها شيء يحيا ولكنه يكون دائماً منها. هكذا الإنسان فيه شيء للفساد وفيه شيء للحياة، يوضع منه شيء في القبر، ويقوم منه شيء آخر، ولكنه لا يقل حقيقةً عما وُضع في القبر.

ليس الرسول وحده هو الذي يقول بالقيامة، كلنا نقول بها، وكل الديانات التي عندنا تقول بها، وكل الديانات تكون عديمة المعنى إن لم تقل بالقيامة. دياناتنا في الشرق ديانات قيامة وديانتنا المسيحية هي أولاً وأخيراً ديانة قيامة. إذا لم تكن هنالك قـــيامة إذاً نحن عائشون لكي نأكل ونشرب ونتناسل ثم نموت وانتهى الأمر. وهذه حـــياة لا تليق بالإنسان وليس لها أي معنى في النهاية. أيها الأحباء، من أجل ذلك، فالكنيســـة تدعو التعييد للقيامة عيدَ الأعياد وموسمَ المواسم لأنه لا يقف إلى جانبها عـــيد ولا تقـــف إلى جانبها مناسبة. القيامة فريدة، وحدها قمة، قمة الأعياد وقمة الشـــيء الذي نحن نطمح إليه ونرغبه ونصلي من أجله. لهذا نحن اليوم نقول بالفرح.

ونقول بالفرح لنسأل الله مجدداً أن يكون هذا الفرح عاماً على كل خليقة إنسانية.

يُسعدني اليوم كثيراً أن أقول إننا نحن متضامنون كلياً مع ما قاله قداسة الأخ البطريرك زكا البارحة، وليس عندنا كلام أفضل مما قاله في الموضوعات التي عالجها. قال أولاً إن المسيح نطق بالسريانية، وهذا بالطبع مصدر بهجة لنا وتعزيزٌ لتاريخ المسيحية في هذه المنطقة. ما نتمناه هو أن تكون للغة المسيح ولفكر المسيح وللمسيح ذاته أصداء تملأ الجو الذي نعيش فيه أكثر مما يُعطى لها الآن. نتمنى ألا تكون السريانية أمراً نكتفي بأن نتذكره تذكراً، ونأمل أن تكون المسيحية كذلك. فليعلم بذلك كل سوري، ليعلم به كل مسلم وليعلم به كل من يعيش على هذه الأرض وفي هذا الوطن، عسى أن يتم ذلك بالقدر المناسب وفي الوقت المناسب. وقال قداسة الأخ البطريرك زكا أمراً ثانياً: دعا بكلمات لا أحلى ولا أطيب من أجل رئيسنا الرئيس حافظ الأسد، وتكلم عن صفاته التي هي في قلبنا أيضاً. ونحن نقول إننا نتضامن مع قداسته في كل ما قاله في هذا الأمر، خصوصاً وأن الأيام تبرهن في المحنة التي يجتازها عالمنا اليوم، خصوصاً في الشرق شرقنا العربي، أن كل عين ترى وكل أذن تسمع تعرف أن رئيسنا بحكمته وصلابته ووضوح تفكيره يعرف دائماً ما يقول. يعرف ما يقول لأنه يعرف ما يريد، وما يريده هو الخير لجماعات موجودة في قلب الخير المعطى من الله، لكنها لا تعرف أن تعيش حياة الخير. بفكره الصائب، ازداد في النهاية المقتنعون بموقفنا. أيها الأحباء، صار العرب يعرفون أنه لا يصح الاستسلام. الرخص ليس جيداً، وإذا كان على الإنسان أن يموت، فلا يموتن رخيصاً. لكننا لن نموتَ وإن شاء الله يبقى للحق شيءٌ في هذه الدنيا، ونحن أصحاب حق. هذا هو ما أضيفه إلى الكلمات الطيبة التي قالها قداسة البطريرك زكا في رئيسنا لأذكّر بالموقف الذي لا يمكن لإنسان أن يتجاهله من بعد.

ذكر الأخ البطريرك زكا شيئاً ثالثاً وأخيراً هو لبنان. في وقت من الأوقات،

غلب الظن على الكثيرين بأن لبنان لم يعُد يستحق أن يُذكر كثيراً. ذكر البطريرك لبنان وهو عارف أنه بين يدي هذا البلد وبين يدي سيادة الرئيس بصورة خاصة، ونحن لا نريد للبنان أن يكون بين يدي أشخاص أُخر. إننا بالفعل من أجل لبنان نصلي، ونتمنى أن يكون لبنان في النهاية لكل اللبنانيين بدون تحفظ ولا استثناء.

أُكرر ما تمناه قداسة أخينا البطريرك زكا فيما يخص آثار المسيح في البلد الذي ليس غريباً عن المسيح. نتمنى كل التمنيات للبنان، فلبنان لا يجوز أن يعامَل معاملةً تقلبه من بلد الزهور، من بلد الاخضرار، إلى بلدٍ لا يعرف مثل هذه الأمور الحلوة. في يوم القيامة، نريد للدنيا بكاملها أن تكون زهراً وأن تكون عطراً وأن تكون رائحةً طيبة، وأن يكون في قلب كل إنسان على الإطلاق نبعٌ من الرجاء والأمل بقيامة المسيح.

أيها الأحباء، إن شاء الله يكون عيدكم عيد كل مخلوق على وجه البسيطة.

آمين.

✞ ✞ ✞

الله والكراهية لا يتساكنان*

اليوم، يا أحباء، نحتفل بعيد الرسولين بطرس وبولس، مؤسسي الكرسي الأنطاكي المقدس، ويسعدني في هذه المناسبة أن أقدم لكم المعايدة وأسأل الله أن تكونوا دائماً بخير مع هذا الكرسي الأنطاكي المقدس الذي كان أول من أدخل كلمة "مسيحيين" على القاموس في أنطاكية. نحن إذاً ننتمي إلى كرسي عريق يأتي في الكرامة الكنسية قبل الكرسي الأورشليمي، وهو كرسي مهم جداً في حياة الكنيسة الأرثوذكسية العالمية.

لذلك يسعدنا اليوم أن نتذكر أن الرسولين بطرس وبولس كانا في أنطاكية وذهبا منها إلى روما حيث أسسا كنيستها بعدما كانا قد أسسا كنيسة أنطاكية، فلنلاحظ عظمة الكرسي الأنطاكي الذي يظن البعض أنه أقل رسولية من روما في حين أننا لسنا، في هذا الكرسي، أقل رسولية من روما. هذا أمر يجب أن نحفظه وأن نهتم به.

أيها الأحباء، إنني اليوم أذكر خصوصاً أن الكتاب المقدس يروي لنا أن آدم وحواء كان لهما ابنان، اسم الأول قايين واسم الثاني هابيل، وأن كلاً من هذين الابنين قدم ذبيحة لله، فقُبلت ذبيحة هابيل ولم تُقبل ذبيحة قايين، في حين أن الاثنين كانا ولدين لأب واحد وأم واحدة وكان لهما إله واحد هو الله. كل ذلك لم يمنع الأخ من أن يقوم على أخيه ويقتله لتحصل أول جريمة في التاريخ. أين حصلت تلك الجريمة؟ حصلت ضمن العائلة. في البيت الواحد، قايين قتل هابيل. ويقول لنا الكتاب المقدس إن الله صرخ لقايين قائلاً: "قايين... قايين.. أين أخوك؟" فكذب قايين

---

* عيد القديسين بطرس وبولس، ١٩٩٧/٦/٢٩

وقال: "هل أنا حارس لأخي؟". انتبهوا لهذه الكلمات: "هل أنا حارس لأخي؟" فلو قـــال قايين: أنا لا أعرف أين هو لقال له الله: أنا أعرف. نعم الله يعرف كل شيء. يعـــرف الأمور الظاهرة كما يعرف الأمور المستورة. لذلك قال لقايين: "دم أخيك يصـــرخ إليك". لا حاجة بك لأن تقول لي أين هو أخوك. إن دمه الذي سفكته هو الذي ينطق.

لماذا أستشهد بهذا الحدث في الكتاب المقدس اليوم؟

أستشهد به لأن الخطيئة الأولى التي حصلت في التاريخ بعد خطيئة مخالفة الله العظمى كانت بين أخ وأخيه، كانت في قلب الأسرة الواحدة. والكرسي الأنطاكي يعـــلم كبقية الكراسي الأرثوذكسية أن صوت الله يرتفع دائماً في أذنيك وفي قلبك لـــيقول لك: أين أخوك، ماذا تفعل بأخيك؟، تصوروا أن البغض والحقد والكراهية والـــثورة لم تـــتوقف في حـــدود الأسرة بل امتدت إلى الكنيسة: فكأنك إذا كنت أرثوذكســـياً لا يكـــون لك أخ مسيحي كاثوليكي، وكأنك إذا كنت كاثوليكياً لا يكـــون لك أخ أرثوذكسي، بل صار عليك أن تقتله وأن تحاول أن تزيله. وكأنه لا يجوز لك أن تحب هذا الأخ وتعتبره أخاً لك. بل من واجبك أن تعتبره عدواً لك.

قـــرون وسنون وأيام يعيشها الجميع وكأنهم لا أخ لهم. أنتم تعيشون وكأنه لـــيس لكـــم أخ، وكأنه لا يوجد من يذكر اسم المسيح إلا نحن وحدنا. هذا ليس صحيحاً.

عـــندما كانـــت القـــوة تدعم مسيحيين في التاريخ، قام مسيحيون بقتل مســـيحيين ناسين صوت الله القائل: "قايين... قايين... أين أخوك؟". قرون مضت وقلـــبك لا يحـــب أخاك، وقرون مضت وأنت تعيش كأنه لا يوجد من يذكر اسم المسيح سواك.

إنـــنا اليوم نسمع كلمة "حوار" وهو يعني "الحكي مع الناس"، فنردد هذه

الكـــلمة باعـــتزاز ونقـــول بالحوار مع الأخوة المسلمين ومع بقية الديانات. تتحطم الحواجز بيننا وبين المسلمين فيما تبنى الحواجز بيننا وبين المسيحيين، بأي منطق ترانا نفعـــل هـــذا الأمر؟ ليس هذا هو تعليم الكرسي الأنطاكي المقدس وتوجيهه. يقول الكتاب المقدس إن لك أخاً، فإذا ذهبت إلى الهيكل لتقدم قربانك وأنت غير مسامح هـــذا الأخ، فاذهـــب أولاً إلى أخيك وتسامح معه، لأنك إذا أتيت الكنيسة حاقداً كارهـــا تـــريد الانتقام، فلن تفيدك صلاتك ولن يفيدك قربانك شيئا. عندما كان المؤمـــنون في الـــتاريخ يتذابحون هنا وهناك، كان الكرسي الأنطاكي المقدس يقف حاجزاً في وجه العنف والكراهية بين الأخ وأخيه. فالكاره المنتقم لا يقدر أن يكون من الكرسي الأنطاكي الذي يجمعكم، والذي نعيد له اليوم.

هـــذا هو كرسيكم، أيها الأحباء، صوت الله الصارخ في أذنيك وفي قلبك على الدوام: قايين... قايين... أين أخوك؟ هذا الصوت يرتفع في نفس كل منا وفي كـــل قلب من قلوبنا. الله والكره لا يسكنان معاً: أما أن تكره وترفض الله، وأما أن تحب ويكون الله في قلبك.

أعـــايدكم وأطلب لكم ما قاله الله: أحبوا بعضكم بعضاً، وقبل أن تصلوا، اصطلحوا مع أخوتكم، فالكراهية والله أمران لا يتماشيان ولا يتعايشان.

✝ ✝ ✝

ناموس المحبة ناموسنا*

أيهـــا الأحـــباء، نجتمع اليوم في البلمند، في معهد اللاهوت آتين من أماكن مـــتعددة، لأننا نحتاج إلى أن نرى الذين لا نراهم، وهم أيضاً يحتاجون إلى أن يرونا، وأن نتشارك في التفكير في شؤون كنيستنا المقدسة. لماذا نعيّد اليوم للآباء القديسين في القـــرن الخـــامس؟ نحن، يا أحباء، كأننا تعودنا كيف نرتبط بما هو ماض وتاريخي. ولكـــنني كمسؤول، أقول إننا لن نتعوّد كفاية كيف يتصل الواحد منّا بالآخر، كيف يتصـــل بذاك الذي، بلغتنا الكنسية، نؤلف معه كنيسة المسيح على الأرض، ونؤلف شـــعب الله على الأرض. هذا الشيء لا نزال فيه بدائيين. نحن ننسى أن مبرر وجود الكنيسة هو أن يعرف الناس بعضهم بعضاً، لا أن يعرفوا بعضهم بعضاً كغرباء الواحد بالنسبة إلى الآخر. المسيح عدو الغربة بالنسبة إلى أي إنسان في هذا العالم. المسيح يأتي لـــيعلّم أن لا غريـــب بالنســـبة إليك، لذلك فهو يسألنا في الكتاب المقدس: من هو أخوك؟ من دون أن يحدّد هذا الأخ.

نحـــن نتكـــلم عن الأخ الذي هو أقرب الكائنات وجودياً إليك. وإذا كان أخـــوك الـــذي من أبيك وأمك هو الأقرب، فليس أقل قربى منه ذاك الذي ليس لك الحـــق في أن تتصوّر حياتك وأفكـــارك وأعمـــالك ودنياك، وأن تخطط لعملك من دون أن يكـــون هـــو في قلبك في كل هذه الأحوال. ونحن في الكنيسة الأرثوذكسية أعتقد أننا لا نزال مقصرين في هذا الحقل، نحن نجهل بعضنا البعض، نحن لا نعرف من بالمعموديـــة يجـــب أن نتضافر معه لكي نســـير نحو بناء عالم يكون فيه الناس إخوة بالفعل.

نحـــن نقـــع في كثير من الأحيان في تجربة أننا ننسحب من الشـــعب، لأن

---

* كنيسة دير سيدة البلمند، ١٩٩٧/٧/١٣

الشعب مسؤولية، ونحن نتعب من المسؤولية. ولكننا نتعب كأشخاص، أما الكنيسة فلا تتوقف عن الدعوة إلى ذلك التعب. أنت لست هنا من أجل ذاتك، أنت هنا من أجل سواك، أنت موجود ليكون عندك شيء تقدمه إلى إخوتك. لو لم تكن موجوداً لما كان عندك شيء تقدمه إلى إخوتك، وما عندك الآن من الوجود ليس لك، هو لاخوتك. من هنا قال الرب «الناموس الوحيد الذي يجب أن نتبناه هو ناموس المحبة». ناموس المحبة لا ينطبق على الأشياء. إلى أي حد يمكنك أن تحب، هذه الآلة مثلاً، أو تحب حجراً أو هذا المقعد؟

إذاً الناموس الأساسي عندنا غير فاعل إلا إذا كنت تفكر بالبشر، عيناك يجب أن تتدربا على رؤيتهم، أذناك يجب أن تتدربا على سماعهم. أنت موجود لا لنفسك ولكن لغيرك. ماذا يحدث عندنا في الكنيسة؟ أحياناً، نحن نقيّد أنفسنا ونظن أن الله يطلب منا ذلك. غير صحيح أن العالم لك وحدك، أو هو لطائفة وحدها، أو لكنيستك وحدها. إن كنيستك جماعة تعمل لكي يكون العالم كله لله، ولله وحده.

نحن نجتمع، أيها الأحباء، لأنه كلما اجتمعنا مع الآخر نراه، وعندما نراه نتذكره، وعندما نراه ونتذكره نقيم له مقاماً في قلبنا. أنت لا يمكنك أن تبقى فارغ القلب. يجب أن يمتلئ قلبك بالآخرين، ولا يكون ذلك إلا إذا واجهتهم. الله حكيم لا يطلب شهادات منا. الله أراد أن يكون كثرة لكي تكون الكثرة يلتفت الواحد منها إلى الآخر لكي تكون كل الكثرة تنظر إليه تعالى.

من هنا إننا لا نؤله أحداً، ولا إله لنا إلا إله واحد أحد. ولكننا نحب الجميع. نحب كل الذين نراهم. كم بشّر أحياناً بعض أوساطنا الكنسية بالكراهية؟ أعرف أن هنالك مدارس فتحت لكي يتعلم فيها البعض أن يكره الآخرين. أعرف كنائس بنيت لكي تكون إشارة إلى أن الذي يبنيها يكره من هو خارج عملية البناء.

أيها الأحباء، أود أن أقول لكم كم أن اللقاء مهم في هذا العالم، لا يمكنك

أن تمـــارس لا فضـــيلة المحبة ولا فضيلة الإخلاص ولا فضيلة الصدق، ولا أي فضيلة حـــيال إنســـان لا تـــراه أو لا تعـــرفه أو تـــتواجه أنت وإياه. هذا ينقصنا نحن في الأرثوذكســـية. وفي النهاية الخلافات والخصومات تنشأ عندما تعتبر أن الآخر ليس لك، وتعتبر أنك لست له. عندئذ تنشأ كل الخصومات. المسيح مسيحنا، ولكنه ليس لنا وحدنا. الله خلقنا، ولكنه خلق البرايا بأسرها، والبرايا تعني العالم المخلوق.

نجـــتمع لكي نكون الواحد مرآة للآخر، ولكي نرى الآخر، نجتمع لنصلي. وعندما نصلي، ليس من أجلنا فقط، ولكن من أجل الآخرين أيضاً. نجتمع لنقول بأن الكنيسة كنيسة الجميع، وهي جامعة. وكلمة جامعة تعني أن تجمع الكل، ومن أجل الكل ومن أجل سلام كل العالم.

أرجوكم أن لا تهملوا اللقاء. لا يجوز لك أن تعيش مع أناس، وتبقى جاهلاً إياهم. هذا ليس تكريماً، لا يمكنك أن تتجاهل الآخر لأنك بذلك تتجاهل إرادة الله في خلقـــه. أرجوكـــم أن تعرفوا أن لكم أناساً يتطلبون محبتكم، فانظروا إلى الناس وأحبوهم. هكذا رعانا المسيح الذي كان دائماً يقول ماذا فعلت بأخيك؟ آمين.

✠ ✠ ✠

الله حر وكذلك خليقته*

كـــل عيد وأنتم جميعاً بألف خير إن شاء الله أعايد جميع الذي يحملون اسم النبي الياس في هذا اليوم المبارك وأسأل الله لهم طول العمر، ونذكر اليوم أيضاً أن اسم فخامة رئيس الجمهورية هو الياس، أتمنى أن تصله تمنياتنا أيضا في هذه المناسبة.

أود أن أتكـــلم عـــن الـــنبي. وما أريد قوله أولاً إننا نحن لا نعبد نبياً. هذا التوضيح مهم جداً. القديس عندنا لا نعبده. وليس مصادفة أننا لا نذكر نبياً أو قديساً مقروناً بالاسم الإلهي.

أعـــيروا هـــذا الموضوع انتباهكم. للأنبياء مصف معين وللقديسين مصف معين، أما الله فهو واحد أحد ليس كمثله شيء. قد يقول البعض لماذا نذكر مثلاً اسم المسيح؟ نحن لا نقبل أن نذكر اسم المسيح مع الله لو لم يكن المسيح في إيماننا هو الله، أي نحن لا نذكر اثنين. ولكن نذكر واحداً. نحن نرفض الشرك من أي نوع كان وفي أي مـــدى كـــان. نحن نصر على ما قلتم في دستور إيمانكم: أؤمن بإله واحد. هذا إيماننا، والذي يراه على غير ما هو يحتاج إلى رؤية أوضح.

نتكـــلم عن الأنبياء، والأنبياء مهمون جداً عندنا، ولا سيما النبي إيليا الذي كـــان له مركز خاص قبل مجيء المخلص، بل كان البعض يظنه أنه هو آتيا من جديد إلى هـــذا العـــالم. ولكن كل هذا لا يعني أننا إذا رأينا له أيقونة أو رأينا لمار جرجس أيقونة أو رأينا لأي كائن آخر أيقونة فإننا نضعهم في مستوى الله. كل هذا يجب أن يعـــبِّر عن شيء واحد وهو أننا إذا تكلمنا عن المسيح فلأنه عندنا هو الله وليس أحداً إلى جانب الله، نحن لا نعتقد أن هناك نبياً أو قديساً وحتى السيدة العذراء التي هي إلى

* كنيسة دير سيدة البلمند، عيد النبي الياس، ١٩٩٧/٧/٢٠

جانب الله وكأنه إله آخر في الكنيسة الأرثوذكسية الله وحده واحد أحد. عندما نتكلم عن الروح القدس نقول الآب هو الآب والابن هو نفسه والروح القدس هو نفسه، الكلمات تتعدد ولكن المقصود في الحديث والموجه إليه هو واحد أحد. هذه نقطة.

النقطة الثانية، ماذا فعل الأنبياء في إيماننا، أيها الأحباء؟ نحن نؤمن أن الأنبياء جماعة تعرضت للواقع الإنساني. في الواقع الإنساني هناك ما نسميه خيراً وهناك ما هو شر، وتختصر رسالة الأنبياء كالآتي: أيها الإنسان العائش على هذه الأرض الذي عندك الخير وعندك الشر لا يمكنك أن تستسلم للشر مهما قوي. الغلبة الأخيرة للخير. في النهاية مهما رأينا وجه الشر ينتشر في هذا العالم فنحن لسنا جماعة يأس، نحن دائماً نعتقد أن الخير هو الذي سينتصر في النهاية. لماذا؟ لأن الله الذي أوجدنا على هذه الأرض لم يخلق الشر ولكنه خلق خيراً فيما الشر يأتي من الإنسان ومن الدوافع التي عنده.

لننتقل خطوة أخرى، إذا كان الشر حقيقياً واقعياً ملموساً فمن المستحيل ألا يأتي من مصدر حقيقي واقعي. نحن عندما نتكلم عن الشيطان والأرواح الشريرة نقول لا يمكن لأي شيء أن يحدث أثراً في حياتنا إلا إذا كان قادراً أن يفعل وبالتالي إلا إذا كان حياً. نعم الشيطان قدرة حية وقدرة فاعلة ونحن لسنا في حاجة إلى البرهان، يكفي أن ننظر إلى أنفسنا كيف أننا نعمل كثيراً من الأشياء بدافع قوي عندنا سموه ما شئتم، ولكن كأن ثمة واحداً آخر وراءك يدفعك دفعاً إلى قوة الشر. نفعل ذلك لأننا مدفوعون، وبعد ذلك نندم. هذا معناه أن الشر عندنا إرادة سامية ليست في الضرورة إرادتنا. نحن نندم، معنى ذلك أن نعترف وكأن آخر اغتصب إرادتنا ودفعنا إلى ما لا نريد. الشر لا نريده، لكننا مدفوعون إليه اندفاعاً كاملاً. لا يمكن أن يأتي الشر إلا من قوة حية، لا يأتي من الحجارة، ولا من قطعة خشب، ولا من الحيوان ولا من الحشرات ولا النبات، الشر لا يمكن أن يأتي إلا من هذا الكائن

الحي الذي هو نحن.

نحن في المعمودية المقدسة عندما نعمد طفلاً أو نعمد الآتي إلى المعمودية ولو كـــان بالغاً نصلي ونمسحه. بالتأكيد لسنا نحن، ولكن بما هو للروح القدس. نمسحه ليصـــبح فيه روح آخر، أي القوة التي أرادها الله أن تكون فينا وأن تفوز بنا عندما نخلق على صورته ومثاله. يعني أن هنالك مزاحمة بين هاتين القوتين القوة التي تغتصبنا وتدفعنا إلى ما هو غير خير، إلى ما هو شرير، والقوة التي أرادها الله لنا عندما خلقنا وأراد أن تكـــون فيـــنا لمعة إلهية وخلق إلهي وجمال إلهي. الله لم يخلقنا ليرمينا في يد الشـــيطان بل خلقنا لنكون سامين ولا أحد في الكون يعرف معنى السمو إلا الذين خلقهم الله، أي البشر. فمن أوجد الشيطان إذاً؟ الله لم يخلق الشيطان. إذا نظرنا إلى أنفسنا نجد أننا نحن من نختار الشر عندما نختاره ونضع التصاميم لذلك. هذا لا بد من أن يـــأتي مـــن مخلوق. الرب عنده ملائكة، خلق الملائكة، هذا ما يقوله لنا الكتاب المقدس ونحن في إيماننا نرى أن هذا صحيح.

وهناك أمر آخر مهم جداً. الله لا يقيده أحد لا تقيده قوة. بالكلام المألوف، الله حـــر وخليقته دائماً حرة، لذلك لا تقولوا لماذا تركنا الله نعمل الشر. أنت حر، أنـــت تقـــرر سلوكك، أنت غير مكره لكي تكون متديناً. لا إكراه في الدين. أنت لســـت مجـــبراً على أن تعمل الأعمال الطيبة، أنت تختارها، وإذا لم تخترها أنت فأي فضـــل لك. ما معنى عمل الخير، كل هذا يزول ولا يبقى له معنى. بين الملائكة من اخـــتار أن يعبر عن حريته بأن ينافس الله وأن يقاومه، هو حر كما نحن أحرار. نحن أحـــرار الآن في أن نرفض الله وأن نكفر به إذا شئنا. إذاً الله لم يخلق إنساناً شريراً أو كائـــناً شريراً. سابقاً قال بعض المفكرين إنه في الأصل حتى نفهم لماذا يوجد شر في العـــالم يجـــب أن نقول إن هناك إلهين واحداً يخلق الخير، والآخر يخلق الشر وإنهما يـــتقاتلان إلى الأبـــد. نحن موحّدون لا نقبل بأن يقال إن هناك أكثر من إله واحد،

ولكـــن الإله الواحد يخلق الخير. ما هو الشر؟ إنه الوجه الآخر للخير ليس أكثر من ذلك. الشيطان هو تلك القدرة الحية التي تنافس الخط الإلهي، تزاحمه وتحاول أن تهدم ذلك. والشيطان موجود بحكم الحرية في هذا العالم. أن نقول ليس من شر فهذا غير صحيح، يكفي أن تفتح عينيك كي ترى أن ثمة شراً لا يحتاج وجوده إلى برهان. نحن تعلمـــنا من ربنا الذي أحبنا أن الإنسان مهما ساء يبقى الذي خلق على صورة الله ومـــثاله شيئاً رائعاً بالفعل، يجب ألا نيأس من الإنسان. الكل يخطئون. أيها الأحباء، عندما ذهبت مرة أزور المساجين ظننت أنني سأرى بشراً من نوع آخر، هناك تعلمت أن الذي نتهمه بأنه مجرم له أم وأب مثلي تماماً وهو إنسان مثلي تماماً، ويحزن ويفرح ويبكي ويتعب ويمرض ويموت مثل أي إنسان على وجه البسيطة. أيها الأحباء، خير هـــذا العالم في يدنا نحن، كن خيِّراً يصبح في العالم خير على الأقل ما تقوم به أنت. وكل عيد وأنتم بخير.

✞ ✞ ✞

عيدنا عيد الطهارة*

«أعـــايدكم جمـــيعاً وأُعايد جميع الذين يقيمون هذا العيد المبارك عيد رقاد السيدة.

أيهـــا الأحـــباء، الموت دائماً شيء رهيب ذاق كل منا رهبته في أشخاص أحبهم. ونحن نعيّد اليوم لرقاد السيدة فيحضرنا سؤال هو: لماذا تموت السيدة؟

الموت هو أجرة الخطيئة، يحصل بسبب الخطيئة. الموت عقابٌ إذن، ولو أنه أصبح طبيعياً في الفترة التي نعيشها بعد سقوط أبوينا آدم وحواء في الخطيئة.

لماذا تموت السيدة؟

الـــيوم كنا أثناء الصلوات في حيرة. ولو أنكم انتبهتم إلى نصوص الصلوات الـــتي تلوناها لوجدتم أننا كنا حائرين في أن نقول بأن السيدة العذراء قد ماتت كما يمـــوت كـــل إنسان، وبأنها في الوقت ذاته كانت غير مرتبطة بالخطيئة لأنها حبلت بالـــرب يسوع المسيح. العذراء لم تولد منـــزهةً عن الخطيئة كما يقول غيرنا لكنها عندما حبلت بالمخلص تخلّصت. المخلص، أول ما جاء إلى هذا العالم، جاء إلى بطن السيدة العذراء، جاء لكي يخلص العالم. بدأ بالخلاص من أحشاء سيدتنا والدة الإله.

مـــن ناحية نقول إنها ماتت، ونتساءل، من الناحية الثانية، كيف تموت بعد أن حبلـــت بالســـيد وتطهرت بوجوده في أحشائها. الموت عقاب، الموت قصاص. فـــلماذا تقاصَص السيدة العذراء؟ هذه الحيرة التي نحن فيها سببها هو اعتقادنا الوطيد بـــأن السيدة العذراء طاهرة، نظيفة، مباركة، «مباركةٌ أنتِ في النساء ومباركةٌ ثمرة بطنك» (لو ١: ٤٢).

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد رقاد السيدة، ١٩٩٧/٨/١٥

لذلــك نقــول، أيها الأحباء، إن موت السيدة العذراء هو أمر نفهمه على المســتوى الإنســاني العادي، بينما موت العذراء يكاد ألا يكون موتاً لأنها طاهرة، ونعــتقد بأن الطاهرة لا تحتاج إلى أن تعاقب أو تقاصص. ونذكر عندما نتكلم عن السيدة العذراء أنها امرأة، وأننا قلما نذكر المرأة في الكنيسة. ولكن هذا غير صحيح، فنحن، في كل صلواتنا، نذكر السيدة العذراء. نذكرها ونذكر المرأة على أساس أنها عنصــر مهــم جداً جداً في إحداث الطهارة في هذا العالم. لا طهارة في العالم بدون طهارة المرأة لأنها، كما تشارك في الخطيئة فهي تشارك في الطهارة. نحن نعرف ذلك فنقول لسيداتنا ولنسائنا إنهن مسؤولات عن الخطيئة في هذا العالم، وليس صحيحاً أن الرجال وحدهم يخطئون. الرجال حتماً يخطئون، وليس صحيحاً أنكن غير مسؤولات عــن الخطيئة لأنكن حتماً تخطئن أيضاً. اليوم تقول الكنيسة لكل امرأة: إنك تخطئين ولا شك في ذلك. لكنه لا يمكن أو على الأقل يصعب أن تتم طهارة بدونكن أنتن. أنــتِ تخطــئين خطيئة اللسان، وكم من المرات نذبح باللسان عوضاً عن أن نذبح بالســكين أو بغيرهــا. تخطئين بالنوايا وتظنّين السوء بالناس وتترجمين سلوك البشر حسبما تريدين أنتِ لا حسب حقيقتهم هم. وأنتِ كذلك تخطئين في تربية الأطفال عــلى الانحــراف. أنــت شريكة في الانحراف. قد ينحرف الرجل لكنكِ في معظم الحــالات تكونــين شريكته في الانحراف. إذاً عندما نقول اليوم إنه يصعب علينا أن نفهم أن السيدة غير طاهرة، ويصعب علينا أن تعاقَب رغماً عن كونها طاهرة، نفكر بأنهــا ككل النساء. لكنه مطلوب من المرأة أن تكون طاهرة في البيت فطهارة البيت مــن طهارتها بصورة أساسية، وطهارة بناتها من طهارتها، وطهارة البيت الزوجي من طهارتهــا. الحــياة الزوجية، في كثير من الحالات، تتأثر بكل انحراف وبكل خطيئة، وهي التي تتحمل القسط الأكبر من المسؤولية في كل ذلك.

لذلك، عندما تموت نساؤنا وكلهن سيمتن نصلي عليهن صلاة الجناز دون

أن نتساءل كيف كانت هذه السيدة. أو نقول إنها ليست كالعذراء لأنها، في حياتها، لم تتمثل بالعذراء تمثلاً كافياً.

فيا سيداتنا،

هــذا عــيدكن، ويجب أن ننتبه إلى أنكن لستن وحدكن المسؤولات عن الخطيئة في العالم. أنا لا أقول ذلك، لكن عليكن مسؤولية لأنكن في هذا العالم، وفي أساس هذا العالم ولستن خلائق ثانويات. هذا غير صحيح، فأنتن في الأهمية تساوين أي رجــل كان، ولا تقل مسؤوليتكن عن أية مسؤولية أخرى. في عيدكن، اذكرن أننا نذكر العذراء ونحن مترددين في ذكر الموت بالنسبة إليها. وإذا كان العيد هو عيد رقادهــا، أذكــركن بأنــنا نعيّد في النهاية للطهارة. علينا جميعاً أن نكون طاهرين. علــيكن مجــتمعات وعلى كل واحدة منكن أن تسعى السعي الجدي نحو الطهارة، طهارة السيدة العذراء. بالطهارة نغلب الموت، وعندها يكون العيد عيداً حقيقياً.

أســأل الله أن يجعــل هذا العيد عيداً يدفع الجميع إلى الطهارة، فالفخر في الطهــارة لا في العيب. الطهارة طريق إلى الارتفاع والعيب طريق إلى الانحدار. كان العيد بركةً عليكن وعليكم جميعاً. آمين

✞ ✞ ✞

المحبة أقوى من الموت*

أشكر أهالي عين حرشا اليوم لأنه بمجهودهم الخاص قامت هذه الكنيسة، أشكر جميع الحاضرين الذين أتوا ليشاركوننا اليوم هذا الاحتفال. ليتكم تعرفون كم تعطـــون من القوة وكم تعطون من الإيمان عندما نشعر بأننا في بقعة معينة وفي بلدة معينة ونقوم بعمل معين تشاركون فيه جميعاً. هذا شيء ليس له ثمن وإني لأشكركم علـــيه. أتمـــنى، أيها الأحباء، في كنيستنا الأرثوذكسية، أن يكون قادتنا في مستوى معين، ليس عندنا قائد روحي واحد غير جامعي. في وقت من الأوقات تغنى البعض بأيديولوجـــية خاصـــة لديـــه وكان يتكلم وكأن الدين موصوف دائماً بالجهل وأن الكنيســـة تدفـــع بالناس إلى الوراء وليس إلى الأمام. نحن تحدينا الكثير من الأمور في حياتنا وتحدينا هذا الأمر خصوصاً. ومنذ كنا في البلمند، صممنا على أن يكون قادة هذه الكنيسة أفضل ما يمكن أن نحقق. ليس من شيء كامل، هذا إيماننا، لا بل أكثر من ذلك، مهما ارتقت المقامات وزادت القدرات أو الغنى والطاقات وما إلى ذلك، فلـــن يكون أحد كاملاً. الله وحده الكامل. منذ ذلك الوقت، أيها الأحباء، بدأت قيادات بالظهور عندنا، شابة جيدة مقدامة، ومخلصة للكنيسة. صعب أن تسمعوا من الآن فصـــاعداً أن هناك إكليريكياً خادماً للكنيسة أصبح غنياً على حساب الكنيسة. هذا سيكون صعباً جداً عليكم أن تسمعوه من هذا الجيل الذي خرج من البلمند ومن الأجـــيال المقبلة. أسأل الله أن يعيننا على أن يكون الأمر كذلك. صعب بالفعل أن يكون مَن ندعوه سيدنا، أن يكون سيدنا بالمعنى الذي نقرأه في كل يوم في الصحف ونسمعه في الإذاعات عن السيادات التي هي فوق الناس وليس السيادة التي عند الناس لا بـــل سيكون تحت الناس، فإذا كان السيد تحت الناس فهو يرفع الشعب إلى فوق،

* عين حرشا، لبنان، تدشين كليسة مار ميخائيل، ١٩٩٧/٩/٢٢

وإذا كـــان فوق الناس يضغط عليهم إلى أسفل. جماعتنا التي لم تُعرف يوماً بعمالة، أتكـــلم عموماً من دون استثناءات، و لم تُعرف بخيانة، وتتربى في معظمها على أساس أنها يجب أن تظهر وكأنها لا تعمل الحق فحسب، بل وتنويه أيضاً. نحن نحتاج إلى أن نكـــون معاً، ليس في الظاهر فحسب بل في العمق أيضاً، نريد أن تكون التحية تحية بالـــيد وتحـــية بالفم وأن تكون تحية بالقلب، أن تكون داخلية، الإنسان لن يعرف الآخـــر، ولـــن يلتقيه بصورة من الصور إذا لم يلتقه في صميم قلبه. في الحب يلتقي الـــناس، الناس لا يلتقون في التشريفات، ولا في المواقف. الناس يلتقون عندما يكون القلب مع القلب.

أيهـــا المعمرون لبنان، عمروا القلوب كي تنقلب أدوات محبة، بدون هذا، كـــل بـــناء لا معنى له، ولا شيء يمكنه أن يبقى وأن يدوم. المحبة أقوى من الموت، فلبـــنان لا يقوم إلا بالمحبة ولن يقوم إلا على هذا الأساس، فكل قوي بالمحبة في لبنان يكون قوياً وكل ضعيف بالمحبة في لبنان يكون ضعيفاً مهما كانت قدرته وقوته. هذه الكنيسة هي مدرسة المحبة، يا أحباء. وكما قامت هذه الكنيسة، يجب أن يقوم مثلها بـــناء روحـــي في قلب كل واحد منكم، وما هذه الكنيسة إلا تذكيراً لكم بأن المحبة فوقـــنا جميعاً وأننا بحاجة إلى ممارسة المحبة منذ الآن، وقد كنا بحاجة إلى ممارستها منذ زمن طويل.

✠ ✠ ✠

الأوائل بنوا الكنائس والنفوس*

أيهـــا الأحـــباء، لو طُلِبَ إلينا أن نقوم بإحصاء للأرثوذكسيين الانطاكيين اخوتكـــم لكانت النتيجة كما يلي: عندنا في سوريا ولبنان والعراق ربع الانطاكيين، أمـــا الأربـــاع الثلاثة الباقية فتوجد في كل أقطار الأرض. عندنا في أميركا الجنوبية والوسطى والشمالية، عندنا في أوروبا من إخوتكم أيضاً، وعندنا في أوستراليا.

الكرسي الأنطاكي لم يعد في أنطاكية ولم يعد في هذه المنطقة وحدها. قلت هـــو موجـــود هنا ويعني ذلك أننا نتكلم العربية، موجود في أميركا الجنوبية وهناك نتكـــلم اللغة الأسبانية ونتكلم اللغة البرتغالية، قلت في أوروبا وهذا يعني أننا نتكلم اللغـــة الإنكليزية حيث يوجد لكم إخوة كثيرون، ونتكلم الفرنسية ولكم إخوة في فرنســـا، ونتكلم الألمانية ولكم إخوة في ألمانيا، كما نتكلم الإنكليزية في أوستراليا. الكرسي الانطاكي أوسع بكثير مما يعتقد الكثيرون. الكثيرون ممن كانوا يرسلون من دمشق كانوا بمثابة المنفيين. كل مَن أُرسل من هنا أُرسل لأننا لا نريده، لأننا لا نحبه مـــع أن ثلاثـــة أرباع أبنائنا موجودون في مكان آخر من أقطار الأرض. هكذا كنا نفعـــل وهـــذا خطأ وهذا تصرف غير سليم. فكما كان علينا أن نختار أفضل الناس للأســـقفية، كان جدير بنا أن نرسل أفضل مَن لدينا إلى حيث يوجد الـــ ٧٥ بالمئة مـــن أبنائنا، ولكن الوضع انقلب الآن. نحن ليس عندنا الإعلام الكثير، وأعمالنا في الكنيسة تسير بصورة متواضعة صامتة ولكنها فعالة. اليوم إذا بدأنا ننظر إلى ما عندنا نحن، نجد عندنا أبرشية في تشيلي مطرانها مربّ اكليريكي ربّى الكثيرين من الرؤساء الاكليريكيين في هذه الكنيسة المقدسة.

إذا تطلعنا إلى الأرجنتين نجد كذلك إكليريكياً يحمل شهادة اللاهوت يتكلم

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، ١٢/١٠/١٩٩٧

لغة الناس الذين هنالك، وهو مسؤول عن أبرشيتنا في الأرجنتين. عندنا اليوم جديد: عندنا المطران دامسكينوس، وأنتم تعرفونه، يتكلم عدداً من اللغات وهو من بيت ليس وحده الإكليريكي فيه. أذكر يوم رسم أخوه كاهناً أنني قلت: ليت العائلات تفكر أن يكون من أولادها مَن يملأ هيكل الله أكثر مما يملأ الدكاكين أو العيادات أو أي مكان آخر.

ماذا عندنا أيضاً في أميركا الجنوبية؟ عندنا رعية ليست صغيرة وطيبة لها تاريخ طويل وفيها أسقف يسعى جهده لكي يعمل أفضل ما يمكن. وفي أميركا الشمالية عندنا مطران يحيط به أربعة أساقفة، يعني خمسة مطارنة في أميركا الشمالية. عندنا في أمريكا الوسطى بالفعل شخص هو دعى إلى الكنيسة في كل أحوالها. أرسل إلى هناك لا لكي يبني ولكن ليستغل فبنى و لم يستغل. أقول الشيء نفسه فيما يخص أوروبا وأقول الشيء ذاته فيما يخص أوستراليا. أنتم عندكم رئاسات روحية نشكر الله الذي وهبنا إياها. هذه الرئاسات هي من خير ما عرف الكرسي الانطاكي المقدس حتى الآن. اليوم سيدنا دامسكينوس يُرسَل إلى البرازيل، والبرازيل ليست ضيعة وليست محافظة بلغتنا نحن. إن البرازيل وحدها هي أكبر من كل الولايات المتحدة الأميركية. إذا اجتمع عددٌ من الدول هنا ولبنان والعراق...الخ لا تكون جزءاً من المساحة التي في البرازيل. سيدنا دامسكينوس يُرسل مجدداً إلى البرازيل بعد أن قضى سنوات فيها ممدوح السيرة محبوباً. لقد رأى الشعب ولمس أن مطران البرازيل الحالي كان خلال السنوات الخمس الفائتة ينفع ولا ينتفع. كان يعمل للكنيسة ونفخ روحاً في تلك القارة التي لا تفتخر بفقرها كما لا نفتخر نحن بتقصيرنا نحوها. أحبه الناس لأنه عمل، ونحن ـــ إن شاء الله ـــ سنتعلم أن نحب مطارنتنا وكهنتنا أكثر فأكثر، لأنهم لنا ولأننا لهم. لسنا فريقاً لوحدنا وليسوا فريقاً لوحدهم.

ما هي كلمة السر، يا مطران دامسكينوس؟ أنت مطران البرازيل، وهذا يعني تماماً ما قاله الإنجيل هذا الصباح، ما قاله الرب لتلاميذه: أنتم نور العالم. الإنسان لا

يعتــب على الخشبة إذا لم تعطِ نوراً، لكنه يعتب على الشمعة، على المصباح، على مصدر النور الذي لا يعطي نوراً. أنتم نور العالم. ذلك يعني أن الناس ينظرون إليكم فيتأثرون بما يرون فيكم. لا تعتبوا على الناس إذا رأوا فيكم ظلاماً، واعلموا أنهم، إذا رأوا فيكم نوراً يمجدون أباكم الذي في السماوات.

لم يُرسل المطران دامسكينوس ولا إخوته المطارنة إلى حيث أرسلوا إلا لأداء رسالة، إلا ليكونوا نوراً، إلا ليرى الناس عملهم فيمجدوا أباهم الذي في السماوات.

إنني أذكر في هذه المناسبة، أيها الأحباء، أننا لا نعرف الذين أسسوا كنائسنا هناك. لا نعرف مَن بنى هذه الكنيسة وغيرها، ولا نعرف مَن صلى ومَن رتل ولا من هــو في باطن الأرض. في أميركا، يا أحباء، إكليريكيون من إخوتكم، أقرباء بالجسم للكثيرين منكم، ذهبوا إلى هناك ليكونوا المبشرين والرسل وبناة الكنيسة دون أن يبنوا بيوتاً لأنفسهم. كان يتمولون هنا وهناك ليُسْمِعوا صوت الله، ولم يذهبوا عن حاجة أو تعب، أو ليكونوا من السعداء. تعرّفوا عليهم، تعرفوا على الذين أسسوا الكنائس هــناك: إنهم لم يهتموا كيف ينامون ولا ماذا يشربون أو يأكلون أو يلبسون. ذهبوا إلى هناك لغرض واحد هو إتمام الرسالة التي قام بها أسلافهم.

بقــي علينــا أن نقــول لسيدنا ما تعرفونه كلكم: يا سيدنا دامسكينوس، ســتكون واحداً من إخوتك الذين بهمتهم توجد الأرثوذكسية الانطاكية في أميركا الجنوبــية وتصــبح أرثوذكسية أكثر فأكثر. لا يزال المتخاذلون والكسالى والجبناء الخــائفون كــثيرين، لكــن شــعبنا بمجمله يحب كنيسته. نسأل الله أن يشع النور الانطــاكي عــلى يدكم وأن يستمر في الإشعاع كما بدأ من عشرات السنين، والله يكون معكم.

مسيحنا، هو المسيح، وصلاتنا، هي الصلاة، إلهنا هو الإله لا سواه، فليكن معك ويحفظك لنا ويقويك.

في النعمة يكبر الإنسان *

في هـــذا اليوم المبارك أود أن أقدم التهاني لكل الذين يهتمون بهذه الكنيسة المقدســـة، الكاهن الأب بطرس الوكلاء الذين يأتون إلى هذه الكنيسة ويصلون فيها وأســـأل الله أن يجعـــل العيد عيد ابتهاج وعيد بركة لهم ولكل عائلاتهم. العيد، أيها الأحـــباء، معناه عيد فرح. بماذا نفرح اليوم، نفرح بأن نذكر شخصاً اسمه ديمتريوس وهذا الشخص كان إنساناً جيداً كان إنساناً يحارب عن الحق، يحارب عن الصلاح.

أيها الأحباء، إذا اختصرنا كل ما يحدث في حياتنا فهو يختصر في أننا نقاتل الشـــر. هنالك شر في هذا العالم، شر في حياتنا. مشكلتنا الكبرى ومصيبة الإنسان عـــلى الأرض هو أنه هنالك شر، هنالك أذى، هنالك غلط، هنالك شيء لا يريده الله.

ما علاقتنا بما يريده الله؟

أيهـــا الأحَـــباء، منذ تجسد الإله صار الله قريباً من الإنسان. الله ليس بعيداً ننظر إليه ونقول: ها هو في السماء. السماء هي هنا أيضاً، السماء حولكم، السماء معكم، الله لم يبق بعيداً عن البشر وهذا يعني أن البشر هم أيضاً لم يبقوا بعيدين عن الله. الله معك، وكذلك أنت مع الله. هو حولك، معك، يعيش معك وهو يباركك ويجعل لحياتك معنى. منذ حصل التجسد الإلهي أصبح هنالك ميل من الله إليك وصار علـــيك أن يكون عندك ميل إلى الله لأنك مخلوق على صورة الله ومثاله. إذاً كما أن الله يـــنـــزل إلـــيك كذلك أنت يجب أن ترتفع إلى الله. وهذا شيء مهم جداً، وبه وحـــده تغلـــب الشر. لأن الشر أين يوجد، يوجد فينا. لا يمكنك أن تتغلب وحدك على الشر يجب أن تطلب المعونة من الله لهذا نحن نصلي. نحن نصلي لكي نطلب من

---

* كنيسة القديس ديمتريوس، دمشق، عيد القديس ديمتريوس، الأحد ١٩٩٧/١٠/٢٦

الله المعونـــة، نطلـــب من الله الرحمة والشفقة علينا في حالة خطايانا لأننا نحن نخطئ ونحن سبب كل شر يحدث في العالم. بكلمة نحن أقصد الجنس البشري، فالنباتات لا تخطـــئ ولا الحيوانات تخطئ ولا الجمادات تخطئ، هذه كلها بريئة من الخطأ. الكائن الوحيد الذي يمكن أن يسبب شراً في العالم هو الإنسان وهذا يعني نحن وخصوصاً إذا كان الإنسان يتجرد من الله ويترك الله الذي هو مصدر الخير.

نحن بحاجة إلى أن نكون أقوياء لكي تصبح قوتنا معادلة لقوة الشر وهذا لا يكون إلا بالنعمة الإلهية وبقوة الله التي تزاد علينا.

في هذا الصراع كيف نغلب الشر؟

نغلب الشر بسلاح كما في كل معركة. ما هو هذا السلاح؟ هذا السلاح هـــو النعمة الإلهية. هذه التي تأتي إلينا من خارجنا وهذا المصدر هو الله وحده. نحن نـــتعاون، يجب أن نتعاون. نحن نتعاضد لأننا نشعر بضعفنا الواحد مع الآخر. ولكن هـــذا التعاون وهذا التعاضد لا يكفيان. بدون الله الذي خلقنا ليس هنالك من شيء يكفي.

القديـــس هـــو ذلـــك الشخص الذي يعرف أنه خاطئ، القديس خاطئ، القديـــس إنسان، القديس هو واحد منا، إنسان ككل الناس ولكنه إنسان اتكل على القوة الإلهية وبالتالي رفع نظره إلى الله فأعطاه الله القوة وغلب الشيطان.

مـــتى نغلـــب الشيطان؟ عندما نتعلم كيف نضحي، كيف نعطي، وكيف تكون عندنا الشجاعة لكي نواجه الشيطان الذي يعلمك أن تأخذ. أما الروح الإلهي فعمله أن يعلمك كيف تعطي. القديس هو ذلك الشخص الذي يشبهنا تماماً وهو من لحـــم ودمٍ لكـــنه يعرف أنه بالله يصبح أقوى وأقوى من أية قوة على وجه البسيطة لذلك نحن نذكر القديس.

أيـــن نحن من القديس؟ كل من تعمد هو كائن تقدس. المعمد تقدس. هل

يستعمل تلك القداسة لكي يقاتل الشر، الكذب، النفاق، الخيانات، الظلم، العدوان...الخ هل يستعمل تلك النعمة لكي يقاتل كل هذه؟

إذا استخدم القداسة ضد هذه فهو بالفعل قديس مقدس. كلنا مقدسون هكذا خاطب بولس الرسول المؤمنين في الكنيسة. قال: «أيها القديسون»، هذا يعني أيضاً أن الله لم يأت لأجل فئة من الفئات. الروح القدس لا يحل على أناس دون أناس آخرين وخاصة أن المسيحية ليست محصورة بعدد معين من الناس فما دام القديس إنساناً ككل واحد منا فقداسته نحن مدعون إليها، كل واحد منا مدعو إليها.

البعض يقولون الديانة المسيحية ديانة صعبة سامية ويقصدون بسامية أنها مرمية في الفضاء عالياً لا يمكن لأحد أن يصلها. هذا غير صحيح، المسيحية لكل مسيحي لا بل المسيحية لكل إنسان على وجه الأرض لذلك عندما نخبر البشر عن المسيح لا نخبرهم عن إله في الهواء أو في السماء بعيداً عنا نخبرهم عن إله تجسد وأكل وشرب. الصلاة لنا كلنا، الصيام لنا جميعاً، الإيمان لنا جميعاً. ولكن الإيمان له ثمن، يجب أن تدفعه، أن تدفعه بأن تكون صادقاً، بأن تكون أخلاقياً بأن تقاوم الشر حيثما وجد إن كان عندك في البيت أو كان في المجتمع ككل، أو كان في أي نوع من الأنواع التي تفرض عليك في حياتك. إذا كنت تحارب ذلك فأنت تصبح قديساً لأنك كما قلت مقدس. إيمان المسيحي له وليس لسواه. صعب هذا، صعب أن تتبع الصيام والصلاة والتقى، صعب أن تكون صادقاً. كل هذا صحيح، ولكنك لن تُعرَفَ مؤمناً إلا إذا كنت تصارع الكذب.

اليوم هنالك تفلت هائل يجعل الإنسان رخيصاً. الكائن الإنسان من هو؟ إنه الرجل، المرأة، الطفل، الذين خلقهم الله على صورته ومثاله هؤلاء كلهم يصبحون رخيصين وقد أصبحوا كذلك إلى حد بعيد.

أيها الأحباء، المسيحية لنا، المسيح لنا، المسيح قريب منا، فلنسأل أنفسنا

عما إذا كنا بعيدين عنه ولنسارع إليه. المسيحية فيها بطولة. المؤمن أمام الشر وأمام الفساد في هذه الأرض لا يقف مكتوف اليدين.

القديس في النهاية هو الذي نسمع عنه وهو الذي فينا. يا أحباء، القديس هو أمل هذه الأرض، إن الحق فيها لا يعلى عليه. غير صحيح أنه لا يعلى عليه في الجماعات وفي الجماهير وما إلى ذلك، هذا غير صحيح. نعم يعلى عليه ولكن فقط عند الذي يحب الحق ويسير في الحق وعلينا أن نكون نحن كذلك.

في عيدنا اليوم نفرح لأننا عندما نذكر القديس ديمتريوس ونتذكر قليلاً من نحن. وعندما نذكره، نذكره لأنه كان بطلاً في سبيل الحق وفي سبيل الإيمان، والتاريخ. يقول إنه كان مؤمناً وكان ذا صلابة في الإيمان. الصلابة في الإيمان ليست القسوة على البشر، الصلابة في الإيمان تعني رحمة على البشر.

نذكر القديس ديمتريوس كي نتعلم منه. ليست هذه أسماء جماعة كان عندها كثير من الأموال وكانت عندها بيوت كبيرة وكانت متعلمة إلى مستوى رفيع. هذا كله نعرف أنه إذا لم يكن وراءه إنسان ملآن بالنعمة فكلها لا تنفع وكلها لا تجعل الإنسان كبيراً. يكبر الإنسان بالنعمة. القديس ديمتريوس نعيد له اليوم لأنه كان كبيراً بالنعمة، كان قديساً. وكل عام وأنتم بخير.

الكنيسة بقديسيها وليست بعديدها*

اليوم سمعنا في الإنجيل المقدس أن ناموسياً سأل الرب يسوع أية وصية هي العظمى فأجابه: «أن تحب الرب إلهك من كل قلبك وأن تحب قريبك كنفسك». لفت الرب نظره إلى شيئين: الأول إلى ربه، والثاني: إلى أخيه الذي هو إلى جنبه، والذي هو معه. هذا يعني أن علينا أن نتوجه دائماً وفي نفوسنا هاجس مزدوج: الرب والأخ الذي نعيش معه. وإذا كنا نتكلم جغرافياً نقول: شيء في السماء وشيء على الأرض.

من يوجه قلبه إلى ربه وإلى أخيه هو القديس. القديسون في الكنيسة هم بشر مثلنا تماماً، ولكنهم لا ينسون هذين الأمرين، الأمر الأول أن لك علاقة بربك، علاقة داخلية عميقة كيانية كما يقول العلماء. أي أنت في وجودك لك علاقة بالذي خلقك، بالذي صنعك، بالذي فداك، ومن ناحية أخرى أنت تعبر لله، الله لا يحتاج إليك، أنت تحتاج إليه، من يحتاج إليك هو الذي خلقه الله إلى جانبك، الذي هو قريب منك، ولذلك فأنت تقدم إلى الله ما تقدمه إلى أخوتك.

القديس هو ذلك الإنسان الذي يختلف عن الكثيرين الذين يظنون أننا إذا كنا نحدث الله، وإذا كنا نصوم ونصلي، فنحن إذاً نقوم بكل ما علينا. هذا غير صحيح وغير كامل. في الكنيسة لا يمكنك أن تكون كاملاً إلا إذا كنت تعبِّر عن محبتك لله في محبتك لأخيك. لا يمكنك أن تحب الله وأن تكره أبناءه. لا يمكنك أن تحب الله وأن تكره خلائقه. يجب أن تحب الاثنين كليهما. هذه هي القداسة.

عندما نذكر القديسين، واليوم نذكر القديس بورفيريوس، وفي الكنيسة كل

---

* بيروت، المطرانية، كنيسة القديس بورفيريوس ١٩٩٧/١٢/٣

يوم عندنا تذكارات قديسين، نذكرهم لأن القداسة هي هنا، على هذه الأرض. هنا تــتم القداسة. هنا إما أن يكون عندنا قديسون وإما لا يكون قديسون. إذاً، القداسة أمر واقعي إلى آخر درجات الواقعية. القداسة هنا، وإذا كان لدينا شيء من القداسة، فنحن مرسلون كي نمارسها هنا وليس في السماء. في السماء نحن نكون إما في جهنم أو في الجــنة. هناك ليس من عامل وسط. المهم ماذا نفعل هنا؟ القداسة إذاً أمر غير مستحيل كما يظن البعض.

الكثيرون يحدثوننا عن الله وكأنه بعيد إلى درجة أن الإنسان ييأس في بعض المرات من الوصول إليه. يحدثوننا عن القديسين وكأنهم ليسوا بشراً. هذا غير صحيح. لا مــبرر لاجتماعــنا هذا الصباح لو لم يكن الله قريباً منا وهو حاضر بيننا. نحن لا نجــتمع لأننا فقط يشتاق بعضنا إلى البعض الآخر ولكننا نجتمع وباجتماعنا يكون الله حاضراً بيننا. الله ليس بعيداً. القديسون ليسوا بعيدين، لا بل أكثر من ذلك، أنتم أيها الأحــبة، نحن جميعاً، المبرر الأساسي لمعموديتنا هو أن هذا الطفل، وكلنا كنا أطفالاً، عندما يعمد يولد مرة ثانية. مرة يولد كمجرد طفل وعندما يعمد يولد وكأنه إنسان جديد.

مــا معــنى الإنسان الجديد؟ معناه أن من هو حامل صورة الله ومثاله فيه، تنكشف فيه صورة الله وينكشف فيه مثاله أيضاً. نحن نتعمد لئلا يبقى غشاء الخطيئة لا بل سم الخطيئة عندنا، ولكن لكي يظهر وجه الله، لكي تظهر صورته، لكي يظهر مــثاله. المعموديــة عندنا شيء مهم جداً. لا نوجد في حقل النعمة الإلهية إذا كانت تنقصنا المعمودية المقدسة.

الكنيسة لا تفتخر بعدد الناس الذين ينتمون إليها. نحن هنا لسنا الأكثر عدداً ككنيسة بين سكان هذا البلد، وفي أماكن كثيرة لسنا الأكثرية. لاحظوا أننا إذا كنا نقرأ تاريخ كنيستنا المقدسة نجد أن الاهتمام فيها ينصب على عدد قديسينا. الكنيسة بقديســيها وليست بالعدد. العدد قد يكون منه الكثير ولكن الكنيسة بالقديسين لأن

الكنيسة هي المكان الذي فيه النعمة الإلهية وإليه يأتي المؤمنون لكي يأخذوا من تلك النعمة الإلهية. إذا كان عندنا قديسون كنا كنيسة حقيقية والكنيسة لا يمكنها أن تكون حقيقية بدون أن يولد فيها قديسون، أن تولد فيها بالنعمة الإلهية جماعة تقدست وتباركت بالنعمة.

السؤال: هل عندنا قديسون؟ الجواب نعم عندنا قديسون. إذا كان الله عليه أن يحضر بيننا لكي نصبح قديسين فالله حاضر غير مقصر. يجب ألا يغطي ذلك أننا خطأة. نحن كلنا خطأة. أحياناً نظن بأنه حيث توجد الخطيئة فالله يهرب أو يغيب، وهذا غير صحيح. الله حاضر بالضبط حيث يوجد الخطأة حيث نوجد نحن، لأن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى، ونحن المرضى بالخطيئة ولذلك فالله معنا.

من أهم مسؤولياتنا الكهنوتية أن تتعود أعيننا على رؤية القداسة في وجوه أبنائنا وأعمالهم وتصرفاتهم. غير صحيح أننا في كنيستنا الأرثوذكسية نعيش وكأن الجميع أشرار ولا يساوون شيئاً. عندنا "أوادم"، عندنا نفوس مقدسة، نفوس عندما يخطئ صاحبها يشعر بأنه قد قام بما هو غير لائق وغير صحيح. هذا موجود ويجب أن نعرفه، وإذا عرفناه يعزينا ويقوينا. إذا سمعنا بأن بيننا جماعة تنظر إلى الله وتنظر إلى الأخ وبالتالي هي مقدسة، فإننا بذلك تقوى نفوسنا وتتغلب على الخطايا. وحدنا لا يمكننا أن نغلب الخطيئة، نحن نغلب الخطيئة بالله وبالشخص الذي هو إلى جانبنا وهو من أخوتنا.

أيها الأحبة، أنتم قدستم بالمعمودية. وكما قال بولس الرسول لقد اشتراكم الله، بالمعمودية من الشيطان، دفع ثمنكم والثمن هو ذاته، صليبه من أجلنا. المسيح لم يصلب لكي يكفر عن خطاياه. صلب لكي يكفر عن خطايانا. لن تعودوا ملكاً للشيطان، للشر، للخطيئة. لقد أصبحتم أسياداً على الخطيئة، وإذا أردنا أن نكون صالحين فهذا غير مستحيل.

البعض يقولون إنه يستحيل على الإنسان في هذا العالم، في هذه الدنيا، في هذا المجتمع، أن يكون مستقيماً. هذا غير صحيح. هذا القول يقوله الشخص الذي لا يعرف أن الله قد اشتراه من الشيطان، سحبه من قدرة الشيطان ووضعه بين أيدي الرب الذي هو ملك الملوك ورب الأرباب. انظروا بعضكم إلى البعض كجماعة تقدست. الشخص الجالس أمامي هو إنسان تقدس لأنه تعمد. انظروا إلى المتقدسين بصورة مقدسة، كلموهم كما تكلمون قديسين، احترموهم احترامكم لقديسين، أحبوهم محبتكم للقديسين. القديسون ليسوا فقط هم الذين سبقونا، القديسون هم هنا حاضرون وهم عندكم في البيوت، في الشوارع، في كل مكان، وعمل الكنيسة أن تغذيهم وأن تقويهم.

إني آمل في هذا العيد أن نسير نحو القديسين بالطريقة التي كنت أذكر. أنتم قديسون، هذا كلام بولس الرسول، لا تنسوا ذلك. الذي تشتمه فأنت لست معه مستقيما. الذي لا تَصْدُق معه فأنت لا تكون معه مستقيماً ولا يمكنك أن تنفذ مسيحيتك كمسيرة معه. أنتم قديسون، المعمدون قديسون. بنعمة الله نحن هنا والقديس هو مَنْ مهما عمل على الأرض، لا ينسى الذي في السماء، ومهما عمل لمن هو في السماء لا ينسى الذين على الأرض.

✠ ✠ ✠

الإنسان هو الغاية والهدف*

أذكر أن أحد الأحبة وهو غسان تويني، وكنا طلاباً، قدم لي مخطوطة على رق من جلد الغزال. وكان عنوانها "الإيمان القويم" بقلم يوحنا الدمشقي باللغة العربية. هذا المخطوط موجود عندنا في مكتبتنا. وأعتقد أنه من أقدم المخطوطات ليوحنا الدمشقي باللغة العربية.

وأعتقد أننا من خلال ذلك المخطوط أخذنا الحد الأدنى من فهم التراث الأرثوذكسي. وعندما تدرجنا في الدراسة ووصلنا إلى معرفة من هو توما الاكويني في الكنيسة الكاثوليكية، عرفنا أن الخلاصة اللاهوتية التي كتبها كانت عملياً في التصنيف نفسه الذي أتبعه يوحنا الدمشقي ولكنها كانت أكثر اتساعاً من تصنيف الدمشقي.

ماذا فعل الدمشقي؟ المقالات التي كتبها في الإيمان المستقيم تصور لنا وجها من وجوه اللاهوت عموماً، فاللاهوت إجمالاً هو لإقناع الناس بموضوع الإيمان. واللاهوت حتى اليوم يقدم العناصر من أجل أن تحدث اقتناعات عند الآخرين الذين لديهم اقتناعات من نوع آخر وفي الطريق إلى إقناع الشخص قد تصل به إلى الإيمان.

إذا كانت الكلمات أدوات للإقناع فنحن لم تعد تقنعنا الكلمات. وإذا كانت الأفكار، مجرد أفكار ترضينا فهي اليوم لا ترضينا. وكم نسمع جماعة تكلمنا بكلمات جميلة وبمنطق صوري جيد ولكننا لا نأخذ عن تلك الجماعة شيئاً. لم يعد اليوم لمعان العلم وحده يقنعنا ولا الشطارة ولا البراعة والحذلقة تقنعنا. نحن جماعة تعتقد أن الإنسان هو الغاية من العلم والمعرفة، من اللاهوت، من الاقتصاد، ومن

* كنيسة دير سيدة البلمند، عيد القديس يوحنا الدمشقي، ١٩٩٧/١٢/٤

السياســة، بل من كل شيء. وإذا لم يكن الإنسان في النهاية هو الهدف الذي نصل إليه، فلا شيء يعني لنا الكثير.

عــندما نســمع شيئاً نسأل ماذا وراء ذلك وما الهدف والغاية؟ فإذا لم أرَ الإنسان وراء ذلك فأعتقد أن الذي يكلمني يكلم شخصاً آخر وعالما آخر تماماً. ماذا يجب لنا لكي نفهم الحقيقة وحدها؟ الحقيقة يمكن أن تؤذي من دون خير. فالحقيقة مــن دون خــير مرتبط بها ليست حقيقة، والذين كانوا وما زالوا يذبحون ويقتلون ويهينون الناس باسم الحقيقة، هؤلاء لا حقيقة لديهم لأن الحقيقة هي شيء لا يسري إلى الآخرين من دون محبة ومن دون أن تكون مرفقة بالخير، والخير وحده لا يكفي. قل ما شئت عن الخير إذا كان ذلك الخير لا يحمل الحقيقة التي ذكرت، فهذا الخير هو مجــرد مصلحة لك. الخير الذي إذا وقع على شخص كان خيراً بالنسبة إليه، وإذا لم يكــن كذلك فاكتب وقل ما تشاء من النظريات فلن تصل بالفعل إلى الغاية الأصلية للخير. وكما أن للإنســان وجهين كذلك للحقيقة وللخير أيضاً. خير بوجــه بشع وحقيقة مفروضة بالعصا ليسا بالضرورة خيراً ولا حقيقة. إذا شئت أن توصل الخير والحقيقة إلى الناس. فلا فصل للحقيقة عن الخير وللحقيقة عن الجمال.

الله كيف نراه؟ هل يمكن أن نراه؟ نعم يمكن أن نراه، قبل كل شيء، نرى فــيه شيئاً في هذه الوجوه. نرى في جمالها شيئاً من جماله. فإذا صَفَوْنا فإننا نصل إلى عمق جمالي أكثر.

لا أحــد يكــتفي بمجرد الاقتناع، وليس هناك منطق صوري فقط. المنطق مرتبط بالحياة والواقع. منطقك مرتبط بك أنت. وأنت الذي تحدث الاقتناع الحقيقي إذا كنــت فعلاً صافياً ولا تتكل على مجرد الشكل. فهذا الشعب، هذا البلد، وهذا العالم، يحتاج إلى إنسان يقدم حقيقة لا يضرب بها رؤوس الناس. يقدم حقيقة يشتم مــنها كل واحد الخير. الحقيقة والخير يأتيان بوجه جميل بعبارة جميلة وبنفس جميلة

ونفس جميل.

كـــنا مجـــتمعين مع رعية اليونان في لبنان، وشددنا على أننا فخورون لأننا نحمل الإيمان الأرثوذكسي وباللغة العربية، ونحن نجول في المعرض للمرة الأولى ونتمنى أن يزوره العديد من المؤمنين للإفادة من هذه الرائحة العابقة بالإيمان.

✝ ✝ ✝

لا كنيسة بدون المطران *

أيها الأحباء: أصلي أن تكون أيامكم المستقبلة خيراً من الأيام التي مضت. والشـــكر لكم جميعاً لأنكم تشاركون في هذه الخدمة الإلهية، والشكر للذين يمثلون الرئاســـات الكهنوتية. الشكر لضيوفنا الأحباء الذين بالرغم من أعمالهم فاليوم يوم ســـبت وبالـــتالي هو يوم عمل لذا أشكرهم لأنهم تكرموا وأتوا ليشاركونا في هذه الخدمة الشريفة.

عـــادةً نتكـــلم عن القديس أغناطيوس ونقول بعض الأشياء عنه فليس كل الناس يعرفون من هو القديس أغناطيوس.

أيهـــا الأحباء، يجب أن يعرف كل واحد منا أننا عندما نتكلم عن قديسنا أغناطـــيوس فإنـــنا نرجع في التاريخ ١٨٠٠ سنة تقريباً. في ذلك الوقت عاش هذا الإنســـان المعروف عنه أنه كان مطراناً، كان رئيس كهنة. والمعروف عنه أنه كان محـــبوباً ومحترماً بدليل أنه عندما كان مساقاً إلى الشهادة كان يستقبل بحفاوة في كل محل يمر به. نعرف عنه أنه كان مؤمناً بربه إلى حد أنه فضل أن يموت على أن يجحد ربه أو أن يعترف بإله آخر. و«نحن سواك لا نعرف وباسمك نسمي» نحن ليس عندنا إلـــه آخـــر. ربـــنا وحده هو يسوع المسيح وبه نحيا ومن أجله نحيا ومن أجله نحن مستعدون أن نموت.

هذا شيء أساسي جداً كان يتصف به القديس أغناطيوس وقد طُلب منه أن يدفـــع فدية ليتخلص من حكم الإعدام فأبى. ألوف الإكليريكيين ومعهم الملايين في روسيا حكم عليهم بالإعدام وأعدموا. أغناطيوس الانطاكي منذ ١٨٠٠ سنة واليوم في الجزائـــر يموت إكليريكيون لمجرد أنهم إكليريكيون مسيحيون. إذن هذا شيء كان

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد القديس أغناطيوس الأنطاكي٢٠/١٢/١٩٩٧

موجـــوداً ولا يزال موجوداً الآن. أغناطيوس الانطاكي رفض أن يهرب. طلب إليه حراسه أن يهرّبوه أمام أعينهم لأنهم أشفقوا على رجل متقدم في السن كان له ثمانون سنة من العمر وهو إنسان تقي يخاف الله وليس له أن يسبب الأذى لأي شيء على الإطلاق. رآه حراسه على هذه الحالة فطلبوا منه أن يهرب قبل أن يصل إلى عاصمة الإمـــبراطورية الرومانية حيث يطرح طعاماً للوحوش رفض وقال نحن نبشر بأنه خير لـــنا أن نقترب بسرعة من ربنا يسوع المسيح ونذهب إليه حتى نلاقيه بعد الموت. لا يـــريد أغناطيوس الانطاكي أن يكذّب ذاته وأن يكذّب إيمانه إنه جدي رصين هادئ طيب يخاف الله.

قلت اليوم عندنا كثيرون يموتون أيضاً من أجل المسيح. لا تستخفوا بالجيل المســيحي الحاضــر فإذا لم يطلهم الموت مباشرة فهم يموتون مضغوطاً عليهم وغير مســـموح لهم أن يتكلموا، غير مسموح لهم أن يبشروا وغير مسموح لهم أن يقولوا إنهم مسيحيون. أنواع الموت متعددة جداً وهي تطال كل مؤمن حتى اليوم وفي كل مكـــان من الكرة الأرضية. قد يقول البعض كثيرون ماتوا وأنا أقول كثيرون يموتون اليوم.

لـــماذا نذكـــر أغناطيوس الانطاكي بصورة خاصة؟ لأنه هو مرجعنا الوحيد تقريباً الذي يعطينا صورة عن المطران ويكتب للشعب ليقول له كيف يجب أن تكون علاقته بالمطران.

من هو المطران؟ هذا أمر لا يعرفه كل واحد منا. المطران، أيها الأحباء، هو إنســـان مثل كل الناس كلنا بشر والمطران ليس مخلوقاً بطريقة مخالفة. المطران إنسان وقد يخطأ ككل إنسان لكنه مفروز للخدمة الإلهية. مفروز يعني أن الله بالنعمة الإلهية يســـحبه ســـحباً إلى فوق لكي يكون خادماً. ليس منتخباً كما ينتخب النائب مثلاً ولكنه مفروز لكي يكون لله. اليوم في عصر الديمقراطيات أو الديمقراطيات المزعومة

حيــث نظــن أنــه لا يحصــل شيء إلا بالانتخابات هنا وهنالك. جيد أن تكون انــتخابات، جيد أن يخرج أناس بالانتخابات ولكن إذا جاؤوا بالانتخابات وحدها فهــذا لا يكفي في نظرنا يجب أن تكون الانتخابات على الأكثر تهيئة لشخص كي يكــون مفروزاً بيد الله لخدمة هي خدمة الشعب السامي أي الخدم التي يحصل عليها بالروح القدوس. المطران هو شخصان وليس واحداً. الواحد الذي تراه والذي تراقبه فيعجــبك أولا يعجبك. والشخص الآخر الذي عنده شيء ليس منه ولكنه من الله، فيه من الله النعمة الإلهية وفيه ما هو على مستوى الخليقة. إذا رأيته فقط على أساس مــا هو لله فأنت مخطئ وإذا رأيته فقط في ما هو للإنسان فيه أنت مخطئ. يجب أن تتعود عيناك أن ترى فيه إنساناً ولكنه مفروز للخدمة الإلهية بنعمة الروح القدس.

أغناطــيوس الانطاكي قال بدون المطران ليس هنالك من كنيسة. الكنيسة ليست جمعية خيرية يجتمع الناس ويؤلفونها كما يشاؤون. الأعمال الخيرية ليست كل شــيء في هذا العالم لأن هنالك أعمالاً خيرية بدون بركة. أغناطيوس الانطاكي قال بدون المطران ليس هنالك من كنيسة لذلك فالكنيسة الرسولية الكنيسة الأرثوذكسية لم تكن منذ البدء بدون مطران لأنه هو خليفة الرسل. اذكروا كيف يرسم المطران. تقرأون في الكتاب المقدس وفي أعمال الرسل بصورة خاصة كيف أن الرسل اجتمعوا عندما نقصهم واحد. وضعوا الأيدي وصلّوا لكي يختار الرب الإنسان المستحق ليحل محــل يهوذا. عندما يرسم المطران يجتمع المطارنة وترونهم يضعون الأيدي على رأسه لكي يحل عليه الروح القدس وعندئذ يصبح مطراناً خليفة للرسل. أيها الأحباء، هذا نتعــلمه مــن أغناطيوس الانطاكي بالدرجة الأولى. أغناطيوس الانطاكي لم يكتب الكثير. كتب سبع رسائل يقول البعض إنها ليست كلها من كتاباته ولكنه قال حقيقة لا تــزال في قــاعدة وجود الكنيسة الرسولية. أغناطيوس الانطاكي يعلمنا اليوم أنه عــندما تنظر إلى المطران يسهل جداً أن ترى العيون أنه ليس خالٍ من العيوب ككل

واحـــد مـــنا ومن منكم بلا عيوب فليقل. «من كان منكم بلا خطيئة فليرم المطران بحجر». كلنا خطأة لكن يعلمنا أغناطيوس الانطاكي أن هاتين العينين يجب أن تنظرا شـــيئين عند المطران، الشيء الأول عيوبه ولسنا بعميان والشيء الثاني أنه بالنعمة هو مطران وأنه يحمل بطريقة لا تراها العين نعمة إلهية. بدونه لا يوجد خوري ولا يوجد شمـــاس إذاً كـــيف يقام القداس وكيف تقام الأسرار الإلهية. بدون المطران ليس من كنيسة على الإطلاق. عودوا أعينكم، أيها الأحباء، عندما تنظرون إلى أساقفتكم أن تـــروا إنساناً يخطئ ولكنه إنسان يحمل النعمة الإلهية. هذه لا تنسوها كما نفعل في الكثير من المرات عندما ننظر إلى المطران بصورة عامة وإلى الإكليريكي بصورة خاصة أيضاً.

✠ ✠ ✠

وحدنا لا ندخل الملكوت*

اليوم، أيها الأحباء، موضوع الرسالة مثل موضوع النص الإنجيلي.

في الرسالة يقول بولس الرسول: عالم الناموس، عالم اليهودية، قد انقضى ونحن الآن في عالم جديد.

والنص الإنجيلي يقول: إذا أردت أن تمتلك الحياة الأبدية فعليك ليس فقط أن تتعرف على الوصايا وتطيع هذه الوصايا وتنفذها بل عليك أمر آخر وهو مهم جداً جداً. عليك أن تغير نظام حياتك. أن تحسب أن للمساكين حصة عندك وأن تعطيهم حصتهم. لأن هؤلاء المساكين بالنسبة للمسيح الذي فداهم جزء منك وإلا فيصعب عليك أن تدخل ملكوت السماوات.

ملكوت السماوات ندخله ليس وحدنا ولكن دائماً ومعنا إنسان آخر، معنا أخ آخر تألم من مرض، تألم من جوع، تألم لسبب من الأسباب ومعه نحن ندخل. لن يدخل ملكوت السماوات من يهتم بنفسه وحدها.

أيها الأحباء، يخيل إلى الواحد منا، في كثير من الأحيان، أن المرور من وضع الخطيئة إلى وضع الصلاح، وكذلك المرور من عهد قديم إلى عهد جديد هو مرور سهل ومرور عادي ولكن هذا ليس صحيحاً. فالذي تعود الخطيئة يعيش للخطيئة وحدها والذي لا يعرف الصلاح لا يتدرب عادة على الصلاح.

يحتاج الإنسان في النهاية إلى أن يولَد من جديد كما يقول الإنجيل المقدس. نحتاج إلى أن نولَد من جديد حتى نصبح بالفعل صالحين. معنى ذلك أن هذا العالم يجب أن نتجاوزه، أن نتجاوز ما فيه من حق وجمال، أن نتجاوز ما فيه من قيم. كل ذلك يجب أن نتجاوزه وكأننا خلقنا في دنيا جديدة، هذه الدنيا هي دنيا محبة وعطاء،

---

* كنيسة الانطاكيين، أثينا، اليونان

دنـــيا بـــذل، دنـــيا ســـخاء، دنيا يجود فيها الإنسان بروحه عن سواه من الأخوة. والكثيرون من الأبناء لم يصلوا بعد إلى هذه المرحلة من الجود السخي.

المسيح لم يأت ليحسن أحوال البشر، المسيح أتى ليقلب أحوال البشر. نحن المســيحيين، نحـــن المؤمـــنين نبشر بدنيا جديدة وليس فقط بأوضاع جديدة، بمعانٍ جديدة، بمبادئ جديدة. إننا نبشر بدنيا جديدة، جديدة بكاملها. جديدة تتحدى كل ما يدعيه العالم من حق ومن خير.

لا تصـــدقوا؛ إن من ارتضى لنفسه هذا العالم كما هو فإنه سيبقى فيه مهما عمل على تحسينه. الموضوع هو أن نتجاوز العالم بكليته. منطق العالم يغرق الإنسان والحاجة هي إلى أن نخرج من هذا المغطس. وقد ذكرنا الإنجيلي لوقا بأن هذا صعب. ولكـــن من قال إن سلوك الطريق الصعبة هو سهل؟ قال بأن الإنسان قد لا يستطيع ذلك، نعم! الإنسان المتكل على نفسه لا يستطيع ذلك. لا يستطيع الإنسان بالاتكال على نفسه فقط أن يكون صالحاً. الإنسان المكتفي بذاته لن يعمل شيئاً في هذه الدنيا.

الإنســـان الفاعل في هذا العالم هو ذاك الذي لا يتوقف عن أخذ النعمة من الله تعالى. بدون النعمة نحن قُصَّر وبدون النعمة نحن ضعفاء.

فـــيا أيها الأحباء، أنتم في هذا المكان وفي كل مكان رسل، أنتم رسل لهذه الرسالة تحملونها إلى كل إنسان. ومهما كانت أوضاع هذا العالم فأنتم مدعوون لأن تـــتجاوزوا كل الأوضاع وكل الظروف التي أنتم تعيشونها. هذه رسالتكم، هذا ما يمكنـــنا أن نحمله إلى العالم من جديد. وفي النهاية ليس في العالم من جديد إلا النعمة الإلهـــية. إني أســـأله تعالى الذي سمح باجتماعنا هذا الصباح أن يعطيكم هذه النعمة ويقويكم لكي تكونوا فوق كل وضع ضيق، فوق كل صعوبة وأن تشعروا بأن يد الله معكم وهي لا شك معكم وهي قادرة فاعلة.

ليس لابن الإنسان مكان يسند إليه رأسه*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

أنـــا ســـعيد جداً، أيها الأحباء، لوجودنا جميعاً، وهذا يعني بوجودكم أنتم وجميع المصلين في هذه الكنيسة المباركة. أنا سعيد لأن نكون معاً لنرفع الاسم الإلهي ولـــنجعل قلوبنا فوق كما تقول الخدمة، لنرتفع بقلوبنا ولو خلال الوقت الذي نحن فيه نصلي ونقوم بهذه الخدمة الشريفة.

طـــبعاً الشيء الأول هو الشكر لله، وفي الوقت ذاته أنا أشكر، الذين تبرعوا ببناء هذه الكنيسة المقدسة والذين زودوها بما هو ضروري لها لتليق بأن تكون بيتاً لله ولأبناء الله.

الـــيوم كنت متأكداً أنه يجب أن أقدم كلمة شكر. الله بإنعامه فائض علينا جميعاً، ولكنني ما كنت متأكداً مما يجب أن أقول عندما أتكلم عن بناء كنيسة لا بل عـــن أي بناء. فرأيت أن أعود إلى قراءة الإنجيل فوجدت أمامي شيئاً لفتني بالذات، وقد يكون بينكم من فكّر به كثيراً. قال يسوع إنه ليست له امتيازات الوحش الذي يسكن في وكره، أو العصفور الذي يسكن في عشه. والحقيقة أننا نتساءل: أين كان يســـكن المسيح خلال فترة البشارة؟ نحن لا نعرف أين كان ينام، نحن لا نعرف أين كان يأكل. نعرف بعض خطواته ولكن ليست عندنا يومياته. لم نكن نعرف إن كان لـــه مقر يستقر فيه. ولكنه قال «وأما ابن الإنسان فليس له مكان يسند إليه رأسه» (لو٩: ٥٨). لا أدري لماذا لم يُكتب شيء حول هذه الآية.

وهنا أذهب في التفكير إلى أبعد: هل أن ما حدث للمسيح لا يزال يحدث؟

---

* كنيسة القديس اغناطيوس، ليماسول، قبرص، الأحد ١٩٩٨/١/٢٥

عمومـــاً نحن نعرف أن كثيرين في هذا العالم ليس لهم موضع يسندون رؤوسهم إليه. وكنت أسأل: هذا البناء مَن يسكنه؟

لـــن يسكن فيه أحد. تسكن فيه الكلمة. الكلمة الإلهية التي هي بدورها قد تكـــون في وضع يستمر فيه وضع المسيح الذي ليس له موضع لكي يسند إليه رأسه، لأن كـــلمة الرب في نظري، كربها، كانت تحوم وتحوم، وكان وضعها يوصف بأنها كانت فقط تحوم وتطوف من مكان إلى مكان. هكذا الرسول، هكذا الكلمة المنطلقة لـــيس لها مستقر. لا بل في علمنا هناك راديو وتلفزيون وخطابات ومواعظ، كلام كـــثير. في هذه المعمعة من الكلام كم على الكلمة الإلهية أن تدق أبواباً مغلقة، وكم عليها أن تحاول اختراق حواجز؟ كلمة الإيمان كصاحبها، كمعلمها، كسيدها، كلمة الإيمـــان لا تزال حائمة لا تجد مكاناً تسند إليه رأسها. تدور في البيت، هل لها مكان في البيـــت، بين كل ما يقال في البيت؟ هل لها مكان في المدرسة بين كل ما يقال في المدرســـة؟ الكلمات كثيرة وهي تعبئ فراغات ولا تترك مجالاً لكي تنـــزل كلمة الله فـــتجد مكاناً لها بين الكلمات. كلمة الله يجب أن تصارع، فأمامها كلمات أخرى كثيرة. أمامها عند الإنسان شهواته ومصالحه، وعند المؤسسات أيضاً مصالحها.

حـــامل كلمة الله، هل له أمكنة كثيرة؟ نشكر الله على أنه تَبَقَّى لنا أماكن في الأصل يجب أن تكون أماكن تقال فيها الكلمة الإلهية.

ألم تكن هناك حملات حتى تقال كل أنواع الكلمات في الصالونات، في كل مكان، في المدارس، في الجامعات، في العلوم وفي أي مكان ما عدا الكلمة الإلهية؟

أيـــن كـــلمة الله من تفكيرنا جميعاً؟ ليت واحداً منا يجري إحصاء في نهار واحـــد، لـــيعرف كم ثانية يعطي لكلمة الله؟ صار يُحْكى عن العلم بدون الله، عن السياسة بدون الله، عن الذكاء بدون الله، عن الصحة بدون الله. الله وكلمته لم يعد لهما مكان تقريباً. لذلك وجدت أنه يجدر بنا أن نفكر بالفعل إذا كان سيبقى الله بلا

سند له في خليقته.

مَن قال إن قوة الكلمة الإلهية تظهر من خلال أعداد مَن يتكلمون بها؟ الكنائس والشعب الروحي لا تعرف الإحصاءات. هل من طبيعة الإيمان ألا يطبِّل؟ نعم. هل من طبيعة المؤمنين ألا يطبِّلوا؟ نعم. عندما كان الرب يسوع ينتقل من مكان صنع فيه عجيبة إلى مكان آخر صنع فيه عجيبة، كم مرافقاً كان له؟ ما هي الجماهير التي كانت تجتمع أمامه؟ يقول الكتاب المقدس إنه كانت هناك جماهير فقط يوم ذهابه إلى أورشليم يوم الشعانين. ولكن ما هي هذه الصورة؟ هل كان هناك بالفعل ألوف وألوف؟ لسنا متأكدين كم كان عدد سكان أورشليم في ذلك الوقت بالنسبة إلى عدد سكان الأرض. أعتقد أن الكلمات كانت تعبر عن فكرة أكثر مما كانت تقوم بإحصاء.

أيها الأحباء، نشكر الله على المعطي الصامت. وأقول لكم إن ما رأيتموه هنا لا يوجد هنا فقط. فتشوا، عوِّدوا آذانكم لكي تسمع الأشياء الصالحة، فهناك كثيرون لا يطبِّلون ويقولون الكلمة الصالحة. عوِّدوا عيونكم لأن ترى الخير فهناك كثيرون غير مرئيين بسهولة، ولكنهم يحملون الخير. المسيح ليس فاشلاً. في مجيئه على الأرض لم يؤسس إمبراطورية، فالإمبراطوريات لم تدم يوماً له. المسيح اخترق قلوباً كثيرة وقد يكون بين الحاضرين بنعمة الله الكثيرون منهم. درّبوا عيونكم لرؤية الصلاح والصالح، درّبوا آذانكم لكي تسمعوا كلمة الصلاة، لأن هناك الدليل الحي على أن الله وجد مكانا لكي يسند إليه رأسه.

المسيح لم يعد غريباً، هو بيننا، وكما نرفض بعضنا في كثير من الأحيان، نرفضه أيضاً، ولكن بيننا مَن يقبله.

الأخ عيسى (عودة)، أنا أعتبر أن هذه البقعة مميزة عن البقاع وغيرها، هي بقعة لكي تكون للمسيح، وآمل في أن ينتشر منها نور على كل البيوت المجاورة، وفي

كـــل الشعب الذي يستعملها للصلاة. لا مكافأة لتبرعك إلا إذا صار هذا. وإن شاء الله يكـــون إلى جانـــب الذين قالوا «كثّر الله خيرك لأنك بنيت كنيسة»، كثيرون آخرون يقولون «كثّر الله خيرك فلولاك لما كنا عرفنا المسيح».

✞ ✞ ✞

نكره الخطيئة وليس الخاطئ*

أيها الأحباء، لا بد وأنكم انتبهتم أننا خلال الصوم الأربعيني المقدس، الصوم الـــذي فيه نتذكر خطايانا قبل أن نتذكر خطايا الآخرين، الصوم الذي فيه نتعلم أن الصلاة تنبع من القلب وليست موضوع شفاه تنطق بكلمات طيبة. الصوم الذي فيه نـــتحرر من أنفسنا ومن إنسانيتنا لكي نلتفت إلى الآخرين متذكرين سؤال السيد في الأخـــير، أي في يـــوم الديـــنونة: «ماذا فعلت لأخيك قبل كل شيء؟ ماذا فعلت لأخـــيك؟». والأصل في الصوم أن تجوع أنت وأن تُشْبع الآخرين وأن تفكر كيف تعطي، ولا تفكر كيف تأخذ، كما هي العادة وكما هو الشيء المألوف إجمالاً.

في هـــذه الفترة، أيها الأحباء، نحن نذكر امرأة، نذكر السيدة العذراء، يعني أن حديثنا حديث نسائي أثناء هذا الصوم وخصوصاً في هذه الصلاة. حديثنا النسائي يمكن أن يكون نظيفاً، نحن نقول إن الأنثى ارتبط اسمها بالخطيئة كأن الله أخطأ عندما خلقهـــا، ونحـــن نعرف أننا لا نعلّم الله ماذا يجب أن يفعل. لماذا نظن أن المرأة هي مصدر السوء؟ أعتقد لأننا نضع على عيوننا نظارات السوء. يجب أن ننظف أعيننا.

أيهـــا الأحباء، يجب أن نعرف ما القصد من صلاتنا هذه الفترة وبصورة خاصة للسيدة العذراء. والسيدة العذراء لم تكن خريجة أية جامعة. لست متأكداً من خلال النص الإنجيلي أنها كانت تعرف القراءة والكتابة، أشك في ذلك كثيراً. لكنني أقول إنها كانت طيبة، يُقال عنها إنها جميلة، قيل عنها طاهرة ولكن لم يُقَلْ عنها إنها تلـــك المتعـــلمة. لم تكن كذلك العذراء. إذاً نتعلم من هذه الصلاة أن الطهارة فوق المعـــرفة لا تحـــتها. البعض عندما يزدادون معرفة وعندما يتعلمون يكبرون بالمعرفة ويصـــغرون في الطهارة ولكن الأمر ليس هكذا بالنسبة للعذراء، لقد كانت طاهرة

---

* كنيسة القديس جاورجيوس، المديح الرابع، ١٩٩٨/٣/٢٧

وبقيت كذلك فهل أصبحت هذه اللغة غير مألوفة كثيراً عندنا؟ أن نتكلم عن العفة أن نتكلم عن الطهارة أن نتكلم عن النقاوة، هذا كلام أصبح لجماعة متخلفة اليوم. كـــلما تساءل إنسان كيف يجب أن يتصرف بطهارة تبادر إلى ذهنه عشرون سؤال، مـــاذا وكيف وهل هذا ممكن أو مألوف يتماشى مع الموضة؟ أسئلة كثيرة لكن المهم عندنا هو الطهارة. كن ما تشاء إذا لم تكن نظيفاً فالعلم لا ينظف. كوني ما تشائين إذا لم تكـــوني نظيفة فالعلم لا ينظفكِ. هذا أولاً وبعدئذ يأتي كل شيء آخر. لذلك حاجتنا، أيها الأحباء، في مجتمعنا وحاجتنا في بيوتنا لا بل حاجتنا عند كل الناس أولاً أن يكـــون عـــندنا أشخاص يؤمنون بنظافتنا، نظافة الشخص، جماعة تؤمن بالنقاوة تؤمن بالطهارة ولا تساوي الطهارة بالدنس ولكن ترفع الطهارة وتتمنى للإنسان أن يكـــون من ذوي الطهارة لا من ذوي الدنس. نحن، أيها الأحباء، نحتاج إلى جماعة تعمـــل من أجل النظافة، عندما يكون الهواء مملوءاً بالغبار يجب أن تشتغل كثيراً لكي لا يأتي الغبار إليك ويغطيك شئت أم أبيت.

عندما تكون الأجواء الاجتماعية عندنا تحتاج إلى كثير من التنقية نحن نحتاج إلى أن نصـــارع حـــتى نبقى كما يشاء الله أنقياء، لا شك يجب ألا ينتابنا أي شعور بالكبرياء نحن لسنا أفضل من سوانا نحن لسنا أنقى من سوانا ولكن هذا لا يبرر أنه لا يجب أن نتميز بأننا نسعى إلى النقاوة نسعى إلى الطهارة دائماً. ابنك الذي تربيه يجب أن يكون تربى على الطهارة على طهارة العين طهارة الفم طهارة الأذن طهارة القلب طهـــارة كـــل شيء. ابنتك التي تربيها يجب أن تكون حاملة ذلك إذا تكلمت وإذا سمعت وإذا نظرت وإذا فعلت أي شيء وإذا أكلت أو شربت يجب أن تكون هنالك طهارة لأن الخطيئة يمكن أن تكون في كل شيء.

ألصقت الخطيئة بحواء وهذا صحيح لأنه بيننا كثيرات من النساء ممن يحتجن إلى الطهـــارة. حالة الاحتياج كثيرة، هذا لا يعني أنه بين الرجال لا يوجد أكثر من

ذلــك، لا، موضــوعنا الآن النساء فقط بمناسبة الحديث عن السيدة. العذراء، أيها الأحــباء، عندما نفكر بها نذكر الصورة التي يعطيها الكتاب المقدس عن الوقوع في الخطيئة عندما كان مطلوب من جدنا آدم أن تكون حواء امرأته ومطلوب من حواء أن تكــون زوجــة لآدم وأن يتزوجا وأن ينموا ويكثرا وأن يملأا الأرض كما يقول الكتاب المقدس. عندما وقعت الخطيئة أصبح النمو قد يكون أداة للخطيئة. الخطيئة في كل ما يمكن أن نعمله، الخطيئة في كل قول في كل فعل وفي كل تصرف هذا ممكن، لكن كانت رحمة الله أكبر من الخطيئة لكي نتعلم وأرجو الانتباه إلى هذه النقطة: نحن نكــره الخطيئة ولا نكره الخاطئ. نكره الأعمال لا نكره الشخص الذي يبقى مهما أخطأ يحمل صورة الله ومثاله فيه.

نحن نحترم الخليقة الإلهية وفي البيت في كل مكان حيث نحن مسؤولون عن تربــية الأجيال الصاعدة يجب أن نعرف هذا: لا أحكام نهائية على طفل أو طفلة أو شــاب أو شــابة مهما كانت الأوضاع. الإنسان أكبر بكثير من مجموعة أعماله إذا كانــت الأعمال حسنة ولن تكون كلها حسنة لأن هذا لا يوجد في هذا العالم، فإن كانــت مجموعة الأعمال جيدة فيبقى عنده ما يمكن أن يكون أفضل. لذلك لا قناعة في الفضيلة، لا مكاييل ولا موازين في الفضيلة. مهما سعينا تبقى الطريق طويلة. لكي تسعى في طريق الفضيلة ومهما كانت أخطاؤك عظيمة فإن مجموعة أخطائك هي أقل من قيمة ذلك، لذلك يجب ألا تيأس فالله يحبك دائماً ويستقبلك. نحن، أيها الأحباء، نخاف أن ننسى أن الله يريدنا وأن علينا ألا ندير له ظهرنا. هو يحبنا، نحن لا نحبه في كثير من الأحيان نحن نكفر به ويضعف إيماننا به ولكن حبه لنا لا يضعف أبداً.

بالصيام ماذا يحدث؟ (إن شاء الله أولاً أن نكون صائمين، هذا غير أكيد)، أصــبحنا نتلاعب بشؤون الكنيسة وجعلناها كما نريد لا كما يريد الله في كنيسته، المهــم لــيس هذا موضوعنا ولكن الموضوع، أيها الأحباء، ماذا نقدم إذا صمنا وإذا

صـــلينا وإذا قدمـــنا الحسنات، فما نفعله كله لا يساوي ذرة من رحمة الله بنا. كله صغير ويجب ألا نقنع بما نحن نفعل من الأمور الحسنة. هذا لا يكفي.

أيهـــا الأحـــباء، نحـــن نذكر العذراء مريم لكي نقول إن حواء التي نتغنى بخطاياها، هل يمكن أن تخطئ بدون رجل؟ يجب أن يكونا معاً حتى تتم خطيئة، هذا شـــيء أكيد، يجب أن نذكر أن الرب عندما خاطب آدم وحواء قال لها: «وأما أنت فمن بطنك يخرج من يسحق رأس «الحية» التي كانت مغرية، من بطنك أنت. يعني ســـتحبلين بواحـــد بكـــائن هو سيهشم رأس الحية. كأنها تسمع هذا الصوت. نحن نســـمعه عـــلى أنـــه وعد أكيد بأنه ستكون هنالك امرأة وهي العذراء، من بطنها سيخرج شخص هو يسوع، الذي يطأ رأس الحية ويجعلك غالباً للخطيئة إذا شئت لا مغلوبـــاً لها شئت أم أبيت. مع العذراء تنقلب الآية فالكثيرون بيننا يذكرون الجانب الأول من حواء الأولى وينسون الجانب الثاني من حواء الثانية التي هي العذراء.

عيّدتم للأم وبدون الأم لا وجود. يعني أن الوجود يُلغى. يجب أن تنظر إلى التي تعاونك، التي تخدمك، التي تخطئ إليها حتماً وهي أيضاً تخطئ إليك. ليس إنسان بـــلا خطيئة لا الرجل ولا المرأة. في الصوم الأربعيني المقدس عندما تنظر إلى أمك إلى زوجتك، إلى أختك إلى أقربائك إلى أخريات من النساء، فقل كل ما ذكرنا فالعذراء وطأت رأس الخطيئة وهذا الذي تراه أمامك هو على صورة الله ومثاله.

صوماً مباركاً إن شاء الله.

بغير القيامة بماذا نفرح؟*

المسيح قام، حقاً قام

نعيّد للقيامة وهذه القيامة لها تاريخ. عندما انتشر الرسل بادئ ذي بدء بعد العنصرة لم تكن هناك نصوص، و لم يكن هناك ماضٍ للمسيحية. إذن عندما كانوا منتشرين ماذا كانوا يقولون للناس؟ كانوا يقولون للناس: المسيح قام. وكما قلت مراراً وأكرر إن هاتين الكلمتين كانتا تلخيصاً لكل مضمون الإيمان المسيحي. ومَن آمن بأن المسيح قد قام فقد آمن بكل أمر جوهري في ديانتنا، ومَن لم يؤمن بهاتين الكلمتين وبمضمونهما فهو لا يعرف شيئاً عن الديانة المسيحية.

المسيح قام. لكن هاتين الكلمتين لا تصلان إلى الناس بهذه السهولة. عندما كان بطرس يتكلم، كان يكلم الشعب، وذكر لهم كلمة القيامة فظن الشعب أنه يبشّر بآلهة جديدة لأنهم لم يكونوا قد سمعوا بهذه الكلمة، وبالتالي لم يكن خاطراً في ذهنهم أنه يمكن التكلم عن القيامة كما نعنيها نحن اليوم.

القيامة! هذه الكلمة بالذات لم تكن واردة في قاموس الناس الذين كانوا يسمعون كلمات بطرس. وبولس الرسول، بولس الشخص الذي يعرف ما يقول عندما كان أمام الحاكم الروماني وذكر القيامة قال له الحاكم: يا بولس لقد احترمناك حتى الآن، واحترمنا معلوماتك واحترمنا عقلك فماذا حصل لك؟ لقد فقدت عقلك، عن أي شيء تتكلم؟

ما هذه القيامة وما معنى القيامة؟ هذا شيء غريب، شيء غير مألوف وغير معهود. هكذا كانت القيامة تستقبل. فإذا قال أحد نحن عرفنا عن المسيح أنه أقام

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، اثنين الفصح، ١٩٩٨/٤/٢٠

موتـــى عندما كان على الأرض، أقام لعازر وأقام ابنة يايروس، فهؤلاء الذين أقامهم عادوا إلى الموت ثانية. إنها ليست قيامة بالمعنى الذي نقصده اليوم ولكنها كانت قيامة موقتة.

تلاحظـــون، أيها الأحباء، كيف أن التبشير بالقيامة كان معقداً. وهل كان معقـــداً أكثر من ذلك؟ نعم. عند مَن كان معقداً؟ كان معقداً عند الرسل. ويذهب البعض إلى أن المخلص له المجد كان قد سحر رسله بحسن بيانه وبحسن معشره. وهذا ليس له أساس من الصحة لا من قريب ولا من بعيد.

بعـــض الإنجيلـــيين يقولون إنه عندما أخذوا الرب إلى الصلب لم يكن معه أحد. كلهم قالوا لقد انتهت القصة التي شهدناها عندما كنا معه في السنوات الثلاث أو الأربع.

دخـــل إليهم بعد القيامة وكانوا معاً. خاطبهم فما عرفوه. لماذا لم يعرفوه؟ لأنهـــم مـــا كـــانوا يتصورون أنه سيقوم. كانوا أقل الناس إيماناً بأن قيامته من بين الأموات شيء يمكن أن يحدث. فأين السحر؟ أين سحره لهم؟ أين كل هذا؟ لا أساس لـــه. كلهم كانوا مثل الكثيرين اليوم الذين يجدون صعوبة في الإيمان بالقيامة، قيامة المســـيح له المجد. كثيرون لا يعتقدون هذا الاعتقاد. وكيف يكونون مسيحيين بدون هذا الاعتقاد؟

نحـــن، أيهـــا الأحباء، نعرف أننا نموت. ولا نحب الموت. مَن يحب الموت؟ وعـــندما نســـمع بالقيامة نريد أن نعتقد أن هذه ليست مجرد كلمة، ليست شعاراً، ليست تعبيراً أدبياً شعرياً جميلاً نتغنى به ولكن لا حقيقة له. نتمنى أن تكون القيامة حقيقـــية ونحن الآن في القرن العشرين. ماذا حصل في القرون السابقة مما يدل على حقـــيقة القيامة؟ نعرف أن أجيالاً ماتت ولا نعرف أن أجيالاً قامت. الذي نعرفه يا أحـــباء والـــذي هو المفتاح والباب إلى حقيقة القيامة وإلى أن القيامة ليست كلمة

ولكـــنها حدث، هو أنه إما أن يكون المسيح قد قام أم لا. كل شيء يتوقف على ما نقوله في هذه النقطة.

المســـيح قـــام معـــناها أن القيامة ممكنة وقد حصلت، وكما حصلت فإنها ستحصـــل، إذاً بابها مفتوح وهي ستصير. المسيح لم يقم معناها أننا كلنا إلى القبر، كلنا إلى التراب، من التراب أتينا وإلى التراب نعود وفي التراب نبقى.

واحداً من اثنين يجب أن تختار، إذا كنت تقول إن المسيح قد قام، وهو قام بـــالفعل، وبـــالفعل رآه كثيرون بعد قيامته، ولن أتكلم اليوم عن هذه الرؤى فأنت تقـــول وأنـــا ألتصق بالمسيح في معموديتي، في مناولتي، في الميرون، وفي سر الزواج المســـيحي. لذلـــك فكما قام المسيح بمجد الآب هكذا نحن نقوم أيضاً معه. الباب مفتوح. وإذا لم تقل هكذا فانتظر أن يأكلك الدود، أن يأكل كل شيء فيك. ويا له مـــن مســـتقبل تعيس، يا لها من رؤية بالفعل تجعل الحياة نفسها بدون طعم وبدون مذاق.

نحن المسيحيين، ولسنا وحدنا على وجه الأرض، نعتقد بالفعل أن أولى القيم في الحـــياة هي أن تعرف أنك تولد وتنمو وتعيش وتتعب وتعرق وتشقى وتضحي، كل هذا ليس للدود وليس للتراب ولكن لمجد الله القائم من بين الأموات. الذي ستراه والـــذي ســـيراك والذي ستخاطبه هو أخوك الذي مات، أبوك الذي مات، حبيبك الـــذي مـــات. هـــؤلاء كـــلهم، على رجاء القيامة والحياة الأبدية، ستراهم، وهم ســـيرونك، وســـتكون وإياهم، وإن كنتم ستكونون على وجه مختلف نوعاً ما عن الوجه الحالي.

أيهـــا الأحـــباء، ينتهي دستور الإيمان بجملة تقول: «وأترجى قيامة الموتى والحـــياة في الدهر الآتي». هذه الجملة هي مختصر لكل ما قيل قبلها وهي أهم الجمل التي توجد في دستور الإيمان وهي التي على أساسها نحن نعيّد اليوم.

عـــيد القيامة عيد الأعياد وليس عيداً للجثث، ليس عيداً لنتانة القبر، ليس عـــيداً للضعفاء، إنه عيد الأعياد، وموسم المواسم. إنه عيد القيامة التي نحن مدعوون إليها. أنتم تلدون أولادكم ليس من أجل القبر ولكن من أجل القيامة.

كـــيف نفـــرح إذا لم تكن هنالك قيامة؟ بماذا نفرح؟ نحن نفرح فقط لأننا عـــارفون أن الألم لن يتسلط علينا، نعرف أن المرض لن يغلبنا، ونعرف أن الموت لن يغلبـــنا. نحـــن نفرح لأننا أقوى من الموت. بقيامة المسيح الذي به ننتصر وبه نتسلح نصبح أقوى من الموت، ونغدو بالفعل مدعوين إلى الحياة وحدها.

عيداً مباركاً.

عيد القيامة عيد فرح، عيد قوة وغلبة على الموت، وغلبة على الشر. الله لن يـــترك شعبه، أيها الأحباء. لن يتركه فريسة للشيطان ولا فريسة للشر. ولن يتركنا فريسة لخطايانا. نحن برحمته وبمحبة ربنا يسوع المسيح وفديته لنا سنقوم من خطايانا، وسنقوم من موتنا. آمين.

✝ ✝ ✝

القديس بطل للحق والحقيقة*

المسيح قام.. حقاً قام..

أيها الأحباء، أعايدكم بعيد القيامة المجيد كما أعايدكم بعيد القديس العظيم في الشهداء جاورجيوس وأشكر كل الهيئات التي حضرت وشاركت في هذه الخدمة، وهيـــئات الكنيســـة وكل الساعين لخدمتها والذين قدموا الأرض والبناء والمتبرعين ونذكر عزيزنا المرحوم فريد دوماني الذي كانت له اليد الطولى في هذا البناء المقدس.

أيهـــا الأحـــباء، بعد أقل من ٢٠ سنة على القيامة وصعود الرب انتشرت بشرى القيامة وقيل للناس: المسيح قام. الذي قام من بين الأموات لأجلك لو لم يقم لكنت في القبر ولكنه قام وستتبعه لتدوس الموت بموته هو وليس بموتك أنت لذلك لو لم يقم لما كنت أنت تقوم.

مـــا الـــثمن لهـــذا الخبر الحسن الذي به تقول للناس إنك ستقوم من بين الأمـــوات. كان الثمن أن أُخذ الرسل إلى السجن. هذا أُخذ ليجلد وآخر ليجوع. الناس عادة ينتظرون مكافأة أما الرسل فكانت مكافأتهم كما ذكرت.

لماذا؟ العالم، أيها الأحباء، فيه سيدان: السيد الأول هو الذي يسيطر علينا. ذاك الذي نتبعه. ذاك القوي الذي يسحرنا، الذي يجرنا أعني به الشيطان.

في كـــل مرة يخطئ الإنسان فيها يحس بأنه أخطأ. كلنا نعرف الخطيئة ومع ذلك نمارسها. نتمنى أن ننساها ولكننا لا ننساها. ونحن نعرف أنفسنا جيداً، ولذلك نتســـاءل دائماً ــ حتى اللص بيننا والمجرم ــ لماذا ارتكبت هذه الجريمة. لو قيض لي الآن أن أعـــود إلى مـــا قـــبل الجريمة لما ارتكبتها إذن من الذي دفعك إلى ارتكاب

* كنيسة القديس جاورجيوس، دمشق، ١٩٩٨/٥/٦

خطيئتك.

حسب التعليم المسيحي الأرثوذكسي لا يدفعك إلى عمل حيّ إلا شيء حي أنـــت لا ترى الشيطان، أنت لا تلمسه لأنه غير مرئي هو كالملائكة لا يلمس لكننا رغم أننا لم نلمسه و لم نره فإننا نحس بفعله. أنا أحس بأن قوة حية تمارس فيّ وتدفعني إلى الشـــر. كيف يخطط الإنسان للشر؟ كيف يمكن أن أقوم بفعلي الخاطئ دون أن يراني آخر.

يخطـــئ الإنسان مخططاً لذلك. الشيطان قوة فاعلة فينا. في هذا العالم الناس يذبحون بعضهم بالملايين بدون دافع. فلكي تأكل يجب أن تكون عندك قابلية للطعام. ولكي تقتل الملايين يجب أن يكون لديك الدافع.

الشيطان يدفعك إلى أن تخالف المسيح هذا السيد الأول. الناس يتدافعون نحو الشر وكأن هناك رغبة في العيش مع الشيطان وأن نتخذه صديقاً. من أجل ذلك إذا قيل لك إن فلاناً ارتكب خطيئة تصدق فوراً لأنك ترى ذلك حيث تطلعت لكن ما هـــو نادر الوجود هو الإنسان الصادق. فلان نقي أو فلانة نقية. هذا أصبح وكأنه غريب عنا، نحن توغلنا في تآلفنا مع الخطيئة ومع الشر. وحجتنا أن كل الناس هكذا وإذا كان ابنك وأختك من الأودام فإننا نقول له لا تحمل السلم بالعرض.

تآلفـــنا مع الشيطان ونسينا أن هناك السيد الحقيقي للكون الذي هو الرب يسوع الذي قام من بين الأموات.

لكن أين هو فنحن لا نراه والعين الطبيعية لا تراه في جسده ودمه. يجب أن تؤمـــن لكي ترى جسده ودمه الكريمين. من نرى. نرى القديسين الذين تبعوا الرب يسوع الذين كانت لهم حاجاتهم وشهواتهم كما نحن لكنهم غلبوها ونحن لم نغلبها. القديس جاورجيوس واحد من هؤلاء أكرر دائماً ما نقوله عن القديس. من هو أبوه ومـــن هـــي أمـــه لا نعرف، نحن نعرف أعماله وأنه كان شجاعاً مع المظلوم وضد

الكذب ونقصان الفضيلة كان بطلاً للحق والحقيقة.

نحـــن نسمي أولادنا. فلا تتوقفوا عن تسميتهم بأسماء القديسين. القديسون عندنا هم أبطال الحق في عالم الكذب والرشوة والقتل والنفاق والاستغلال والخداع وما إلى ذلك.

الـــذي يشارك في معركة بالسلاح فإنه يخوضها حتى تنتهي، أما البطل من أجـــل الحق والصدق فمعركته تستمر كل حياته. يعطي أفضل ما لديه ويعطي عمره وعافيـــته وحـــياته. الكتاب لم يقل إن المسيح جنى ثروة ولكنه قال إنه لم يأخذ من الناس شيئاً بل أعطى الناس كل شيء. هو رب العطاء وإذا أردت أن تعرف من هو جرب أن تعطيه فتشاهد هذا الوجه الذي يفرح. وجهه فرح.

المســـيح رب العطاء وأنتم أبناء الكنيسة من أجل العطاء. نحن أبناء المسيح ولســـنا أتباع الشيطان. صحيح أننا نخالف ولكن الكل يخالفون بدون استثناء وليس من كبير على الشيطان إلا بالمسيح، وهو السلاح. أعطِ من قلبك من نفسك كن محباً واكـــره الكـــذب. اكـــره النفاق وقل للذي بجانبك يا أخي «فسبيلنا أن نتلألأ أيها الشعوب ولنقل يا أخوة». متوجهين لقلة من الناس فهذا حرام يجب أن يكون الأخوة كثيرون وهذه مسؤوليتنا. عائلتكم بالمسيح أكبر بكثير ممن تعرفوهم. إن شاء الله، يا أحباء، القديس جاورجيوس يقودنا إلى معلمه، جاورجيوس ليس هو النبع فالنبع هو يســـوع لكن جاورجيوس شرب من النبع نبع الرب يسوع الناهض من بين الأموات الذي نعيد لقيامته في هذه الفترة المجيدة.

المسيح قام.. حقاً قام

الكنيسة أسرة كبرى*

البارحة، أيها الأحباء، كانت عندنا حفلة التخريج، وكان من جملة المتخرجين فئة خاصة لا تجدونها في أي مكان آخر، هذه الفئة الخاصة هي التي أسميها فئة أولادنا الذين تخرجوا من مدرسة اللاهوت والأصح أن أقول يتخرجون دون أن يخرجوا من هذه الكنيسة المقدسة.

كل ما ذكرنا من الوظائف والشهادات له علاقة بالمجتمع. الغريب جداً في نظري أن الكنيسة المقدسة لم تهتم يوماً من الأيام بما يسمونه المجتمع، غريب جدا أنها لم تفكر بهذا الشيء الذي يقرع آذاننا كل يوم ألا وهو المجتمع. المجتمع يقول هذا، المجتمع يريد هذا. لماذا يا ترى لم تهتم بالمجتمع؟ هل كانت الكنيسة لا ترى الناس؟!، هل كانت الكنيسة لا تعايش البشر؟!، هذا غير صحيح ولكن ما هو المبرر الأساسي العميق الذي جعل الكنيسة لا تتكلم عن المجتمعات؟! ذلك أيها الأحباء أن الكنيسة لديها موقف من الناس ومن علاقتهم مع بعضهم البعض. انظروا إلى التعابير التي تستعملها الكنيسة تتكلم عن الله الآب، ونحن نعرف من هو الأب، تتكلم عن الابن ونحن نعرف الأبناء، تتكلم عن الروح القدس. ثم نخاطب الآب «أبانا الذي في السموات..»، غريب جداً أننا نركز على هذه التعابير، ونضيف أنت، من أنت! قالها الرب يسوع «ما تفعلونه باخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتم..»، عندكم الآب عندكم الابن عندكم الأخوة، هذا حديث عائلي هذا كلام يدل على أننا نحن ننظر إلى الله تعالى، نعبر عنه، نعبر له، بتعابير أسرية. مع الله نحن أسرة وبما أننا أخوة فنحن أسرة.

إذاً نحن لا نعتقد بمجتمع، لذلك لم ندرس يوماً ما علم الاجتماعيات، إنما نحن نعتقد أن العالم من الناحية البشرية يتألف من أسر. إذا شئت أن تعرف ما هي

---

* كنيسة دير سيدة البلمند، بعد حفلة تخريج طلاب البلمند، الأحد ١٩٩٨/٧/١٩

الكنيسة، انظر إلى الأسرة. الكنيسة هي أيضاً أسرة. هذا ما يجب أن يكون ماثلاً في أعينـــنا وأمامـــنا. الكنيســـة ليست جمعية، الكنيسة ليست مجتمعاً، الكنيسة ليست مؤسسة، ليست دولة، كل هذه التجمعات ليست هي الكنيسة، ولذلك فهي تتكلم بلسان مختلف وتفهم العلاقات بين البشر على أساس آخر.

ماذا يحدث في البيت وماذا يحدث في الأسرة؟ يحدث في الأسرة انك أولاً ــ وهـــنا أتكلم عن الزوج والزوجة ــ لا تتم حياتك بدون الآخر. لا يمكنك أن تفرح وحدك ولا أن تحزن وحدك، إن لك شريكاً ليس من الخارج ولكن من الداخل. في البيت الأب والأم شيء واحد باثنين، شيئان مختلفان ولكن ليس في نظام الحياة ! إذا اشتركا قام الكون، إذا اختلفا مات الكون. لاحظوا أنه في البيت بين الأب والأم لا حديـــث عن الاقتصاد ، ما المعاش الذي يقبضه الأب ليكون أباً؟!، لغة غريبة جداً، ولذلك لا أحد يسأل الأم، ما المعاش الذي تقبضه الأم لتكون أماً هذا كلام فارغ.! هنالك شيء أقوى من كل الاعتبارات التي نستخدمها. الابن، من هو الابن بالنسبة للأبوين؟ هو ابن الفرح والسرور لذلك هو مهم، نعطيه ولا يعطينا نقدم له ولا يقدم لـــنا، التربية في العائلة بالنسبة للأبناء تربية تسير باتجاه واحد نحو الخارج، ابنك من حيـــث أن تهتم أنت به هو ابنك، هذا واجبك، أما من حيث أن يهتم هو بك، فلا لأن اتجاهه نحو الآخر.

في وقت من الأوقات تقول له يا ابني مع السلامة وكذلك ابنتك، يأتي وقت ســـتقول لهـــا امضـــي مع زوجك، وفقك الله. اتجاههم نحو الخارج لا نحو الداخل. اقتصادنا اجتماعاتنا وجمعياتنا تسعى في معظم الأحيان ــ إذا لم أقل في كل الأحيان ــ إلى الأخـــذ، وتفكر كيف يمكن لكل فرد فيها أن يربح. لا أتصور اليوم أن يعمل أحد ويتعب دون أن يربح، إلا في الأسرة، تعمل وتتعب وأنت متأكد أنك لا تربح، لأن الذيـــن تعمـــل معهـــم ومن أجلهم ليسوا لك. لذلك أجيال مرت ونحن، أيها

الأحباء، لم ندرس المجتمعات لأنه ليس لدينا مجتمعات.

إلهنا أب، ماذا يعطيني الله أو ماذا أعطيه؟! يعطيني كل شيء، يعطيني الحياة لنقـــلها في كلمة واحدة، هذا في إيماننا. أنا حي لأن الله أعطاني الحياة. ليس لسبب أخر. ماذا أعطيه؟ عيب أن أسأل هذا السؤال. نحن لا نطعم الله ونحن لا نسقي الله، الله لا يحتاج إلينا. أن ننظر إليه ونحمل صورته ومثاله التي فينا نحملها إلى الأصل، من أجلـــنا وليس من أجله. الله كائن نحتاجه في كل شيء ولا يحتاج إلينا في أي شيء. لاحظوا منذ ١٦٠٠ سنة، كانت هناك كنائس، اقرأوا تاريخ الكنيسة فلن تعرفوا فيها كـــيف كانت أنظمة الرواتب. نعرف كيف يصبح الإنسان شماساً، ولكن لا نعرف في رســـامته ماذا يجب أن يتوقع، لا نتكلم عن ذلك، وكذلك الكاهن لا نجد ذكراً لراتب الكاهن، كذلك المطران والبطريرك. لا بحث في قضية الرواتب، لماذا؟! لأنك في بيـــتك ليس عندك رواتب، علاقتك في البيت بزوجتك إذا كنت رجلاً، بزوجك إذا كنـــت زوجـــة، بـــالأولاد الذين عندكم، هذه العلاقة ليست مبنية على أساس الرواتـــب لا بحسب العمر ولا بحسب المعرفة ولا بحسب القوة ولا بحسب كون هذا ذكـــراً وهذه أنثى. هذا لا يوجد في البيت، فكيف نبحث في الكنيسة في شيء غير موجـــود في البيت؟ لسنا دولة. تذكروا هذا الشيء فهو لا يقال دوماً. لسنا مؤسسة لســـنا جمعية، ليس عندنا صندوق، ليس عندنا نظرية اقتصادية، هذا لا وجود له في كنيســـتكم. الشيء الأساسي جداً «أخوك ضرورة لك، وأنت ضرورة له»، هذا إذا فقدته فقدت كل شيء. إذاً ما العلاقة بينك وبين أخيك؟ فليبقَ أخاً لك، لا تتصرف كما لو كان يمكنك وقتاً من الأوقات أن تتجاهله أو أن تستغني عنه، وأن تهمله، وأن تظـــن أنك تحل محله، لا. العلاقات كلها مختصرة في كيف تكون عائشاً في عالم أنت فـــيه أخ والكل فيه أخوة لك، هذا في الأول، فإذا نظمت مجتمعاً لم تكن فيه الاخوة هـــي الأســـاس، فهذا المجتمع لن يقف على رجليه، هذا مجتمع حقوق وليس مجتمع

إنسان يحب أخاه ويقترب منه، لماذا؟ لأن الحقوق بذاتها لا تربط الناس ببعضهم، قد تكون موضوعاً للخصومة، أما الأخوة فأخوة في كل الأحوال وبدون أي حساب.

البارحة عندما كنت أنظر إلى متخرجينا، كانوا جميعاً يعرفون بسبب ما ندعوه تنظيم المجتمع ماذا ينتظرهم وما هي الحقوق التي يتوقعها المهندس، المدير، الأستاذ. فئة واحدة فقط ــ نشكر الله أننا ننتمي إليها ــ تعرف أنه يجب فقط أن تكون متجهة إلى الخارج، يجب أن تكون مندمجة في الأسرة في الروح الإلهية آب ابن روح قدس، إخوة. هذا أولاً، وكل شيء يبقى ثانياً بالنسبة إلى هذا. لكني أقول لكم إن الزهرة ليست أفضل من المتكل على الله ــ كما قال الكتاب المقدس ــ والزهرة لا تركض إلى هنا وإلى هناك لكي تأخذ جمالها وأوراقها وحياتها. الذي نتكل عليه هو يعطيها كل هذا، وكذلك الطير لا أحد يعطيه مسكناً ولا ملابس ولا أي شيء لكنه موجود وجميل ويحيا، وإن مات فسيموت كما نموت كلنا كذلك. يا أحباء لا نتعاملن مع الكنيسة على أساس غير ما هي، وإلا أصبحت الكنيسة مجموعة غرباء متفقين يمكنهم أن ينتخبوا شيئاً ما مع بعضهم البعض لكن بدون الأخوة. عندما نقول أخوة تكون مع أخيك ويكون أخوك معك هذه هي الكنيسة، إذاً الدكتاتورية والديمقراطية تعابير لا تخص الكنيسة، هذه أُطلقت على المجتمعات وليس على الكنائس.

البارحة كان نهارنا عظيماً جداً، مفرحاً جداً وكنت أرى فيه أن هنالك فريقاً من أسرة الكنيسة يندفع بشجاعة البطل الذي لا يخاف من أن يقدم بدون حساب.

بارك الله بكم جميعاً.

في الكنيسة نأخذ لنعطي*

لفتني في عيد النبي الياس كيف يقدم إنسان حياته لله. وليس معنى ذلك أن لا يأكل ولا يشرب ولا يعيش. ليس هذا هو المعنى. ولفتتني أيضاً مقارنة بين اللغات الأجنبية ولغتنا. نقول، على سبيل المثال، «الله معكم». هذه العبارة غير موجودة في اللغات الأجنبية. إذا سألك أحد الأشخاص تجيب «إن شاء الله»، وهي أيضاً عبارة غير موجودة في اللغات الأجنبية. ذكر الله غير موجود في اللغات الأجنبية بل في لغتنا وحدها. عندما نريد أن نقوم نقول «يا الله». ندعو الله وهو حاضر في لغتنا. بالطبع ثمة كثيرون يلفظون هذه الكلمة كسواها، لكن ذكر الله موجود أصلاً في لغتنا العربية، وفي صميمها. نذكر الله في كل شيء. هناك عالم يعيب علينا إجمالاً ذكر الله في حياتنا. الله لا يذكر في التجارة ولا في الطب ولا في بقية العلوم، اقرأوا الكتب العلمية تجدوا أن الله لا يذكر فيها أما عندنا فهو يذكر دائماً. كل واحد منا يذكر الله. وبعضهم يسأل: ما هو دورنا في الكنيسة؟ دورك في الكنيسة أن تحمل الله وأن تذكره في بيتك، بين إخوتك. وإذا كنت متزوجاً وعندك أولاد ولا تذكر الأم هذا الموضوع لأولادها، وإذا كانت مثلاً لا تشجع أولادها على المجيء إلى الكنيسة، خصوصاً إذا كانت لا تطلب من الكاهن أن يأتي ليصلي على مريض، أم كهذه تحتاج إلى تذكير. ومن يذكر هو الأب وإذا كانت الحجة أننا نأتي إلى الكنيسة للإكليل وانتهى الأمر. حسناً لقد أخذنا الزاد الذي هو جسد الرب ودمه، الكلمة، ولكن ماذا نفعل بهما؟ يجب أن ينقلا إلى البيت إلى الأكبر والأصغر والصديق والقريب. ماذا نفعل بهذا الزاد؟ يقول كثيرون ما دورنا؟ إنه سؤال غريب، دورك أن تحمل زادك وتعيش به وتنقله إلى الآخرين.

* كنيسة دير سيدة البلمند، عيد مار الياس ٢٠/٧/١٩٩٨

ماذا تفعل بجسد المسيح ودمه؟

هــذا السؤال ليس موجهاً إلى الكاهن بل إلى كل منا. الكاهن لا يمكنه أن يجــبر إنساناً على أن يذكر الله. في الكنيسة لا أحد يجبر أحداً على شيء، ليس فيها عصا ولا سجن ولا عقوبات بهذا المعنى القهري.

لمــاذا تتكلم عن اكتشاف صحي جيد عندما يحصل، أو عن طعام أو زيارة جيدة ولا تتكلم عن الله كأنك غريب عنه . كأن ذلك وظيفة غيرك؟

الله هو الذي أعطاك الحياة والوجود وهو الذي بكلمته يجعلك تحيا، لماذا لا تذكــره؟ كــلما نسيت الله في الأكل والشرب والرفاه والأصدقاء والبيت والمدرسة وغيرهــا تظن أنك تكلمه. وليس الأمر الروحي هكذا، أيها الأحباء. في لغتك تذكر الله دائمــاً، ولكن يجب أن لا يكون ذكره بلا معنى. يجب أن نذكر الله وأن نفعل ما لله، مــاذا نفعــل بالزاد الذي نأخذه من الكنيسة؟ هل ينتهي عند بابها؟ ثمة كثيرون يكونــون أتقــياء في الكنيسة أما خارجها فلا علاقة لهم بشيء من هذا الزاد، كأن العلاقة بالله مقتصرة على الظرف الذي نقضيه في الكنيسة.

أحببــت أن أذكر هذا الأمر اليوم بعدما سمعت قول يعقوب الرسول «إذا مرض أحدكم فليدع قسوس الكنيسة». اليوم في حياتنا الرعائية نشتهي في كثير من الأحيان، أن يتصل أحدكم بكاهن القرية أو المدينة ويقول: «يا أبانا غيّرنا بيتنا، نأمل أن تأتي لتكرس لنا بيتنا الجديد»، أو أن يتصل بالكاهن ويقول له: «عندنا مريض». ونحن بالرغم من احترامنا للأطباء والأدوية، فإننا نريد الصلاة في هذا البيت من أجل مريضــنا. نحن نولد بالصلاة ويجب أن نعيش بالصلاة لأننا سنموت بالصلاة أيضاً، نأمل أن تأتي المبادرة من أي شخص كان ممن يتزودون بجسد الرب ودمه.

في الكنيســة لا نــأخذ فحسب، بل نعطي، هذا ما أحببت أن أقول هذا الصباح في عيد النبي الياس الذي أتمناه عيداً لكم جميعاً بالخير والإيمان والعافية. آمين

الرسول قناة لإيصال البشارة*

اليوم نعيد للآباء، ليس لمن اجتمعوا في نيقية وحدهم، ولكن للآباء الذين اجتمعوا في المجمع السابع. وإذ نعيد لهم نذكر ما قال الإنجيل لنا هذا الصباح، وهو في اختصار: فلاح ذهب ليزرع و لم يستفد إلا من جزء ضئيل من البذار الذي زرعه.

أولاً ما دخل الفلاح في الإنجيل المقدس. أعتقد أن هذا مهم جداً لنا اليوم. الإنجيل المقدس هو كتاب للفلاحين أيضاً، هو كتاب للبسطاء، وللأميين، لأن الله ليس كتاباً، الله شخص حي يقدِّم إلى جميع الناس أمراً واحداً هو المحبة لهم، المحبة مشتركة، يقدمها إلى الجميع الذي يحتاجون إليها وكلنا نحتاج إليها اليوم، والكل يعرفون أنها أغلى ما يمكن أن يقدمه كائن إلى كائن آخر.

ديننا ليس دين عظة وليس دين فلسفة ولا دين مناقشة، بل دين الوقوف أمام وجه آخر. الله يقف أمام وجهك وتقف أنت أمام وجهه في الصلاة لكي تقول له: يا رب أنا استجيب إلى محبتك لي، أنت تحبني بطريقة غير موجودة في هذا العالم وطريقتي في المحبة مختلفة. أنت لا تتوقع مني شيئاً وأنا دائماً أتوقع منك شيئاً، نحن في العالم ننتظر أن نأخذ بعد أن نعطي شيئاً. الله لا ينتظر بدلاً، نحن نتوقع أن نغنى عندما نتصل بالله وبالآخرين، ولا يمكننا أن نغني الله أو أن نزيد عليه شيئاً، لا يمكننا إلا أن نكون في حالة تقبل منه.

إذاً أيها الأحباء، ليس غريباً كما قلت أن يكون المثل الذي سمعناه عن المزارع من الأمثال الأولى التي أعطيت في الكتاب المقدس، ومعناه أن جماعة الفلاحين هم أول الناس الذين صادفهم الرب يسوع، إنهم الجماعة الذين يعملون في الأرض، الجماعة البسطاء. والذين يعملون في الأرض فيهم الكثير من الأميين حتى هذه

---

* أحد الآباء، الأحد ٢/١٠/١٩٩٨

الســـاعة. فلا يظنن الذي يعرف القراءة والكتابة والذي درس وتعلق بشيء، أن كل واحد على وجه الأرض هو هكذا. كلا. فالذين يعرفون القراءة والكتابة في أوساطهم كـــانوا قلة. الإنجيل خاطب البسطاء. وكان الرب يسوع يقول للرسل المثل البسيط لئلا يعقدوا الناس. ومن الناحية البشرية كان المسيح يعرف أن يقرأ ويكتب، ونعرف ذلـــك لأنه عندما دخل المجمع قرأ الكتاب المقدس، ولكنني متأكد أنه لم يكن يحمل شهادة واحدة من الشهادات التي عندي مثلاً، ولكنه كان المسيح.

لمـــاذا نخاف البساطة هذه الأيام؟ لأننا عندما نتكلم ببساطة نتكلم من أجل الآخر، أنت تحدثه لكي يعرف ويفهم ولكي يتحسس، تكلمه من أجله هو. في كثير من الأحيان نكلم الناس ليعرفوه، ليعرفوا الذي تكلموا عنه، الذي هو الله، الذي هو الـــرب يســـوع المسيح. كان الخطاب بسيطاً للرسل لكي يكونوا بسطاء مع الناس، أنت رسول، أنت توصل أشياء، أنت أداة، أنت لا تبشر بنفسك.

أيهـــا الرسل، لا تخافوا البساطة، من يخف منها يخف على نفسه ولا يخاف عـــلى الرســـالة، والمطلوب أن يكون هو المسؤول لا أن يبشر بنفسه. هذا مهم كما قلت. وثمة أمر آخر، قال الرب للرسل ستكونون صيادي بشر. لا أدري إلى أي حد فهموا هذه العبارة، لأن الإنسان لا يصطاد الناس إجمالاً، كنا سمعنا ذلك أيام الحرب وكان جديداً كلياً علينا. لماذا كان يحدث الرسل بهذا الحديث؟ الفلاح كما قلت في البداية يذهب ومعه بذاره ويضيع شيء من هذا البذار في الطريق وشيء آخر لا يثمر لأنه وقع على الصخر حيث لا يمكن أن يعيش. الأمر الوحيد الذي يمكن أن يأمل في أن ينتفع منه هو الجزء البسيط الذي وقع في الأرض الجيدة.

وإذا كـــان ثلـــثا بذارك أيها الفلاح لا يثمر، فابذر من أجل الثلث الأخير. أنـــت يجـــب أن تزرع وأن تبذر. والكلمة التي تزرعونها ستكون على الطريق وعلى الصـــخر وفي الأرض الجيدة وستنبت، ولكنها في وقت لا يعلمه إلا الله تعطي فئة لم

نحلم بها ثماراً قد تكون أنت منها. تعطي كلمة الله ثمراً أضعافاً مضاعفة.

إن معادلتك في عملك الرسولي ليست معادلة حسابية، أي إذا زرعت عشراً تحصد عشراً. هذا غير صحيح. المعادلة إذا زرعت عشراً فقد تجني ثمرة واحدة من العشرة، ولكن من أجل الواحد ازرع العشرة.

وبكلام آخر ليس ثمة أرض لا يجوز أن تزرع فيها. يجب أن تزرع أينما كان وأن تسلم إلى الله نتائج أعمالك. غير صحيح أن كل من يعمل الصالح لن يجد أمامه إلا الصلاح. فإذا كنت لا تنتظر إلا الصلاح مكافأة لصلاح عملته فلن تعمل صالحاً إطلاقاً. يجب أن تعمل ما نسميه «المليح» من دون أن تتوقع أن يُرَد لك ذلك «المليح». عالم الرب، عالم البشارة ليس مثل عالم التجارة. عالمه أن تعطي أنت والباقي على ربك. أنت عليك أن تزرع وأن تسعى وأن تجتهد ويجب ألا نصبح تجاراً في الرسالة، أي أن أعطيك شرط أن تعطيني. أقدم إليك متوقعاً أن تقدم إلي. لا بل إذا قدمت إليك القليل أتوقع منك أن تقدم إلي الكثير. أنت لست الرسالة بل الرسول الذي يحملها عن سواه وليس عن نفسه. ولا نبشر الناس بأنفسنا بل بذاك الذي من دونه لا نعرف ما هو النور وما هو الحق وما هي المحبة.

✞ ✞ ✞

لا نريد أنصاف رجال*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

نقيم اليوم في الكنيسة تذكار القديس لوقا الإنجيلي. وهو كان رفيقاً للقديس بولس الرسول الذي ذكره اليوم في المقطع من الرسالة التي كتبها إلى أهل كولوسي. والقديس لوقا هو الذي كتب إنجيل لوقا وأعمال الرسل وأتمنى أن تطلعوا على كل منهما لكي تروا أن ثمة رابطاً بين الاثنين، وخصوصاً أن أول مرجع لتاريخ المسيحية العملية منذ بدايتها موجود في الدرجة الأولى عند القديس لوقا في كتاب أعمال الرسل. وإذا قرأتموه عرفتم كيف كانت الكنيسة المسيحية عند نشوئها، وهذا مهم جداً. ويقال أيضاً إن لوقا الإنجيلي رسم صورة السيدة العذراء. قد يكون رسمها كأيقونة، ليس بالتأكيد أن الأيقونات كانت موجودة في تلك الفترة، ولكن رسم صورتها لأنه الإنجيلي الأكثر كلاماً عن العذراء، وهو الوحيد عملياً الذي تبسط في إنجيله في ذكر طفولة يسوع. الإنجيليون الآخرون كأنهم في تكلمهم للكبار البالغين لم يهتموا بأن يتكلموا عن طفولة يسوع. ما كان مصدر لوقا؟ من النصوص التي كتبها يمكننا أن نعرف أن مصدره كان العذراء نفسها، وهذا يعني أن لوقا الإنجيلي هو الوحيد الذي كتب فصولاً إنجيلية عن طفولة السيد مأخوذة مباشرة من لقائه السيدة العذراء. وكثيرون لا يعرفون أن لوقا الإنجيلي كان طبيباً ومرافقاً لبولس الرسول.

أيها الأحباء، يسعدني في هذا الصباح أن نلتقي في هذه الكنيسة المقدسة، وقد كنا نلتقي فيها كثيراً مع أجيال سابقة. وهذا المكان هو الوحيد الذي يُخَرِّج كل رؤساء كهنة الكرسي الانطاكي في العالم، رؤساء الكهنة في أميركا وأوروبا وأوستراليا، وأتكلم عن كنيستنا بالطبع، هذا المكان يجب أن ندرك أهميته.

* كنيسة دير سيدة البلمند، الأحد ١٨/١٠/١٩٩٨

لماذا هو مهم؟ فيه تخرّج المطران دامسكينوس، ما معنى تخرّج؟ معناه أنه أمضى سنوات مع عدد من رفاقه الذين أصبحوا اليوم جميعاً رؤساء كهنة. سيدنا جورج أبو زخم وغيرهم داسوا هذه الأرض، عاشوا بين هذه الجدران جدران هذا الدير وهذه الكنيسة، ونموا في هذه الكنيسة، عاشوا بقطع النظر من أين يهب الهواء البارد أو الحار من الغرب أم الشرق، أم الشمال أم الجنوب، لا بأس بذلك. من هنا تخرّجوا وهذا في غاية الأهمية أيضاً لأن الكنيسة، أيها الأحباء، لا ترتجل ارتجالاً، الكنيسة لا يمكن لمجموعة من الناس وإن كان أفرادها أعظم المخترعين وأكثر الناس ذكاء أن يخترعوها. يمكنكم أن توجدوا حزباً أو جمعية أو دولة أو مجموعة من الدول أو الأمم المتحدة، يمكنكم أن تعملوا ذلك كله. لكن لا يمكنكم أن توجدوا كنيسة، لا يمكنكم أن ترسموا كاهناً، لا يمكنكم أن ترسموا مطراناً، هذا مستحيل.

ثمة هيئة أو وجود لا يمكن للدول والقوانين أن تعطيه أساساً، هذا الوجود هو الكنيسة المقدسة، وهو أمر غاية في الأهمية. فلنعرف أن الكنيسة لا ترتجل ارتجالاً ولا تصطنع اصطناعاً، وليست من عمل الأيدي. إنها من عمل مؤسسها. الكنيسة ليست شيئاً من دون المسيح والرسل وخلفاء الرسل والكهنة الذين هم أيضاً خلفاء الرسل بمعنى معين. المطران الذي تخرج في هذا الدير هو حلقة تربطنا اليوم بالرسل الذين عينهم الرب الرسول. وبواسطة المطارنة خلفاء الرسل نعرف أن أصلنا ككنيسة يذهب إلى الرسل فالمسيح مباشرة.

يقول البعض لماذا هذا مهم؟ والجواب لا تكون أية كنيسة أصيلة بالفعل إلا إذا كانت تستوفي هذا الشرط. أن تنتمي إلى المسيح. ليست علاقتنا بالرسل نظرية ولا ننتمي إلى مجرد كتاب كتبوه، لا ننتمي إلى مجرد نظرية وضعوها، نحن ننتمي إلى ما قالوا وما كتبوا وننتمي إليهم تاريخياً. السلسلة الرسولية كما ندعوها هي ارتباط عضوي ونظري وروحي بالمخلص، بالرسل الذين عينهم هو، وهذا يعني أن الكنيسة

ليست على سبيل المثال نص دستور الإيمان وحده، الكنيسة لا تؤخذ من الكتاب وحده ولا يوجد كتاب يوصل إليك المسيح أو الكنيسة الأصيلة. يجب أن نتمكن من معرفة تاريخها وحضورها اليوم وإلى أين تنتمي. في التاريخ يجب أن نتمكن من أن نربط علاقتها بالماضي من خلال كيانات بشرية كما أن المسيح هو الرباط بيننا وبين الله تعالى، إنه ابن الله الوحيد تجسد، اتخذ وجهاً اتخذ جسداً، سار على هذه الأرض وهو الذي يربطنا بالإله. إذا أصبح أصل الكنيسة أرثوذكسياً وكان ثمة إيمان وتاريخ لذلك الإيمان فإن هذا التاريخ يحفظه أولئك الذين ينشأون في دير البلمند مثلاً ويتكرسون للخدمة الإلهية ويقفون أمامكم ليقولوا «السلام لجميعكم» وينقلوه إليكم صحيحاً وسالماً من الرسل ومن المسيح نفسه.

المطران دامسكينوس ورفاقه، والحمد لله كلهم أحياء، وكما ترون لا يزالون في سن الشباب، هؤلاء، أيها الأحباء، اسمح لنفسي أن أتكلم عنهم لأننا كنا مترافقين، في تلك الأيام كنت معلمهم، واليوم هم أيضاً معلمون ويعلمون حتى معلمهم. في ذلك الوقت كثيرون حاولوا زعزعتهم وأن يغيروهم. وإذا ذكرت شيئاً عن أولادنا هؤلاء أذكر صلابتهم في التمسك بأننا سنكون مكرسين في كنيسة الله المقدسة في الكرسي الانطاكي، هذا لا يقبل جدلاً. نقع، نقوم، نعيّر، مهما حدث لا شيء توصل إلى زعزعتهم. هؤلاء لم يكونوا ينحنون مع الريح من أين أتى. هؤلاء ما ناموا مثلما ننام اليوم. وما أكلوا مثلما نأكل اليوم ولم يكن عندهم معهد كما عندنا اليوم. في تلك الزاوية من هذا الدير كانوا ولا طنافس فيها ولا حمامات ولا شيء من ذلك. وكل شيء كان يتطلب جهداً. في البرد كانوا يبردون وفي الحر كانوا يعانون ويعيشون الطبيعة كيفما كانت من دون تذمر. ربما كان تذمر من الشدة التي كنت أمارسها عليهم، فأنا لا أحب أن يكون الرجل نصف رجل ولا أريد أن يكونوا مائعين، وهم ليسوا مائعين. ومن ترونهم مطلوب منهم اليوم أن يذهبوا إلى أبناء الكنيسة. وهناك نصف قارة تقريباً تتوقع مباركة المطران دامسكينوس ومطلوب منه،

كمـــا قـــال الرســـول بولس أن يحدثهم حديثاً صالحاً حتى يكون له طعم وليتمكن الإنسان من ابتلاعه. هذه قاعدة البشارة، لا أن تكره الناس بأنفسهم أو تكرههم بما تقول أو بما أنت، فعندئذ لا يسمعون ولا يفيدون مما أنت قائل لهم.

✝ ✝ ✝

الخطيئة إلى المجمع خطيئة إلى الكنيسة*

بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

نهارنـــا الـــيوم نهار فرحٍ وابتهاج، نهار شكرٍ لله بالدرجة الأولى، أقدم فيه الـــتهاني لجميع أهل اللاذقية، وبشكل خاص إلى أبيهم الروحي المطران يوحنا الذي، برعايته وأبوته، نرى أسرته تلتفت إلى الله أكثر فأكثر. جماعة اللاذقية يغنون الكرسي الأنطـــاكي بما لا غنى عنه، وأعني بذلك الكهنوت بكل مراتبه. أسأل الله أن يعطيه العمـــر الطويـــل وأن يبارك رعيته لكي تبقى على الدوام المزرعة التي ينبت فيها هذا النبت الصالح الطيب.

أهنئ كذلك أهل سيدنا سابا الأب والأم والإخوة والأخوات جميعاً. أهنئهم لأن فيهم برز هذا الغصن الطيب الذي سيحيي في كنيسة الله نفوساً كثيرة. تهاني لكم جميعاً. إننا في الكرسي الأنطاكي نهنئ أنفسنا بأن يكون عندنا من هذه النوعية.

بماذا يتميز يومنا هذا؟ ماذا حصل فيه؟ الذي حصل اليوم، أيها الأحبة، هو أن أبانـــا سابا قد انتقل من رتبة القسوسية إلى رتبة رئاسة الكهنوت. وما هو الفرق بـــين الرتبتين؟ عندما كان كاهناً كان يقدم الخدمة الإلهية للناس، كان يعمدهم بالماء والروح، كان يدهنهم بالميرون المقدس، كان يبارك زيجاتهم، (وليس من زواج عندنا بـــدون بركة إلهية)، كان يدعوهم إلى الكنيسة، وكان يُسمعهم الكلمة الإلهية. كان يتمـــيز بكونه مكلفاً من الروح القدس بأن يقوم بهذه المسؤولية. كان الروح القدس يدفعـــه لخدمة الأسرار الإلهية ما عدا الرسامة. هنالك عند الكاهن إذن شيءٌ يختلف عن شخصيته الدنيوية. ما يمكن للكاهن أن يفعله لا يمكن لسواه من المؤمنين أن يفعله وبنفـــس السوية لأن الروح القدس كلفه بذلك. لذلك ليس للكاهن بديل، فإما أن

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، رسامة الأرشمندريت سابا أسقفاً على صيدنايا، الأحد ١٩٩٨/١١/٢٩

يكـــون عـــندك كاهن أو لا يكون، وإذا لم يكن عندك كاهن فلا أسرار إلهية تُقام. دعـــوة الكاهن هي بالتالي دعوة خاصة وبغاية الأهمية. إنها ليست وظيفة ولا قضية. الكـــاهن يُصـــبَغ بالـــروح القدس الذي يحل عليه بحيث يصبح بمقدورك أن تسميه «أبونا». لا تقولون «أبونا» إلا للكاهن، لأنه وحده أبوكم بالروح القدس. يجب أن ننتـــبه إلى أن الكـــاهن لا يعطي لنفسه هذه الصفة، إنه يرسم كاهناً. ومَن هو الذي يرسمه؟ يرسمه رئيس الكهنة. ومعنى ذلك أن ما عنده من الروح القدس يأتيه على يد مطـــرانه الذي يعطيه إياه بوضع اليد وبدونه لا ينال النعمة، نعمة الكهنوت. لدخول الكهـــنوت بـــابٌ واحدٌ هو المطران، وإذا لم يدخل الإنسان من هذا الباب، فإنه لن يدخل على الإطلاق.

إذا كان الكاهن أباكم، فالمطران هو أبو الكاهن الذي يوصل النعمة الإلهية إلـــيه. مـــاذا يحصل للكاهن الذي ينتقل إلى رتبة رئاسة الكهنوت؟ يحل عليه الروح القدس أيضاً وتحل عليه نعمة رئاسة الكهنوت. وهذا هو ما حصل اليوم للأب سابا، أيهـــا الأحباء. لقد صار أسقفاً، وعندما يُرسَم كاهن يقوم بذلك مطران واحد. أما الـــيوم، فقد رأينا رؤساء كهنة متعددين. لماذا حصل ذلك؟ لأنه، كرئيس كهنة ليس له راسمٌ واحد. لقد صار في جماعة، صار في أسرةٍ من نوعٍ معين. أصبح رئيس كهنة بـــين مجموعة من رؤساء الكهنة. صار واحداً منهم يرسمونه جميعاً. لقد رأيتم كيف يمســـكون بالإنجـــيل وأيديهم كلها فوق رأسه ليحل عليه الروح القدس. لقد صار واحداً من جماعة هي له وهو لها، فتعهد ليس في الأمور العقائدية فقط، بل كذلك بما يسمى المجمع المقدس. هذا الشأن الذي لا تحسون بوجوده ولا تسمعون عنه الكثير، بدونـــه لا مطران ولا كاهن ولا أسرار، وبالتالي لا كنيسة. صار يحس غير ما كان يحس وهو في رعيته. كان يحس أنه واحدٌ مع واحدٍ آخر هو المطران، وأصبح يحس أنه مجـــرد غصن في شجرة الجهاد المجمعي. كان إذا سار في الرعية مساراً يخالف المطران يُعتبَر مخالفاً للكنيسة، أما عندما أصبح رئيس كهنة، فإنه صار إذا سار مساراً يخالف

المجمع المقدس يُعتبَر خارجاً عن الكنيسة جمعاء.

يا سيدنا سابا،

أنـــت لم تَعُد وحدك. لقد أصبحت مع إخوةٍ لك لا يمكن أن تكون بدونهم حلقةً في سلسلة الروح القدس لسلسلة الرسولية. رئاسة الكهنوت هي التي تضعك في خـــط أولـــــه حتى هذه الساعة هنا، لكنه ينطلق إلى البعيد البعيد. إلى الرُسُل، وإلى المخلـــص بالذات. من هنا، يمكنك ـــ لا سمح الله ـــ أن تخطئ في أمور الإيمان، دون أن يشعر أحدٌ بذلك، أما الخطيئة بالنسبة لمجمعك المقدس، فهي خطيئة بحق كنيستك، هـــي ابتعادٌ عن الكنيسة. وأسوأ ما يحصل للإنسان هو أن يبتعد عن الكنيسة. معنى ذلك أن المؤمنين لا يعودون يتكلمون معه لا عن الكهنوت ولا عن الأسرار الإلهية ولا عـــن أي شيء آخر على الإطلاق. إخوتك أنت تحبهم وقد تمرست على المحبة، وهم حاضـــرون ههنا شهوداً على أنك تحبهم. لن تنقطع عن محبتهم بإذن الله، كما أني أنا شخصـــياً لم أنقطع عن محبتهم عندما غادرتهم بعد أن كنت مطرانهم. هؤلاء الإخوة يكملونك، وليس بإمكانك أن تستغني عنهم أو أن تبتعد عنهم أو أن تتجاهلهم. وهم بدورهم يتوقعون منك أن تضع النعمة التي نزلت عليك في خدمة الجماعة التي دخلت إليها.

المجمـــع المقدس، أيها الأحباء، هو أسرة كنيستكم، وهو السلطة العليا لدينا، وإن كنا في الواقع لا نفرق بين سلطة عليا وسلطة دنيا. المجمع المقدس هو السلطة التي بدونها لا يكون مطران ولا بطريرك ولا شيء آخر، وبالتالي لا تكون كنيسة.

الحجر ينطق إذا وضعت لغتك فيه*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. آمين.

بـــالفعل، أيهـــا الأحباء، منذ أكثر من عشرين سنة عملياً وأنا مرتبط بهذه المنطقة عامة وبأبنائنا في طرطوس أيضاً بصورة خاصة. عندما كنت مطراناً للاذقية. كنت ولا أزال. أنا لا أمحو الماضي لكني أسجله لأننا نتعلم من الماضي الكثير الكثير. هـــنا أيهـــا الأحـــباء في طرطوس كان رئيس الأبرشية هو المثلث الرحمات المطران أبيفانـــيوس، وهـــو أحد القلائل الذين شغلوا عضوية المجمع العلمي العربي. البعض يظنون أنه لم يكن عندنا مطارنة من طراز معين ومن مستوى معين. هم على خطأ. مطارنتـــنا الأول لم يكونوا بسيطين إلى هذا الحد. ربما كانت عندهم هواجس تختلف عـــن هواجسنا اليوم، ولكنهم ما كانوا أقل موهبة من أي منا. هنا في طرطوس، أيها الأحـــباء، فرحـــت كـــثيراً مع كثيرين كانوا يفرحون في الكنيسة المقدسة، وكنت أشاركهم أفراحها. هنا في طرطوس كنت أحزن كثيراً، أحزن كثيراً مع الحزانى، وكم من مرة كنت أرى دموع الحزن تجري أمامي في الكنيسة فأغص في كثير من الأحيان عندما أتكلم لأنني لم أكن قادراً على أن أمنع نفسي من الحس بأن هؤلاء هم عائلتي، هم أسرتي، وبالتالي هم حزانى، فأنا معهم أيضاً حزين.

هنا في هذا البلد أيضاً، صلينا مرات ومرات. وكما قلت، فأنا لا أنسى. فإذا نســـي الإنسان هذه الأمور الطيبة الحلوة التي يعيشها مع أفراد أسرته الروحية فماذا يتذكر إذاً؟ الأشياء التي هي من نوع آخر، أتمنى أن نمحوها. هناك كثير مما يحصل في ماضـــينا نتمنى أن نمحوه. أما هذه الأمور، فلا سمح الله بأن ننساها. أنا لا أشعر أنه مضـــى وقت طويل دون أن نلتقي. أشعر أننا اليوم وكأننا كما كنا منذ عشرين سنة

* طرطوس، تدشين كنيسة القديس دانيال العمودي، الجمعة ١١/١٢/١٩٩٨

لا بل أكثر بقليل. لكننا، أيها الأحباء، لم نكن في هذا المكان في ذلك الوقت. ما كنا نلتقي هنا لأن هذا المكان لم يكن موجوداً. هذه الكنيسة جديدة، هذه الكنيسة نشكر الله أنها بنيت. وعندما نرى بناءً يخطر في بالنا قبل كل شيء أن الحجارة لا تتوضع فوق بعضها البعض تلقائياً. الحجارة تحتاج إلى كائن، إلى إنسان عامل لكي يصفّها بطريقة معينة، لكي يصرف عليها، لكي يجعلها مسكناً تنتقل من وضع رجمة من الحجارة إلى بناء يمكنك أن تصلي فيه كما نفعل الآن.

صلاح! جميع الذين يلوذون بك، نحن نحبهم، وهذا ليس بجديد، وأنت تعرف ذلك، والكل يعرفون ذلك. أحب فيكم أنكم تحبون غيركم. الحب ليس أنانية وليس احتكاراً. إذا أحببت غيرك، فأنت أيها العزيز تحب الحب الصحيح. كنت أريد أن أسأل نفسي أمامكم. لماذا هذه الكنيسة؟ كثيرون يتبجحون بأن هذا يخصهم، يتبجحون بأنهم بنوا هذه أو تلك من المؤسسات، من الفنادق، من الفيلات، من المقاهي، من مثل هذه الأمور. كثيرون يفتخرون، ولا أقول إنه ليس من حقهم أن يفخروا، لكن قلائل هم الذين يتمكنون من أن يقولوا: لقد بنينا للرب بيتاً من هذه البيوت. نحن لا نتصور قرية أو مدينة بدون زاوية لله. إذا كان الإنسان يصنع شيئاً، فالذي يصنعه أهم منه، وهو أحق بأن تكون له زاوية في المدينة أو في القرية أو في أي مكان من الأماكن. هل نطرد الله من عالمه؟ هل ابتعد الله عن خليقته؟ ألم يعد له الحق بأن يُذكَر في البيوت، ألم يعد له الحق بأن يكون عنده أبناء يسمعونه ويذكرونه؟ ما أعظم الكنيسة! وما أعظم الذين يبنون الكنيسة! أيها الأحباء، هذا مكان فريد. هنا فقط في العالم بأسره كل واحد عنده ذات الحق الذي لأخيه. هذا هو المحل الوحيد في العالم الذي لا توجد فيه لغة «يحق لي أكثر منك»، المحل الوحيد في العالم الذي لا يكون الناس فيه غرباء الواحد بالنسبة إلى الآخر. من أين أتينا جميعاً؟ كل من جهة، كل من زاوية، اجتمع الكل وإذا بهم هنا. إذا بهم هنا أسرة واحدة، هي هذه الأسرة.

الكنيســـة تجمــع، الكنيسة لا تفرق. يأتي الإنسان إلى الكنيسة، يشاهد وجهاً للمرة الأولى ويشاهد هذا الوجه مرة أخرى فيعرفه ولا تعود هنالك غربة بين هذا وذاك.

أيهـــا الأحـــباء، الكنيســـة شيء بالفعل عظيم جداً. الكلمة نفسها، كلمة الكنيســـة تعني بالضبط الذين يكونون بعضهم مع بعض مرتبطين الارتباط الروحي العميق. كنت أسمع من بعض المصادر هنا، أن البناء بالحجارة ليس بذي معنى، يجب أن نـــبني البشر لا أن نبني الحجر، هذه شعارات وكلام. من قال إن الحجر ليس بناء روحياً، الحجر يمكنك به أن تحطم الرؤوس، كما يمكنك به أن تسبح الرب في بنيان بيت. الحجر ينطق إذا أنت وضعت لغتك فيه. الحجارة، الحديد، الشجر، كل شيء، هذه الطبيعة بأسرها، أنت تجعلها تنطق كما تريد إذاً. أنظر من أنت عندما تجد أنه لا يبنى بناء لله ولا يجتمع جماعة من أجل الله. الواحد لا يحب الآخر إكراماً لله واعترافاً بأبوته هو. نحن، أيها الأحباء، لا نعتقد أن هنالك شيئاً جامداً في هذا الكون. الحجر حـــي، الخشب حي، يمكنك أن تصنع منه الصليب كما يمكنك أن تستعمله لإيلام الآخـــرين. كل هذا يتوقف عليك أنت الإنسان. الإنسان هو الذي يعطي المعنى لكل شـــيء في هذا الكون، في هذا الوجود. هذه اللهجة يجب أن تزول. ليس عندنا نحن أرواح طائرة. هذا ليس موجوداً عندنا، والله لا يخلق جماعة من هذا النوع. الله يخلقني روحاً في جسد وجسداً في روح. الله يخلق كل شيء ويعطي كل شيء معناه. الطبيعة لله، ولذلك فمن يُشنع بالطبيعة ذاتها فإنما يسيء لخليقة الله. مرحى لكل مَن يعمرون كنيسة. مرحى لكل من ينشئ بيتاً في داخله روح الله يعمل عند الكبير وعند الصغير. أيها الأحباء، نحن في طرطوس لسنا جدداً، وليس فيها من جديد بالنسبة إلينا. نحن في طـــرطوس نذكر ما كان الله يفعل من أجلنا جميعاً. كنا نجلس معاً، نصلي معاً، نحزن معـــاً، نفرح معاً. هكذا كونوا في بيت الله. انظروا إلى الأب الواحد، لا تنظروا إلى مصـــالح متفرقة وشخصية. انظروا إلى من يرعى الجميع. أنا أشكر صاحب السيادة

المطـــران بولـــس، أشكر سيادة الأسقف باسيليوس. أشكركم جميعاً لأنكم أتحتم لنا الفرصة حتى نجتمع والاخوة المطارنة والكهنة وإياكم.

ألا باركلم الله وحفظكم آمين.

✝ ✝ ✝

الصمت أفعل من الكلام*

أيها الأحباء،

أشكر الله على هذا اليوم المبارك الذي نقدم فيه معايدتنا لكل من يحمل اسم القديس أغناطيوس، وأنتهز هذه الفرصة لأحدثكم عن هذا القديس.

قلما يتحدث الناس عن القديس أغناطيوس، وما ذلك إلا لأنه من فئة الذين عملوا أكثر مما قالوا، وأنتم تعرفون أن بين الرسل الكثيرين ممن لا نعرف أسماءهم، ولا نعرف مصيرهم، ولا تاريخهم، ولا أين ذهبوا بعد فترةٍ من نزول الروح القدس عليهم وانطلاقهم في البشارة. نسمع أسماء رسل قلائل، وبصورة خاصة الرسولين بولس وبطرس، والأصح أن أقول بطرس وبولس.

كل يوم أحد تسمعون فصلاً من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل كورنثوس أو غلاطية أو غيرهما، ولا تسمعون الكثير عن بطرس الرسول. نسمع عنه بعض الكلمات في الإنجيل، لكننا لا نقرأ له الكثير. بطرس الرسول موجود من البدء، وهو الذي أسس كنيسة إنطاكية وكنيسة روما، لكنه لم يكتب إلا بعض الرسائل القصيرة التي كانت عامة وبسيطة، بينما نسمع الكثير عن بولس الرسول لأنه تحدث كثيراً وتجول كثيراً وكتب لمن كان يزورهم. لا يمر أحَدٌ واحد من آحاد السنة إلا ونقرأ فيه عن بولس الرسول، وكأن له مدرسةً خاصة تقول الكثير وتكتب الكثير، بينما لا تذكر مدرسة بطرس الرسول إلا في أماكن معينة وهي لا تتحرك كثيراً، وكأن هذا الرسول لا يحتاج أن يكتب رسائل كثيرة.

القديس أغناطيوس الأنطاكي من مدرسة بطرس الرسول وليس من مدرسة

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد القديس أغناطيوس الأنطاكي ١٩٩٨/١٢/٢٠

بولــس الرســول. معنى ذلك أنه كان فاعلاً في الكنيسة. انتبهوا إلى أننا في الكتاب المقــدس وفي الإنجيل الشريف نتعلم أن ربنا يسوع المسيح قد فعل أكثر مما قال، وأنه لم يكــن قــوالاً بــل فعالاً. أتى إلى خليقة الله ففعل في خليقة الله. هذا أمرٌ في غاية الأهمية، ونحن منذ بداية القرن الثــاني نذكر القديس أغناطيوس ونذكر وكأنه أصبح في الكنيسة مدرستان. وإذا نحن تساءلنا اليوم ماذا نعرف عن الرسل، نجد أننا نعرف الكــثير عن الذين تكلموا لا عن الذين فعلوا، وليس صحيحاً أن الذين لم نسمعهم يتكــلمون لم يعملوا على نشر المسيحية في العالم. نحن نعرف أين كان يذهب بولس الرسول ونعرف أنه كان يتجه إلى أوروبا حيث يجد أناساً مثقفين يكلمهم ويتناقش معهــم، كما نعرف أن بطرس الرسول قد أسس كنائس اكتفى بولس الرسول بأن يكتب إليها من بعيد.

القديــس أغناطيوس الأنطاكي، على صورة بطرس الرسول، لم يكتب إلا القليل، و لم يوجه إلا القليل من الرسائل التي يشكر فيها ببعض الكلمات من استقبلوه وهــو في طريقه إلى روما. لكن تلك الرسائل ــ على قصرها ــ كانت تتحدث عن قلبه الكبير وعن الكنيسة وعن الواقع الكنسي دون أن تستعرض النظريات وتتحدث على غرار رسائل بولس الرسول. هنا أقول لماذا لم يذكر أعضاء المجامع المسكونية كل الذيــن حل عليهم الروح القدس، مَن تكلم منهم ومَن عمل؟ كان يجب، مبدئياً، أن نســمع أسماء الجميع، لكننا في معظم الأوقات نسمع أسماء مَن تكلموا، من خطبوا ومَن ألفوا الكتب وكأن الكنيسة هي هؤلاء وحدهم. هذا خطأ: فالكنيسة لمن يعطي قلــبه. نحــن لا نعمد من الإنسان دماغه وعقله فحسب، لا نعمد جزءاً من الإنسان مهما كان هذا الجزء شريفاً، بل نعمد الإنسان بكامله لأن الله خلقه بكامله.

أيها الأحباء،

تجاهلنا كثيراً أولئك الذين حفظوا الرب في قلوبهم، تجاهلنا أمهات، تجاهلنا

آبــاء، تجاهلــنا راهبات كما تجاهلنا رهباناً إلى حد ما، وأشهر القديسين عندنا هم الذيــن عُــرِفوا بالكلام والبراعة، أعني آباء الكنيسة. وقلما عُرِف مَن قَضَوا حياهم يصارعون الشر في ذواهم قبل كل شيء. ذكرت الأمهات والآباء الذين من نسلهم نشأ مدرسون، وقلت إننا لا نعرفهم حق المعرفة، فهل أخذنا عن بولس الرسول خطة الكــلام والمعرفة العقلية وما إلى ذلك؟ اعذروا لي هذه التعابير، فقد وقعنا في الفخ: فبولس الرسول لم يكن كاتباً فحسب، و لم يكن خطيباً فحسب بل كان برسائله كل شيء. أما نحن، فقد اتبعنا اللمعان، وكثيراً ما يغشنا ما يلمع عند زيد أو عمرو.

أيها الأحباء،

الــيوم نذكر مع أغناطيوس الأنطاكي ومدرسة بطرس الرسول الحقيقية أن الــروح القــدس لا يقيم في الواعظ أكثر مما يقيم في الصامت، وقد يكون العكس صــحيحاً في بيوتــنا. الصمت عند المؤمن ليس دليلاً على قلة إيمانه بالضرورة لكنه تواضــع: فأنت عندما تحس بالنار الإلهية في قلبك لا تجد الكلمة الكافية لأن تعبر عن تلك النار. أقول ذلك لأذكركم بأن القديس أغناطيوس الأنطاكي هو أحد الكثيرين الذيــن بنوا هذه الكنيسة، كما تبنوها أنتم عندما تشاؤون، وأكتفي بذلك لأقول إن عــيدنا اليوم يذكرنا بأن علينا ألا نكثر الكلام بل أن يكون كل ما فينا ولو صمتنا مــتحركاً حاراً بالنعمة الإلهية، ويذكرنا بأن كلاً منا يستطيع أن يفعل وهو صامت أضعاف ما يفعل وهو يتكلم. نشكر الله على مجيئكم اليوم ونسأله تعالى أن يبارككم جميعاً . آمين.

✝ ✝ ✝

العيد عيد لكل الناس*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

كـــل عام وأنتم بخير، وعسى أن يكون هذا العيد عيد نعمة وبركة عليكم جميعاً، أيها الأحباء، وعلى العالم بأسره.

عيدنا اليوم يعني أن الله الذي خلق السموات والأرض يأتي إلينا نحن البشر، وهـــذا شيء استثنائي. فالله الخالق، الله الذي هو روح صاف يأتي إلى الإنسان الذي نعـــرف قصـــته، خلقه الله في أفضل وضع وفي أفضل ظرف. خلقه لكي لا يعرف جوعـــاً، لكي لا يعرف تعباً، لكي لا يعرف بشاعة. خلقه في هذه الظروف، ولكن الإنســـان فضل أن يكون هو الذي يختار حياته بين الخير والشر، فضل هذا الاختيار عـــلى أية نعمة أخرى، وفضل أن يعرف الخير وحده وليس بالقدرة الإلهية. يعني أنه عـــزل نفسه عن الله. إذاً بماذا كافأ ربه الذي أعطاه الحياة، أعطاه النور، أعطاه الدنيا بأســـرها لتكون في خدمته. كافأه بأن ابتعد عنه. قال له أفضل أن أعرف بنفسي ما هو الخير، وأن أعرف ما هو الشر، لا أن تقول لي أنت ذلك. انعزل هذا الإنسان عن ربه. لم يكن الإنسان يعرف ما هي النتيجة لذلك، ولكن الله كان يعرف النتيجة، الله يـــرى المستقبل نحن عميان بالنسبة إلى المستقبل. نحن لا نعرف ماذا سيحصل لنا بعد ســـاعة أو يوم أو يومين. من يعرف المستقبل؟ الله وحده يعرف المستقبل. تطلع إلى الأســـرة الأولى آدم وحواء، تطلع إليهما بعين الرأفة حتى وإن كانا مخطئين. ماذا ظن البعض؟ ظن البعض، أيها الأحباء، أو بالحري ماذا يظن أي واحد منا الآن. إنه يظن أن الله سيعاملنا كما نعامله نحن. لا، هذا غير صحيح.

* عيد الميلاد، ١٩٩٨/١٢/٢٥

نقول عادة يتصرف الإنسان مع البشر بأصله هو وليس بحسب أصل الناس الذيـــن يـــتعامل معهم. الله يتصرف معنا كإله وليس حسب ضعفنا البشري وليس حسب خطايانا أو حسب إيماننا ونكراننا للجميل وللنعمة التي يعطينا إياها. الإنسان يخطئ. ما معنى أنه يخطئ؟ معنى ذلك أنه يفعل عكس الذي يريده الله. انظروا إلى ما حولـــنا وانظروا إلى ما فينا، نحن نريد أن يفعل الناس معنا حسناً ولكن أن نفعل نحن القلـــيل القليل مع الناس. نريد أن يساعدنا الناس وقلما نساعدهم نحن. نريد أن يحبنا الـــناس وقـــلما نحن نحبهم. على عكس ما يريده الله الذي أوصانا «كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا بهم أنتم هكذا». هذه هي الإرادة الإلهية لكننا نخالفها دائماً، أيها الأحباء.

كـــم مـــن الناس اليوم يفتشون عن الدواء من أجل صحتهم وهذا حقهم، وهـــنالك الملايـــين في هذه الدنيا لا يصلون إلى حبة دواء يأخذونها لكي يرتاحوا في أمراضهم. نحن اليوم أتمنى أن تتمكنوا جميعاً من الأكل حتى الشبع، ولكن فكروا جيداً أنكـــم عـــندما تشـــبعون أن هنالك الملايين لا يشبعون الخبز. من حقكم أن تهتموا بأطفـــالكم ولكن لا يغب عن ذهنكم أن هناك الملايين من الأطفال ليس عندهم ما يأكلونـــه لا بل يعذبون ويقتلون بالوسائل التي يصممها البشر من أجل ذلك. وهل نحتاج إلى برهان على أن الدنيا ملآى بالخطيئة؟ هل نحتاج إلى برهان، أيها الأحباء؟ افـــتحوا عيونكم تجدوا ذلك في كل يوم في هذه الدنيا، لذلك رأى الله في محبته العليا أن يرسل ابنه الوحيد إلينا. لماذا أرسل ابن الله إلينا؟ اليوم، بولس الرسول قال شيئاً في غايـــة الاختصار: صحيح أن العالم يستعبد باسم الله سيدنا، أنت عبد بالنسبة إليهم. ولكن الله أرسل ابنه الوحيد لكي نحس أن الله يحبنا، حب الأب لابنه، يجب أن ننتبه إلى هـــذه الـــنقطة يحبنا لا حب السيد لعبده أو المخدوم للخادم، الله يحبنا محبة الأب الحقـــيقي لابـــنه. أنتم أبناء الله قال الرسول بولس في هذا الصباح. إذاً أنت مقدس، أنـــتِ مقدسة. الكبير مقدس الصغير مقدس. لذلك لا يحق لك أن تخونه، لا يحق لك

ألا تشـــاطره حياتك، ولا يجوز أن يكون في العالم من لا يعترف بأن ابن الله الوحيد قـــد أتى إليه ليقول لنا إننا كلنا أبناء لأب واحد. لو عرف العالم هذا لما كان الناس يموتـــون جوعاً ونحن نأكل حتى التخمة، وخصوصاً أن البعض يأكلون حتى التخمة أيام صيامهم، وهذا حرام.

علينا ألا ننسى أخانا المحتاج. هنا كنيستكم تفتخر بأن الله يقويها لتقدم شيئاً بســـيطاً من رزقكم ومن تعبكم لأخوة لكم يصعب عليهم أن يعيّدوا عيد الميلاد وأن يطـــبخوا كما تطبخون أنتم في بيوتكم. وهذا الشيء موجود ويحصل للكثيرين من أخوتكـــم. أنـــتم تعطـــون لكنيستكم والكنيسة توصل ذلك إلى أخوتكم. واليوم الكـــثيرون سيدعون لكم بدوام الصحة والعافية لأنهم سيأكلون لقمة طيبة من تعبكم وســـببها محبـــتكم. ابن الله أتى إلى العالم لنكون أخوة لا لكي يكون بيننا من تقتله التخمة فيما غيره يقتله الجوع.

هذا عيد الميلاد، أيها الأحباء، ما أكبر ما يفعله الله معنا وما أصغر ما نقوم به تجاهه، ما أكبره وأصغرنا.

يـــا أحباء، هذا العيد يكون عيدكم إذا جعلتم آخرين يعيدون معكم، وإن شاء الله أنتم تعيدون والآخرون يعيدون معكم بالنعمة، آمين.

الفقر المختار فضيلة*

كل عام وأنتم بخير، أيها الأحباء الحاضرون ههنا والسامعون لهذه الإذاعة.

تعالوا معي لكي نرتفع بقلوبنا إلى الله تعالى، واهب كل رزقٍ، وأن نضرع إليه أن يحفظ لنا رئيس هذه البلاد، الرئيس حافظ الأسد، وأن يقويه خصوصاً في هذه الظروف الدقيقة التي لم يعد يُعرف فيها مَن مِن الاخوة وأبناء الأمة الواحدة هم مع مَن، ومَن منهم لمن. نسأل الله أن يقويه لكي يكون عنصراً يجمع المبعثرين ويجمع المتباعدين ويجمع الذين لا ينظرون إلى البعيد نظرة واعية مدركة لما يُخبأ لهذا البلد ولهذه المنطقة بأسرها من عداء ومن إرادة تفتيت ومن إرادة بعثرة.

يجدر بنا بصورة خاصة في هذه الأيام، أن نذكر الصائمين المتعبدين لله. هؤلاء، نسأل الله أن يجعلهم طائعين له، ونسألهم أن يبقوا دائماً في حالة صلاة وحالة استغفار لأن أخطاء هذا العالم وانحرافاته في النهاية إنما هي أخطاؤنا وانحرافاتنا نحن. بارك الله لهم صيامهم وجعلنا جميعاً في هذه البلاد أن نكون – كما وُرِّثنا – جماعةً تخضع لله وتتبع إرادته السمحة المقدسة، وتحب الذين هو أحبهم، أعني كل إنسان، وألا يكون عندنا من ناحية الصيام والصلاة ومن أية ناحية أخرى، بغض وكراهية لأيٍّ كان من خلائق الله.

وتعالوا، أيها الأحباء، نَجُل قليلاً في موضوع السنة الجديدة والسنة العتيقة. السنة الجديدة يمكن أن تعني، أيها الأحباء، أن تكون السنة التي نحن الآن فيها مختلفة عن السنة الماضية وعن السنين الماضية مثلاً وأن تكون مختلفةً نحو الأفضل. هذا معنى، والمعنى الآخر هو أن تكون السنة الجديدة تعني أن تعود السنة الماضية أو السنة التي قبل الماضية إلينا من جديد. هل يمكن ذلك؟ هل يمكن أن يكون اليوم مثل البارحة وأن

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد رأس السنة، ١٩٩٩/١/١

يكون الغد مثل الماضي؟ نعم! يمكن ذلك. في النص الذي نحن قرأناه « إن روح الرب علي، لذلك مسحني، وأرسلني لأبشر المساكين، أشفي منكسري القلوب، أنادي للمأسورين بالتخلية وللعميان بالبصر ...الخ » معناها، أيها الأحباء، أن هذا النص عندما قيل (وقد قيل منذ ٢٨٠٠ سنة) كان يقصد أنه كان هنالك جماعة تأتي بالروح لتقول إن الروح ذاتها هي روح صالحة تأتي، ولكنها تجد أمامها الفقراء المساكين — في الإنجيل المقدس تعني الفقراء — فمنذ ذلك الزمن وقبل ذلك بكثير كان هنالك فقراء، ومنذ ذلك الزمن كان هنالك جماعات منكسرة القلوب ليس لها تعزية، ومنذ ذلك الزمن كانت هنالك سجون، كانت هنالك فئة من الناس لا تعيش عيش الإنسان الحر. منذ ذلك الزمن كانت الأشياء كما هي اليوم وكما كانت في السنة الماضية، فلا تزال عندنا سجون ولا يزال عندنا فقراء ولا يزال عندنا جماعة متعبون.

هل يمكن أن يكون معنى السنة الجديدة أن غداً سيكون كسابقه أي كالبارحة؟ نعم! يمكن ذلك. إذن ما معنى السنة الجديدة وكيف تكون السنة الجديدة؟ الجديد هو غير العتيق. هل ستكون السنة الجديدة صورة طبق الأصل عن عالمنا العتيق مثلاً؟ قلنا إنه لا يوجد ما يمنع من ذلك لأن عناصر العتاقة كانت موجودةً على الأقل منذ كتب هذا النص أي منذ ٢٨٠٠ سنة. اليوم يوجد فقراء. اليوم، أيها الأحباء، لا تزال الكثرة الساحقة من الناس في هذا العالم وليس الأقلية لا تشبع. اليوم هنالك فقراء، نعم. عندكم أطفال ينظرون إلى ما عند سواهم ويشتهون ما عند سواهم، لكنهم يتحسرون لأن يكون عندهم ذلك. والطفل — كما تعلمون — لا يعرف لماذا فلان عنده هذا الشيء الجميل وأنا ليس عندي ذلك. لماذا؟ ماذا فعلت؟ أي خطأ ارتكبت؟ لماذا أنا لست مساوياً أو معادلاً للطفل الآخر أو للصبي الآخر؟ كثيرون يسيرون على الأقدام ويرون قلةً في سيارات فخمة وليس لهم إلا أن يسكتوا. لماذا يا ترى؟ لماذا لا يكون عند هؤلاء آلية يستخدمونها؟ ولماذا تكون عند سواهم السيارات الفخمة وما إلى ذلك؟ لماذا؟.

الفقـــر عندما تختاره أنت يكون فضيلة، وهنالك أناس يختارونه إذ يضعون لأنفسهم ناموساً في الحياة هو أن يكونوا فقراء. هؤلاء لا يحسون بالفقر بل يشكرون الله عليه، لكن هنالك جماعة يُفرض عليها الفقر بالقهر. هنالك جماعة فقيرة بالقسر. هنالك جماعة فقيرة تعمل كما يعمل غيرها وبالمقدار ذاته، لكن لا يصلها الكثير. هل هنالك اليوم مأسورون ونحن نسمع بالنعم التي تعطى للمأسورين؟ ما عادت السجون المحـــل الـــذي فيه تحجز الحرية فقط بل هناك شيء آخر هو التعذيب، أيها الأحباء. عندكم جماعة من البشر تدرس كيف تعذبك. عندما يعتقد أنك ارتكبت خطيئة ــــ بقطع النظر عن سبب ذلك الارتكاب ــــ تُعَذَّب. أين كرامة الإنسان الذي تتصوره يصـــرخ ويستغيث لأنه يُضرب ويُهان ويُحتقر على يد إنسان ليس أكثر منه إنسانيةً ولـــيس مخلوقاً من إله آخر ولا يتميز عن سواه بأي شيء؟ وكم يحدث في دنيانا هذه أن المُعَـــذِّبَ يصبح يوماً ما مُعَذَّباً، وأن الضارِب يصبح يوماً ما مضروباً؟ فالدنيا يوم لـــك ويوم عليك، وليست لك كل الوقت. أطفال كثيرون: بالمئات، بالملايين تأتي إليهم التكنولوجيا البشرية اليوم لكي تتفنن في تمزيقهم وتفتيتهم وقتلهم. ويتحدثون عن التقدم وما أحلى التقدم! شبهنا التقدم مثلاً بالدواء لا بذبح الناس وقتلهم، والذين ينـــتفعون مـــن الدواء ليسوا أكثر من الخاضعين لسنّة الموت في عصرنا هذا. أية سنة جديدة نريد؟ أية سَنة جديدة نتمنى؟

التجارة خُلقت لخدمة الإنسان، أيها الأحباء، وأعظم تجارة في هذا العصر هي تجارة السلاح. وما هو السلاح الأفضل؟ هو الذي يقتل أكثر. ما هي الخدمة التي تُقَدَّم للناس عندما تقتلهم؟ إنسانٌ يقتل إنساناً، إنسان يُفكر بواسطة العلم وبواسطة أشـــياء كثيرة كيف يمكنه أن يقتل أكبر عدد ممكن من البشر. تصوروا هذه العقلية! تصـــوروا هـــذا الموقف في العالم! تصوروا ذلك لكي تعرفوا، أيها الأحباء، هول أن تكـــون الســـنة الجديدة هي السنة التي انقضت تعود هي هي من جديد، لا سمح الله بذلك.

بماذا نتأمل وماذا نرجو؟ يقول الكتاب المقدس إن الرب يسوع قال: «أُبشّر الفقراء، أشفي منكسري القلوب، أُنادي للمسجونين بالتخلية وللعميان بالبصر لأن روح الرب عليَّ». الذي نفتقده في عالمنا هو روح الرب، هو روح المحبة الحقيقية، روح العطاء، روح التضحية، لا أن تضحي بالناس بل أن تضحي بنفسك من أجل الناس.

هذا الروح، نأمل أن يربَّى. التربية التي في هذا العالم ما هي غايتها؟ ما هو هدفها؟ ولماذا نربى نحن؟ إذا لم نربَّ لكي ينمو فينا روح الرب فلا تتوقعوا أي خير، لأنه إذا دخل روح الرب فينا جميعاً فلا يقوم مَن يملك القنبلة بنسف مَن لا يملكها، ولا يقوم مَن يملك وسائل الإيذاء بإيذاء مَن لا يملكها، ولا يقوم أحد بإيذاء غيره. المهم هو الفاعل وراء القنبلة، وراء التعذيب ووراء السجون. يوجد مَن يَسْجُن، يوجد من يعذّب، يوجد من يفعل ذلك. فكروا بالفاعل. التربية يجب أن تُفتش عن نوعية الإنسان الذي يجب أن يوجد لكي يكون بالفعل معبراً عن صورة الله ومثاله اللذين فيه. إذا لم تشتغل على الإنسان، فكأنك لا تشتغل على شيء، والإنسان يجب أن يتعلم كيف تكون السنة الجديدة مختلفة عن السنين التي توالت والتي انقضت. اذكروا قول بولس الرسول «إن كنت أنطق بألسنة الملائكة والبشر (يعني إن كنت مدركاً) وليس فيَّ المحبة، فأنا نحاس يطن أو صنج يرن (أي أنا معدن من المعادن)، المحبة وحدها لا تسقط أبداً» فليسمع العالم أنه بدون التربية على المحبة سيبقى القاتل والغشاش والكذاب وأمثالهم، لكننا إذا حاربنا، فإننا نتغلب على الكذب وعلى القتل وما إلى ذلك.

عسى أن تكون السنة الجديدة بالفعل جديدة لا أن تكون هي السنة الماضية تعود إلينا من جديد.

رؤساؤكم خدامكم*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

هـــذه فرصة ذهبية كي نقرأ الفصول الأولى على الأقل من كتاب «أعمال الرسل» الذي كتبه لوقا الإنجيلي:

الرســـل كانوا يجتمعون مع بعضهم البعض من أجل أن يتناولوا الطعام معاً. كانوا يجلسون معاً ويأكلون معاً. وأنتم تعرفون أن من عادة الشرقي أن يقول: عندما تأكل مع شخص آخر يصبح بينك وبينه «خبز وملح».

الطعام عندنا في الشرق دليل صداقة: أنت لا تطعم في بيتك مَن ليس صديقاً لك. هكذا كان يفعل الرسل القديسون وكلهم من هذه المنطقة، كلهم شرقيون. إذاً طبـــيعي أن يتـــبعوا هذه العادة التي أصبحت اليوم غير مألوفة كثيراً في معظم أقطار العالم.

صـــار هنالك خلاف في تقديم الطعام: مَن الذي يقدم؟ متى يقدم؟ أي فوج هو الفوج الذي يأكل أولاً ليأتي بعده الفوج الذي لم يأكل بعد؟ صار هنالك خلافٌ في توزيـــع الطعام، فقرر الرسل القديسون أن يرسموا سبعة أشخاص سموهم شمامسة، والشماس تسمية شرقية تعني الخادم.

العمـــل الأول للشمامسة كان أن يخدموا موائد الرسل، موائد الكنيسة، لا موائـــد البـــيوت. الدرجة الأولى أو الرتبة الأولى في الكهنوت هي رتبة الشماس أي الخـــادم. عـــندما تسمعون الدعاء في الصلاة «من أجل الكهنة والشمامسة والرهبان وكل خدام المسيح»، خدام المسيح معناها الشمامسة. هذا هو المقصود بهذا التعبير.

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، رسامة الشماس اليان وهبة (د. نضال)، الأحد ١٩٩٩/١/٢٤

أيهـــا الأحـــباء، الرتـــب الكنسية هي: الشماس وتعني الخادم، والكاهن (الخـــوري) التي تعني«الخادم» بالعبرية، والمطران التي تعني المشرف على الخدام، لأن الخدام يحتاجون إلى رئيس يعرف ماذا يجب أن يفعل كل واحد منهم.

إذاً، الكهنوت في أساسه هو تكليف بخدمة وأنت تُرسَم خادماً. اليوم إليان صار خادماً جديداً لكم في كنيسة الله، أصبح عندكم خادم جديد إضافي. ونحمد الله أن الخـــدام الآن يـــتزايدون في كنيستنا المقدسة بشكل غير مألوف من قبل. هؤلاء تجدونهم بكامل شبابهم، بكامل عزمهم وقوتهم، وبكامل علمهم، يأتون لكي يصيروا خداماً لشعب الله، خداماً لكم في الكنيسة الإلهية المقدسة.

ما القصة؟

القصة هي أننا، أيها الأحباء، ندعو من أجل الشماس إليان، ونطلب من الله أن يقويه في الخدمة، لأنه هو الذي قال: «مَن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن للكل خادماً». هذه الآية معكوسة تماماً في حياتنا: في حياتنا، مَن أرادَ أن يكون أولاً يجعل الـــناس كـــلهم خداماً، أما في الكهنوت، إذا أردت أن تكون أولاً معناها أن تصبح خادماً. الشماس خادم، الكاهن خادم، المطران خادم، البطريرك خادم.

كلنا عمال وخدام لشعبنا، وحياتنا ومعيشتنا مرتبطة بكم، مرتبطة بالشعب. الإنسان يكبر عندنا في الكنيسة بمقدار ما يقدم لا بمقدار ما يأخذ. هذا شيء أساسي جـــداً، لذلك لا ترون الشماس يلبس الذهب أو الألبسة الفاخرة، ولا يعمر الفيلات والقصـــور وكذلك تجدون الكاهن والمطران. في الكنيسة، الذي تقول له سيدنا هو خـــادمك ولســـت أنـــت خادمـــه. في الكنيسة كلما ارتفعت المراتب كلما زادت المسؤوليات في الخدمة. كاهنكم خادمكم، شماسكم خادمكم، لذلك يجب عليكم أن تشـــكروه عـــلى الدوام، لأنكم تشكرون ـــ وهذه هي الأخلاق ـــ مَن يقدم لكم الخدمة من كل قلبه. هذا شيء مهم جداً. الكنيسة مكوّنة ومصاغة بطريقة مختلفة عما

نجد في مجتمعاتنا الإنسانية هنا أو في أي مكان آخر. لذلك الخادم هو المتواضع الذي يقدم لك، لا الذي تقدم له.

اليوم كهنتنا يطوفون عليكم، أيها الأحباء، لكي يكرسوا البيوت بالماء المقدس، ماء الأردن، بمناسبة عمادة المسيح له المجد. لستم ملزمين بأن تعطوهم أي شيء. وإذا أنتم تكرمتم عليهم بشيء فلا حرج عليكم لأنكم تقدمون ما يلهمكم الله أن تقدموه. لستم مطالبين بأي شيء. هكذا، أيها الأحباء، كهنتكم ومطارنتكم وشمامستكم ليسوا «باشوات» عليكم. ليسوا مترفعين عليكم، ليسوا متعالين عليكم. كلا! الذي تقولون له «أبونا» هو أب بالمعنى الحقيقي وليس مسموحاً بأن يكون أحسن من أي واحد منكم. يجب أن نأخذ الصورة الحقيقية عن الكنيسة المقدسة. هذه هي الكنيسة: إنها لا تنتج جماعة إقطاعيين، إنها تنتج عمالاً من أجلكم.

أيها الأحباء، كما قلت، الخدام في الكنيسة يقدمون شبابهم لله ولشعبه. يقدمون لكم العلم الذي يتعلمونه، وكلهم من أكثر المتعلمين بين كل الشبان الذين تعرفونهم. لم يتعلموا ليترفعوا عليكم ولا ليقولوا مثلاً: «أنا أفهم أكثر منك» كلا! كلنا نتعلم كي نضع علمنا في خدمتكم. هذه هي الكنيسة. إنها ليست أكبر من الخادم. ورؤساؤكم هم ـــ بالمعنى الحقيقي ـــ خدامكم. ونحن اليوم نبتهج اليوم في هذه الرسامة لأنكم عرفتم من هو الشماس ومن هو الكاهن والمطران. لا تظنوهم رؤساء كرؤساء هذا العالم. إنهم يختلفون عنهم.

الشماس إليان، نحن نهنئ أهلك قبل كل شيء، ونسأل الله أن يحفظهم. وأن يقويك الله. ويا شعبنا، افرح لأنك لم تكن معتاداً على رؤية شبان من هذا النوع يأتون ويحنون رؤوسهم من أجل خدمتك. اشكروا الله أنه صار عندكم مَن يكبرون بخدمتكم.

الله هو الغافر*

نُهديكم البركة الأبوية مع الأدعية القلبية بحفظكم. ونتوجه إليكم، مع مطلع الصوم الأربعيني المقدس، بهذه الرسالة الرعائية التي نُضمّنها محبتنا وأدعيتنا لتجوزوا هذه الفترة بسلام مع ذواتكم ومع الخليقة كافة، وتتأهلوا لإشراقات أنوار القيامة المجيدة بلا عيب. لقد لفتنا — في المجمع المقدس في دورتيه الأخيرتين — فيما كنا نتدارس حالنا الروحية، أنكم كثيراً ما تهملون سر التوبة إهمالاً شديداً إلى جانب ازدياد وعيكم وعزمكم على أن تحيوا بالمسيح. وهكذا بتنا أمام ثغرة في تكويننا الروحي، وتعاملنا مع سر إلهي عظيم هو سر التوبة المقدس. لذلك رأى آباء المجمع المقدس أن أخاطبكم بهذه الكلمة الأبوية علّنا نداوي هذا الجرح الذي أخذ ينزف في الجسم الكنسي. أجل! عندما كان للمؤمنين الممارسين ألفة مع هذا السر، كان ضعافهم يشكّون في مكانة الكاهن ودوره في الاعتراف، ويتساءلون عن معنى الإقرار بالذنوب أمام بشري مثلهم، ويحتجون أن لله وحده سلطان الحل للخطايا. وكان التطرف يقود بعضاً إلى الإحجام عن المناولة الإلهية إذا لم يسبقها اعتراف صريح بالهفوات التي نصاب بها كل يوم. وصار وضع البطرشيل على الرأس وتلاوة صلاة الحلّ على المؤمن المعْبرَ الوحيد الإلزامي إلى الكأس المقدسة.

لم نكن ندرك أننا نتقبل سر الشكر لمغفرة الخطايا، وأن من تاب صادقاً في أعماق نفسه يمكنه أن يتقبل سر الشركة. وبهذا يبقى في شركة الكنيسة.

لقد أحس شعبنا حقيقة الكلام الإلهي: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم» (يو٦: ٥٣). ولكن تناول المؤمنين معاً لا يبرر إهمالنا لسر التوبة. فالأسرار كلها متكاملة بنياناً واحداً. وعلينا أن ندرس سر التوبة

---

* رسالة رعائية، مطلع الصوم الأربعيني المقدس ١٩٩٩

على حدة، وأن نعرف كنهه ومكانته في مسيرة تحررنا من الخطيئة.

مـــا الأســـاس الكـــتابي الإنجيـــلي لسر التوبة؟ هناك أساس سابق لممارسة الاعـــتراف (القـــانوني) لدى الكاهن وهو المصالحة التي تتم بين الاخوة على أساس المصالحة المتبادلة حسب قول الرب: «إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكمـــا. إن سمع منك فقد ربحت أخاك. وإن لم يسمع فخذ أيضاً واحداً أو اثنين لكـــي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منك فقل للكنيسة، وإن رفض أن يسمع للكنيسة، فعامله كأنه وثني أو جابي ضرائب» (متى١٨: ١٥ـــ ١٧).

هذا تمهيد أساسي للاعتراف القانوني. فإنك إن لم تصالح أخاك فليس عندك توبـــة. فإن لم يقبل منك أخوك عرض المصالحة ، استعن ببقية المؤمنين عليه. فإن لم يسمع من الكنيسة وهي موضع التلاقي المحب، فليكن عندك كوثني وعشار. بمعنى أن من لا يقبل تأديب الكنيسة له يكون قد خرج منها.

فـــإن قبل أخوك المصالحة فإنه يقبل سلام الله عليه. من الغافر إذ ذاك؟ في أعجوبـــة الإنســـان المفلوج يسوع هو القائل للمريض: «أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك» (لو٥: ٢٠). ثم يأتي الكلام: «فابتدأ الكتبة والفريسيون يفكرون في قلوبهم قائلين: من هذا الذي يتكلم بتجاديف. من يقدر أن يغفر إلا الله وحده» (الآية٢١). بعد هذا يؤكد السيد «أن لابن الإنسان سلطاناً أن يغفر الخطايا» (الآية ٢٤). فيقيم المفلـــوج ليؤكد أنه (أي المسيح) هو الذي يغفر الخطايا. ففي إطار الاعتراف القانوني وخـــارج الاعتراف، الله وحده هو الغافر. وهذا ما تؤكده صلاة الحل: «الإله الذي صـــفح لداوود عن جميع خطاياه بواسطة ناثان النبي، ولبطرس لـــمّا ندب جحوده، وللزانية لـــمّا دمعت على قدميه، وللابن الشاطر لـــمّا عرف ذنوبه، هو الذي يصفح لك». الكاهن يعلن هذا الصفح الذي يأتي من فوق ويتم الغفران الإلهي عند ذاك. ولا

يقول الكاهن الأرثوذكسي: «أنا أحلك أو أنا أغفر لك».

والتوبة التي نتحدث عنها ليست مجرد تنكر لبعض الأعمال المشينة بناءً على مقاييس أخلاقية. إنها العودة إلى وجه الله وإلى عبادته بيسوع المسيح. هي رجوعك إلى الرب شخصياً: رجوعك إلى أب حاضنٍ رؤوف بعد أن تكون أنت قد تركته وذهبت وراء آلهة سواه لـمّا تعبدت لشهواتك.

ولكن كما أن المعمودية ليست بالماء فقط ولكنها تتضمن تغيير الذهن بالكلمة والروح، هكذا يأتي الإرشاد بكلمة الله من الأسقف أو الكاهن ليكون الاعتراف كاملاً وسليماً وتكون الكلمة تجديداً للعقل والقلب وحافزاً على عدم السقوط ثانية في جب الهلاك. وإن صلاة الحل إعلان عن إجراء المصالحة مع الرب والجماعة. الكاهن المعرِّف يقول هذا باسم الكنيسة كلها التي جدد المعترف بنوته لله فيها. من بعد اعترافك تذهب لتسلك في جدة الحياة كما وعدت بعد معموديتك. هنا يأتي السؤال: إذا كنتُ أُخطئ دائماً، هل يجب أن أعترف دائماً بعد كل خطيئة؟ الجواب: إن الموضوع ليس موضوعاً حقوقياً شكلياً حتى نسن له قوانين. فالتوبة حالة يعيشها المؤمن من بعد خطاياه. فخطاياك ضد الآخرين تُحلّ بذهابك إليهم وطلب المسامحة منهم، لا بمجرد اعترافك شكلياً أمام الكاهن، فالاعتراف ليس حلاً سحرياً للزلات.

أمام هذا التعليم وفي ضوء التاريخ الكنسي نعترف بالخطايا التي أثقلت ضميرنا، ولا بأس في أن نضيف عليها الإقرار بكل خطأ وقعنا فيه. ولعل الطريق المثلى عند مراجعة ماضينا القريب، أي الواقع بين آخر اعتراف والاعتراف الحاضر، أن نكشف النفس أمام الوصايا العشر لنتذكر أي ذنب اقترفناه أو ربما اتخذنا القاعدة الإنجيلية: «أحبب الرب إلهك ...وأحبب قريبك كنفسك» فنعرف بوضوح ما اقترفناه بالفكر والقول والعمل. ولا نذكر أسماء الآخرين لأن الكاهن لا تهمه معرفة

اسم من أخطأنا إليه أو من أخطأنا معه. المهم هو وضعنا الروحي، وضعنا نحن. وقد يفرض الكاهن علينا تأديباً إصلاحيا مثل صوم إضافي أو ركعات أو أدعية نكررها أو صدقة. هذا ترويض روحي صحي يساعدنا على المواجهة الجدية لكل إغراء جديد.

لقد أردنا، بتذكيركم الأصول والتعليم الذي يقوم عليه سر التوبة، ألا تهملوا هـــذا الســـر الذي يكشف لنا أن الرب طيب وأن حياتنا في الكنيسة هي أن نذوق المســيح وأن نعـــرفه قريباً منا وساكناً فينا فنتجدد بمعرفته «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح» (أفس ٤ : ١٣) حتى إذا جُددنا بهذه المعرفة نلتحق بمسيرة الخلاص التي افتتحها بدمه وأعلنها بقيامته.

هذا وبركة الرب فلتشملكم جميعاً.

✞ ✞ ✞

كلمة الله هي هو*

المسيح قام، حقاً قام

أيها الأحباء، قال يوحنا الإنجيلي قولاً في غاية الأهمية بالنسبة إلينا وإلى كل من يؤمن بالله؛ قال: "الله لم يره أحد قط". لا يمكن أحداً أن يرى الله لذلك يخطئ من يعـــتقد أن الله عبارة عن إنسان كبير له وجه كوجوهنا، لكنه أكبر منها حجماً. نحن نتكـــلم عن يديه وعن عينيه تماماً كما لو كنا نتكلم عن البشر. لكن الله "لم يره أحدٌ قـــط" وهو لا يُشبهنا. أما القول بأننا على صورته ومثاله، فإنه لا يعني أن لله عينين كعيوننا، وأنفاً كأنوفنا. هذا خطأ، فالله لا يُشبهه أحد وليس كمثله شيء في كل ما نعرف ونفقه. فليكن هذا واضحاً لئلا نرتكب الأخطاء الكثيرة إذا ما تصورنا الله على هـــذه الصورة الخاطئة. الله فوق التصور وفوق الخيال، ولا يمكن لأحد أن يُدركه أو يستوعبه.

سمعـــنا أن الله كان في البدء، فماذا يعني هذا القول؟! هذا القول يعني أن الله كـــان قبل أن يكون أي شيء، قبل أن تُخلق السماوات والأرض أو أي شيء آخر. يعـــني أن الله مستقل عن جميع الخلائق التي نعرفها؛ لذلك لا يمكن أن نصف الله. إذا قلنا إنه حسنٌ يكون كلامنا غير صحيح، لأن الله ليس حسناً بل هو الحسن ذاته، هو القدرة ذاتها، هو الحياة، هو كل شيء، هو نبع كل ما في هذا الكون. هو إلهنا وليس كأي منا. له كلمة، لكن ماذا تعني هذه الكلمة؟ الكلمة تعني لنا الحروف التي تصدر عنها الأصوات المختلفة؛ أما كلمة الله، فهي ليست كذلك. كلماتنا نحن تخرج أصواتاً من أفواهنا؛ أما كلمة الله فهي القدرة وهي الحياة؛ إنها كلمة حية، كما يقول الكتاب المقـــدس، إنهـــا في الإلـــه، وهـــي الإله. لذلك نقول إن كلمة الله هي التي بها خلق

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، اثنين الفصح، ١٢/٤/١٩٩٩

الله العـــالم. الله يقول للشيء غير الموجود: كن فيكون. الله ليس مثلنا. نحن يمكن أن نتكـــلم في اتجاه ونعمل في اتجاه آخر. يمكن أن نكذب؛ لكن الله منـــزه. كلمته هي هـــو. وهـــذا أمـــر مهم يُميز القدرة الإلهية عنا. الله لا يخلق إلا لغاية واحدة هي أن يـــتمجد اسمه في خليقته. الله لا يخلق إلا الجيد، ولكن أين نحن من جوده! نحن نتكلم عن الحرية، ونرى أننا أحرار حتى في نكران الله. هذا ليس من عمل الله، وليس نكران الله مـــن الصـــلاح في شـــيء. بمقدورنا أن نخون الله؛ فهو يقول لا تقتل؛ فنقتل، لا تســـرق؛ فنســـرق، لا تـــزنِ؛ فنـــزني، يقول لنا شيئاً فنفعل شيئاً آخر. هذا، أيها الأحباء، ليس القصد وليس الهدف لوجودنا. لقد وُجدنا لكي نعرف أن الله يستحق أن نشكره دائماً على الصحة، على الأبناء، على الأصدقاء، وعلى كل ما هو خير في العالم. لكننا، أيها الأحباء كثيراً ما ننسى أن الله هو الحياة. ماذا يعني أن يكون الشيء حياً؟ الحي هو الكائن الذي يحيا الآن، ويبقى حياً إلى حين، لكنه لا يبقى على حاله إلى الأبـــد. يتصـــور الكثيرون أن الله كان في زمن مضى، ويظن الكثيرون من أبناء كنائســـنا وسائر الأديان أن عليك أن تنظر إلى الماضي إذا شئت أن تتطلع إلى الله... قـــال الله، و"قال" فعل ماضٍ، فكأن الله كان البارحة وليس كائناً اليوم. إذا كان الله حـــياً، وهو حي قطعاً، فهو حي حتى في هذه اللحظة معكم ومع سائر مخلوقاته، وفي بيوتكم، وفي أولادكم، وفي كل ما تعملون.

الديـــن لا يُعـــرّفك بإله عاش في وقت من الأوقات؛ ولا ندري أين أصبح الآن. لـــيس هـــذا الدين ديننا على الإطلاق. الله حي الآن وحاضر الآن، وعلينا أن نكـــون معـــه دائماً، وأن نسبحه دائماً ونشكره على ما أعطانا من نعمه ولا يزال يُعطينا. الله هو أبو النعم وينبوع كل الخيرات. هذا هو إيماننا نعلنه اليوم بمناسبة عيد القيامة.

يقول الكثيرون إن القيامة مستحيلة... إنها مستحيلة عليك، ولكن هل على

الله من مستحيل؟! نحن نؤمن بأننا سنقوم لأن الله قال ذلك في كتابه المقدس. سنقوم حتماً، إنما بقوته هو لا بقوتنا نحن. وإذا لم نؤمن بذلك، فنحن نشكك بالقدرة الإلهية. الله هو العلي القدير، وليس فوق قدرته من قدرة. هو الذي جبلني من التراب، فهل يصعُب عليه أن يسحبني من التراب، ويُقيمني من بين الأموات!.

إننا نُعيّد للقيامة لنقول: إن الله الذي خلق هو الذي يُقيم، وإنه قادر في خليقته كما هو قادر في قيامته. نتكل عليه لا على سواه، وهو إلهنا الذي نذكر اسمه بصورة خاصة في هذه المناسبة.

فلننظر قليلاً إلى واقعنا، أيها الأحباء. في الكتاب المقدس، جعل الله الفردوس ما بين النهرين، أي في العراق، فأين الفردوس من العراق؟. وفي الكتاب المقدس جاء الله بابنه يسوع إلى لبنان، وزار جنوب لبنان، فماذا يحدث في جنوب لبنان؟. بولس الرسول اهتدى هنا، في دمشق، وهنا رأى النور الإلهي، فماذا يفعل الأعداء في قسم من هذا البلد؟ ماذا يفعلون في الجولان؟. كذلك المسيح وُلد في بيت لحم، فماذا يحدث في بيت لحم؟ تمجد المسيح لأول مرة في القدس، ماذا يُصنع في القدس؟. في جنوب الجزيرة العربية ما يُسمى باليمن السعيد، أين هي السعادة في اليمن؟. إذا نظرنا إلى عالمنا، على أساس البشر وحدهم، لا أدري إذا كانت الحياة تستحق أن تُعاش... تعزيتنا أن الله هو رجاؤنا، وهو النافذة الوحيدة التي منها نطلّ على النور الأصيل الذي أراده لنا الله يوم خلقنا. نحن في هذه المنطقة نتعذب وباختصار نحن محتلون. نحن ممتهنون. ونحن في وضع لا نُحسَد عليه. لذلك يجب أن يقوى إيماننا بالله، كما يجب أن نسأله من كل قلوبنا أن يقوي من يحاولون التخفيف من آلامنا ومن التعدي علينا.

ليس من إنسان كاملاً؛ وليس هناك من يملك قدرة غير محدودة؛ لكن علينا أن نسأل الله أن يكثر من الساعين إلى استرجاع الأرض واستعادة الكرامة وإطعام

المحتاجين؛ وأن يقويهم ليصبحوا قادرين على تنفيذ نواياهم الطيبة. نحن نصلي من أجل حكامنا ومن أجل السلام ولا يوجد إنسان لا نصلي من أجله.

إني ــ ونحن في مثل هذا الوضع ــ التفت معكم إلى سيادة الرئيس حافظ الأسد لنسأل الله معاً أن يُعطيه قوةً على قوةٍ لعمل الخير في هذه المنطقة، وفي هذا البلد. نحن نعتبره مكلَّفاً من الله؛ والحكم والسلطة مسؤولية غير سهلة، أيها الأحباء. إننا في هذه المرحلة الدقيقة التي نجتازها نتوقع من رئيسنا أن يُساعد كما يفعل الآن، وكما سيفعل بالتأكيد، على ألا نرى وجهاً ظالماً أو مظلماً في هذه الدنيا. في العراق يُقتل الكبار والصغار؛ وفي لبنان تنزل القنابل باستمرار؛ وفي سوريا ممنوع على الإنسان أن يذهب إلى أرضه؛ وفي فلسطين تقوم القيامة؛ وفي أماكن متعددة كان فيها المسيح وعاش فيها شعب، يحصل ما يحصل. من أجل ذلك، نحن ننظر إلى أن يحصل عندنا شيء جديد حقيقة. هذا هو أملنا وهذا هو رجاؤنا. والجديد في نظرنا هو غير العتيق المجدد، ولا يكون يومك جديداً، إذا كان مجرد امتداد لأمسك. نسأل الله أن يعطي رئيسنا القوة لكي يجعل غدنا غداً جديداً بالفعل. هذا هو أمل الأجيال الجديدة التي لا تعيش في الماضي وفي الذكرى. نسأل الله مجدداً وتكراراً أن يجعله هو الراعي وهو المنطلق الذي لا يحلم إلا بما يحلم به من أعطاهم الله القدرة على أن يحلموا. نسأل الله أن يجعله قادراً على أن نرى اليوم شيئاً جديداً، وأن يجعل هذا البلد على أفضل ما يمكن. الله يحب هذا الشعب، لذلك كان دائماً قريباً منه في هذه المنطقة... هنا رسوله، وهناك رسله، وهناك ابنه الوحيد.

أطلب إليكم أن تذكروا الرئيس حافظ أسد في صلواتكم من أجلكم، لا من أجل غاية أنانية في نفوسكم، وأسأل الله الذي يُقيم الموتى أن يُقيمنا من كل ما يُحيط بنا من الشرور والأعداء والظلم. آمين.

في الامتحان يُكرم المرء أو يُهان*

أذكــــر، أيها الأحباء، أنني عندما كنت في السنة الثالثة والستين من عمري، أتيت للمرة الأولى إلى هذا المكان المبارك حيث وقفت في هذه البقعة المباركة بالذات لأقــدّم لكم آنذاك مطرانكم الجليل الأخ باسيليوس سماحة. كنت أول مَن رافقه إلى هنا.

مــنذ ذلــك الــيوم، بدأ الاهتمام الجدّي بأن يكون لهذه الأبرشية المباركة مطرانها الخاص الذي لا يغيب عنها.

مــنذ ذاك الــيوم، نــرى أن هذه الأبرشية المباركة لم تُعطَ من الكرامة ما تستحق، ونقدّر أن أبناءها كانوا ــ رغماً عن ذلك ــ راسخين بإيمانهم الأرثوذكسي القويم.

إنــنا ــ في هــذه المناسبة ــ نذكر سيادة المطران باسيليوس سماحة بالخير ســائلين الله أن يجــزيه عــلى قدر الخدمات التي قدّمها لهذه الأبرشية، وأن يعطيه شيخوخة صالحة كالآباء القديسين.

ها أنا اليوم، وكما قلت، أقف في المكان ذاته، لأقدم لكم مطرانكم الجديد السيد سابا الذي سيكون منذ الليلة حاضراً ليل نهار معكم، يشارككم في كل شيء. لــن يشبع إن جاع أحد من أبناء رعيته، لكنه سيكون مع الجميع، وللجميع، صغاراً وكباراً.

أيهــا الأحباء: إن مجمعنا الأنطاكي المقدس الذي اختاره، كان قد خطط، ومنذ مدة، لكي يعطي لشعبنا رؤساء كهنة يستحقهم، يكون كل واحد فيهم مثقفاً، لا يقلّ علماً عن غيره من أصحاب الدرجات العلمية.

* السويداء، الكاتدرائية، تنصيب الأسقف سابا، كلمة البطريرك اغناطيوس، الجمعة ١٩٩٩/٦/١٨

رؤساء كهنتنا، ومنهم المطران سابا، جامعيون ومتعلمون تعليماً عالياً مؤهّلون بحيث لا يستطيع أحد أن يقول إنهم يعلّمون ما لا يعرفون.

أيها الأحباء، يحق لكم اليوم أن تفاخروا برؤساء كهنتكم لأنهم على هذا المستوى. الأمر الثاني الذي أود أن أقوله لكم هو أن المجمع الأنطاكي المقدس وضع أمامه غاية وحيدة في انتخابه لرؤساء الكهنة مطارنة الأبرشيات هي قيادة رعاياهم وفق غاية الرب يسوع بقوله: «مَن كان فيكم أولاً، فليكن للكل خادماً» أي أن المطران ليس سيداً على رعيته إلا ليكون خادماً لها.

نحن الآن في المجمع الأنطاكي المقدّس تابعنا الانطلاق في انتخاب رعاة الكرسي من هذه المسلّمة، فكما سبق وانتُخب سابا اسبر، سيُنتخب آخرون لا يعرفون من السيادة المرافقة للأسقفية إلا الخدمة. هذا هو نهج المجمع المقدّس وتوجهه الدائم. فليعلم الجميع أن المطران سابا وغيره هم قبل كل شيء لخدمة رعاياهم، يقدّمون لها فكراً ووجوداً.

لم يبقَ عندنا الآن تلك الفئة من الكهنة أو رؤساء الكهنة البعيدة عن الشعب والمترفعة عنه، لأن كل من رفع نفسه اتضع، وكل من اتضّع ارتفع، ولا شك في أن من يرفع نفسه وضيع.

أيها الأحباء.. أحببت أن أقول لكم ذلك لكي تعلموا أن مطرانكم الجليل السيد سابا اسبر هو من هذا النوع، هو الخادم الأمين لكم... المطران مطرانكم والكاهن كاهنكم. الكنيسة ليست لأحد بل لكم، وأنت تعرفونها؛ إنها ليست لسواكم وهي لا تُستبدل مهما كانت الأوضاع؛ فإيمانكم لا بديل عنه، وكنيستكم لا بديل عنها، وهي ليست حزباً ولا قبيلة أو فئة من الناس. إنها مترفعة عن كل الناس. هي العائلة وأنتم أخوة فيها. آباؤها هم آباؤكم، لا بالنسب بل بالروح، فإذا هم فقدوا كل شيء على الأرض، فلن يفقدوكم ولن يفقدوا الكنيسة، وهذا ما يجب

أن يُدركه كل واحد منكم ومن سواكم.

الكنيســـة ليســـت كنيسة المطران وحده أو كنيسة الكاهن وحده، بل هي كنيســـتكم أنـــتم. لذا كما اختير مطرانكم بنعمة وإلهام الروح القدس، فإن الروح القدس لن يترك هذه الأبرشية لتبقى بنصف مطران أو بنصف اكليروس مثلاً.

رأى مجمعكم الأنطاكي المقدّس (ورؤياه حقٌّ) بأن المسيحية في هذه الأبرشية المحفوظـــة من الله، والتي منها مرّت المسيحية إلى كلّ سورية وإلى كلّ لبنان وغيرهما، يجـــب ألاّ تكـــون مجـــرد عابرة سبيل، وأن ترابها المقدّس الذي وطئته أقدام الرسل والقديسين الأطهار، والذي ربما كان قد قدّسه الرب يسوع ذاته، يجب أن يبقى منبعاً للقداسة. إن مجمعكم المقدّس الذي ارتأى ذلك لا يرغب أن تكون أبرشيتكم ثانوية، بل رئيسة في كل شيء.

أخاطـــب الأخوة في الكنائس الشقيقة الأخرى الموجودين هنا معنا في هذه الكنيسة المقدسة، وأقول لهم: يجب أن نتعلّم بأن الأرثوذكسيين ليسوا حديثي العهد في هـــذه الأرض المباركة، وإذا كانوا، حتى الآن، قد تمسكوا بإيمانهم القويم رغماً عن كـــل الصعاب والقهر، فحرامٌ أن يحاولنّ أيٌّ كان أن يبعدهم عن هذا الإيمان، وعن الأســـرة الإيمانـــية التي وُلدوا وترعرعوا فيها، وما زالوا حتى الآن. نحن أخوة إذاً فلا يحاولنّ أحدٌ أن يحلّ محلّ ربّ البيت أو أخيه؛ وإن هو حاول، فأية أخوة حقيقية هي الـــتي يُـــنادي بهـــا؟!. كفانا! لقد شبعنا انقسامات باسم الإنجيل أو بسبب الإنجيل والتبشير فيه. افحصوا هؤلاء المؤمنين، فمن ثمارهم تعرفونهم.

اتُخذ الإنجيل واسطة للتفريق وأداة للانقسامات، فالإنجيل يسمّي من سعى للـــتفريق وقـــام به شيطاناً. إذ أن كل من يفرّق المؤمنين بالرب يسوع يعمل عمل الشيطان، والذي يظن أنه يعرف الإنجيل أكثر مما نعرف، مخطئ في ظنه ولا شك.

هـــذا المطـــران سابا قلائل جداً الذين يستطيعون أن يزاودوا عليه في معرفة

الإنجيل لأنه عرف الإنجيل حقيقة من دون وظيفة، ومن دون معاش أو أجر.

لإخوتنا من غير المسيحيين نقول: إننا لسنا جدداً في جواركم، فنحن ننتمي إلى العائلة التي تنتمون إليها وتعيشون فيها. لسنا غرباء عنكم؛ ولا أنتم غرباء عنّا. نحن نعتقد بأن الله الذي خلقنا هو نفسه الذي خلقكم، كما أننا لسنا معاً منذ وقت قصير: نحن متجذرون في هذه الأرض العربية، وهي تشهد على تجذرنا بإيماننا الذي نعتز به.. ادرسونا، امتحنونا وعندكم الوقت الكافي لكي تمتحنونا، فالمرء يعرف بالامتحان، ونحن بلا شك من المتفوقين فيه على الدوام. الشجرة تُعرف من ثمارها «من ثمارهم تعرفونهم» كما قال الرب يسوع.

نحن لسنا عدوانيين ولا ندين الناس على معتقداتهم، إننا ندين أنفسنا قبل أن ندين غيرنا.

هؤلاء الأشخاص الواقفون هنا اليوم، تعرّضوا لإغراءات كثيرة ليتركوا كنيستهم، لكنهم ثبتوا لأنهم أصيلون في إيمانهم المستقيم الرأي.

أقول لكم، أيها الأحباء الذين ثبتم في إيمانكم بالرغم من كل الضغوط والإغراء والإكراه، أقول لكم: إن الرب يسوع الذي خلّصنا، هو لكل واحد منكم، هو معكم في كل شيء، في أسراركم الإلهية الطاهرة التي رسمها، وفي الصلوات، في كل شيء في كنيستكم وفي حياتكم. تمسّكوا به وبكنيسته التي اقتناها بدمه الكريم. هكذا كونوا، هكذا نتوقع منكم أيها الشعب المحبوب بالله.

(وهنا خلع غبطته بردته الملوكية (المنتية) وألبسها المطران سابا وسلمه عكازه الرعائي)

هذه العصا، للراعي ليرعى خرافه، وهو ــ كما يقول الكتاب ــ ليستعمله في حالتين اثنتين: في الحالة الأولى: ليسير أمام رعيته أي أسرته الروحية ويرشدها ويدبّر أمورها. والحالة الثانية ليوبّخ إذا تطلّب الأمر أن يوبخ. قال الكتاب: وبخ حكيماً لكي يحبّك، إن أردت الإصلاح فوبخ. فإن سمعتم المطران يوبّخكم فإنما يكون ذلك لمصلحتكم لكي تستبينوا الطريق الصالحة.

المسيح يمحو آثامنا*

أتينا إلى هنا كي نشارككم الاحتفال بعيد القديسين العظيمين بطرس وبولس، وأتى معنا قداسة البطريرك المسكوني برثلماوس من أجل أن يشارككم هذا العيد ويهنئكم به. إن احتفالنا اليوم مهم للغاية من الناحية العالمية: فالناس في جميع أنحاء العالم يتوقعون أن يسمعونا بمناسبة هذا الحدث العظيم. لذا، سوف نُصدِر ــ صاحب القداسة وأنا ــ بياناً مشتركاً موجهاً إلى العالم أجمع في هذه المناسبة الفذّة التي جرت وقائعها في أنطاكية الشريفة. انتبهوا جيداً لمحتوى هذا البيان كي تسمعوا ما سيعرف العالم بعد أن تكونوا قد عرفتموه أنتم. البارحة قال لنا المسؤولون هنا: من المؤسف ألا يكون هنا مَن يعرف شيئاً عن أنطاكية، فقلنا لهم: لقد كُتبت عن انطاكية مجلدات لا تعد في كل اللغات يكفي أن تتم قراءتها. هنا، في أنطاكية أطلقت على أتباع المسيح تسمية «مسيحيين» للمرة الأولى.

والذين تكلموا عن أنطاكية يعلمون أن بطرس الرسول من انطاكية انطلق إلى رومية. هنا في انطاكية كانت محطته الأولى، ولو لم ينطلق من هنا لما وصل إلى رومية. كذلك بولس الرسول انطلق من هنا، وهنا في أنطاكية اختلف بطرس وبولس. على ماذا اختلفا؟ اختلفا على أن عليهما أن يخاطبا أناساً ليس فيهم مسيحي واحد، فكيف يبشران الناس ليصبحوا مسيحيين؟ كيف يمكن للناس أن يعرفوا شيئاً عن المسيحية إذا لم يعلّمهم أحد؟ قال بطرس: إذا كان الشخص المقصود قد سمع عن الأمور الواردة في العهد القديم من أبيه وجدّه، أي كان من اليهود، فهو يتعلم من آبائه. ورد بولس الرسول قائلاً: إذا كنا نعتقد أن المشكلة الكبرى في هذه الحياة الدنيا هي الخطيئة التي تولد مع الإنسان، أي أن الإنسان يخطئ، فهو ليس إلهاً على

---

*كاتدرائية القديسين بطرس وبولس، أنطاكية، الثلاثاء ١٩٩٩/٦/٢٩

الأرض. الكبير يغلط، والصغير يغلط، ومَن يعمل في السياسة يغلط. فنحن نعتقد أن الإنسان إذا تعمّد بالماء والروح — لا بالماء وحده، ولا بالروح وحده — تزول الخطيئة الأصلية، ولا يبقى من الخطايا سوى ما يقترفه الإنسان من جديد. هنا، في أنطاكية، قال بولس الرسول: يا جماعة، إذا كان الإنسان سيبقى في الخطيئة، لماذا أتى المسيح؟ إذا كان الإنسان يريد أن يراجع غير المسيح وأن يعبد غير المسيح، فلماذا أتى المسيح؟ جاء المسيح وقال: «أنا هو الطريق والحق والحياة!» وهذا يعني: أنا الطبيب، ولا يوجد طبيب سواي، ومَن يأتي إليّ فأهلاً به، وله الحياة الأبدية!

هذا الكلام قيل هنا في أنطاكية، ومنها انتقل إلى القدس، إلى مجمع الرسل الأول الذي تميز بأهميته البالغة. على الأنطاكيين أن يعلموا بأنهم إذا لم يتكلموا عن إيمانهم هذا، فلن يتكلم عنه أحد! عليكم أن تقرأوا وأن تتكلموا، ومن شاء أن يسمع أو لا يسمع، فهذا شأنه هو. نحن لا نجبر أحداً على شيء إطلاقاً. المسيح لم يأتِ حاملاً السيف، بل أتى محنيّ الظهر يحمل الصليب. كُتب في جميع لغات العالم عن مدينتكم هذه وعما حدث فيها. فعليكم أن تقرأوا! من لم يقرأ في الإنجيل وفي أعمال الرسل عما جرى في أنطاكية، تكن هويته الروحية غير أنطاكية. ربما يأتي إليكم من بعيد العديدون ممن يعرفون الكثير عن مطاعم انطاكية وعن فنادقها، ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن الإيمان الأنطاكي الذي انتشر من هنا إلى كل العالم. يا أحباء، عليكم أن تعلموا أنكم لستم نكرات، فعندما يتكلم الآخرون في وسائل الإعلام عن أمور يتاجرون بها، أنتم والإنجيل تقفون غير هذا الموقف فتتكلمون عن الحقيقة! نحن اليوم في هذا العيد، نقصد أن نجنّد أنفسنا من أجل الحقيقة. من الذي سيقوم بتعليم أولادنا؟ نحن لا نؤمن بالسحر ومستحيل عليك أن تعرف شيئاً لم تتعلمه. أتمنى أن يبعث هذا العيد القوة في نفوسنا وقلوبنا كي نعرف إنجيلنا وكنيستنا ونخاطب الذين يريدون أن يسمعوا. أعود فأقول: نحن لسنا كسوانا ممن يقولون للناس: إما أن تقولوا

مثـــلما نقول أو تموتون. نحن نقول للآخرين: استمعوا إلينا مرة ومرتين، وافعلوا بعد ذلك ما يلهمكم الله. نحن لا نفرض ديانتنا على أحد.

نكرر شكرنا الجزيل لكم ولصاحب القداسة البطريرك المسكوني الذي يعيّد أيضاً لهذا العيد. إنه لم يأت كضيف من بعيد بل أتى من قلب الكنيسة كما نأتي نحن من قلب الكنيسة. هم أيضاً، في اسطنبول وفي غيرها، ما كانوا ليصبحوا مسيحيين لو لم يذهب من أنطاكية أناسٌ يحملون إليهم البشارة.

وكل عيد وأنتم بألف خير.

✝ ✝ ✝

الشعب يحب الأب الحار*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

أيهـــا الأحـــباء، من أعظم أيام الكنيسة المقدسة اليوم الذي تتم فيه رسامة بصـــورة عامـــة، ورسامة المطران بصورة خاصة. لماذا؟ لأنه بدون الشماس وبدون الكـــاهن وبدون المطران ليس من كنيسة أرثوذكسية. إذا لم يكن هؤلاء موجودين، معـــنى ذلك أن كل ما تشاؤون موجود ما عدا الكنيسة الأرثوذكسية. ولماذا نحتفل بالمطران بصفة خاصة؟ ــ لأنه بدون المطران ليس من كاهن ولا شماس وليس بالتالي مـــن اكليريكيين. من هنا كان للمطران موقعه الخاص في الكنيسة. وقد سبق لأبينا الـــروحي القديس أغناطيوس الأنطاكي أن قال: «حيث يوجد المطران، هناك توجد الكنيســـة». بإمكان المطران أن يرسم الكاهن والشماس اللذين لا يملكان أن يرسما نفســـيهما. فما معنى أن يُرسَم الشخص؟ كلنا نُرسم إلى درجة معينة عندما نُعمَّد. مـــاذا نقول في المعمودية؟ نقول إننا خلعنا الإنسان العتيق، إنسان اللحم والدم فقط ولبســـنا المسيح. الذي يلبس المسيح يصبح كاهناً للمسيح. كلنا إذاً كهنة للمسيح. كلكـــم كهنة للمسيح بمعنى عام للكلمة. لكن هنالك نعمة إلهية تختار البعض منكم ليصـــبحوا كهنة من أجل الخدمة، والكاهن معمد ككل الناس لكنه مرسوم، لذلك ليس كل من عُمد كاهناً.

الشـــماس والكاهن والمطران ليسوا موظفين، أيها الأحباء. أفيدوني ما هي رواتبهم، وأعلموني متى قيل لأي منهم أنه سيكون مرتاحاً وسيقدَّم له كل ما يحتاجه. تلـــك لغة لا تعرفها الكنيسة مطلقاً. في الكنيسة يكلف المطران بولس بالذهاب إلى

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، رسامة الأرشمندريت بولس صليبا مطراناً على استراليا، الأحد ١٠/١٠/١٩٩٩

أوستراليا فيذهب دون أن يعرف ماذا سيلاقي هناك. إنه يعرف شيئاً واحداً هو أن الروح القدس اختاره لأن يذهب إلى أوستراليا حيث قد يجد مَن يحبونه ومَن لا يحبونه، من يساعدونه ومَن لا يساعدونه. ما هي في هذه الحالة الضمانة التي يتمتع بها المرسوم؟ أنتم ضمانة المرسوم، أيها الأحباء، لأنه من أجلكم يأتي ليسلّم إليكم نفسه وراحته وعلمه وصحته، وأنتم وحدكم الذين تخدمونه بدون قيد أو شرط.

إننا في الرسامة نقرأ من الإنجيل المقدس مقطعاً من أعمال الرسل خاصاً بيوم العنصرة. فماذا حصل في ذلك اليوم؟ في يوم العنصرة، تم اجتماع حل فيه الروح القدس على الحاضرين الذين كان لكل منهم أصل، ولكل منهم لغة، ولكل منهم طبع. نتلو ذلك اليوم على المطران ليعرف أنه يتوجه إلى جماعة يختلف فيها الواحد عن الآخر، لا إلى جماعة من فكر واحد ومزاج وقدرة واحدة، حتى إذا كلم أحدهم يفهمه الجميع، ليعرف كيف يواجه كلا بمفرده.

المطران ليس السيد. في الحقيقة ليس المطران «سيدنا» لكنه المشرف والناظر الساهر علينا. فهل هي سهلةٌ هذه المهمة؟ كل أب مسؤول عن ثلاثة أو أربعة أولاد يعرف أنه ليس من السهل أن يشرف عليهم ويخاطب كلاً منهم باللغة التي يفهمها، لكنه ليس بمقدور الإنسان أن يكون أباً حقيقياً أو أماً حقيقية إذا لم يكن بمقدوره أن يتعامل مع أولاده بحيث يرضى الجميع ويسبحون الله.

يا سيدنا بولس،

اليوم حل عليك الروح القدس وكلّفك بمهمتك الجديدة. فحذارِ من أن تكون بارداً مع شعبك. الشعب يحب الأب الحار والأم الحارة والكنيسة لا تحب الباردين، إذا أنت لم تستوحِ الروح القدس الذي حل عليك وتطلبه وتخضع له، لن يفهمك أحد. خاطِبْ الناس لا كمجرد إنسان بل كإنسان مرسوم حل عليه الروح القدس. بارك الله لك رسالتك وقواك على حملها.

وأنتم، أيها الأحباء، رُسم لكم اليوم خادمٌ جديد صار يخصكم أكثر من ذي قبل. كان لكم صديقاً حبيباً محباً وأصبح لكم خادماً. قواك الله يا سيدنا بولس.

تسلَّم هذه العصا التي لن تستعملها إلا حيث يجب بحيث يحبك الجميع، والبس هذا التاج إشارةً إلى أنك مستحق.

✝ ✝ ✝

لسنا عبدة أيقونات*

رئاسة الكهنوت، أيها الأحباء، هي رئاسة الكهنوت التي ليس فوقها من رئاسة إلا رئاسة الكاهن العظيم، كما سماه بولس الرسول، الرب يسوع المسيح الذي هو رب الكنيسة.

اليوم، في هذه الرسامة، سمعنا أشياء لا نسمعها عادة عندما نصلي. ذكرنا إيمان الشخص وقلنا : حتى يرسم شخص في الكنيسة، شرط أساسي أن يكون إيمان هذا الشخص صحيحاً معلناً أمام الجميع. وكما رأيتم كيف يقف من يُرسَم وسط الكنيسة ويُطلب إليه أن يعلن عن إيمانه، حتى لا يكون عنده ما يخفيه في داخله. ولماذا؟ لأنه مطلوب من المطران بوصفه رئيس كهنة أن يعلم الإيمان، وأنى له أن يعلم ما لا يعرفه هو! شرط أساسي في من يرسم مطراناً أن يعرف بماذا يؤمن.

ماذا قال سيدنا لوقا في الإيمان؟ قال:

أولاً: أؤمن بإله واحد. نحن، في الكنيسة، أيها الأحباء، نؤمن بإله واحد ولا نؤمن بإلهين، ولا بأن الله ثالث ثلاثة كما يظن الذين لا يسألوننا عما نؤمن. نحن نؤمن بإله واحد، واحد في الجوهر، وواحد في الألوهية، وليس عندنا إله سواه. نحن نؤمن بأن الثالوث الأقدس هو واحد: جوهر واحد وألوهة واحدة. لا يوجد نوعان من الألوهة ولا ثلاثة أنواع. الألوهة واحدة. لا يجوز لنا أن نفصل الأقنوم الواحد عن الآخر، لأننا، عندما نفصل الآب عن الابن، فإنهما يصبحان اثنين عددياً، وإيماننا ليس هكذا. لا يمكنك في إيماننا أن تقول إن الآب والابن والروح القدس ليسوا واحداً، وعليك أن تعترف بأن الثالوث الأقدس يتميز بالخصوصيات. الأب يلد، الابن يولد، الروح

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، رسامة الأرشمندريت لوقا الخوري أسقفاً، الجمعة ١٥/١٠/١٩٩٩

القـــدس ينبثق. بهذه يتميز الواحد عن الآخر، لا بالألوهة ولا بالجوهر ولا بأي شيء آخـــر. وكل من لا يقرأ الثلاثة واحداً يسيء قراءة عقيدتنا. هذا ما قاله اليوم المطران الجديد لوقا.

ثم قال: نحن مسيحيون، ومعنى ذلك أننا ننتمي إلى المسيح، ابن الله الوحيد حســب إيماننا. فهو الذي نُظر، نظره الناس، لمسوه، أكلوا معه. ولذلك مسموح لنا أن نصـــنع له أيقونة. الله الآب ليس له أيقونة لأنه «لم يره أحد قط»، ولو لم يكن المســيح قــد تجسد، لما كنا صنعنا له أيقونات، ولما كنا نتقبل بأن تكون له أيقونة. المسيح اثنان في واحد، فهو إله بالمعنى الكامل وإنسان بالمعنى الكامل، ولو لم يكن إلهاً كاملاً لما ذكرناه مع الله الذي لا نذكر معه نبياً ولا معلماً ولا قديساً. نحن في إيماننا لا نذكـــر أحداً مع الله. الكنيسة تؤمن بأن المسيح إله تام وإنسان تام، وإيمانها هذا لا يقـــبل أي جدل. هذا هو إيماننا، وعلى هذا الإيمان يُرسَم كل رئيس كهنة ليعلم هذا التعليم ولا يعلم سواه.

ثم ذكـــر الأيقونات. فلماذا ذكرها؟ ذكرها لأنه من أجلها قام في وقت من الأوقات صراع قد تكون آثاره موجودة حتى اليوم عند البعض. ما هي الأيقونات في الكنيسة؟ إنها أيقونات تمثل الرب يسوع الذي رآه الناس ولمسوه وأكلوا معه، والذي صـــلب وقبر وقام. وتمثل السيدة العذراء وغيرها من القديسين. السيدة العذراء امرأة ككل النساء لا تختلف عنهن في شيء إلا في كيفية حبلها. إنها ولدت كما تولد كل امـــرأة وعاشت كما تعيش كل امرأة بالنقاوة والطهارة، ولم تختلف عن سائر النساء إلا حين حبلت بالرب يسوع. قبل ذلك، لم تكن تعرف أنها طاهرة. فعندما قال لها المـــلاك: أبشـــركِ بـــأنك ستحبلين، أجابته مذعورة: وكيف يكون ذلك؟ هذا غير معقول. لقد فهمت أنه يظن أنها كانت على علاقة برجل. ولكن الملاك قال: الروح القدس يحل عليك.

الأيقونات تصور بشراً بينهم واحد فقط لم يكن مجرد إنسان هو ربنا يسوع المسـيح. يقول الكتاب للمطران، عندما تعلم الناس ما هي الأيقونة، عليك أن تقول لهم إننا لا نعبد الأيقونة، فهذا أمر مهم جداً جداً. نحن نكرم من صُوِّر على الأيقونة. ونحـن عندما نرسم إشارة الصليب أمام أيقونة السيد، فإننا لا نرسمها للخشب ولا للصـورة، إنمـا نصـلّب لمن هو فوق الخشب وفوق الصورة وفوق كل ما يُلمَس ويُحَـسّ. نحـن لسنا عبدة أيقونات، ولذلك لا يهمنا أن نرى في الكنيسة الواحدة عشرين أيقونة للمخلص لا تشبه أي منها أختها. هذا يعني أنه لا يهمنا ما تراه العين، بـل يهمـنا ما في القلب وما في العقيدة. هذا صحيح عن جميع القديسين كما هو صـحيح عن السيدة العذراء. نحن نقبِّل الأيقونة كما يقبل كل منا الورقة التي تحمل صـورة عزيـز عليه. لسنا بحاجة لتقبيل الورقة، ولكن، بتقبيل الورقة يذهب فكري وقلبي إلى ما بعد الورقة، فأتذكر ذلك الذي أحبه قلبي وكانت لي معه ذكريات.

أيها الأحباء،

قـال سيدنا لوقا كذلك إنه يحافظ على المجامع المسكونية التي انعقدت بدءاً من القرن الرابع. ولماذا ترانا نقول مثل هذا القول؟ ماذا يهمنا مما مضى ومن المجامع؟ يهمـنا، أيهـا الأحباء، أن نقول إن لنا جذوراً أصيلة. نحن جماعة لم نرتجل الكنيسة ارتجـالاً كمـا يفعل زيد أو عمرو من الناس حين يقول: تعالوا ننشئ كنيسةً وكأنه يدعو إلى إنشاء جمعية. نحن نؤمن بأن الكنيسة الواحدة بالمسيح بدأت، وبالمسيح هي مستمرة تتغذى وتحيا كل يوم، وبأن الكنيسة لم تكن غير حية في وقت من الأوقات لتصـبح الآن مجـرد تكرار. الكنيسة ليست هكذا. الذي غذاها في البداية لا يزال يغذيها. لذلك نعتقد الآن أن الروح القدس الذي حل على الرسل هو ذاته اليوم حل عـلى «أبونـا» لوقا وجعله رئيس كهنة، إنه ذاته وليس مختلفاً عنه وليس أقل منه. معموديتكم مثل المعمودية التي كانت بالروح القدس في بداية الكنيسة. ليست أقل. أنتم معمدون بالروح القدس. آه ليتنا بالفعل نتذكر هذا الأمر! على المطران أن يذكر

الذين لا يتذكرون ما هو إيماننا، عليه أن يعلم. نحن، عندما نذكر المطران في الصلاة نقـــول إن علـــيه أن يعلم لا بقراءة ما جاء في الكتاب المقدس فحسب، بل بالقدوة الصـــالحة وهـــي محدودة عندنا. كلنا خطأة تنقصنا رحمة الله والقدرة على أن نكون قـــدوة صالحة. نسأل الله أن يزود المطران بقوة من عنده يستطيع بموجبها أن يكون قدوة صالحة، والقدوة الصالحة لا تأتينا من بطون أمهاتنا بل تأتينا من الروح القدس ومـــنه وحـــده. مطلوب من الجميع أن يقولوا اليوم في قلوبهم: اللهم قوِّ سيدنا لوقا ليكون كما هو مطلوب منه.

مـــبروك يا سيدنا لوقا، أهنئ الأهل والجميع وأشكر بصورة خاصة سيدنا الـــبطريرك زكا أخانا في الإيمان وفي الكنيسة وعلى المستوى البشري. إنه أخ بالمعنى الحقيقي للكلمة. أشكر الجميع، وأنا متأكد من أن سيدنا مكسيموس ما كان ليقصر عـــن الحضور لو أمكنه ذلك، وهو أخ محبوب ومحترم نقدره. الشكر للجميع الذين نطلب على الدوام صلواتهم ومحبتهم. بارك الله فيكم وحفظكم آمين.

هـــذه العصا تُسلم إليك يا سيدنا لوقا لأمرين: أولاً لتشعر دائماً أنك راعٍ مســـؤول عن كل فرد وكل فئة، وثانياً لتكون محباً فتوبخ المخطئ بمحبة، لأن الذي يحـــبك يسمع إليك والذي لا يحبك يظن أنك تهينه. كلا! الشرط الأساسي هو أن تكون محباً وأن تكون مهيأً لتؤدب وتوبخ من يجب توبيخه. بارك الله فيك.

✞ ✞ ✞

نحن عشاق كرامة*

أيهـــا الأحباء، الفعل سبق الكلام، الترحيب قد حصل، ونحن لا نتكلم إلا لنشكر الجميع على ما فعلوه. أشكر الشعب الحمصي على ما فعل، أشكر الذين أتوا من جوار حمص، أشكر الذين رافقوا المطران جورج من دمشق ومن أماكن أخرى. هؤلاء، أشكرهم جميعاً، لأنه لهم تم الفرح الذي حصل لهذه الأبرشية بحضور مطرانها الجليل المتروبوليت جاورجيوس (أبو زخم).

سيدنا جورج، أنا لا أحتاج لمن يعرفني مَن أنت. قد لا يعرف الكثيرون أنني عرفـــتك صـــغيراً لتبدأ بيننا بعد ذلك رفقة الطريق بينما كنت تتقدم بالنعمة والحق. المطران جورج ليس حديث العهد بالخدمة الكهنوتية وليس جاهلاً. إنه يعرف لا بل هو معلم.

المطران جورج معروف بأخلاقه العالية، معروف عنه بأنه يتعامل مع الناس تعاملاً إنسانياً لا يخلو من الحزم عندما تدعو الحاجة. المطران جورج من عائلة كلها تحـــب كنيســـتها، وكـــلها تعرف أن الإنسان يكبر فعلاً بالفضيلة، فلا يستكبر بل يتواضع. أنا أعرف أنها عائلة اعتادت على أن تكون على استقامة عظيمة من ناحية، وعلى تواضع يشهد له كل مَن يعرفها من ناحيةٍ ثانية.

المطران جورج ليس ابن البارحة و لم يأتِ عن طريق الصدفة. المطران جورج أراده الرب، أراده الروح القدس لحمص لأنها متميزة في الكرسي الانطاكي المقدس.

حمـــص ليست صغرى بين المدن، كانت عاصمة في سورية قبل أن تكون

---

* كاتدرائـــية الأربعيـــن شهيد، حمص، تنصيب الأسقف جورج (أبو زخم) مطراناً، الخميس ٢١/١٠/ ١٩٩٩

دمشق أو غير دمشق. من حمص كان كبار القوم يتخرجون، حتى أنها خرجت إمبراطوراً. حمص كبيرة وأكبر من غيرها كنسياً، لأنها كانت دائماً من أهم الأبرشيات وأغزرها وقد أثرت التاريخ بإعطائها رجالاً أفذاذاً.

حمص ليست ثانوية بالنسبة إلى الكرسي، لذا وجب أن يكون لها رئيس كهنة فذ.

هؤلاء الناس الذين أتوا من هنا وهناك، عرفوه وعاشروه، ومارسوا الحياة معه، إن كان في دمشق أو في البلمند أو في الأماكن الأخرى التي كان يزورها. المطران جورج، أنا أهنئه على أن الناس يعرفونه محبوباً ومحبوباً جداً وأهنئه لأنه يعرف أن يحب. هذا الإنسان ليس جلاداً. إنه إنسان يعرف أن يحب، أن يسامح، وأن يغفر، وأن يصلي مع الناس، أن يكون معهم، أن يضحك معهم وأن يبكي معهم، عندما يجب البكاء.

المطران جورج، نشكر الله أنك هنا، فهذا المنصب الذي تتولاه سبقك إليه أسلاف عظام. وأنت في رعية مباركة نعتز عندما يُذكر اسمها. نحن نعتز أيها الأحباء، بأبرشيتكم «حمص وتوابعها». لذلك أطلب من المطران جورج أن يكون كما هو بصورة طبيعية مع كل أبنائه في هذه الأبرشية. أطلب إليه أن يكون صلة وصل مع الكنائس الأخرى. نحن لا نعتقد أن الإيمان المسيحي يعزل أحداً عن أحد. نحن نعتقد أن الإيمان المسيحي يدعو الذي تعرفه إلى الذي لا تعرفه، ويدعو القريب إلى الغريب. الإيمان المسيحي الأرثوذكسي ليس إيماناً من أجل الانعزال والقوقعة وتنمية الكراهية بين الناس، ولكن من أجل أن يكون الإنسان محباً للناس أياً كانوا ودون قيد أو شرط. المحبة لا تعرف الشروط. نحن نعتز بهذا الوطن، نحن منه وإليه، لسنا مستوردين ونحن أصيلون هنا، وعزيزة علينا حبات ترابه، ولنا فيه تاريخ طويل، وسنبقى هنا طالما سمح الله لنا أن نبقى. اسمحوا لي أيضاً أن أقول إن مَن يحافظ على هذا البلد عزيز

علينا دون أن نعرف اسمه، دون أن نعرف مَن هو. لا يزاودن أحد علينا في محبته.

رعية حمص معروفة. إنها تحب أرضها، وتحب هذا البلد، ونحن لا نملك إلا أن نحافظ عليها، وليُسمح لي إذن أن أذكر الذي يحافظ عليها، أعني به رئيس البلاد «حافظ الأسد». نحن هنا مع كل مَن يضع يده بالأيدي السليمة ليحافظ على سورية وكرامتها. نحن عشاق كرامة، الكرامة لكل إنسان بقطع النظر عن أي اعتبار آخر.

وكما أن المحبة لا شروط لها؛ كذلك الكرامة تضفى على الناس بدون أي شرط.

سيدنا جورج، الذي لا يعرفك، سيعرفك كما عرفتك أنا، كما عرفك أخوتك الحاضرون هنا، وأنا أشكرهم جداً لحضورهم، إن كانوا من جماعتنا أو من الطوائف الشقيقة الأخرى. أشكرهم جداً جداً، لأنهم شاركونا هذا الفرح الذي قليلاً ما يحصل وقليلاً ما يكون في موقعه الحقيقي. أنا أتمنى عليك كلما نظرت إلى شعبك أن ترى فيه الكنيسة جمعاء؛ كما أتمنى عليكم، أيها الأحباء، كلما نظرتم إلى راعيكم، أن تعرفوا أنه مدعو إلى أن يسهر حينما تنامون؛ ويتعب حينما ترتاحون. إنه، ككل مطارنة الكرسي الأنطاكي الآن، يأتون ليخدموكم. هذا المطران هو لكم كما أن الكنيسة هي لكم، فالكنيسة ليست للكاهن وحده وليست للمطران وحده، إنما هي كنيسة آبائكم وأجدادكم وستبقى كذلك إلى ما شاء الله.

فلتكن العين التي تنظرون بها إلى شعبكم، يا صاحب السيادة، عين محبة قبل كل شيء. وأنتم، انظروا إلى راعيكم قبل كل شيء بعين المحبة، فالإنسان لا يكبر إن لم يكن محباً بالحقيقة. الله معكم، سيدنا، بارك لكم محبتكم لهذه الأبرشية.

من عمل وعلم يُدعى عظيماً*

بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، آمين

تهانيَّ لكم جميعاً، أيها الأحباء. اليوم ينتقل أبونا غطاس من مرحلة إلى مرحلة: كان كاهناً ــ وكل الإكليريكيين كهنة بالمعنى العام ــ لكنه أصبح كاهناً بدرجة رئيس كهنة. كيف يتم ذلك؟ ذلك لا يتم بالاعتقاد بأن أبانا غطاس كاملٌ لا يجاريه في ذلك إنسان. نحن، أيها الأحباء، لا نعتقد بأن من الممكن أن يحدث أمرٌ جيد إلا إذا كان هذا الأمر متفقاً وإرادة الله، وإلا إذا حل الروح القدس فيقوي الشخص ليقوم بواجباته. نحن لا نعتمد على الإنسان كإنسان، بل نعتمد عليه بشرط أن يكون دائماً ممن يستمدون القوة من الروح القدس، المصدر الوحيد للقوة الحقيقية في هذه الدنيا وفي الآخرة. لذلك تسمعوننا نقول عندما نصلي في الكنيسة: لنصل من أجل أبينا ورئيس كهنتنا فلان. إننا نصلي من أجله كما يصلي هو معنا لاعتقادنا أنه وإن كان رئيس كهنة فإنه يحتاج إلى أن يستمد نعمة الروح القدس على الدوام لتقويه على القيام بأعماله، فلا يكلمكم من منطلق أنه فوق الناس يتمتع بسلطة عليكم، بل ليقول لكم كلمة الحق المستمدة من نعمة الروح القدس.

نحن، أيها الأحباء، لا نخاطبكم لنُسمعكم ما لدينا من علم أو معرفة أو فهم أو ذكاء، لأن هذه الأمور قد تُستعمَل للشر، بل لنقول لكم إنه ليس بيننا وبين أبنائنا إلا الروح القدس والنعمة الإلهية، وإننا لم نعُد بحاجة إلى أن نشعر بأي قلق يأتينا من جانب الإنسان، مهما بلغ الإنسان من الرقي والرفعة والعلم والقوة. نحن بحاجة إلى الروح القدس الذي يفتح أعيننا لنميز بين الحق والباطل، بين الجيد والسيء، ولنتبين مصدر النور ونسمع كلمة النور ونرى فعل النور. لهذا وحده نحن نتحدث ويُصلي

* كاتدرائية القديس جاورجيوس، محردة، ١٩٩٩/١١/٢٤

واحدنا من أجل الآخر. نحن نتلو على مسامع سيدنا غطاس ما قاله بولس الرسول من أن الرب جعل في الكنيسة مواهب متعددة، إذ جعل البعض معلمين عليهم أن يعلموا، وأقام أنبياء وقديسين، ووضع ترتيباً للكنيسة. تذكروا ما جاء في سفر التكوين من أن الله جبل العالم من تراب، فجعل هذا إنساناً وهذا شجرةً وهذا حيواناً وتلك زهرة وما إلى ذلك، و لم يرضَ بأن تكون جميع هذه المخلوقات من عجينة يختلط فيها كل شيء بكل شيء. كلا! إنه رتب أن يكون الزهر زهراً والثمر ثمراً والإنسان إنساناً والحيوان حيواناً، وأكثر ما ندرسه في العلوم اليوم هو التنظيم. أيها الأحباء، تنظيم الله لمخلوقاته يجب أن نتعمق في دراسته لأنه ليس سطحياً. الله منظم عظيم يحب الترتيب ولا يريد أن يختلط شيء بشيء، فالاختلاط والغموض ليس من صنع الله الذي يحب النور والوضوح، ولذلك تجدون ترتيباً في الكنيسة. لا تقولوا: لماذا وُجد هذا النور؟ لماذا أُقيم هذا الهيكل؟ لماذا رُفعت هذه الأعمدة؟ ذلك حصل للترتيب والتنظيم لأن الله يريد أن تكون الأشياء منظمة.

لماذا ترتب نفسك عندما تأتي إلى الكنيسة؟ لأن الله يريدك مرتباً نظيفاً، ولأنه لا يحب الفوضى. الدنيا ليست فوضى في الكهنوت. وأنت شماس أو كاهن، والشماس ليس الكاهن، والكاهن ليس الشماس، وقد يُصبح الكاهن مطراناً، والمطران ليس مجرد كاهن وليس شماساً، لكنه مطران. هنالك مراتب ودرجات، لا كما في العالم. علينا أن ننتبه أن في العالم درجات تعني أن صاحب الدرجة الأعلى يتسلط على صاحب الدرجة الأدنى. الأمر مختلف في الكنيسة حيث الدرجات ترتيب كترتيبك أن يكون العمود عموداً والثريا ثرياً. من هنا نقول للذين يتكلمون في الكنيسة: لا يصح أن يكون في الكنيسة كلمتان: الكلمة التي تنطقها أنت والكلمة الإلهية التي تسمعها، لأنك، إذا كنت تتحدث فلن تسمع الكلمة الإلهية.

ما هو عمل الأسقف؟ المطران؟ عندما كنا نصلي وكان الروح القدس يحل

على الأسقف غطاس، قلنا له باختصار: عليك أن تتبع التعليم الصحيح. تذكروا ماذا قال بولس الرسول لمن جاءوا يقولون له: ليس من جيدين ولا من مثقفين إلا المسيحيون. قال لهم: كلا! هذا غير صحيح، وأمثال هؤلاء موجودون عند الجميع، لكن الإنجيل هو العلم الثاني الذي يتقيد به المسيحي ويتدرب عليه. لذلك قلنا للأسقف غطاس: عليك أن تقول إن الثالوث الأقدس ليس ثلاثة آلهة بل واحد، لأنك إذا قلت بثلاثة آلهة كما يقول البعض لا تتجرد من كونك أرثوذكسياً فحسب، بل تتجرد من كونك مسيحياً. أنت لا تقول ما يقوله الله عن نفسه إذا قلت إن المسيح إنسان عادي كغيره. هذا القول يشكل نصف الحقيقة لا كلها. يجب أن تقول إن المسيح إنسان مئة بالمئة وإله تام دون اختلاط أو تشويش. ثم إن الروح القدس يأتي كما الابن، من منبع واحد هو الآب، فإذا قلت إن الروح القدس يأتي من أكثر من مصدر، تكون قد قلت ما لم تقله الكتب المقدسة. هذا يعني أنه مطلوب من الأسقف غطاس أن يتبع هذا التعليم بكل دقة، لأنه إن لم يفعل يكون قد خان دستور الإيمان الذي ردده على مسامعكم.

يبقى على من رسم مطراناً شيء أساسي هو أن يحافظ على الكنيسة. المؤمن ليس فرداً مستقلاً بل عضو من أسرة الإيمان مرتبط بها بحيث يكون السيئ له سيئاً لها كذلك. عليه ألا يعزل نفسه عن بيت أبيه ويبتعد عن أسرته. هذا موقف خاطئ وغير محمود. أنت يا سيدنا غطاس، عندك إخوة مطارنة مثلك وعندك كهنة وعندك شعب معمد كله وشعوب تنتظر دورها لتتعمد. نسأل الله أن يساعد كل إنسان على وجه الأرض على أن يتعمد، فذلك أفضل ما نقدمه للناس وأفضل ما أعطانا الله. الكنيسة أسرة، يا سيدنا غطاس وليس بإمكانك أن تقول إنك تؤمن بكنيسة واحدة وأنت خارجها. بإمكانك أن تقول هذا القول وأنت داخل الكنيسة لا إلى جانبها ولا على هامشها. أما قال لك الكتاب المقدس إنك، يوم الدينونة، ستقف أمام الله الذي سيسألك لا عن نفسك بل عما فعلت مع أخيك، لأنه سيدخلك الجنة ويضعك عن

يميـــنه، لا بمقـــدار مـــا تكـــون قد خدمت نفسك، بل بمقدار ما تكون قد خدمت الآخرين. هو في الآخرين وفيهم تجده. ما تعمله للناس مهم، يا أسقف غطاس، وأهم منه ما تعلمه للناس. لا تصدق أن بمقدورك أن تغرف مما ليس عندك لتعطي الآخرين. تملّكْ المعرفة وتعلم الفضيلة أولاً، ثم وزع منهما على الآخرين، فالمعرفة والفضيلة لا تنبعان إلا من قلبك أنت.

ماذا حصل اليوم، أيها الأحباء؟

حصل أن غطاس، ابن ضيعتنا وقريبنا الذي يحبكم كثيراً وتحبونه كثيراً وضع عـــلى كتفيه حملاً ثقيلاً جداً لا يخف إلا باتكاله على الرب. أما إذا ابتعد عن الرب واتكل على أي إنسان أو أي شيء، فإنه سيرزح تحت الحمل. مطلوب منا أن نصلي كـــي يقويه الله ويرزق محردة الكثيرين من أمثاله. أسأل الله أن يكون هذا اليوم عيداً للجمـــيع، وأشكركم على مجيئكم إلى الكنيسة آملاً أن يحمل كل منكم وهو خارج مـــن الكنيسة حفنة من الروح القدس ينقلها إلى بيته وإلى مكان عمله لتكون حياته مباركة كلها. آمين.

✞ ✞ ✞

لا يموت حق وراءه مطالب*

كل عام وأنتم بخير.

أيها الأحباء، قبل أن نبدأ تأملاتنا، يتحتّم علينا أن نتذكر «مَن يعتنون بنا» وخاصة في هذه الفترة من تاريخ بلادنا، وبلادنا ليست حجارة ولا طيناً، لكنها أنتم أيهـــا الأحـــباء. إذاً، من أجل الذين يعتنون بكم وبنا نرفع قلوبنا إلى الله ونسأله أن يوفقهـــم ويقويهـــم من أجل خدمتنا جميعاً. أول مَن نذكر من هؤلاء سيادة الرئيس حافظ الأسد، خصوصاً ونحن بعد يومين فقط سنستأنف المفاوضات من أجل استرداد حقـــنا مـــن الأراضي ومن الكرامة بحيث لا نظل مقهورين بل نرفع رؤوسنا. سيادة الرئـــيس هو الذي يمسك بالمقود الذي سيوصلنا إلى كل ما نتمنى من حق وكرامة. نحن ننشد عدلاً على يده، عدلاً شاملاً، كما ننشد استعادة أراضينا السليبة من دون أي حق، ليكون بمقدورنا أن نقول لجميع الأمم: «لا يموت حق وراءه مطالب». نحن بقيـــنا نطالب بحقنا، ولم نزحف لنحصل على النتيجة التي يستحقها الإنسان الصبور الصلب الذي يقف عند حقه موقفاً لا يتغير ولا يتردد.

في هـــذا الظـــرف، يصوم إخوتنا المسلمون صيامهم وينتظرون حلول عيد الفطر السعيد عما قريب، فنعايدهم ونتمنى لهم صياماً مباركاً وعيداً سعيداً، ونطلب إلى الجمـــيع أن يعرفوا أننا نفرح بفرح شعبنا كله ونشاطره الفرح والحزن والسهل والصـــعب، لأننا، أفراداً وجماعات، نؤلف هذا الشعب، ولأننا منه كما كنا دائماً لا نعـــرف إلا ذلك بكل التزام وشدة، لا نتقوقع ولا نُعرض عن اهتمامات شعبنا، لأن سعادتنا من سعادته ورفاهيتنا من رفاهيته. نحن نحب شعبنا ونحترم أنفسنا ومن خلال

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد رأس السنة، ١/١/٢٠٠٠

هــذه المحبة، نحب أنفسنا، ونسأل الذي نؤمن جميعاً بأنه واحد أن يجود على الجميع بآلاء رحمته وبغنى محبته.

الموضوع الذي أحب أن أكلمكم به هو ما تحدث عنه الكثيرون هذه الأيام: السنة الجديدة! هل هنالك من سنة جديدة؟ الشرط الأول لوجود السنة الجديدة هو أن تكـــون السنة التي سبقتها قد مضت نهائياً، كما يمضي آباؤنا وأقرباؤنا فنسأل لهم الـــرحمة بقولنا: «ليرحمهم الله، وليرحم الماضي معهم». يعتقد البعض أن بإمكاننا أن نعـــيش في الماضي وننقله من تاريخه إلى الوقت الحاضر. هذا غير ممكن، لأن الماضي انقضـــى ومـــات ولم يبق منه إلا العِبَر. نحن لا نتمنى أن يتخذ شعبنا في هذه المنطقة طابع مَن يعيش في الماضي ويغفل عما يحدث اليوم. نريد للسنة الآتية أن تكون كما نصفها نحن، ولا نريد أن تأتينا من مصدر آخر وكأنها لباسٌ فصله لنا الآخرون. كل مـــا مضى انتهى، لكن هنالك واحد لم ينتهِ وهو الذي صنع الخير، الله تعالى. وحده كان حياً في الماضي وهو حي الآن وسيبقى حياً على مدى الدهور. هو وحده الذي أعطى وألْهم، وهو حاضر الآن وإلى الأبد ليلهم ويعطي.

الله حاضـــر في كـــل مكان ليخاطبنا، فإذا لم تسمعه آذاننا خاطب قلوبنا ونفوســـنا أي أنـــنا نجـــده فيها حياً أكثر منها. إذا كان من حق الناس أن يفتخروا بالماضي، فالماضي قصة لا أكثر. يجب أن نفتخر بالحاضر، بما نخطط للمستقبل، وإلا كـــنا سائرين إلى الوراء بينما يسير الناس إلى الأمام والجديد عندنا أصبح عتيقاً عند الآخرين. فلا ننتقدن من يعمل بل لننتقد مَن لا يعمل، ولا نتشبهن بمن لا يعمل بل بمن يعمل.

أيها الأحباء، نحن في أول هذه السنة، فماذا سيكون في الغد؟ إذا نظرنا إلى الأسبوع الماضي لا نجد فرقاً بين يوم الاثنين ويوم الثلاثاء، فهذا يتألف من ٢٤ ساعة وذاك يتألف من ٢٤ ساعة، هذا فيه ليل ونهار وذاك فيه ليل ونهار. فما هو الفرق بين

الأسبوع الماضي والأسبوع الحاضر؟ الفرق بينهما هو الفرق بين ما فعلته البارحة وما تفعله الآن. أنت مَن تصنع الفرق بين الأيام بما تضعه من مضمون في كل منها، فإذا فعلت خيراً في أحد أيامك كان ذلك اليوم خيراً وإذا فعلت في أحدها شراً كان ذلك اليوم شراً. ماذا يجب أن نقول عن العالم؟ أنقول إننا نأتي إليه أم نقول إنه يأتي إلينا؟ أنا أعتقد أن علينا أن نركز على أنه هو الذي يأتي إلينا. الغد سيكون شئت أم أبيت. الغد آتٍ بمشيئة الله، لكنك أنت من تفعل ما تشاء في يومك. هل نكون غرباء عن الغد الآتي إلينا؟

فيما مضى، كان الإنسان يظن أنه قادرٌ على أن يعيش وحده، أيها الأحباء، وأن يكون عنده اكتفاء ذاتي. كان الإنسان يشكر الله على أن لديه من مؤونة القمح والزبيب ما يمكّنه من أن يرتاح طيلة فصل الشتاء. هذا الأمر لم يعد ممكناً اليوم وأنتم تعرفون ذلك. وفي الماضي، كانت معرفة الإنسان تقتصر على معرفة عدد أفراد أسرته، وعندما اتسعت معرفته عرف قريته ثم عرف قبيلته. وكان إذا تثقف يتوصل إلى معرفة بلاده. أما اليوم، فإن مَن لا يعرف إلا عائلته أو قريته أو مدينته أو بلاده يعتبر أُمياً، لأنه لا يعرف أن بلاده واحدةٌ في جملة بلدان، وأن مَن لا يعرفهم هم بشرٌ مثله تماماً خلقهم نفس الخالق الذي خلقنا. الذي يكتفي بذاته اليوم يقضي على نفسه ويختنق في قوقعته. اليوم أنشئت الطرق وصار الإنسان بأسهل الوسائل يعرف المدينة الأخرى والبلد الآخر، وأصبح غير قادر على أن يتجاهل ما يحصل قريباً منه مما كان يجهله جهلاً تاماً. جاءت السيارات فصار، بدلاً من أن يسافر مرة في الأسبوع، يستطيع أن يسافر كل يوم، وبالتالي أن يرى غيره كل يوم، ويسمع غيره كل يوم. صار الآخر قريباً منه وصار هو قريباً من الآخر. ثم أتت الطائرات تنقلنا إلى مختلف القارات. العالم أصبح واحداً، العالم أصبح قرية كل واحد منا. ولذلك فتخلفنا يجعل منا جهلة. يجب أن نتطلع إلى الآخرين. يجب أن نعرفهم، وإلا كنا نحن أنصاف بشر. كثيرون يتصرفون على أننا دائماً يجب أن ندافع عن أنفسنا تجاه الآخر وأن الآخر هو

عــدو تحديداً. من قال لك هذا؟ مَن قال لك إن الله لا يخلق إلا الأعداء وإن هؤلاء أعداء لك وحدك؟ مَن يقول هذا القول؟

أيهــا الأحباء، صرنا واحداً من كثيرين ولذلك يجب ألا نخاف من أن نقف مــع الآخرين. هذا يحتاج إلى جهد من جهتنا. هذا يحتاج ألا نبقى في المقبرة نتجول بــين القبور ونتغنى بالغير. يجب أن نقف مع الناس ونعرف كيف وصل الناس إلى ما هو أفضل منا. ثيابكم ليست كما كان يلبس الآباء والأجداد، طعامكم لا يقدم الآن كمــا كــان يقدم سابقاً. لماذا تكون هذه الأشياء مستوردة مع الأرض التي تسيرون علــيها والبيوت التي تنشأون فيها؟ أين أنتم؟ أين نحن؟ يجب أن يكون هنالك جهد. يجــب أن نتعب. يجب أن ننشد الأمان دائماً. دعونا من الماضي. هلكنا من الماضي. هــذا مــا يجب أن نفعله وإلا فنحن في دنيا وغيرنا في دنيا مع أن الدنيا لنا كما هي لغيرنا.

أيهــا الأحــباء، نحن مدعوون إلى السنة الجديدة، ولا شك في أن المستقبل بحاجــة إليــنا. ومســتقبلنا شاءه لنا الرب أن يكون سنة جديدة لا سجين فيها ولا مــريض ولا فقير، سنة لا يشبع فيه فردٌ وإلى جانبه أخٌ له يجوع وهو مثله مِنْ صُنْع الله. نعــم! المســتقبل بحاجة إلينا لأن السنة الماضية كانت كلها مذابح لا توفر حتى الأطفال الذين يموتون دون أي ذنب. إنني أتذكر مشهد هؤلاء الأطفال وإلى جانبهم الجــنود بأســلحتهم اللماعــة. مَن هو الذي يصنع هذه الأسلحة؟ هل هم أولئك العاجــزون عن إطعام أولادهم؟ كيف توجد الأسلحة، وكيف تنصب بهذه الغزارة وهــنالك الملايين بل المليارات ممن يحتاجون لقمة العيش؟ نعم! المستقبل بحاجة إلينا لنواجه مثل هذه الأوضاع ولنقول ما لم نقله السنة الماضية، لنقول: «أحبوا بعضكم بعضاً» فالبشر خليقة الله الواحد الأحد جميعهم. الله الذي صنعكَ صنعهم والله الذي شــاء لــك أن توجد على الأرض شاء لهم أن يكونوا على الأرض كذلك. إنهم لم

يوجـــدوا ضد مشيئة الله، فإذا لم تنظر إليهم كإخوة لك تكون كمن يعصى ما أراده الله الـــذي لم يرســـل إنساناً لكي يجوع ويسجن ويرتكب الخطايا. «أحبوا بعضكم بعضاً» بذلك تكون السنة التي نقبل عليها سنة جديدة.

أيهـــا الأحباء، الله معنا والله أسأل أن يكون مع كل فاعلي الخير لأنهم غير معدومين في عالمنا. الله أسأل أن يقويهم ويجعلكم ويجعلنا جميعاً منهم وأن يجعل بلادنا هـــذه كما كانت دائماً بلاد الرسل. بولس الرسول من بينكم اهتدى: كان يهودياً مضطهداً فأصبح محباً، وهو من أهم الرسل وألمعهم في الكتابة والقراءة.

أيها الأحباء، المستقبل أمامكم، وهو لكم ومن صنعكم. لا تلوموا أحداً إذا كنـــتم كـــلما كلمكم إنسان عن «السير إلى الأمام» تجيبونه «بالسير إلى الوراء». وليكن الله معكم وكل عام وأنتم بخير.

✞ ✞ ✞

الكنيسة ليست مؤسسة إنها بيت*

كلـــنا نفرح اليوم بعيد القديس أنطونيوس الكبير، أبي الرهبان في الكنيسة المقدســـة، فهو عيدنا جميعاً لأننا نؤلف أسرة روحية واحدة على اختلاف انتماءاتنا. اذكروا دائماً أن كنيسة المسيح تتألف من كل واحد منكم. أنت كنيسة المسيح لأن الصلوات في قلبك والأعياد في نفسك، وأنت، بانتمائك إلى المسيح، تنتمي إلى جميع مَن ينتمون إليه، وتكوّن معهم هذه الأسرة الواحدة. أريدكم أن تنتبهوا إلى أمرٍ هامٍ آخـــر هو أخوية السيدات التي تألفت هنا لتكون اليد اليمنى للكنيسة تحيط المحتاجين بالمحبة والرأفة وتعطي من لم يرزقهم الله. نساؤنا، اللواتي يؤلفن خمسين بالمئة من أبناء الكنيســـة المقدســـة، كـــنّ إلى بضع سنوات خلت شبه معزولات، ونحمد الله أنهن أصـــبحن الآن في المكـــان اللائق بهنّ يحملن صورة الله ومثاله على قدم المساواة مع الرجال، فليباركهن الله.

الأمر الهام الآخر الذي يجب أن نشير إليه ونهتم به هو أولادنا. إنهم كالكبار يشـــكلون الكنيســـة، وعلينا أن نفرح بهم ونعتني بهم ونسأله أن يجنبهم الوقوع في الخطايـــا الـــتي نقع فيها. ليس صحيحاً أن الكبار أفضل من الصغار، فالجميع أسرة واحدة تتألف منها الكنيسة، وحصة الصغير من الكنيسة ليست أقل من حصة الكبير ومـــن أي إنســـان آخر. وكما أنه لا فرق في الكنيسة بين رجل وامرأة أو بين كبير وصغير، كذلك لا فرق فيها بين متعلم وأُمّي، فهي لجميع هؤلاء قربانهم المقدس دون تمييز. إنها المكان الوحيد الذي ننتمي إليه جميعاً.

قلنا إننا أسرة واحدة دون أن نذكر عنصراً أساسياً هاماً في الأسرة هو الأب الـــذي بدونه وبدون الأم وبدون الأولاد لا تكون الأسرة. تذكروا آباءكم، تذكروا

---

* كنيسة القديس أنطونيوس، جرمانا، عيد القديس أنطونيوس، الأحد ٢٠٠٠/١/١٦

الأب الـــروحي، الكاهن الذي يعمد أولادكم ويناولكم جسد المسيح ودمه الكريمين ويصـــلي معكم وتصلون معه، والذي بدونه تغلق هذه الكنيسة وكل كنيسة أخرى، وبدونه ليس من كنيسة.

أيها الأحباء،

يجب علينا أن نصحح الكثير مما في أفكارنا، فالكاهن ليس موظفاً وظيفته أن يصلي. ليس في الكنيسة من وظائف وموظفين. أنتم مَن تصنعون الكنيسة دون أن تكونـــوا موظفـــين فـــيها، والكنيســـة أسرة تجمعكم كما تجمع العائلة الأب والأم والأولاد، وكما يجتمع الزوج والزوجة. في الكنيسة يربط الجميع شيء واحد هو أن الفـــرد فيها لا يرى في وجه الآخر إلا ابن الأسرة التي إليها ينتمي، ولا يعرف الآخر بســـبب رفقـــته أو الـــتعامل معه بل لكونه يشكل معه تلك الأسرة الواحدة. وُجد الكـــاهن للتســـبيح لا لنتعامل معه كما نتعامل مع الموظف الذي يملي علينا شروطه ونملي عليه شروطنا، وأنا شخصياً أستغني عن كل كاهن يقول إن عنده شروطاً، لأن الأب لا يطلب شروطاً من أولاده، وليس هو الذي يختارهم، فصوابه كصواب الأب في بيته وخطأه كخطأ الأب في بيته تماماً.

أود في هذا اليوم المجيد أن أعايد الكهنة وأتمنى لهم طول العمر وحسن الخدمة ليـــتمجد الله في ما يفعلون وفي ما تفعلون أنتم. قلت الكهنة بصيغة الجمع لأن الأيام التي كنا فيها نفتش عن الكاهن بالسراج والفتيل قد ولت والحمد لله. تلاحظون أن عـــدد كهنتكم قد ازداد والحمد لله، وهذا أمرٌ أرغبه لأن الكنيسة ترغب أن تكون خدمـــتكم مؤمنة بشكل أفضل. يعلم الله، أيها الأحباء، أنه لا يحصل أمر في كنيستنا إلا لمصلحتكم ولمحبتكم ولخدمتكم، ويعلم الله أنه ليس لأحد أية مصلحة في أي شيء في كنيســـتكم. الكنيســـة، كما قلت وكررت، لكم أنتم، والكنيسة هي الكنيسة، وليست دكاناً للاكليريكي مطراناً كان أو بطريركاً، والعكس صحيح لأن المطلوب

من هؤلاء جميعاً أن يخدموكم وينصرفوا. الكنيسة باقية ما دمتم باقين، وعملها لكم. لذلك عليكم ــ كما سمعنا اليوم ــ أن تطيعوا مدبري أموركم، أي كهنتكم الذين يرشـــدونكم. أطيعوهم، فالطاعة لا تعني الإذعان، وأنت لا تطيع إلا مَن تحب. إذا كنت ملزماً على الطاعة لا تكون قد أطعت بل تكون قد أذعنت. أنا أطيعك بمقدار ما أحبك، وأنت تطيعني بمقدار ما تحبني، والذي يحب الآخر هو وحده الذي يعرف معنى الطاعة الحقيقية.

العصا لا تعطي محبة ولا تعطي طاعة، ومثلها البارودة أو أي نوع من أنواع الضغط. هذه أدوات لا تصنع وحدةً ولا قرابة ولا تقرب الإنسان من الآخر.

أيها الأحباء،

اغتنمـــت فرصـــة هـــذا العيد لألفت نظركم إلى هذه الأمور التي ــ على بســـاطتها ــ قد تخفى على البعض الذين يحكمون على النتائج دون أن يشاركوا في التخطـــيط. نـــريدكم أن تكونوا مخدومين على أفضل ما يمكن وأن تكون صلاتكم أفضل صلاة ممكنة وأن يكون ما يصلكم من الأسرار الإلهية هو أفضل ما في الكنيسة مـــن الـــروح القدس. الكنيسة لا تطعم أحداً ولا تكسو أحداً ولا هي مدرسة وإن كانـــت فيها مدارس. أنتم هنا ليحل عليكم الروح القدس عن طريق المناولة والصلاة والاعتراف وما إلى ذلك.

أســـأل الله أن ينعم علينا بأن نراكم مبتهجين بصلواتكم سعداء بأن تقتدوا بالصـــالحين. افرحوا واعتزوا بهؤلاء الذين نصلي معهم ونعيد لهم، هؤلاء الذين كانوا صغاراً في أعين العالم كباراً جداً في أعين الحق. الانتفاخ ليس كبيراً ونحن لا نفتش إلا عن الحق، والقديس أنطونيوس الذي نجتمع اليوم لنتذكره ونصلي إليه هو قديس نعتز بأن ننتمي إليه لأنه ينتمي إلى الرب بالفعل.

ربنا صام فلماذا لا نصوم*

المناسبات كثيرة اليوم، أيها الأحباء، أسأل الله أن يجعلها مناسبات طيبة، مناسبات جيدة عليكم جميعاً وعلى كل المعيدين في هذا اليوم المبارك.

أولاً أتوجه إلى جمعية القديس بندلايمون التي تقوم بأعمال خيرية من نوع معين. جمعية المستوصف عندنا منذ سنين وهي تقوم بهذه المسؤولية. يهمني أن أقول إن هذه الجمعية مختلفة عن كثير من الجمعيات التي عندنا الآن. هذه الأيام يفتش الناس كيف يُعرفون، هذه الجمعية تعمل بصمت ولا يعرف بها إلا من ينتفع من الخدمة التي تقدمها. وهذا الأمر ليس غريباً عن كتابنا المقدس الذي فيه نتعلم من قول الرب: «يجب ألا تعرف شمالك ما فعلت يمينك» لأن الخير الذي يعمله الإنسان ليس لنفسه، ولا لكي يربح كرامة أو يربح أجراً معنوياً منه بل لكي يفعله خفية ولكي يرى الله وحده ذلك. وبالنسبة إلى الكنيسة، الكنيسة ليس صحيحاً أنها فقط لكي تُسمع الناس كلاماً، هذا غير صحيح. أول من فتح المستشفيات هي الكنائس، أول من فتح المدارس هي الكنائس، أول من فتح المياتم في الأديرة هي الكنائس. لذلك ما تقوم به هذه الجمعية هو من صميم العمل الكنسي ومن الرسالة الكنسية. إنني أسأل لها من الله مزيداً من القوة، ومزيداً من الاستمرار في العمل وأن يجعل الله الناس ينتفعون من هذه الخدمة في أيامنا الضيقة التي ليس من السهل أن يجد الإنسان من ينصحه طبياً ومن يُشخِّص له مرضه وفوق كل ذلك من يعطيه الدواء. هذا أصبح صعباً، يجب أن يذكر كل واحد منكم لكل واحد يعرفه أن هنالك إمكانية عندنا في الكنيسة بواسطة جمعيتنا هذه أن نقدم دعماً كبيراً لمن يحتاج في مرضه وفي انزعاجه. وخصوصاً نقدر أن نقدم له الكثير من الأدوية. والأدوية، كما تعرفون، سعرها غالٍ

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، الأحد الثاني من الصوم، ٢٦/٣/٢٠٠٠

ومن الصعب جداً على كل إنسان أن يحصل عليها.

إذاً جمعية القديس بندلايمون، أنا أهنئكم جميعاً وأسأل الله أن يقويكم، كما قلت لأني عارف أنكم تعملون بصمت ولكن صمتكم فاعل، لأن صمتكم أفصح من الكلام، صمتكم له تأثير وليس مجرد كلمات ، مجرد خطابات كما هي الحال في كثير من الظروف.

الشـــيء الثاني الذي أحب أن أذكره هو أن اليوم هو العيد الوطني للشعب الـــيوناني. إجمـــالاً في بعض المناطق، وقد لا يخلو هذا المكان منها، عندما يذكر اسم وطـــن فمعنى ذلك أن لا علاقة له بالله، أود أن أقول إننا لمجرد أن نرى شعباً يُعيّد في الكنيســـة مـــن أجل الوطن، فهذا يعني أن الشعب يعتقد أن الوطن أيضاً يحتاج أن يتبارك، الوطن يحتاج أن يُصلّى من أجله. لأنه كما أن هناك تعاسات عند الكثير من البشـــر قـــد يكـــون الوطن كله تعيساً، ولذلك يجب أن نفكر في خلاصه. البعض يـــتداولون كلمة وهي «أعطوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر» يظنون أن هنالك حائطاً بين ما يخص قيصر وبين ما يخص الله. هذا كلام لا علاقة له بما نعتقد نحن. نحن نعتقد أن كـــل هذه الدنيا وكل البشر، ونحن منهم، هم خلائق لله. وبما أن الخلق هو واحد وإذاً لـــيس لقيصـــر حصة بالنسبة إلى الله ولكنه يحتاج إلى أن يُبارك، هو يحتاج أن يُصـــلّى لأجلـــه، هو يحتاج إلى الروح القدس لكي لا يَستَعمل قيصريته من أجل أن يتعـــب الـــناس، يســـتغل الناس، أن يعذب الناس، أن يظلم الناس، وهذا شيء أنتم تعـــرفون أنـــه موجود في هذه الدنيا. نعم كل شيء وكل إنسان يحتاج إلى البركة. يحـــتاج إلى النعمة. ونحن نحبذ أن يصلي الإنسان عندما يقوم بعمل وطني وان يصلي الإنسان عندما يقوم بعمل حتى من أجل ذاته. أيضاً أتمنى لهذا الشعب ألا يقع في الفخ الـــذي يقع فيه الكثيرون في هذه الأيام، وأن يطلّقوا الله من حياة الوطن، أن يرددوا المقولـــة بأن الدين لله والوطن للجميع. يا أخي، أتُرحِّل الله من خليقته، تطرد الله مما

صـــنع هو؛ هذه أقوال رخيصة جيدة للخطابات والتصفيق والكلمات الكبيرة الرنانة وما زال ذلك ولكن ليس وراءها حقيقة. نحن إذا اجتمعنا بالمحبة عبيداً لله نُكوِّن شعباً صالحاً. بدون هذا أينما كانت جغرافيتنا نحن لا نساوي شيئاً. الله في كل مكان وأن ننشد الله هذا شيء أساسي، وأن ننشده في كل مكان هذا أمر في صميم إيماننا.

شـــيء ثالث أود أن أقوله، نحن في النهاية نعيد ليس في ٢٦ آذار ولكن في ٢٥ آذار، ٢٥ آذار هـــو عيد البشارة، الكثيرون منكم، أيها الأحباء، لم يطلعوا على مضمون هذه البشارة. ما هي البشارة؟ إنها خبر صالح، تبشر شخصاً بخبر جيد. تنعي إلى شـــخص تعـــني أنك توصل له خبراً محزناً. البشارة هي خبر صالح جيد تبشر به الذين تحبهم. نسمع كلمة فصل شريف من بشارة القديس لوقا الإنجيلي، معناها من إنجـــيل لوقا. كلمة واحدة تطلق على كل الأناجيل فنقول إنجيل متى، مرقس، لوقا، يوحنا، لكن هنالك كلمة مشتركة نستعملها هي كلمة البشارة. الأناجيل كلها لتنقل خـــبراً ســـاراً. الأناجيل كلها لكي تقول لك: الله الذي خلق هذا الكون يرى هذا الكـــون ويـــرانا. يرانا نخطئ، ويرى كيف نتقاتل وكيف نتخاصم وكيف نتشاحن ولكنه يبقى فوق كل هذه. أنت لست مدعواً إلى جهنم، أنت مدعو إلى المكان الذي يســـتقبلك فيه ربك الذي خلقك. من أجل ذلك أيها الأحباء عيد البشارة هو عيد الإنجـــيل في النهاية والإنجيل يعني هذا. وما نراه في الصوم من تأفف وانزعاج وكأن كارثـــة حصـــلت ليس من الصوم في شيء. إنجيلنا يقول: إذا صمت اغسل وجهك واظهـــر على أفضل حال حتى إذا ما رآك الناس يحبون الصوم بواسطتك ولا تكون ســـبباً في كـــرههم له. الكنيسة برأسها الرب يسوع لا تقدم لنا مصائب، تقدم لنا الخلاص.

أيهـــا الأحباء، أتمنى إذا كان البعض حتى اليوم لم يصوموا يجب أن نعود إلى صيامنا لأنه هو لنا، الصيام وضع من أجلنا وليس من أجل أحد غيرنا. أتمنى أن نعود

إلى هذا الأمر، يجب أن نصوم. لا تخافوا من الصوم إنه شيء مبارك. أقول هذا وأسأل الله أن يقويكم لكي تصوموا. من يسمع يظن أنه يجب أن نجاهد حتى نصوم. هذا غير صحيح، الصيام شيء أقل من عادي، وهنالك أناس قد لا يذوقون اللحم إلا كل ستة أشـــهر مـــرة أو كل سنة مرة. هؤلاء موجودون في عالمنا هذا. نعم هنالك أناس في صـــيام دائم بسبب الفقر، بسبب الحرمان القسري الذي هم فيه. اسمحوا لنا بالصوم فربنا صام ونحن لسنا بأحسن منه.

وفي الـــنهاية إذا صـــمنا ســـنجد أن الصيام شيء سهل جداً وحسن جداً، ونشكر الله عليه عندما ينتهي. حفظكم الله وإن شاء الله يكون صياماً مباركاً.

✞ ✞ ✞

الكنيسة كالعذراء تحوي الرب*

أحيـــيكم جميعاً، أيها الأحباء، في هذه الأمسية المباركة التي أتيح لنا فيها أن نستقبل الأخ المطران دامسكينوس متروبوليت البرازيل وقد أتى إلى الوطن ليقيم جناز الأربعين لوالدته التي فقدها منذ أربعين يوماً.

نشـــكر الله أنه بيننا الآن وأنه شاركنا هذه الخدمة الشريفة ونحن، من كل قلوبنا، نطلب له القوة والتعزية ونسأل له أن يستمر في رسالته الكهنوتية هناك حيث الحاجة ماسة للوجود الأرثوذكسي.

أيهـــا الأحـــباء، هذا هو المديح الرابع، وعندما نذكر السيدة العذراء، فهي الشـــخص الوحيد الذي نستعمل معه في صلواتنا صفة المبالغة: يا من هي أكرم من الشـــيروبيم وأرفـــع مجداً بغير قياس من السيرافيم. أي أنها أرفع من الملائكة ورؤساء الملائكة. وهذا نكرره في كل الآحاد عملياً مؤكدين على هذه المكانة السامية.

السيدة العذراء شيء مهم جداً في الكنيسة المقدسة ونذكرها بشكل خاص في مناسبتين:

الأولى: في صـــوم العذراء أي من ١ـــ١٥ آب من كل عام. وفي صلواتنا تلك نتهيأ لكي نكرمها في انتقالها. ونحن لا نقول موتها بل انتقالها.

والثانية: في هذه المناسبة التي نعيشها الآن أعني الصوم الأربعيني المقدس.

لماذا نذكرها في هاتين المناسبتين؟

المناســـبة الأولى هـــي قضية موت، والموت شيء يمر به كل مخلوق إذن له علاقة بالحياة. حياة وموت، وهنا نذكر السيدة العذراء.

---

* كنيسة القديس جاورجيوس، دمشق، المديح الرابع، ٢٠٠٠/٤/٧

الآن في الصوم الأربعيني المقدس الكثيرون يتساءلون؟ ما علاقة الله، ما علاقة الصلاة وما علاقة الصوم بقضية الطعام والشراب؟ إننا ننسى أن قضية الطعام والشراب هي مسألة حياة. في عيد الرقاد ١٥ آب نسمع عن كائن حي يموت والآن نسمع عن كائنة حية تعيش ولكنها إذا لم تأكل فلن تعيش.

في هذا الإطار نذكر السيدة العذراء، لماذا؟ نذكرها لأنها لم تقم بخطاب و لم تحدثنا عن موضوع و لم تكتب لنا أي كتاب. فالأمهات لا يفعلن ذلك. الأمهات ترتبط بهن الحياة. الحياة التي في ١٥ آب يكون تذكار انتقال السيدة العذراء منها. لم نذكر السيدة العذراء في فترة الصوم لأن الصوم مرتبط بذلك مباشرة. العذراء حياة، العذراء أهم من أي شيء آخر. لا يوجد قديس أهم من العذراء ولا يوجد ملاك أهم من العذراء. والذي ينتبه إلى الصلوات يرى أننا عندما نذكر الثالوث الأقدس فإننا نذكر بعدئذ مباشرة السيدة العذراء. بالطبع لا نذكرها قبله وهذا يعني أنها تأتي في الدرجة الثانية بالنسبة لإلهنا الذي نعبده ونقول إن الأقنوم الثاني (الابن) المتجسد هو ابنها.

عندما نتكلم عن الحياة (الأكل، الشرب، النوم...) فنحن نتكلم عن أهم شيء يخصنا. فإذا لم تكن حياً فأنت لا شيء. قد تكون حياً ولا تعرف شيئاً ولكن لا يمكنك أن توجد إن لم تكن حياً.

ضمن هذا الإطار، أيها الأحباء، نذكر السيدة العذراء. وعندما نقرأ في اللاهوتيات نجد العذراء هي أرفع مجداً بغير قياس من السيرافيم وأكرم من الشيروبيم. لماذا؟ لأنها حملت الرب يسوع في أحشائها.

العذراء سيدة كالسيدات، وهذه السيدة حملت في أحشائها كما تحمل السيدات في أحشائهن. نعم لقد حملت الرب يسوع تسعة أشهر في بطنها وهذا لم يحصل عند أية امرأة أخرى في العالم لا قبل ذلك ولا بعده. إنه لم يحصل لإنسانة على

الإطلاق.

كـــيف يمكنـــنا أن نختصر الكلام عن العذراء؟ هكذا نقول: نحن ننتمي إلى الكنيسة، نحن أعضاء في الكنيسة وتعمدنا في الكنيسة، نتناول في الكنيسة وتتزوجون فـــيها. عندما نتكلم عن الكنيسة نقول: الكنيسة هي كالسيدة العذراء. الكنيسة هي كنيسة الرب يسوع كما أن العذراء هي أم الرب يسوع.

الكنيســـة يجـــب أن تحتوي الرب يسوع في أحشائها. وإذا لم يكن الرب يســـوع في أحشائها، في قلبها فهي كنيسة فارغة لا معنى لها وليست أكثر من هيئة بشـــرية لا قيمة لها. ما الفرق بين اجتماعنا كنسياً وبين أن نجتمع بأية صفة أخرى؟ الفرق الأساسي هو أننا عندما نجتمع كنسياً نجتمع وكأننا أم تحوي المسيح في داخلها.

ماذا أتى الرب يسوع ليفعل بواسطة السيدة العذراء؟ الرب يسوع لم يمسك كـــتاباً ويقول اقرأوا الصفحة الفلانية عن المسيحية واكتفوا بذلك. لم يقل هذا و لم يكتـــب الوصايا العشر. وحسبما نرى في إنجيل يوحنا كان يتكلم ويقول: «أنا هو الطـــريق... أنا هو الحق... أنا هو الحياة...» وهذا يعني أن شخصه لم يكن كتابة وأن شخصـــه لم يكـــن من ورق. ولكنه كان من لحم ودم مثلنا تماماً بالإضافة إلى الألوهة، ألوهة الابن الوحيد ابن الله العلي.

عـــندما نقـــول الكنيســـة فماذا نعني؟ الآن ما معنى وجودكم هنا؟ معنى وجودكـــم أن هنالك حياة، هنالك شيء يمكن أن يعبّر عنه فيقال هنالك في مكان محـــدد تجتمع جماعة وتنطق باسم الرب يسوع. الذي يؤرخ هذه الهنيهة ويقول فلان وفـــلان في مكـــان معين ولا يزيد تكون أقواله ناقصة لأنه لم يقل كل الحقيقة. كل الحقيقة هي أن يقول كان كثيرون يجتمعون كل من أجل غاياته الخاصة وكان هنالك جماعـــة في زمان معين ومكان معين وكانوا يجتمعون باسم المسيح وكانوا يعطون من حياتهم دقائق لربهم وليس لآخر.

أيهـــا الأحـــباء، عندما نفكر بالسيدة العذراء فإننا نفكر بالكنيسة وعندما نفكر بالكنيسة يخطر لنا وكأنه كانت هنالك أرض مفلوحة ولكنها لم تبذر فألقيت فـــيها بـــذرة. وهـــذه البذرة هي الرب يسوع فنبتت نبتة مختلفة كل الاختلاف عن النبـــتات الأخرى. أنتم موجودون لتكونوا نباتاً خاصاً، من نوع خاص، من قماشة خاصة، من أخلاق خاصة. أنتم موجودون لكي تكونوا مختلفين في هذه الدنيا. الدنيا ليست كلها موضة أو ما هو سارٍ. نحن لسنا هكذا وكما أنه حصل للسيدة العذراء شيء لم يحصل لغيرها إطلاقاً كذلك أنتَ الذي يعيش في الكنيسة التي هي صورة عن العذراء. أنت، لا يمكنك أن تتعلم من هنا وهناك وتنسى ذاك الذي في بطن العذراء أعني الرب يسوع. يمكنك أن تتطلع حيث تشاء ولكن لا تنسَ النظرة إلى فوق. هذا شيء غيّر وجه التاريخ وإذا لم نقم به نحن فلن يفعل ذلك سوانا.

أيهـــا الأحـــباء، اعرفوا جيداً من أنتم وليعرف كل واحد من هو. نحن في الكنيســـة نشغل مكاناً ونشغل وقتاً وهذا المكان وهذا الوقت مكرسان لرب الأمكنة والأوقـــات. نحـــن ننظر إلى إلهنا. وفي الصوم نقول ربي أعطيتني الحياة التي لا تكون بـــدون أكل أو شرب. ربي لقد أعطيتني هذا وأنا أقدم لك مما أعطيتني. نحن نصوم حتى نقول لله لقد أعطيتنا وها نحن نرد لك مما وهبتنا وليس من فضلاتنا.

أعز ما عند الإنسان هي حياته. أعطيتني الحياة فمنها أقدم لك. والعملة التي أتداولها هي منك. لذلك في الصوم نهتم لما نأكل ونهتم لما نشرب ونهتم لما نقول وما نفكر وهذا كله يجب أن نقدمه للذي أعطانا إياه.

أيهـــا الأحـــباء، في ذكر السيدة العذراء التي نقول لها مرحى، نحييها لأنها حملت الرب يسوع. والكنيسة التي أنتم فيها هي أيضاً تحمل الرب يسوع الذي باسمه تعتمدون والذي هو معلم حياتنا وليس من أحد سواه.

عالم القيامة عالم جديد*

أيها الأحباء، قبل أن أبدأ موضوعي في هذا الصباح، أود أن أرسلَ التحية إلى سـيادة رئيسنا الرئيس حافظ الأسد الذي أظن أن الكثيرين لا يدركون ماذا حصل بوساطته، أو على الأقل بعض ما حصل بوساطته في القضية المهمة التي نحن نعيشـها، قضـية هـذا العالم، قضية دولة إسرائيل. سأذكر شيئاً قليلاً من هذا الموضوع.

أيها الأحباء، عندما تأسست إسرائيل كدولة، حصل ذلك على أساس أن فلسـطين مغتصبة يسكنها جماعة غرباء عنها وأن القادمين هم السكان الأصليون فيها. وتبنى الإعلام ذلك وأذيعت الأحاديث ولا تزال هذه الأحاديث تنتشر لتقول بأن الذين لهم الحق في فلسطين هم الذين أتوا إليها من ألمانيا وأوروبا والحبشة ومن أماكن متعددة، وليس الذين ولدوا في فلسطين وعاشوا في فلسطين وقضوا العمر هناك. أجيال عاشت في فلسطين.

ولكـن هو الإعلام، وما أدراكم ما الإعلام! إنه يقلب الحقائق رأساً على عقب. كثيرون اليوم لم يعودوا يتساءلون إن كانت فلسطين بالفعل حقاً لليهود، وهل بطل الحق بأن تكون لسكانها الأصليين؟ كل ذلك لم يعد يُطرح. لقد صُمَّت آذاننا ونحن نسمع بأن لليهود الحق في فلسطين وأن الله أعطاهم فلسطين وكلفهم بها، وكأن جماعة اليهود كلهم قديسون، وأنهم كانوا ينتظرون الأمر من الله لكي يحتلوا هذه القطعة من الأرض.

نحن عندنا في سوريا وفي كل الأوضاع لم نقتنع بأن كل الناس لهم الحق في فلسـطين إلا الفلسـطيني. هذا كله حصل بسبب الصمود الذي كنا نسمع عنه

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، اثنين الفصح، ١/٥/٢٠٠٠

ويتردد على مسامعنا، ومصدره سيادة رئيسنا الرئيس حافظ الأسد.

شيء آخر، فالناس كانوا يسمعون أن اليهود قلة (وهم قلة في العدد بالفعل) يفتشون عن بقعة من الأرض لكي يكونوا فيها. ولكنهم في فلسطين جماعة خائفون، وممــن هم خائفون؟ انهم خائفون منا، نحن الذين نحوط بهم وقد كنا نحوط بفلسطين منذ أن خلقنا، أي منذ أجيال وأجيال.

أخـــذ الإعلام يقول: هنالك شعوب تتكلم العربية محيطة بفلسطين، وهذه الشـــعوب تـــود أن تـــنقضَّ على هذه القلة لكي تبتلعها. الكثيرون صدقوا ذلك، وأصبحنا عندما نتكلم عن استرداد الأراضي ممن اغتصبوها (وهذا واقعٌ) نظهر وكأننا لســـنا خائفين. يا أخي: أُخذَت أرضُنا، قُتِلَ شعبُنا ونحن الذين يجب أن نخاف. غيرنا مســـلح ويملك القوى النووية فيما نحن جماعة عُزلٌ في النهاية. الإعلام جعل الكثيرين يعـــتقدون أننا نحن الذين نُخيف وأن سوانا ــــ الشعب اليهودي ــــ يجب أن يكون دائماً في حالة الخوف. هذا عكس الحقيقة، فالحقيقة أننا نحن من نطلب أن يكون لنا الأمن تجاه إسرائيل، وهذا الشيء لم يُنتزع من الأفكار هنا في سوريا، وهو لم يشكل يومـــاً مـــا قناعةً لدينا. هذا أيضا كان يُستَمد من الصمود ومن القناعة والإيمان بأن الواقع هو غير ما يُقال.

أيها الأحباء! ما كان يمكن أن أبدأ حديثي عن الإنجيل المقدس قبل أن أذكر هذا الواقع لأننا ونحن نعيد لعيد القيامة نعيش هذا الواقع وهو يؤثر علينا كلياً وخاصة في الكنيسة المقدسة.

لماذا نعيد للقيامـــة؟ لكي نتكلم بصورة أوضح عن القيامة يجب أن نقول: الذي نعيد له هو حدث قيامة المسيح. قيامة المسيح هي المفتاح لرجائنا في هذه الدنيا، ولو لم يكن المسيح قد قام، لكنا ظللنا على معلوماتنا بأنه لم يسبق لأحد أن قام من بين الأموات. إذن نحن كبشرٍ شأننا شأن الذين سبقونا، ولن يقوم واحد منا من بين

الأموات.

نحن نعيد لقيامة المسيح لأنه هو البكر في عالم القيامة. نحن اليوم، في الواقع، نعيد لعالَمٍ جديدٍ. في العالم العتيق كل الناس يتحدثون عن الموت، وهذا شيء عادي، فالموت موجود وسيطال كل الناس. الكل سيموتون. ولم تذكر كلمة واحدة تقول بأن هنالك إنساناً قد قام.

بقيامة المسيح، أصبحنا جميعاً نتكلم عن القيامة، ونصلي من أجل أمواتنا، نصلي من أجل أن يكون انتقالهم على رجاء القيامة والحياة الأبدية. أمواتكم كان يجب أن يُطمروا في باطن الأرض لو لم يكن المسيح قد قام، لكننا، كما قام المسيح، كذلك بقيامته نحن نقوم من بين الأموات. هذا شيءٌ في غاية الأهمية فإذا لم تكن تؤمن بقيامة المسيح، فإيمانك باطل ولا يمكن أن تكون مسيحياً حقاً. إذاً لقد فُتح البابُ أمامنا.

لماذا قام المسيح، ولم يقم غيره؟ لعازر لم يقم من بين الأموات لأنه أقيم موقتاً ثم عاد فمات. لقد أُعيدت إليه الحياة مؤقتاً ولكنه لم يبقَ عليها.

نحن، أيها الأحباء، إيماننا إيمان القيامة، إيماننا إيمان الرجاء. كلنا نعرف أننا سنموت، ولكن يجب أن يعرف الكل أننا سنقوم. وهذا شيءٌ نحن نؤمن به في كل دين من أديان الشرق الأوسط، وليس من واحد في بلدكم لا يؤمن بالقيامة وأياً كان دينه يكون إيمانه صحيحاً.

الإنسان معرض للموت ولكنه مستعدٌ للقيامة أيضاً. هكذا نحن نعيش ولذلك نحن أقوياء. نحن لا يضعفنا المرض، والموت لا يضعفنا «لا تحزنوا كما يحزن باقي الناس الذين لا رجاء لهم». نحن لسنا كذلك. في إيماننا، نحن نؤكد أن الذي نضعه في القبر سيقوم من بين الأموات. لماذا؟ لأن الذي قام من بين الأموات قادرٌ على أن يقيمه من القبر. هذا أملنا وهذا رجاؤنا. نحن لم نأتِ إلى العالم عمالاً لكي

نشتغل ولكي نتعب ولكي نتوالد، ثم نوضع في باطن الأرض ونبقى في باطن الأرض. هذا ليس مسيحياً وليس من دياناتنا.

لذلك فالذين من أجل رأيٍ صائبٍ، من أجل عملٍ أخلاقي كبير، من أجل دفـــاعٍ عـــن أمرٍ شريفٍ، يندفعون إلى الموت لا يفعلون ذلك لكي يوضعوا في بطن الأرض ويـــبقوا فـــيه ولكن لكي يقوموا في يومٍ من الأيام بمشيئة الرب. الأبطال لا يكونـــون إلا أولئك الذين يندفعون بدون خوفٍ حتى إلى الموت لأنهم يعرفون كما نعرف بأنهم سيقومون من بين الأموات.

قلـــت: لماذا يعطينا المسيح هذا الأمل؟ الكثيرون يموتون ونحن لا نؤمن بهم ولكن نؤمن بمن يقيمهم من بين الأموات، فمَن هو؟ إنه المسيح. ومن هو المسيح؟ هو ابـــن الله الوحيد، كلمة الله الذي تجسد من أجل خلاصنا. ولو لم يكن المسيح كلمة الله الـــذي تجسد لما كان قادراً أن يقوم من بين الأموات. الذي يغلب الموت هو إله الحياة، وهو الذي أعطى الحياة وهو نبع الحياة. هذا هو الوحيد الذي يمكنه أن يغلب المـــوت. المسيح غلب الموت لأنه، كما قلت، كلمة الله الذي تجسد من أجلنا. ومن الملاحـــظ هنا أني لم أقل «كلمة» بصيغة المؤنث كما نتحدث عادة، بل قلتها بصيغة المذكـــر، لأننا عندما نتحدث عن «الكلمة» في الكتاب المقدس، نعني بذلك شخصاً حياً لا مجرد مجموعة أحرف.

يقـــول لـــنا الكتاب المقدس إن القضية قضية موت أو حياة. المسيح قام، المسيح هو ابن الله الوحيد، المسيح هو كلمة الله. وضروري أن نعرف وبصورةٍ نهائية أن الله لم يكـــن يوماً بدون الكلمة وهذا يعني أن الكلمة ليس متأخراً عن الله وهو في طبـــيعة الله. إنه ليس إلهاً آخر بالنسبة إلى الله، إنه الله ذاته. كلمة الله في قلب الله، في طبـــيعة الله، وفـــيه الألوهة ذاتها. لذلك عندما نقول الكلمة تجسد فإننا لا نكون قد اخترعـــنا إلهاً جديداً. ليس عندنا من آلهة جديدة، نحن نؤمن بإلهٍ واحدٍ أحد، فليكن

هذا معلوماً للجميع لأنه ليس واضحاً عند الكثيرين.

يقـــول لنا الكتاب المقدس إن الله خلقنا وخلق العالم بكلمته. في الواقع الله بلغـــة البشر يقول للشيء كن فتكون الأشياء. بالطبع ليس لله حواس، ولا شكل له ولـــيس له فمٌ لكي يتمكن من النطق ليقول «كن» كما نقولها نحن. الله لم يرَه أحد قط، ولكن الأشياء كانت تصير لأن كلمته فعل. الله فاعلٌ، الله ليس ناطقاً كما ننطق نحـــن. وفي كـــثير من الأحيان تكون كلمتنا في الشرق ويكون الحق في الغرب. هذا لـــيس عند الله. وهذا يجعلنا نتذكر أن كل المخلوقات: البشر، الطبيعة، الحيوانات، الطيور، والزهور، هذه كلها كلمة واحدة تخلقها. هنالك مصدرٌ واحدٌ لكل الخلائق، والذي يعتقد أن الله خلق شعباً واحداً أو أمة واحدة يكون على خطأ. الله أوجد كل الشعوب، وخلق كل الأمم، والذي يفرق بين هذا أو ذاك يكون على الأرض وليس في الســـماء. لذلك يجب اليوم أن ينفخ فينا روح جديد. قام من القبر يعني انه انتقل مـــن وضـــع إلى وضع حي. القلوب يجب أن تنتفض، يجب أن تحيا، فالقيامة ليست ذكـــرى وكلامـــاً عن الماضي. لا! إنها الآن. يجب أن نقوم في كل ساعة، ويجب أن ننهض في كل يوم من القبر الذي كنا فيه في اليوم السابق وهكذا في كل سنة. وهذا يعطي المعنى الحقيقي للقيامة المجيدة. أيها الأحباء، عندما تلتفتون إلى الطبيعة بكاملها وإلى كـــل إنســـان مخلـــوق اعـــرفوا أن من واجبكم أن تحبوه لأن الله أوجده كما أوجدكـــم، وليس عندنا إلهٌ ثانٍ يشارك الله في الخلق. وحده الله يخلق، لذلك فأمام كل خليقة لله نحن نمجد الله الخالق، الله الواحد.

أيهـــا الأحباء، عيد القيامة لكل ساعة ولكل يوم. جعلكم الله مباركين في هذا العيد والشكر لله الذي قام وبه نقوم.

شخصيتنا في إيماننا*

المسيح قام... حقاً قام

المسيح قام: هذا يهمنا، أيها الأحباء، وقد أرادها الله لنا منذ خلقنا. الله لم يخلقنا لنموت. الله يخلق أحياء ولا يخلق أمواتاً. لذلك فالموت شيء عرضي بالنسبة لنا جميعاً. ولولا الخطيئة ولولا ما نرتكبه من الخطايا لما كان الموت موجوداً. وإذ نعيد اليوم لقيامة المسيح كما قلت فإننا نعيد لقيامتنا نحن، لقيامة أمواتنا: آبائنا الذين سبقونا، أمهاتنا اللواتي سبقننا. نحن نعيد لأشياء تخصنا، لذا فالعيد عيدنا.

ما معنى القيامة؟ القيامة ليست قضية آلية: مات الإنسان والكثيرون يموتون، وقام الشخص الفلاني بطريقة خاصة. ليس هذا هو الموضوع. الموضوع هو أنك تموت ثم تقوم بوجه آخر. أنت في القيامة أنت، ولكنك لست بالضبط كما كنت قبل الموت. المسيح، بعدما قام من بين الأموات، وقف مع تلاميذه وكلمهم ولكنهم لم يعرفوه. كان عليه أن يذكرهم بأقواله، وأقواله هي الإنجيل. لماذا كان عليه أن يُذَكِّرهم؟ لأن وجهه كان مختلفاً ولأن صورته كانت مختلفة. صورة الموت شيء وصورة الحياة شيء آخر.

أيها الأحباء، القيامة تعني نوعاً من الخلق الجديد. نحن نقوم من الأموات وكأننا خلقنا من جديد. والله الذي خلق أولاً هو يخلق ثانية. ولذلك فنحن نؤمن بعملية الخلق الأولى وبعملية الخلق الثانية. والله قادر أن يجعلنا من التراب بشراً أحياء، وهو قادر أن يقيمنا من تراب القبر وأن يجعلنا خلقة جديدة أعني إنساناً جديداً.

عندما نتكلم عن الجديد يظن البعض أننا لا نتكلم عن الجدة في الصلاة وعن

---

* تدشين كنيسة خربا، السويداء، ٢٠٠٠/٥/٦

الجدة في الكنيسة والإيمان لأن هذه كلها عتيقة. هذا غير صحيح لأنك أنت نفسك جديد وعتيق في الآن نفسه. والذي عمره خمسون سنة الآن هو نفسه الذي ولد منذ خمسين سنة وكان طفلاً. بقي هو هو ولكنه صار غير ما كان عليه في الوقت نفسه.

عندما نقول بأننا نكبر، هذا يعني أننا نتغير وأننا نتطور. والقيامة هي أن نصبح بشراً جديداً. وما أحب أن أكرر قوله هو أنه ليس في منطقتنا أي إنسان في الشرق الأوسط لا ينتمي إلى دين. وكل الأديان هذه تؤمن بالقيامة، ولكننا نحن نتكلم عنها أكثر من سوانا، ونأمل أن يتحدث سوانا أكثر فأكثر عن القيامة التي هي أعظم حدث في حياة الإنسان، لأن الموت شيء اعتيادي جداً. لولا القيامة، ماذا كانت تعني حياتنا؟ وهل خلقنا لكي ندفن في التراب؟ لا أعتقد أن الله خلقنا فقط لكي نكون في النهاية أمواتاً. ولذلك يصح الكلام عن الجنة ويصح الكلام عن الاقتراب من الله إذا كنا صالحين، كما يصح الكلام عن العقاب إذا لم نكن صالحين. هذا يعني أن هنالك شيئاً ما بعد الموت.

الكثيرون لا يفكرون بما هو بعد الموت ويفكرون فقط بما يفعلون الآن. هذا قصر نظر: فإذا لم تحسب حساباً لآخرتك فأنت لا تعرف الحقيقة التي ستحياها أنت والتي جعلها الله في آخرتك. لذلك فلنحسب حساباً لآخرتنا.

كيف نحسب حساباً لآخرتنا إذا جعلنا البارحة صورة أمامنا ونقول يجب أن نكون اليوم مثلما كنا البارحة؟ هذا خطأ، فالبارحة هو البارحة ونحن في البارحة غيرنا اليوم. نحن اليوم شيء جديد وغدنا لن يكون مثل اليوم، فغداً سنكون نحن جدداً أيضاً. القيامة أمامنا وليست وراءنا، والإنسان يسير نحو القيامة ولا يرجع نحو الموت.

عيد القيامة هو العيد الذي إذا ما نظرنا فيه إلى أمراضنا وحتى إلى انتقالنا كما نذكر في صلواتنا نرى قبل كل شيء ما هو إلى الأمام. لذلك فنحن أبناء الغد

ولسنا أبناء البارحة. البارحة ذهب، مات. ويل لنا إن كنا لا نعرف أن ننتقل من موت البارحة إلى الحياة في الغد. الكثيرون يقولون: أنا أريد أن أكون كما كانوا قبل، وفي بلادنا تتردد كثيراً نغمة أن الذين كانوا لن يعودوا. أنت لا يمكنك أن تجعل نفسك الآن صورة لما كنت عليه لأن الماضي ذهب. نحن أبناء المستقبل لأن الله أمامنا وهو يدعونا إليه ولا يدعونا القبر الذي ننزل إليه درجة درجة منذ ولادتنا وحتى هذه الساعة التي فيها نعيش.

اليوم أتفحص نفسي البارحة وأقول بأن ما ارتكبته البارحة من الأخطاء لن أكرره اليوم، وما اقترفته البارحة سأتجنبه اليوم. وأنا سأسير في خطة جديدة وفي رؤية جديدة. المستقبل هو المكان وهو الشيء الذي نحن مدعوون إليه.

المستقبل هو ما أشدد عليه وليس صحيحاً أن فلاناً كُتب له مستقبل باهر وأن الآخر لا مستقبل له. هذا غير صحيح، فالكل ينتظرهم مستقبلهم والجميع يسيرون باتجاه المستقبل. والفرق بين إنسان وإنسان هو ما يحمله الأول للمستقبل وماذا يحمل الثاني معه للمستقبل حتى إذا حمل خيراً فالمستقبل خير، وإذا لم يحمل خيراً فالمستقبل ليس خيراً.

هنا أحب، أيها الأحباء، أن أعرج قليلاً على وضعنا نحن. لو كنا معتمدين على همنا نحن وعلى أوضاعنا الكنسية فقط فمَن كان يحلم أننا سنكون في كنيسة كهذه وفي مكان كهذا ومع هذا الشعب؟ مَن كان يحلم بذلك؟ لكن يجب دائماً أن نفكر بأن يد الله في المستقبل وليست فقط يدنا هي التي تعمل في المستقبل. نعم لنا يد في المستقبل ولكن لله يداً كذلك.

شخصياً كنت أظن في وقت من الأوقات أنه لولا الإيمان عندنا بأن الله يريدنا أن نكون فعلة مجتهدين في كنيسته المقدسة لا أن نكون فعلة بطالين في هذه الكنيسة، لرأيت أنه يستحيل أن يكون عندنا أمل ويستحيل أن نقوم من الوضع الذي

كنا فيه منذ زمن قليل. لكن الله برهن على أنه موجود وأنه يوجد شعبه ويحب شعبه ويبقى مع شعبه. والصورة التي أمامي هي الصورة القيامية التي نحن نحياها.

اليوم عندنا صوت كسائر الناس، عندنا وجه كسائر الناس. لوقت مضى لم يكن يمكننا أن نقول هذا القول، ولكننا الآن بمعونة الله وبإذن الله الذي نتكل عليه دائماً أصبح يمكننا أن نقول ما قلناه. أيها الأحباء، فرحنا كبير جداً، وفرحنا عظيم جداً، وفرحنا هو بكم أنتم الكنيسة التي وضعها الله بين أيدينا لكي نخدمها. عندنا الرئاسة تعني الخدمة. والذي يَخدُم هو الكبير لا الذي يُخدم كما هي الحال في هذا العالم. كما أن الله لم تصغر قيمته عندما أرسل ابنه إلينا لكي يخدمنا ويتألم من أجلنا، ولو كان هذا في نظر الناس إذلالاً. ولكن مَن يتمكن مِن أن يذل الله، مَن؟

نحن نعتقد، أيها الأحباء، أن الله انتشلنا من وضع، وكذلك انتشل كل واحد منكم، عندما رأى بطريقته الخاصة المخالفة لطرقنا أن يرسل إليكم هذا الملاك، أعني المطران سابا الذي نحبه والذي أتى لكي يخدمكم والذي لن يكون «خواجا» على أحد ولن يطلب لنفسه أن يأكل ويشرب ويستمتع، ولكنه أتى لكي تأكلوا أنتم وتتمتعوا أنتم. هذا كرامته من كرامتكم وليست على حسابها.

أيها الأحباء، حق لنا أن نفتخر اليوم بأن الله ارتضى أن ينظر بعين الرحمة على شعبنا الذي تعمّد بنعمة الروح القدس، والذي يتناول جسد الرب الحقيقي ودمه الحقيقي. عندما يحصل الزواج يحل الروح القدس ليجمع بين الرجل والمرأة لكي يتجاوزا المزاج ويتجاوزا الاختلافات. نحن اليوم فرحنا كبير بقدر ما هو شكرنا عظيم.

أيها الأحباء، الله كبير، الله غلب الموت، ويغلب خطايانا، وهو المنتصر على ضعفنا وعلى ضعف الذي كان يجب أن يحمل عنكم أثقالكم.

نحن لا نتبرأ من أي شيء. أعايدكم جميعاً وأسأل الله أن يجعلكم دائماً

أمامنا لنرى نوره في وجوهكم وروحه في قلوبكم، أنتم أبناء كنيسته المقدسة التي لا تقوم إلا على القداسة التي وضعها الله فيها.

المســـيح قام. فلنسجد لقيامته في اليوم الثالث. المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور.

✞ ✞ ✞

القيامة هي اليوبيل الأكبر*

أصحاب السيادة والسعادة،

يا جميع إخوتي وأخواتي في المسيح،

يطيب لي، قبل كل شيء، أن أشكر لكم حضوركم وحرارة استقبالكم اليوم، وبعد.

ألفا سنة من المسيحية: إنها أشبه بسلسلة من الجبال العالية في مدار التاريخ البشري. يجب أن يقال ذلك بصوتٍ عالٍ في هذه الأوقات التي تشهد شيئاً من التشهير والسخرية. يجب أن نقول ذلك ونحن نتأمل هذه القمم المتعددة من القداسة والجمال. هنالك شهداء ضحوا بدمائهم، ورهبان اختاروا أن يكونوا شفافين في النور، ورجالٌ من أصحاب الفكر الرفيع سبروا أغوار الكتاب المقدس، وهنالك من رجال الفن مَن بنوا هياكل عز نظيرها وزخرفوها، وهنالك العديد من المؤمنين البسطاء الذين وجدوا في قيامة المسيح فرح الحياة ومعناها. تلكم هي حصيلة ألفي سنة من المسيحية. رجلٌ وامرأة فُهم أخيراً أن كلاً منهما له فرادته، إنما في انفتاح الشركة، وعالَمٌ اقتُلع من الشعوذات القديمة ليسلِّم إلى مسؤولية الإنسان، وحرية الفكر تتصدى لجميع الأصنام. تلكم هي حصيلة ألفي سنة من المسيحية.

لكن بين هذه الجبال، فُتح ما فُتح من المهاوي، واندلعت الحرائق من أقصى العالم إلى أقصاه، وكثيراً ما تصادمت الوحدة والتعددية اللتان يشكل التقاؤهما انعكاساً للثالوث الأقدس. انشقاقات القرن الخامس في الشرق، وانشقاقات القرن الحادي عشر بين الغرب والشرق، وانشقاقات القرن السادس عشر في الغرب. هذه

---

* كاتدرائية القديس استفانوس، باريس، الأحد ٢٨/٥/٢٠٠٠

الانشـــقاقات كلها مزّقت رداء السيد. والحروب الدينية والتشبث بالرأي تجاه الغير دون أن يكلّف المتشبث نفسه عناء فهم الآخر، كل ذلك أنسانا قول القديس يوحنا «الله محبة»، فعسى أن تفتح لنا الاحتفالات بيوبيل العام ٢٠٠٠ مستقبلاً جديداً.

لذلـــك، نحـــن، عندما نرى قداسة البابا يوحنا بولس الثاني يلجأ إلى طلب المغفـــرة عن الخطايا التاريخية التي ارتكبها المسيحيون، نتذكر أن الكنيسة في المسيح يجـــب أن تصبح كنيسة الروح القدس. نعم! القيامة بطبيعة الحال هي اليوبيل الأكبر والأخير، وهي «إدانة الإدانة» ـــ كما قال القديس مكسيموس المعترف ـــ الذي قد يكون، بموجب بعض الدراسات الحديثة، عربياً من الجولان. لكن هذا اليوبيل الأخير يـــبقى بمثابة انفتاح خفي، ومن شأن طريقتنا في فهم العالم وقدرتنا الخلاقة أن تهيء التظاهرة النهائية لليوبيل المسيحي الأكبر، وأن تبدأ بالتذكير به، كما يدعونا إلى ذلك مرة أخرى عبور هذه الألفيات.

يســـعدني أن أكـــون في باريس للتذكير بما أشرت إليه في هذه المناسبة التي تعتـــبر استشرافاً كذلك. لقد عَرَفت باريس تقليداً كان قبل الآن غنياً باللقاءات بين شـــرق المســـيحية وغربها. في باريس، وتحديداً في معهد القديس سرجيوس، تابعت دراســـتي غداة الحرب العالمية الثانية. وفي باريس، وجد مهاجرو القرن العشرين، من الروس واليونانيين وأبناء البلقان ومن العرب أخيراً، عاصمة لهم غالباً ما كانت وطناً ثانـــياً لكل منهم. هنا بدأت الأحكام المسبقة تزول بين الأرثوذكسيين فيما بينهم من جهـــة، وبين الأرثوذكسيين والكاثوليكيين والبروتستانتيين من جهة أخرى. نستطيع أن نكتشـــف ما هو إيجابي في الشخص الآخر، وكم نحن بحاجة إليه وإلى نظرته إلى المســـيح وإلى المواهب اللدنية التي يوقظها فيه الروح القدس. العالم الحاضر ليس مجرد دنـــيا من الفردية واللامبالاة كما يبالغ في وصفه المسيحيون. إنه يحمل في ذاته مطلباً كبيراً من الحس والحكمة والخبرة الروحية، ومن واجب الكنائس، من الآن فصاعداً،

أن تستقي من تراثها العظيم حقاً أمثلةً ومناهج من الحكمة والخبرة الروحية، لا لمجرد ترديدها وإنما لإعادة خلقها من منظور الأزمنة الجديدة بمحاورة العلماء أينما وجدوا، وبالصمود في وجه جميع قوى العدم دونما خوف ولا حقد، وباحترام جميع قوى الحياة وتجميلها.

اسمحوا لي ختاماً أن أتطرق إلى خبرتنا، نحن مسيحيي الشرق الأوسط. لقد عرفنا قبل الغرب بوقت طويل ما هي التعقلية والفلسفية الكلامية والروح القانونية التي تميل إلى أن تستعيض عن حقيقة الحياة وثقلها ببعض المفاهيم، أضف إلى ذلك أننا كنا على الدوام نفهم معنى الكلمة المتجسد، معنى المسيح في كامل طبيعته البشرية. واليوم يريد شبابنا فوق ذلك أن تتوقف المسيحية عن أن تكون إيديولوجية يسهل التلاعب بها لتتحول إلى حقيقة هي حقيقتهم، بل حقيقتهم اليومية الدائمة. إنهم يريدون أن يعيشوا إيمانهم في العدالة وفي السلام وفي الكرامة الحرة. هذا هو حال العديدين منهم الآن: فالكنائس ملأى بالشباب الذين يتعاطون مع المسيحية بجدية فعلية، فلا يعرفون التردد ولا الشك، بهم تحيا الكنيسة وبهم تستيقظ. إنهم لا يكتفون بمطالبة الكنيسة بالأمور الدقيقة كما لو أنها كانت غريبةً عنهم، وما داموا أحياء وأقوياء بسلام، فإنهم يعرفون أنهم هم الكنيسة. الزمن لم يعُدْ في نظرهم مخصصاً للامبالاة ولغوايات العدمية. المهم في نظرهم أصبح أخيراً أن يفتحوا أعينهم على الخليقة كلها، وأن يروا ويتصرفوا. إنهم يتطلعون إلى قداسة لا تهمل شيئاً من خليقة الله، ويريدون أن يكونوا أبناء القيامة وبناتها.

هكذا يبشّر شبابنا بالأزمنة الجديدة التي يتجلّى فيها الله بكماله مصدراً لفرحنا ومحبتنا وحريتنا. إنهم يبشرون بأزمنة الروح «التي تهب الحياة». شبابنا يبشرون بزمن اليوبيل الذي يرفع فيه العبيد المحررون صلواتهم إلى محررهم.

القديس دليلنا إلى الله*

نقـــول إن الروح القدس نزل وينـــزل على كل إنسان. لذلك لا يمكننا أن نتعامل مع إنسان على أساس أن الروح القدس لا ينـــزل عليه. من جهة الله فالروح نزل ولكن إذا كان هنالك أناس لا يعجبوننا فإنهم هم الذين لا يعجبون ولكن ليس معنى ذلك أن الروح القدس لا ينـــزل عليهم كما ينـــزل علينا تماماً. فالروح القدس حل علينا جميعاً ولكننا دائماً نخطئ. نحن لا نعبر عن وجود الروح القدس فينا وهذا لا يعني أن الله منع عنا الروح القدس. الله لا يمنع عطيته عن أحد أبداً.

يوجد أناس يسألون. هذا الشيء الذي نقوله نحن تعرفنا عليه منذ ألفي سنة فقـــط. إذن مـــنذ أربعة آلاف سنة أو خمسة آلاف سنة حيث لم يكن هنالك عيد العنصـــرة ألم يكـــن يوجد الروح القدس الذي ينـــزل على الناس؟ بلى كان يوجد الروح القدس الذي يحل على الناس. الله منذ البداية كان يتطلع إلى مخلوقاته الذين في الغابـــات، أكلة لحوم البشر. هؤلاء كان يوجد دائماً بينهم «صالحون» وكان يوجد أنـــاس يحـــل عليهم الروح القدس. الله لم يحرم خليقته من النعمة الإلهية ومن الروح القـــدس الـــذي نزل يوم العنصرة. ألم يكن هنالك شيء؟ فالجواب بلى كان يوجد شـــيء. الله عـــنده طريقة لكل واحد، للذي من قبل والذي من بعد، للذي يعرف والذي لا يعرف، للذي تعمد والذي لم يتعمد. الله عنده طريقته الخاصة حتى يتعامل مـــع خليقته كائنة ما كانت. الله لا يتخلى عن خليقته، الله أب، الله خالق يخلق كل الـــناس ويحب كل الناس أينما كانوا وفي أي وقت كان. هذا يجب أن نتعلمه. لذلك عندما نقول: ليس كل الناس مسيحيين، وهذا صحيح، فهل ذلك يعني أن ليس أحد يملك الروح القدس إلا المسيحيون؟ هذا ليس صحيحاً. نحن نعرف كيف نحصل على

* أحد جميع القديسين، ٢٠٠٠/٦/١٨

الروح القدس. نحصل عليه بالمعمودية، بالمناولة، بالزواج، بالكهنوت. هذا نحن نعرفه ولكن الذي لا يعرف ذلك فالله لا ينتظره حتى يطلب الروح القدس. الله يرسل الروح القدس للجميع بدون حساب لذلك نرى أنه يوجد أناس غيرنا جيدون ويوجد أناس غيرنـــا (طيبون) وهنالك أناس لا يعرفون شيئاً من إنجيلنا ولكنك تجدهم بشراً ممتازين عند تعاملك معهم. تجد هؤلاء لا يكذبون ويجهدون في أن يكونوا صادقين، ويهتمون في أن يكونـــوا محـــبين، ويحرصون على أن يكونوا محسنين. كل هذا قد يكون نتيجة لعمل الروح القدس. وهذا شيء مهم جداً يجب أن نتعلمه.

اليوم هو أحد جميع القديسين. وهنا أتساءل عن مفهومنا للقديسين. من هو القديس؟ هل هو إنسان مخلوق مميز؟ هذا ليس صحيحاً. هل هو إنسان يرى الأشياء عـــلى غير ما نراها؟ هذا غير صحيح. القديس هو مثل كل واحد منا. وهذا يعني أن كل واحد بإمكانه أن يصير قديساً. في يوم العنصرة نزل الروح القدس على الجميع. والقديـــس هو قديس لأن الروح القدس نزل عليه. كل واحد يمكن أن يكون هكذا. القديـــس إنسان مثل كل واحد منا. والقديس نحن نتعلم منه أن كل إنسان يمكن أن يصير قديساً. نعم كل واحد. ليس إنسان مخلوقاً مميزاً عن الثاني، و لم يخلق حتى يكون شـــريراً هـــذا غير موجود. الله يخلق كل الناس حتى يكونوا قديسين ويرحب بهم في ملكوتـــه. الله ليس هو الذي يفتش عن عمل فيحاكم الناس ويلقيهم في جهنم. هذه ليست إرادته. إرادته أن يخلص الناس كلهم بنعمة الروح القدس وأن يتعلموا محبة الله وأن يكونـــوا قريبين من الله. حتى الذين يخطأون، أي نحن. لأن ليس هنالك من كبير عـــلى الخطأ وليس هنالك من كبير على الخطيئة. «ليس صالحاً غير الله وحده». وأما نحن فكلنا متساوون.

يـــا أحـــباء، القديس يختلف عنا نحن بتصرفه. ما الفرق بينه وبيننا مثلاً؟ إنه يـــأكل ويشرب ويتزوج ككل الناس. ولكن الشيء الذي يجب أن نجاريه فيه هو أن القديس يحسب حساباً لله في حياته، عندما يأكل يتذكر أنه لولا نعمة الله لما كان هذا

الطعام موجوداً ولما كان يتمتع بصحة جيدة حتى يأكل، وقبل أن يعمل وعندما يفكر يطلب من الله أن يرشده إلى الرأي الصحيح حتى لا يأتي روح الشيطان ويحل محل روحه القدوس الذي أخذه في العنصرة وفي المعمودية والأسرار الإلهية.

القديس هو شخص يتذكر دائماً أن الله يراه وأنه لا يستطيع إلا أن يحسب لله حساباً. القديس يفكر بالله وهو يعيش كما نحن نعيش ببساطة وليس كما نحن نبالغ في كل شيء وتتغلب علينا شهواتنا. نحن جماعة مغلوبون بحاجاتنا وشهواتنا. والقديس هو الشخص الذي يتكل على الله حتى يتغلب على شهوته ويتغلب على ضعفه وعلى كل ما يواجهه حتى ينتصر. القديس مثلنا تماماً والله فيه هو الذي يعمل، لذلك أحب أن أقول لكم بأن القديسين ليسوا من جبلة مغايرة فهم من نفس اللحم ومن نفس العظام. وعندما ترى القديس فإنك تراه مثل أي إنسان آخر. لكنه في العمق يملأه روح الله ويبرز في حياته. وهذا هو الفارق بين البشر. فالبعض عندما تتعامل معهم يفكرون مباشرة بروح الشيطان كيف يمكن أن يربحوا منك وأن يستغلوك. ولا يفكرون بماذا يفعلون كي يكونوا رحماء معك. القديس يفكر كيف سيكون رحيماً معك. لذلك أريدكم أن تلاحظوا أننا في الصلوات، نجد الكلمات التي نسمعها منتقاة، وليست مكتوبة بشكل عشوائي. تلاحظون أننا لا نخاطب أي قديس بالقول أيها المخلص. القديس لا يخلص. وهو يحتاج إلى أن يرسل إليه المخلص الوحيد روحه القدوس. والفارق بيننا وبينه أنه هو يقبل الروح وأما نحن فلا نقبله.

القديس ليس مخلصنا. نحن نخاطبه سائلين إياه أن يساعد على أن يحصل معنا ما حصل معه. القديس هو الشخص الذي نتمنى أن يقودنا معه في طريقه القويم. هو لا يختلف عنا ولكن يمكنه أن يقودنا معه حتى نصل إلى المخلص الوحيد الذي هو ربنا. لذلك يجب أن ننتبه إلى أننا عَيَّدنا للعنصرة ومن ثم كان القداس الأول لجميع القديسين. كل واحد منهم يختلف عن الآخر وهم لا يختلفون عنا ولكن الكل بالروح

القدس يسيرون في الطريق الصحيح نحو الله ونحن نطلب منهم أن يقودونا. اتكالنا من أجل الخلاص ليس على القديس ولكن على الله الذي بمحبة القديس وإرشاده يقودنا إليه. ونحن كلنا يا أحباء مدعوون لنكون قريبين من الله.

بولـــس الرسول يقول: كل من هو معمد هو مملوء بالروح القدس أي أنه مقدس، كل واحد منا هو قديس. إذا كان لا يعلم ذلك فليعلم. وإذا لم يكن قد انتبه حتى الآن للروح القدس فآمل أن ينتبه لذلك. آمين.

✞ ✞ ✞

كونوا أقوياء فتراثكم صحيح ومقدس*

في هــذا الــيوم المبارك، أيها الأحباء، نذكر اسمين: الاسم الأول «بطرس» والاســم الثاني «بولس». نذكر بطرس أولاً لأنه كان أعتق من بولس في المسيحية. نذكره أيضاً لأنه هو الذي أسس نواة الكرسي الإنطاكي المقدس في إنطاكية، وعندما ذهب بولس الرسول إلى إنطاكية، وجد هنالك نواةً للكنيسة، نواة كانت قد نظمت من بين اليهود الذين كانوا يسكنون إنطاكية منذ زمن طويل .

الاسمــان بطرس وبولس اسمان في غاية الأهمية بالنسبة إلينا. بطرس كان أول مــن اعــترف بــأن المسيح هو ابن الله، أول من اعترف بألوهية المسيح. بطرس هو الشخص الذي لم يكن إيمانه أعمى، كما يظن البعض، لأنه كان مشككاً، لأنه جحد المسيح. عند الشدة ترك بطرس المخلص وأنكره، أنكر انتماءه إليه ثلاث مرات، كما تنبأ بذلك ربنا يسوع المسيح عندما كان في حالة المداينة. بطرس الرسول كان إنساناً في النهاية بسيطاً. بولس كان أقوى علماً. بولس كان إنساناً مثقفاً وكان عبرانياً هو. بولس يهودي كان يعرف اللغة العبرية جيداً، ولكنه أيضاً كان يعرف اللغة اليونانية، ومــن كــان في تلك الأيام يعرف لغتين كان مثقفاً لدرجة غاية في التقدم وغاية في الســمو. هــذا الإنسان بولس الرسول هو الذي حمل المسيحية من إنطاكية إلى كل أوروبــا. أوروبا، أيها الأحباء، هي تلميذة بولس الرسول الذي هو من هذه المنطقة حيــث نوجد الآن. هذا المكان نحن نعتبره مقدساً وهو كذلك لأننا نؤكد ــ حسب الــتاريخ وحسب الكتاب المقدس ــ أن المسيحية انتقلت من هنا وأنارت المسكونة. المســيحية ليست مستوردةً إلينا. المسيحية من عندنا نبعت، من المسيح الذي ولد في بيــت لحم، والذي كان ناصرياً، والذي صلب ومات، إلى جانب أورشليم المقدسة.

* دير الرؤية، تل كوكب، دمشق، عيد القديسين بطرس وبولس، الأربعاء ٢٨/٦/٢٠٠٠

المســيح من عندنا، أيها الأحباء، وهذا دينونة كبرى لنا، لأن الناس يقولون: إذا كان المســيح من عندكم، فهل أنتم معه؟ هل أنتم بالفعل مؤمنون بالمسيح؟ المسيح الذي يحب الآخر، المسيح الذي يريد أن يعطى كل شيء للآخر المسيح الذي قال: أنا ما أتيت من أجل نفسي، ولكن أنا أتيت من أجلكم؟ أتى وأعطى. لم يبنِ المسيح بيتاً. لم يَفصِّل المسيح ثوباً. المسيح كان حافياً. المسيح كان بسيطاً إلى أقصى الحدود. بولس هو أيضاً أراد أن يكون كالمسيح، أن تكون كرامته للمسيح وليس لشخصه. اذكروا جميعاً فأنتم لا تقرأون الإنجيل كفاية وهذا نقصٌ عندنا. بولس الرسول قال: أنا ليس لي أن أفــتخر بشــيء، ليس لي أن أفتخر إلا بآلامي. بولس الرسول ضُرب، بولس الرسول أُهين، بولس الرسول تعب، بولس الرسول ما كان يقبض معاشاً أو راتباً من أحد، كان يبشر بالمسيح وكان يشتغل، يحيك الخيم، يحيك الشباك. هكذا كان بولس الرسول الذي نحن نذكره اليوم والذي له هذا المكان المبارك.

أيهــا الأحباء، المسيحي مسؤول جداً. من هو النموذج الذي نضعه أمامنا؟ هــذا يجعلــني قبل أن أجيب عن هذا السؤال أتصور من هو الذي نضع صورته في البيت، من الذي نكرمه، من هو الذي نهابه، من هو الذي ندعوه إلى طعام في بيتنا أو إلى تكــريم في حفلاتــنا، مــن هو عند بولس الرسول؟ كان عنده شخص واحد. اســتعيدوا كل الصلوات التي تُليت فلن تسمعوا كلمة واحدة تقول يا بولس الرسول خلصــنا! هــذا غير موجود! أما الموجود فهو أن بولس الرسول يعلمنا أن المخلص واحد، وهذا المخلص هو ابن الله الوحيد الذي أتى إلى العالم لكي يخلص الخطأة الذين نحن أولهم.

أيهــا الأحــباء، الــيوم النموذج الذي لدينا هو بولس الرسول الذي أنشأ الكرســي الإنطــاكي مع بطرس. بطرس هاجر من إنطاكية بعد أن أسس حلقةً في إنطاكية مسيحية. هناك سمي المسيحيون مسيحيين لأول مرة. كانت كلمة مسيحيين غير موجودة في القاموس وهناك وُجدت في إنطاكية. ومن هناك، من انطاكية ذهب

بطرس إلى رومية. وكم قصراً بني؟ لقد صلب "بالمقلوب". وهذا ما جناه. استشهد من أجــل المسيح. وإجمالا، أيها الأحباء، عندما تعتقد بشيء جدياً فأنت تدفع الثمن. إذا لم تدفــع ثمــن عقيدتك، فأنت لا تعتقد بها كفايةً بل تتغنى بها، أنت تذكرها كأنها أنشــودة، ولكنها ليست كما يجب أن تأخذها نظاماً للحياة تحلو الحياة بها ولا تحلو بدونها.

أيها الأحباء، من هنا نتعلم شيئاً من التاريخ وهو أن الناس كانوا يقفون هنا مــئات ألوف قبلكم. كانوا يصلون هنا لأن قدمي بولس الرسول داستا هذا المكان. هــذا شيء رائع، فإذا قيل لكم أنتم تعيشون في أرض القديسين، فهذا الكلام صحيح مئة في المئة. ولكن كيف نقدر ذلك نحن؟ نحن، أيها الأحباء، إذا تعودنا الشيء، فقد اهــتمامه عندنا. بولس الرسول اسمه يهتز له الكثيرون اليوم بالإيمان، أما عندنا، فليس له الكثير من المعنى. يجب أن نستعيد هذا، يجب أن نستعيد هذا الاسم، يجب أن نصبح حساسين مجدداً للاسم «بطرس الرسول» وللاسم «بولس الرسول». هذان الاثنان هما قديســان وقد قدّسهما الرب نفسه. وبولس الرسول في دمشق. ودمشق ليست فقط للسياسة. دمشق مكان فيه اهتدى بولس الرسول إلى المسيح، في دمشق وليس خارج دمشق، فيجب أن نعرفه جميعاً، ولذلك فلننظرن إلى أقدامه كما قلت، ليس هنا فقط، ولكــن في دمشــق، في شارع مدحت باشا بالذات. هذا شيء أكيد يجب أن نعرفه نحــن، وعندما نذهب لشراء شيء ما في ذلك الشارع، لنذكر أن بولس الرسول قد مشى فيه وقد داسه وأننا نحن ندوس المكان الذي داسه بولس الرسول.

يــا أحباء، أنتم أبناء الكرسي الإنطاكي الذي ــ كما قلنا ــ أسسه بطرس وبولس، وهما من أعظم الرسل على الإطلاق. أنتم أبناء أولئك، وأنتم تحملون الرسالة التي حملها بولس الرسول من عندكم.

الأناجــيل مــن عندكم، الرسل من عندكم، المسيحيون الأول كُلهم، من

عندكم. كونوا أبناء صالحين لمثل أولئك الآباء. فكروا بأن ما أعطي لكم في وقت من الأوقات لم يُعطَ لأحد سواكم. فكروا بذلك. أنتم من بلد مقدس، من أرض مقدسة، أنـــتم مـــن تراث مقدس. كونوا أقوياء فتراثكم من الله، إلهنا الواحد الأحد. تراثكم صـــحيح، تـــراثكم مقدس، معموديتكم على اسم الأب والابن والروح القدس، كل شيء مقدس إلا إذا دنسناه نحن، أيها الأحباء، والإنسان يدنس الكثير في حياته. أود أن أقول مجدداً: عيداً مباركاً إن شاء الله وهذا عيد كل واحد منكم. الذي لا يعرف ذلك، قولوا له هذا الأمر: عيد الكرسي الإنطاكي يعني أنه عيد كل واحد منكم بدون اســـتثناء. بشروا بأنكم أنتم تذكرون الرسولين بطرس وبولس في هذا اليوم المبارك، وتنـــتمون إلى أسرة الكرسي الإنطاكي المباركة، ثالث كرسي بالنسبة إلى كل العالم الأرثوذكســـي بـــدون اســـتثناء، ثالـــث كرســـي لا يتقدمه إلا كرسيا اسطنبول فالإسكندرية.

إن شاء الله إلى سنين عدِيدة، أطال لنا عمركم.

✞ ✞ ✞

الله لم يكتب ولكنه أوحى*

أشكر جميع الاخوة الذين تكرموا بحضورهم بيننا في ذكرى الرسولين بطرس وبولس التي هي دائماً ذكرى للمحبة، ذكرى للوفاق لا ذكرى وذريعة للخصام وأود أن أذكر أن أول كنيسة مسيحية نشأت كانت في القدس لا في اسطنبول ولا في روما. إذن تأسست أول كنيسة في القدس وثاني كنيسة تأسست في انطاكية. في القدس أسسها يعقوب الرسول وفي أنطاكية أسسها بطرس الرسول.

كنيسة انطاكية هي إحدى كنيستين أسسهما بطرس الرسول: الأولى في أنطاكية والثانية في روما بعدئذ.

هذا أود أن أذكركم به لذلك ففرحنا له معنى خاص جداً لأننا في ذكرنا بطرس وبولس فنحن نذكر أننا من جب واحد هو الجب الانطاكي. هذا قبل أن تكون روما كنيسة وقبل أن يكون هنالك قسطنطينية على الإطلاق. هذا شيء يجب أن نضعه في أذهاننا. إذن متى أصبحت كنيسة بطرس الرسول في أنطاكية وكنيسة بطرس الرسول في روما لا تتفقان؟ حصل ذلك عندما صار هنالك روما رقم واحد وروما رقم اثنين.

الخلاف صار بين روما وبين روما (انطاكية) لا بين روما البطرسية وبين انطاكية البطرسية. هذا من أجل معلوماتكم العلمية. لذلك يسرني جداً أن يكون الانطاكيون يتصرفون وكأنهم بالفعل من جب واحد هو الجب البطرسي. هذا شيء في غاية الأهمية.

شيء ثانٍ أود أن أقوله اليوم: نسمع، أيها الأحباء، الكثير عن الأشياء التي تكتشف كل يوم وتضاف إلى المكتشفات السابقة عندنا بواسطة العلم والعلم المدقق.

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد القديسين بطرس وبولس، ٢٩/٦/٢٠٠٠

هناك أشياء تكتشف في هذه الخليقة. هنالك البعض من اخواننا مثلاً يتساءلون كيف نجد هذا في كتابنا المقدس؟

أذكر أنه عندما خُلق الإنسان، كما يقول الكتاب المقدس، سلمه الله الأرض كما هي. لم يسلمه إياها مفلوحة، و لم يسلمه إياها مزروعة و لم يسلمه الشجر ولا ما على الأرض و لم تكن متقنة كما هي متقنة اليوم. سلمه إياها كما تُعَلّم التلميذ الألف باء فقط ولكن كل شيء يأتي بعد ذلك.

وصار التاريخ يكشف ما هو ذلك الكنز الذي سلمه الله للإنسان. كنز له بداية وليس له نهاية وفي كل يوم اكتشافات جديدة. في كل يوم اكتشافات حديثة العهد وفي كل يوم عجائب تكون في هذا الكنز الذي أوجده الله تعالى. هذا الكنز يبدأ فيك. نعم فيك. اليوم أنت تعرف عن نفسك أكثر مما كان يُعرف عنك منذ مائة سنة. أنت تتعلم، تزداد معرفة أكثر فأكثر. الله أعطانا العقل لكي ندرس لكي نتعلم. إذا قيل لنا هذا غير موجود في الكتاب فالله لم يكتب الكتاب، الله أوحى بالإنجيل، والذي كتب نعرف اسمه وهو متى أو اسمه مرقص، أو اسمه لوقا أو اسمه يوحنا.

الكتابة كتابة بشرية، ويقول لنا يوحنا اليوم «لو أن كل شيء قد كتب لحسبت أن الدنيا نفسها لا تسع الأسفار التي تدونَ فيها» (يو٢١: ٢٥). معنى ذلك أن الذي عندنا ليس هو كل شيء. معنى ذلك أن الإنجيل لم يكتب كل ما يوجد في التاريخ وفي الجغرافيا وفي الهندسة وفي الطب. الإنجيل لم يكتب ذلك وما كان همه ذلك.

هل كان الله يجمع كل الخليقة في عدد من الصفحات كما يظن البعض؟ الله لم يفعل ذلك. نحن بأعيننا التي ترى، بعقولنا التي تفعل، نحن نكشف أسرار الله في خليقته أكثر فأكثر ليتمجد هو في خليقته أكثر فأكثر.

إذا سـئلتم قولوا إن الله خلقنا لكي نكتشف أسراره، وأحبنا وأرسل لنا ابنه الوحـيد. وابنه هو كتاب حي والكتاب الحي لا يقرأ وكأنه صفحة أو صفحات من كتاب عادي. وهكذا تكون الخليقة، أيها الأحباء. لذلك أذكر بأن بطرس لم يؤسس كنيسـة رومـا خلافـاً لما أسس كنيسة انطاكية. أسس هذه وأسس تلك. كنيستنا الانطاكـية هي كنيسة بطرس الرسول أيضاً. وهذا فخر لأنه هو باسم الرسل جميعاً عندما سألهم الرب من يقول الناس إني أنا؟ كان الوحيد الذي قال «أنت ابن الله الآتي لتخلص العالم» وفي هذه الجملة «الإيمان بالرب يسوع»، في هذه الجملة كل عقائدنا، في هذه الجملة كل صلواتنا، أيها الأحباء. ولا يمكنك أن تكون مسيحياً من أي نوع كـان إن لم تكـن هذه الجملة في صميم إيمانك وفي صميم صلواتك. كل شيء في الكنيسـة يمكـن أن يختصر بهذا القول: «يا رب أنت المسيح ابن الله مخلص العالم». بدون هذا ليس من مسيحية كائنة ما كانت الفئة التي ينتمي إليها.

أيهـا الأحـباء، تجـدون اليوم أن ذاكرتنا تستيقظ لبعض الأشياء التي لا تذكروها دائماً. أودكم أن تذكروا ما قلته لكم عن الكنيسة وأود أن تذكروا أيضاً أن الـرب لم يكتب الإنجيل ولكنه أوحى لمتى ومرقص ولوقا ويوحنا. فكما ألهمهم الله كتـبوا. ولكن الكتابة كتابتهم هم، كتبوا بلغتهم الخاصة وبإنشائهم الخاص ولذلك فكمـا أنهم أربعة يتميزون عن بعضهم كذلك نجد كتاباتهم مختلفة. الشيء الثابت لي هو ما قاله بطرس الرسول: «أنت ابن الله مخلص العالم».

عـيدنا الـيوم عيد اعتراف بهذا الإيمان وبمن يقولون به أيها الأحباء، عيداً مباركاً إن شاء الله.

كنائسنا كانت أول المعلّمين*

بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، آمين.

أنـــا آتٍ بصورة رئيسية لكي أشارك في حفل تخريج أولادنا في الجامعة غداً مســـاءً. أطـــرح الســـؤال: ما هي علاقة الكنيسة الأرثوذكسية بالمدارس وبالتعليم وبالمؤسسات بصورة عامة. أطرح هذا السؤال لأني لست متأكداً أن الجميع يعرفون ما هي علاقاتنا، بالمدارس وسواها.

عـــندما يتجول الإنسان، مثلاً في أوروبا، فإن أول ما يلفت انتباهه هو أن الجامعـــات، المدارس، المستشفيات، المياتم، كلها من صنع الكنائس، كلها كانت قبل أن تقوم الدول وتتطور إلى نوع من الكنائس تريد أن تهتم بكل نواحي حياة الإنسان. قبل ذلك كان مستشفى القديس "فلان" ومستشفى القديس "فلان"، وما إلى ذلك، هذا في أوروبا.

وأولى المـــدارس في أوروبا فتحت أيام ما يدعونه بـــ"القرون الوسطى" التي يصـــفها الكثيرون بأنها قرون مظلمة. والواقع أنها كانت مظلمة بالنسبة للدول، لأن الدول كانت ظلاماً، الدول ما كانت تهتم لا بمدرسة ولا بجامعة ولا بمأوى ولا بميتم ولا بأي شيء من هذا.

كانت الدول غافلة عن حاجات الإنسان، لذلك كانت الكنائس تتبنى ذلك. فـــالقول إذاً بأن العلم بحد ذاته ضار بالكنائس خطأ، لا بل على العكس، فالكنائس كانـــت أول المعلمين. يجب أن نعرف هذا الواقع، وهو صحيح في أوروبا، فهل هو صحيح عندنا؟

---

* كنيسة دير سيدة البلمند، الأحد ٢٠٠٠/٧/٢٣

صحيح أن الطوائف الأخرى والدول أنشأت كنائسَ المدارسِ اعتباراً من السنة ١٩٣٦، وقبل ذلك لم تكن هناك وزارات للتربية الوطنية، قبل ذلك كانت الهيئات التي في الدولة لا تعنيها إلا لعبة السياسة فقط، ليكون هذا مديراً، أو زيراً أو ما إلى ذلك، فمن كان يهتم بالمدارس وبالتعليم؟ هل هم الأجانب؟ البارحة أتى الأجانب إلى هنا، فمن كان قبل البارحة يعلّم، قبل القرن الثامن عشر مثلاً؛ من كان يعلم في هذه المنطقة؟!

أصحيح أن كل الناس هنا ما بدأوا يعرفون القراءة والكتابة إلا من خلال المدارس التي نراها اليوم والجامعات التي نراها اليوم عند سوانا؟ فالجامعات لم تكن قبلاً لا عند الكاثوليك ولا عند البروتستانت، فمن كان يعلم إذاً؟ هذا السؤال يجب أن يُطرح، من الذي كان يعلم؟ إن الذي كان يخرِّج المتعلمين في الشرق الأوسط، لكي يعلموا القراءة، والكتابة، وخصوصاً القراءة الحديثة بالتشكيل هم أخوتكم الذين تجهلونهم. هنا كانت المدرسة، في بكفتين كانت المدرسة. وهناك كان يُخَرَّجُ الناس في الحقوق، عندكم كانت مدرسة للحقوق قريبة إليكم. هنا في بيروت كانت عندكم المدارس العالية. وحدكم كان عندكم المدارس العالية، وحدكم بدأتم المدارس التي تعلم البنات. كان هذا شيئاً جديداً أنتم خلقتموه. كيف أَعُدُّ المدارس؟ مار الياس شويا له خريجوه، مار جرجس الحميراء،، في بيروت مدرسة مار الياس بطينا، كل الأديرة البطريركية كانت محلات يأتي إليها الإنسان لشيئين: أولاً: ليتعلم، ثانياً: للاستشفاء. كانت المستشفيات مصغَّرة عندكم في أديرتكم البطريركية، وكان لديكم، من أجل الاختصار، خمس وستون مدرسة ابتدائية وثانوية في سهل البقاع وفي سوريا. نحن اليوم عندما نعيِّد لإحدى ثانوياتنا في دمشق نعيد للعام ١٥١ – ١٥٢ من تأسيسها أعني الآسية والتي فيها الآن أربعة آلاف تلميذ وتلميذة.

أيها الأحباء، كنيستنا نحن كانت تعمل هكذا، فهل توقفت؟ نعم توقفت. ماذا حصل عندما أتى الفرنسيون إلى هنا والإنكليز إلى فلسطين؟ الفرنسيون

فرنسيون، والإنكليز إنكليز ونحن لسنا فرنسيين ولسنا بإنكليز. قَدَرُنا أننا في لبنان نحن في أصل لبنان وفي سوريا نحن في أصل سوريا، وكذلك في فلسطين. في ذلك الوقت، صارت المدارس عندنا تغلق الواحدة تلو الأخرى لأننا جميعاً كنا في وضع اقتصادي ضيق، ولا يمكننا أن نفتح مدرسة على حسابنا، و لم يعد بإمكاننا أن نمد اليد إلى الروس الذين كانوا يساعدوننا وإلى اليونان الذين كانوا يساعدون أقل من الروس. لذلك لم نتمكن من الاستمرار مع أكثر من مئة مدرسة في سوريا ولبنان وفلسطين مفتوحة. ولذلك، أيها الأحباء، كان مضغوط علينا ألا تكون عندنا مدارس. ولكن غير صحيح أننا كنا راضين بأن يكون كاهننا غير متعلم، أو مطراننا غير متعلم، أو كنيستنا غير مرتبطة بالتعليم، هذا غير صحيح. أما الآن فإن البعض يحسون بالاستغراب كلما فتحنا مدرسة وهذا للأسف قليل في بعض المناطق في لبنان وهذا شيء لا نُحمد عليه. يقولون أصبحوا مثل "سانت" إلى آخره ومثل "سانت" إلى آخره. يعني أننا أصبحنا مثل غيرنا.

أيها الأحباء، كنا لظروف خاصة مُستغنين عن رسالة في غاية الأهمية. نحن منذ البداية كان يهمنا أن يُقرأ الإنجيل. منذ البداية كان يهمنا أن نعرف من هو الإنسان، ما هي الدنيا. وغير صحيح أننا كنا طائفة الجهلاء. هذا غير صحيح إطلاقاً إلا عندما اغتصبنا، اغتصبت إرادتنا، اغتصبت قدرتنا، عندئذ أصبحنا ضعفاء، وأصبحنا نصلي لكي يمنحنا الله القوة، غير راضين عن الضعف الذي كنا فيه. والآن وصلنا، أيها الأحباء، إلى ما ترون. فهل لنا عيون ترى؟ "ربما" ليس عند كل الناس. لا تزال العيون في كثير من الأحيان تنظر إلى سوانا على أساس أنه ليس عندنا ما عند سوانا. أما الواقع، فهو أننا لم نعد كما كنا. الذي يمثل الكنيسة اليوم، هو الجهاز الاكليريكي الذي عندنا وأنتم تعرفون أن البلمند مفتوح لكي يكون من يرغب في الكهنة جامعياً وليس ثانوياً. كهنتكم هؤلاء الشبان الذين تروهم يتخصصون لخدمتكم كهنوتياً. يتخرجون كلهم جامعيين. المطارنة عندنا لا يجوز لهم أن يترشحوا

إلى المطرانية إلا إذا كانوا جامعيين وإلا فلن ينتخبوا. كل مطارنتكم بدون استثناء يحملون شهادة جامعية، الكل! لذلك نسمع من طوائف أخرى عندما يصفوننا يقولون أين كنتم وأين أصبحتم ونحن أين كنا وأين صرنا؟ بالعكس، صارت الكنيسة الأرثوذكسية، الحمد لله، في رئاساتها وفيما تسمع وفيما ترى، أصبحت على غير ما كانت منذ عشرين سنة. اعرفوا أنفسكم.

أيها الأحباء، بقي علينا شيء واحد، الجامعات عندنا لا ترضي، المدارس عندنا لا ترضي، لا شيء يرضي إلا إذا أزيحت الأُميّة من بيننا في شيئين: الشيء الأول: هو أنتم البشر. في المدارس كتب أكثر مما هنالك بشر. وقد يكون الكثيرون يقرأون الكتب جيداً ولكنهم أُميون في قراءة البشر. لغة البشر لغة محبة، هناك لغة إعمال عقل. نحن لا نعتقد أنه يجب أن نكتفي بالورقة الجامعية فهذه لا تصنع إنساناً. الذي يصنع الإنسان، هو أن يكون الإنسان عارفاً أن يقرأ الإنسان، وماذا تُعلّم الأرثوذكسية بذلك، تقول: من لا يقرأ أن الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله ولذلك فيه شيء من الله، أي أنه مقدس، فهو غبي جداً، هو أميّ، ولو كان يقرأ كل لغات العالم، ولو كان يدرس في كل الكتب.

الشيء الثاني: لأن الله لا يظهر أمام عيوننا، أما خليقته فهي الظاهرة أمام عيوننا، لذلك فالذي لا يعرف أن يقرأ خليقة الله، وإذا لم نكن نقرأ الشجرة والتراب والضوء والظلام وما صنعه الله، إذا لم نكن نقرأ العلم الذي يعلّمنا ماذا فعل الله، والذي كنا نجهله، الذي لا يقرأ هذه الأمور يبقى أُميّاً أيضاً. يجب أن نقرأ الإنسان على أن الله خلقه وأن نقرأ الطبيعة ونقول إن الله خلقها. ومن هنا فإن آثارنا تدل علينا. الخليقة تقود إلى شيء من تذوق الخليقة، فلننتبه إلى هذا. لذلك نحن بحاجة إلى أن تكون لنا مدارسنا وأن تكون عندنا كل أدوات التعليم وأن لا تنقذنا من أمية الحرف وتضعنا في أمية الإنسان، وفي أمية ما خلق الله، عندئذ تكون أميتنا أخطر بكثير من أمية الحرف. لماذا؟ لأن الإنسان بدأ أمياً بالحرف، ولكنه عرف أن يسبّح الله

في خليقته، وفي الإنسان. وبنتيجة ذلك أتت الكتب فيما بعد وليس قبل ذلك. جاءت نتيجةً، وليس فقط سبباً. يجب أن ندعو الله أن يقوينا.

أيهـــا الأحباء، فلنصل حتى يأتي وقت لا يكون الإنسان فيه أميّاً بالنسبة إلى الإنسان وبالنسبة إلى الطبيعة، وإن كان عارفاً بالنسبة إلى العلوم. يجب أن نعرف أن العلوم تقود إلى معرفة من صنع الخليقة.

أيها الأحباء، لسنا غرباء عن المدارس أما نحن فقد نكون كسالى بالنسبة إلى بعـــض الأمـــور عندنا ومنها المدارس. أنا أقول شيئاً واحداً، يجب أن نكون في كل الأبرشيات عاملين بالمدارس لكي يرانا أولادنا، ولكي نراهم، لا لكي نفتش عنهم في كـــل شـــيء ما عدا في إطارنا الكنسي نحن. نحن نحب أن نتعرف إلى أولادنا وهذا واجـــب، وحيـــث لا توجد مدارس، فأين سنجد أولادنا؟ أين سنلقاهم أفي السوق نلقاهم أم في المقاهي؟

هـــنا في الكنائس لا يأتون إلا إذا تعلموا أنه يجب أن يأتوا إلى الكنيسة، إذاً، أولادنا سيكونون دائماً أولاد غيرنا، ونحن هكذا.

أيها الأحباء، نحن هكذا. أنا لم أتعلم في مدارسنا، لأنه لم تكن مدارسنا تعلم أمـــثالي، هذا شيء يجب أن نستغفر الله عنه، وأن نعود إلى أن نكون نحن – قبل أن تعلّـــم الكنائس الأخرى، قبل أن تعلم الدول – المسؤولين عن ثقافة كل إنسان ناطق بلغتنا في هذه المنطقة، هل تنسون ذلك؟ يجب أن تذكروا ذلك وتقولوا علينا أن نبدأ من جديد.

والتنظيم مهم في الكنيسة*

اليوم، يا أحباء، رأيتم — وهي ليست المرة الأولى — سياحاً يأتوننا من قبرص ومن أمكنة أخرى أرثوذكسية. تُلاحظون أنهم يدخلون الكنيسة، بالطبع لا يعرفون ما يُقال، ولكن الإنسان الذي اعتاد الذهاب إلى الكنيسة وسماع القطع التي هي هي في كل الكنائس الأرثوذكسية فإنه يعرف مثلاً أن الإنجيل يُقرأ الآن، ولكنهم لا يقفون حتى تنتهي قراءة الإنجيل. تُلاحظون أن جماعتنا الأرثوذكس لا يضعون في برامجهم المشاركة في القداس الإلهي حتى أن العديدين منهم يأتون البلد ولا يعلمون أن فيها أرثوذكساً.

والشيء الثاني الذي لاحظته أنهم يُسارعون إلى الأيقونات. وهذا شيء حسن، ولكن أين يبدأون، يبدأون إما عن اليمين أو عن اليسار، ولكن بأية أيقونة لا يهم ذلك، المهم الأيقونة وليس من عليها، وهذا خطأ. الأيقونة الأولى في الكنيسة هي أيقونة السيد، هو ابن الله الوحيد الذي تجسد ولذلك نسمح لأنفسنا أن نضع له أيقونة. هذه ليست صورته الشمسية، نحن لا نُصوّره، الأيقونة يصلي مصورها ويصوم ويطلب إلى الله أن يساعده كي يرسم أيقونة توحي بالسيد. الأيقونات ليست مثل بعضها. السيد ليس مثل سائر الأنبياء والقديسين، السيد ليس مثل مارالياس، ولا مثل مار جرجس. الناس يذكرون مار الياس ومار جرجس أكثر مما يذكرون الرب يسوع. ونادراً ما نسمع الناس يصلون إلى الرب يسوع أن يعينهم وأن يقويهم، ولكنهم يلجأون إلى مار الياس ليُساعدهم في تحقيق مآربهم الخاصة وكذلك مار جرجس. أيةَ ديانة أصبحت ديانتنا. ما أقوله لا تسمعونه دائماً وأينما كان وآمل أن تقولوا هذا الشيء للآخرين وأن تدلوهم على الطريق القويم.

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، الأحد ١٣/٨/٢٠٠٠

الأيقونـــات لها تسلسلها، فالأولى هي أيقونة السيد ثم أيقونة العذراء، وتأتي أيقونـــات القديســـين تالياً، وحتماً هي ليست على نفس الأهمية التي لأيقونة السيد وأيقونة العذراء.

عـــندما نـــتلو: «أومن بإله واحد» نقول «وبربٍ واحدٍ يسوع المسيح... وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس»، هذا هو إيماننا.

عندما يأتي المؤمنون ويضعون الذي في الأول آخراً، وفي الآخر أولاً، هذا لا يجوز وليس صحيحاً، يجب أن ننتبه إلى هذه الأمور!.

الصـــلاة عـــندنا عبارة عن احتفال حقيقي. يقول الكاهن: «لنقف حسناً، لنقف بخوف، لنُصغ». ولكنها تُقال مرتلة فيُغطي النغم على الكلمات فلا ينتبه الناس إلى معـــناها، مـــع أنها في الأصل قيلت لإيصال معناها. لنقف حسناً أي لنقف الآن جيداً.

الكنيســـة منذ البداية هي عارفة وليست جاهلة، ولذلك حاولت في الصلاة أن تعـــلم الناس كيفية الصلاة. لنقف ولنسمع. وهذا تنبيه إلى أن شيئاً مهماً سيُقال ويجـــب أن نســـتمع إلـــيه جيداً. الكثيرون يخرجون من الكنيسة وقد تشنّفت آذانهم بالأنغام فقط، دون يفقهوا شيئاً، وهذا غير مستحب. الأنغام تُزين الكلمة وهي تابعة لها.

يا أحباء، صلاتنا تبدأ بصلاة السحر، وأما القداس فيبدأ: «مباركة هي مملكة الآب والابـــن...»، السحرية يمكن قراءتها في البيت، أما القداس فهو الصلاة التي لا يجـــوز أن تـــتم إلا في الكنيســـة، وفيها تسمع الرسالة والإنجيل، وتحصل فيما بعد الاســـتحالة. "لـــنُقدم بسلام القربان المقدس"، هذا هو القداس عندما يُقدم القربان. وماذا يُذكر عندئذ؟ يُذكر عشاء الرب يسوع عندما قال للتلاميذ: «خذوا كلوا هذا هـــو جســـدي، اشربوا منه كلكم، هذا هو دمي»، تُذكر كلمات الرب، ثم نقدم له

القــرابين ونصلي كي يُرسل روحه علينا وعلى القرابين. نعم علينا أولاً حتى نكون مستحقين لتناول جسده ودمه الكريمين.

يـــا أحباء، يجب أن ننتبه للأشياء، أشعر أحياناً أننا عندما نقول "لننتصب بحكمـــة"، فكـــأن الكلام موجه إلى غير الموجودين في الكنيسة. وبالفعل ليسوا هم مســؤولين دائمـــاً عـــن هذا الوضع، بل نحن لأننا لا نُعطي الجملة معناها الحقيقي ونُضــيعها بالترتيل. الجملة واضحة جداً، لنقف حسناً أي لننتبه للاسترخاء ولنقف جــيداً لنســمع الكلمة الإلهية. ذلك لأنه في الكنائس الأولى لم تكن هنالك مقاعد للجلوس، وفي روســيا الآن لا توجد مقاعد، ولذلك فكل إنسان معرض للاسترخاء وعــدم الانتباه. «لنقف حسناً، لنقف بخوف.. لنُقدم بسلام القربان المقدس». الآن وقت التقدمة، الآن الاستعداد للاستحالة، الآن صُلب القداس الإلهي، وما قبل ذلك كان تهيئةً واستعداداً لما سيحصل الآن.

في الصلاة يجب أن نكون مستنيرين، ونعرف أن الرب وعد أن يكون دائماً معـــنا، نـــأكل جسده ونشرب دمه، وبعدئذ نطلب أن يُرسِل روحه القدوس علينا. الذي يأخذ الكثير لا يعود يُفكر بالقليل، بعد المناولة لا نُقبل أيقونة. جسد الرب أهم شيء فلا نكن كالذي ليس له من يُرشده إلى العمل الصحيح. الدليل السياحي يعرف الأشـــياء الأخرى، وأما أنتم فعندكم دليل يُرشدكم فاسمعوا ما يُقال في الكنيسة حتى تكونوا الأرثوذكس المستنيرين الذين يعرفون ما يُقال لهم وما يجب أن يفعلوا، وعليهم أن ينتبهوا إلى كل كلمة تُقال لهم.

العذراء نموذج لطهارتنا*

في عيد رقاد السيدة أعايدكم جميعاً وأعايد بصورة خاصة وكالة هذه الكنيسة والمرتلين وكل الذين يعملون في الكنيسة والذين بدون اهتمامهم لما كنا نتمكن من التفكير في تبريد هذا المكان ولا أن ندفئه. أشكر كثيراً كل الذين يهتمون بهذه الكنيسة وسائر الكنائس كما أشكر الكهنة الذين يهتمون بكنائسنا والذين لولاهم لما كان القداس، ولا كانت الصلوات بشكلها الصحيح. الكهنة هم شيء أساسي جداً جداً في كنيستنا. فإلى سنين عديدة وأنتم بخير. كما أعايد بصورة خاصة كل اللواتي يحملن اسم السيدة العذراء.

اليوم، إذا أحببنا أن نطلق تسمية على العيد فإننا سنسميه عيد رقاد السيدة. رقاد السيدة وبلغتنا موت السيدة. ولكننا نحن لا نقول إنها ماتت. وعلى كل حال فإننا عندما نذكر الراقدين على رجاء الحياة الأبدية فإننا لا ندعوهم أمواتاً. ندعوهم دوماً بالراقدين أي النائمين. وهذا شيء أساسي في إيماننا. نحن لا نؤمن بالموت. نؤمن بأن الإنسان في مرحلة من مراحل حياته يغيب عن هذا العالم ولكنه يعود. وكما جاء إلى هذا العالم فإنه سيأتي ثانية. أتى إلى العالم بالإرادة الإلهية ويعود بقيامة المسيح الذي هو المخلص. لذلك نحن لا نقول بالموت ولكننا نتكلم عن الرقاد.

السيدة العذراء عندما نفتكر بها فهي ليست شخصاً عادياً. فهي قبل أن تحبل بالرب يسوع كانت صبية، صبية عفيفة، صبية نظيفة والصبية النظيفة هي المثال للنظافة ويضرب المثل بها.

الصبية عندنا في الكنيسة هي النموذج للنظافة، للطهارة. اليوم قد تقضون شهراً دون أن تسمعوا كلمة الطهارة. في «أوراق النعوة» يقولون انتقلت روحه

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد رقاد السيدة، ١٥/٨/٢٠٠٠

الطاهرة. ولكن الله وحده يعلم إذا كانت روحه طاهرة أم لا. الطهارة شيء هام جداً جداً في حياتنا الكنسية. عندنا في الكنيسة إذا لم تكن كبيراً بالطهارة فأنت لا شيء. يجب أن نُذكّر بناتنا وشبابنا بهذا الشيء، يجب أن نذكّرهم بأن العالم يجب أن يتمثل بهـــم، بطهارتهم وبتوليتهم وأن هذا ليس مظهراً خارجياً فقط ولكن يجب أن نكون طاهـــرين بالفعل، بالفكر، طاهرين بالجسد، طاهرين بالقول. نحن إذا كانت كنيستنا تضعنا نموذجاً فسنكون نحن كما تكون كنيستنا وكما تريد. الصبية نريدها أن تكون طاهرة بدون أي نقطة سوداء. العذراء كانت صبية وكان يمكن أن تكون أرملة وهذا ليس احتقاراً للزواج ولكن حتى يُمجِّد الرب البتولية والطهارة والصبايا كان أول ما هيأ هيأ صبية حتى تحبل من الروح القدس لتلد المسيح إلهنا.

إذن كان كمن يهيئ لها محلاً. العذراء التي نعيد اليوم لرقادها كانت طاهرة والـــذي لا يعـــيد للعذراء معنى ذلك أن الطهارة لا تهمه وان كل شيء عنده حسن ولكننا نحن لا نؤمن بذلك. نحن ندعو النظيف نظيفاً ونفخر به وأما غير النظيف فإننا نصلي إلى الله أن يساعده لكي يكون نظيفاً. ولكن المثل هو الطهارة لذلك، يا أحباء، الـــذي منا يذكر جواب بولس الرسول عن السؤال لماذا يموت الناس؟ قال: هذه فترة موقـــتة وفي هذه الفترة يكون الإنسان كحبة الحنطة التي تزرع فنحفر الأرض (القبر) ونضـــع حـــبة الحنطة ونغطيها بالتراب (كذلك الميت) وعندما يأتي المطر تنتش حبة الحـــنطة وتخترق التراب وتظهر ببهاء وبجمال أكبر من البهاء والجمال اللذين كانت علـــيهما. لذلـــك نقول عن السيدة إنها رقدت وإنها لم تمت، السيدة لم تمت. نحن لا نمـــوت ربـــنا خلقـــنا حتى نعيش وإذا كانت الحياة قد أُخذت منا فحتى تعود ثانية بالتأكيد.

يـــا أحـــباء، الذي يكون صالحاً لا يندم، الطاهرة لا تندم بعكس ما يقوله الـــناس. الرخيص يوجد منه الكثير، الطهارة عرش يجلس عليه الإنسان ويفتخر بذلك ويشعر بأن الناس يحسدونه وهو لا يحسدهم.

في عـــيد رقـــاد السيدة الذي نقيمه اليوم نتمنى الخير لكم وخاصة لنسائنا ولصـــبايانا. هـــذا العيد نحن نبتهج فيه. في السيدة نرى الصبية التي نتمنى أن تكون صبايانا كلها مثلها. السيدة التي نتمنى أن تكون نساؤنا كلها مثلها. وحتى الآن مات ألـــوف من الصبايا ومن السيدات ولا أحد يذكرهن. ولكنها هي ستبقى اليوم وإلى الأبـــد وســـنذكرها وسنقول عنها إنها أكرم من الشيروبيم (أي الملائكة). هذه التي ولـــدت كلمة الله نحن نعظمها ونقول لها يا عذراء كم أنت هامة وكم أنت صالحة وسنصلي من أجلك في المديح وفي البراكليسي تلك الصلوات التي لا نقدمها إلا لك لأنك أنت كنت الطاهرة.

اليوم عيدنا يذكرنا بقيمة الطهارة، الطهارة التي لا يتحدث الكثير من الناس عـــنها. أرجو الآباء والأمهات أن يذكروها أمام أولادهم. يا بني فلتكن يدك طاهرة ولـــتكن عيناك طاهرتين وأذناك تسمعان الشيء الحسن، وأن تسير رجلاك في طريق الحـــق وفي طريق الطهارة. وهذه هي التربية وغير ذلك باطل. كل عيد وأنتم بألف خير.

✞ ✞ ✞

قوة الإنسان من صدقه*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. آمين.

اليوم، يا أحباء، تضع الكنيسة أمامنا صورة حصلت في التاريخ من ناحية إنسان حاكم قوي له سلطان. ويمكنه بكلمة أن يسبب إعدام شخص أو يخلصه من الإعدام. إذاً هو صاحب سلطة. ومن ناحية ثانية يوجد إنسان ضعيف، إنسان فقير، لكنه إنسان مستقيم. اليوم يقول الكثيرون إن الذي ليس عنده أتباع ولا عنده مال ولا سلطان هو إنسان ضعيف جداً.

الشخص الضعيف الذي نتكلم اليوم عنه هو يوحنا المعمدان الذي لم يكن يعترف بالمقاييس البشرية، فكان قوياً يقول الحق، فكان أكبر من الحاكم وأكبر من الملك الذي كان يحاكمه. كان الملك يطلب منه أن يتجاوز القانون والشريعة، ولكن يوحنا وقف عند قول الحق: امرأة أخيك لا تحل لك، أحبتك أم أحببتها فهذا لا يقدم ولا يؤخر ولن نجعل من الخطأ صواباً. وعندما هُدد بالموت قَبِل الموت، وخير للإنسان أن يموت من أجل الصح على أن يموت من أجل الخطأ. وهكذا كان. مات يوحنا. ونحن اليوم نذكر في صلواتنا قطع رأس يوحنا المعمدان، نريد أن يتعظ كبارنا وصغارنا.

أحس اليوم أن شبابنا أصبحوا ضعفاء لا يواجهون. فإذا كنت تعلم ما تقول كنيستك وما يقوله إنجيلك وبالتالي ما يريده ربك، فلا ضرورة إلى المسايرة على حساب إيماننا. وما دام ربنا وهو الذي أوجد لنا فمنا فعلينا أن نستعمله فقط لقول الحق.

البعض يظن أن المسيحيين جماعة مسالمين. نحن لسنا مسالمين. نحن مسالمون

* ٢٠٠٠/٨/٢٩

مع الناس الجيدين فنقول لهم أهلاً وسهلاً. أما الأشرار فلسنا مسالمين معهم. نحن لسنا مسالمين مع الخطأ. الشيء الغلط نقول عنه إنه غلط. ومن هو الذي لا يغلط في هذه الدنيا؟ من هو الذي يدعي أننا عندما نواجهه بالحقيقة فإننا بذلك نريد تصغيره. الصغير هو الذي لا يعرف الحق، الصغير هو الذي لا يعرف الصحيح. أما الكبير هو الذي يعرف الحق معه كان أو عليه.

يوحنا المعمدان كان يعيش في البرية لذلك لم يكن يملك شيئاً. والذي يزور القدس وتلك النواحي، بالكاد يعرف شيئاً عن يوحنا المعمدان. ولكنه وقف بجرأة أمام الملك هيرودس وقال له إن كان الناس يقولون لك بأن الحق معك فمعنى ذلك أنهم لا يحبونك لأنهم لا يقولون الصحيح. أما أنا الذي أحبك فأقول لك إنك على خطأ ولا يمكنك تجاوز كل الشرائع التي وضعها الله لتأخذ زوجة أخيك لأنها أعجبتك وأعجبتها، ومن يقول إن الذي يعجبك اليوم سيعجبك غداً.

نقول اليوم إن الذي يقول الصحيح هو قوي، قوي إلى آخر درجة. قوة الإنسان تأتي من الصحيح، من الصدق وليس من الكذب والمداهنة. عندما نساير الناس نكون في غاية الضعف ويمكن لأي كان أن يشترينا. هذا ما أحببت أن أذكركم به.

اليوم سنكرم السيد خريستوس سفير قبرص. كل الناس يقولون إن السياسة مسايرة وهذا غير صحيح. هناك بعض السفراء الذين يفعلون ذلك، لكن السفير خريستوس يمثل دولة قبرص وهي أرثوذكسية مثل سفير اليونان الذي يمثل اليونان البلد الأرثوذكسي.

هذا الإنسان الذي نكرمه اليوم كان صادقاً لبلده، جاء ليخدم في سورية ولم نسمع يوماً أنه يكذب مثلاً على الدولة السورية. السفير يمثل دولة والدولة فيها عسكر ومخابرات، معنى ذلك أنه ابتعد عن الكنيسة. نعم يوجد أناس هكذا ولكنه هو

لم يفعل.

عـــندنا بعـــض الموظفين الذين بالكاد يسدون رمقهم، تراهم في وظيفتهم يـــترفعون على كنيستهم وعلى جماعة الكنيسة بل على رب الكنيسة. ويعتقدون أنهم أصبحوا أعظم من هذه الأشياء. هؤلاء مساكين ونحن نصلي من أجلهم.

هـــذا الشـــخص الـــذي نكرمه اليوم، لم يجد نفسه أكبر من الكنيسة، هو أرثوذكسي وكذلك عائلته. وعندما كان يقوم بعمله السياسي كان لا ينسى كنيسته. رأيـــتموه مـــرات عديـــدة هـــنا يشـــاركنا الصلاة لأننا شعب واحد هو الشعب الأرثوذكسي، وإن كان يتكلم اللغة العربية أو اليونانية أو أية لغة أخرى فإيمانه واحد وهو الإيمان الصحيح. ونحن نعتز به ونفتخر بأمثاله.

باســـــمي وباسم الكنيسة الأنطاكية يسعدني أن أقدم لك أيقونة القديسين بطرس وبولس مؤسسي الكرسي الأنطاكي المقدس. أنا سعيد بأن أقدم له هذه الهدية وبركة الرب تكون معكم أجمعين. آمين.

✞ ✞ ✞

تأبين مطران حلب*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، آمين

أيها الأحباء..

يجـــدر بنا أولاً أن نشكر الله على أننا التقينا في مناسبة صلاة لرجل صلاة هـــو المطـــران الـــياس رحمـــه الله. أشكر الله وأشكر الأخوة الحاضرين ههنا الذين يشاركوننا الخدمة الإلهية، وأشكر كل من شاء أن يجلس معنا لكي يرفع قلبه إلى الله تعـــالى ضارعاً أن ينعم برحمته وغفرانه على رئيس الكهنة المطران الياس الذي تركنا منذ أربعين يوماً.

كلما ذكرنا الذين عمّروا هذه الكنيسة نذكره ــ وأنا لم أقل الذين سبقت لهـــم الخدمة في هذه الكنيسة ــ لأنه هو الذي كان يهيئ معي الظرف، لكي نكون معاً ولكي نصلي معاً ونفتتح هذه الكنيسة المقدسة.

كـــان يهيئ ذلك وكنا نظن أن رحمة الله ستمتد كما نشاء نحن ونشتهي، ولكـــن رحمة الله أحبّت أن تقتطف منا المطران الياس ــ رحمه الله ــ أسرع مما كان يتصور وأسرع بكثير مما كنا نتصور.

أيهـــا الأحـــباء، المطران الياس عزيز عليَّ بصورة خاصة، عزيز على اخوته أيضـــاً. هم يحبونه لأنه هو أحبهم. كان يعطينا الصورة عن وضع الكنائس هنا وكنا دائماً في منعطفات خاصة في مجمعنا المقدس، أذكر القليل منها:

المـــنعطف الأول: خـــلاف ما تعود الكثيرون من المسيحيين ومن الأديان الأخـــرى. خلافاً لذلك، في المجمع المقدس كان المطران الياس من جملة المشاركين في

* كلمة البطريرك اغناطيوس في أربعين المثلث الرحمات المتروبوليت الياس يوسف، ٢٠٠٠/٩/٢٢

التأكـــيد على أنه ليس من إنسان خلقه الله يجب ألا نكون في حديث معه، والحديث إشارة الانفتاح وإشارة المحبة.

المسيحي الحقيقي لا ينغلق... لمن قال المسيح... ابعد عني؟

عندما أتى المسيح، كان المسيحيَّ الوحيد على الأرض لكنه كلم هذا وذاك، كـــلم الصـــدوقيين، كلم الفريسيين، كلم الزناة، كلم الناس المرذولين، حتى هؤلاء كـــلمهم وفي العالم جماعة ليست كلها من الزناة، وليست كلها من اللصوص. كلم الجميع وهذه الجماعة موجودة عندنا الآن، فلماذا نحن ننقطع عنها؟..

في مجمعنا المقدس، نحن نشدد على أننا خلقنا لكي نتكلم، أُعطينا أن نتكلم لكـــي نكلم سوانا، ولا يمكن أن تُحل صعوبة، وأن يشارَك فرحٌ أو تشارَك نعمةٌ إلا مع الآخر، وإلا إذا كان الآخر حاضراً معك أمام عينيك، وإذا كان حاضراً في قلبك أيضاً. هذا أحد المنعطفات عندنا في المجمع المقدس. من هنا، أيها الأحباء، برز أمران مخالفان لمئات السنين التي سبقتنا، المئات من السنين التي كان يعتقد فيها الواحد أنه لا يمكـــن أن يعـــيش إلا على حساب الآخر. هو والآخر لا، إما هو أو الآخر، ولذلك كان لا يعتبر كنيسته كنيسة، ولا يعتبر كاهنه كاهناً، ولا يعتبر إنجيله إنجيلاً حقيقياً.

نحن اليوم عندنا بادرتان إلى جانب القرار الصامد والدائم بأننا جماعة نحاور الجميع ونحاور من قلبنا لكي نعطي وليس لنأخذ فقط. البادرتان هما عندكم هنا، متى كـــنا نبني مشتركين كنيسةً؟ كذلك عندنا في دمشق نحن نبني مشتركين كنيسةً. في البداية كان يُهزأ من قولنا إننا جماعة دين يبشر بالمحبة. كنا نتخاصم على أرض، كنا نتخاصـــم على هبة تعطى لنا من الدولة، ونتيجة لخصومتنا كنا نترك الهبة، فلا هذا ينتفع ولا ذاك.

الـــيوم ينتفع هذا وينتفع ذاك، ونكون معاً، ونبني معاً، وإن شاء الله سينعم العـــالم وسيرى بقاعاً في حياتنا الكهنوتية، في حياتنا الروحية، بقاعاً فيها نلتقي دونما

خوف أو وجل. لن يأكل أحد منا الآخر. هذا لن يحدث، لسنا مع أعداء. نحن مع أخوة لهم حصتهم ولنا حصتنا. لسنا نعيش مع أعداء وروح العداوة لا تثمر. جربناها مئات السنين، ما هو الثمر الذي أعطته؟ هذا منعطف، أيها الأحباء.

المنعطف الثاني: الكنيسة... ما هي في النهاية؟ أعتقد أننا إذا اكتفينا بالنظر إليها من الخارج نظن أنها هي أيضاً مؤسسة كسائر المؤسسات، جماعة كسائر الجماعات، جمعية كسائر الجمعيات، قبيلة كسائر القبائل، لذلك فقد تسرّب حتى إلى جسم الكهنوت التفكير بأنك في الكنيسة أيضاً يمكن أن تكون مجرد موظف. الكنيسة ليست مؤسسة للتوظيف، المؤمن ليس موظفاً، الكاهن ليس موظفاً، وأحذّر البعض من تفكير كهذا، المطران ليس موظفاً، الكنيسة ليست جمعية فيها كل الناس موظفون. المهم فيهم ماذا يفعلون، كيف يقومون بأعمالهم؟. صار البعض عندنا يقول إنه يجب أن نحدد ساعات العمل للكاهن والمطران وما إلى ذلك. هذا ليس صواباً أيها الأخوة، الكنيسة ليست هكذا على الإطلاق. الكنيسة ما هي؟ الكنيسة هي أسرة.

بمقدار ما تكون ضمن عائلة أي أسرة في البيت فيها الأب، فيها الأم، فيها الأخوة، فيها الأخوات بمقدار ما يمكنك أن تفهم الكنيسة. الكنيسة ليس فيها موظفون، الكنيسة فيها الأب أب، والأم أم، والأخ أخ، ولا يمكن أن ينتزع عنها هذا الطابع مهما بلغ ومهما صار. أبوك كيف يمكنه أن يستعفي من أن يكون أباك؟ كاهنك كيف يمكن أن يستعفي وهو كاهنك؟ نحن نقول إن الكاهن مرسوم ولا نقول معين مثلاً. الكهنوت هو وضع أسروي كما أن الأبوة، والأمومة، والأخوة كذلك هي وضع أسروي. لماذا نشدد على هذا؟ لأن هنالك طابعاً مجانياً لا تقدمه إلا الكنيسة. الكاهن، الاكليريكي، المؤمن لا يقدم لك من جيبه فقط وهذا لا يوجد منه الكثير، ونحن نشكر الله على أنه لا يوجد منه الكثير. الاكليريكي مدعو إلى أن يقدم لك من قلبه، من حياته، مثلما قدم الرب يسوع. أتى من السماوات إلى الأرض، ما قدم

لأحد مالاً و لم يفلح مكان أحد ولكنه قدم ذاته، وقدم ذاته حتى الموت. الاكليريكي يقـــدم قلبه كما أن أباك، كما أن أمك يقدمان لك من روحهما، من كيانهما دون حساب ودون أي شرط، دون أن يعرفا من ستكون عندما تكبر. وتقدمتهما مجانية.

الكنيســـة هـــي الأسرة التي فيها يعمل الإنسان بدافع ذاتي لا بترغيب من الخارج، ولذلك أيها الأحبة فعندما يُرسل مطران إلى محلٍ لا يسأل ما هي الشروط. يذهب إلى أمكنة قد لا يعرف عنها شيئاً. يذهب إلى أمكنة قد لا يجد فيها فراشاً ينام عليه، لكنه لا يسأل. هذا ليس هاجساً كهنوتياً، أيها الأحباء. في هذا المنعطف كان المطران الياس واضحاً أيضاً مع مجمعه المقدس.

المنعطف الثالث: الذي كان المطران الياس ـــ رحمه الله ـــ عليه أن يشارك فـــيه ويشاركني فيه بصورة خاصة ملء الشراكة، هو أنه إذا قبلت أن تكون أباً فلا يمكـــنك أن تكون أباً لنصف العائلة، أو لربع العائلة، أو لفرد واحد في العائلة. ليس من فئة في نظر الكاهن وفي نظر الأب. ليس من فئات في الرعية. الرعية واحدة وهي مخـــتلفة كمـــا شاء الله بين إنسان وإنسان. جميعنا ليس بيننا من واحد يشبه الآخر، ولكـــن في المحـــبة الأبويـــة، في محـــبة الأم الكل هم أولاد، والكل هم متساوون في الاهتمام، الكل يشغلون مكاناً في قلبك أنت، ولذلك كان كلما حصل أي انحراف في الـــرعايا كأن يظنوا أنفسهم جمعية، أو أن يشكلوا فئة معينة، أو أن يكونوا نخبة، كان هذا يسيء إلى وحدة الكنيسة، وحدة الشعب. كان هذا قسّاماً للوحدة التي هي مجتمعة بمجانية المحبة. المحب بشروط ليس محباً على الإطلاق. كان المطران الياس رحمه الله يشاركنا بهذا، وأنا أعرف أنه من أجل بناء هذه الكنيسة ومن أجل حفظ كرامته لكـــي يكـــون رمـــزاً لكنيسة تحب أن تَحترم وتحب أن تُحترم كان يذهب إلى هنا وهناك، يجمع من هنا ومن هناك، وأنا شاهد على كل الجهود التي كان يعملها. هذه الجهـــود لم تكـــن لكي يبني بيتاً له، لم تكن ليفتح دكاناً له، ولكن لكي يفتح بيتاً

لشـــعب الله، لكم أيها الشعب. ليت شعبنا وشعب الكنيسة دائماً يعرف أن الواحد مـــنا إذا ما سار في الطريق القويم تكون ثيابه ليست له، ثيابه تكون لكم لأنه منكم، أنـــتم مـــبرر وجوده. ألا تعرفون أنه بدونكم لا يكون المطران ضرورياً ولا الخوري ضـــرورياً. وكل هذا لا ينفع على الإطلاق! من أجلكم نُرسم ومن أجلكم نأتي وقد نُخطـــئ. نحـــن نُخطئ مثل سائر البشر، نحن نُخطئ ولكن اعرفوا أن خطأنا يقاس بمقدار ما نكون ابتعدنا عنكم، ابتعدنا عن غيركم، ابتعدنا عن الصلاة معكم، ابتعدنا عن السعي من أجل تقديس النفوس، نفوسكم، لا نفوسنا نحن.

وهناك ناحية أخيرة أذكرها لأنه لم يتح لي أن أتكلم عنها ولن أتبسط كما قلـــت. مـــا أود قوله هو أن المطران الياس كان يتمتع بذوق مرهف، كان يُحب ما يُحـــب، يستطيب ما هو طيب، كان يحب بالفعل أن يكون في جو جيد طيب مرح وفـــرح، وكـــان لا يفرح فقط عندما يفرح، كان يُفرِح، فهو لا يفرح وحده لكنه يُفرحك إذا كنت معه. حتى في الفرح لم يكن لنفسه وحدها. أذكر أننا في الاجتماع الأخير الذي كنا فيه في المكتبة الكبرى في دمشق، وكنا نتحدث مع أخوتنا المسلمين وكنا قد تقاسمنا الدور، أنا عليَّ الكلام، وهو عليه شيء آخر، اخترنا أن يقرأ في هذا الجمع هذا المقطع من متى الإنجيلي الذي تذكرونه، «كنت مريضاً فزرتموني، وكنت جائعـــاً فأطعمتموني، عرياناً فكسوتموني»، وتصورت المطران الياس ـــ رحمه الله ـــ يقـــول ذلـــك بصوته الجميل وبروحه الطيبة، فقام المطران الياس وأنشد ذلك النص الإنجيلي. لا أقول شيئاً عن الأثر الذي تركه ذلك الإنجيل بتلك القراءة، ولكن عندما نزلنا أتاني وزير الأوقاف وهو حي يُرزق، وقال لي: يجب أن نذيع الإنجيل في الإذاعة وليس القرآن وحده. هذا ليس أقل من ذلك. ألم يكن ذلك من المطران الياس إشارة حلوة بنغم حلو وبوجه حلو؟

أيهـــا الأحـــباء، مـــن كل قلبي مع أخوتي الخادمين معي الآن، مع مجمعنا

المقدس، كما سمعتم البارحة، نحن نصلي من أجل أن يعطينا الله كرامة الكهنوت التي كانت لديه لأنه ذهب بكرامة الكهنوت، وذهب إلى مكان هو يعرفه وقد تحدث عنه مـــرات، إلى الأحضـــان السماوية. رحم الله سيدنا الياس الله ورحم أمواتكم جميعاً، آمين.

✞ ✞ ✞

نحن نفرح بالبتولية*

أيهـــا الأحباء، جميل جداً اليوم أن نلتقي في يوم عيد في يوم فرح وأن أرى جميع الحاضرين وبينهم والحمد لله الكثير من الشباب والشابات الذين أتمنى بنعمة الله أن نلتقي وإياهم دائماً بالفرح. نحن نصلي دائماً من أجل أولادنا وأن نكون وإياهم بالفـــرح. وأهنئ رئيسة هذا الدير. أهنئ الراهبات وجميع الذين يعملون في هذا الدير ويهتمون بشؤون هذه الكنيسة المقدسة.

نعـــيد للقديسة تقلا، أود أن ألفتكم لبعض الأمور فيما يخص هذه الصبية. أولاً: إنها صبية ليست متقدمة في السن ليست عجوزاً هذا يعني أن الإيمان المسيحي لا يقتصر على الكهول كما يظن البعض فالمسيح كان شاباً لم يتجاوز الثلاثة والثلاثين عاماً. كان في عز شبابه.

القديســـة تقـــلا في عز شبابها. أقول لشبابنا ولشاباتنا إن الإيمان المسيحي، الإيمان الأرثوذكسي لكم والإنجيل لكم والمسيح لكم. لا يظنن أحد أن المسيح قد أتى من أجل جماعة على حافة القبر. هذا غير صحيح. المسيح أتى لكي يقول لكل واحد منا وخصوصاً لكم إن حياة الإنسان يجب أن تتبارك في عز شبابه وليس فقط في آخر أيامـــه. الـــيوم قـــرأنا في الإنجيل المقدس عن العذارى الخمس اللواتي كن مهملات والخمـــس اللواتي كن نشيطات ويعرفن ما عليهن. أيها الأحباء كلنا مدعوون لكي نكون كالعذارى الساهرات. قال الإنجيل اسهروا. قد يكون الواحد منا شاباً أو صبية أو حتى متقدماً في السن ولكنه لا يعرف متى تأتي ساعة العريس متى تأتي الساعة التي فيها يُطلب منه أن يكون مع العريس مباشرة.

* كنيسة دير مار تقلا، معلولا، ٢٤/٩/٢٠٠٠

غـــير صحيح أنه يمكننا أن نؤجل حسناتنا إلى آخر العمر. من يضمن لنا أن عمـــرنا ســـيكون طويـــلاً؟ من يضمن لنا أننا سنعيش إلى الغد؟ من منا يعرف ماذا سيحدث له بعد ساعة أو بعد نصف ساعة؟

أيهـــا الأحباء، نحن نتعلم اليوم من العذارى ومن القديسة تقلا أنه يجب أن نكون دائماً في عز صبانا، في عز قوتنا، في عز اندفاعنا، مهيأين سهرانين لمجيء الرب يســـوع فهو واقف حاضر دائماً ولا نعرف متى يدق بابنا. وعلينا أن نكون جاهزين لنفـــتح لـــه فيدخل ونغدو معاً. اسهروا يا شبابنا انتبهوا المسيح لكم وليس لسواكم كونوا معه لأنه هو معكم كما قلت، هذه نقطة أولى.

والـــنقطة الثانـــية: تقلا كانت مخطوبة. ونحن دائماً ندعو ونصلي لاخواتنا ولقريباتنا ولا نمل القول: إن شاء الله نفرح بك. إنشاء الله نفرح بك. هذا حق ولكن كيف نفرح اليوم؟ لا يتكلم الناس كثيراً عن البتولية. ونادراً ما نسمع أماً تدعو ابنتها إلى البتولـــية. نحـــن نصلي من أجل الزواج لا نصلي من أجل البتولية لماذا يا ترى؟ صـــحيح انـــه ليســـت كل بتولية صالحة فبين الناس الذين هم من أمثالنا أناس غير صـــالحين. ليســـت كل بتولية صالحة حقاً ولكن الصحيح أيضاً أن ليس كل زواج صـــالحاً. ما يجعل البتولية صالحة هو نفسه الذي يجعل الزواج صالحاً وهو الالتحاق بالـــرب يســـوع وأن يضعه الإنسان نصب عينيه. نحن لا نصنع الصلاح ولا نوجد الصلاح. الصلاح يأتي إذا كان الرب يسوع في قلبك عندئذ وعندئذ فقط إذا كنت بتولاً تصبح بتولاً صالحاً وإذا كنت متزوجاً تصبح متزوجاً صالحاً. الشرط الأساسي أن تكـــون مـــع المســـيح وأن يكون المسيح معك. فالبتولية يباركها بالروح القدس والـــزواج يحصل بالروح القدس وليس صحيحاً أن كل بتول أفضل من كل متزوج هـــذا غلـــط. البتول الصالح أفضل من المتزوج غير الصالح لا من المتزوج الصالح. في البتولـــية نصـــلي وفي الزواج نصلي. في البتولية نبارك وفي الزواج نبارك. أنتم أيها

المتزوجون مثل أبي وأمي، أنتم بنعمة الله مقدسون مكرسون والخطأ هو أننا في كثير من الأحيان نستخدم البتولية لغير الصلاح ونستخدم الزواج لغير الصلاح.

أيها الأحباء، القديسة تقلا تنتقل من حالة خطبة لست أدري كم كان فيها مـــن الحب. كم كان فيها من الصدق. في العائلات الكثيرون يضغطون على بناقم كـــي يتزوجن بالرغم من أنوفهن. الكثيرون يحثون بناقم على الزواج والقديسة تقلا كانـــت مـــن هؤلاء. القهر لا ينتج صلاحاً. لا الراهب المقهور هو راهب صالح ولا الصبية المقهورة المضغوط عليها بالضرورة هي راهبة صالحة.

الضـــغط ضد الصلاح لأنه حتى الخير الذي تصنعه وأنت مرغم ليس خيراً حقيقياً. الخير يكون خيراً حقيقياً إذا كنت تندفع إليه بكل إخلاص وبكل محبة. الذي يفعـــل الخـــير مرغماً ليس خيِّراً كذلك، أيها الأحباء، الزواج الذي فيه إرغام ليس زواجـــاً حقيقـــياً. ولا يجوز أن يتم على كل حال. في قوانيننا نحن نرفض أن يكون هنالك زواج وأن تكون هنالك بتولية بالقهر والضغط والإرغام.

القديســـة تقلا قالت للأول لا. وكان زوجها وجيهاً وأميراً ومن المسؤولين كما نقول اليوم، رفضت كل هذا واتبعت ذلك الإنسان.

ولـــنعد إلى بولـــس. من هو بولس؟ بولس الذي كان يخاطب اليوم تلميذه تـــيموثاوس يقول له يا بني نظرت إلي فماذا رأيت. لم تر قصراً بنيته لنفسي ولا غنىً أتمـــتع به. قال له سمعت عن اضطهاداتي في انطاكية. رأيت أتعابي ومشقاتي ورأيت كيف يعاملني الناس. وبكلام آخر يا تيموثاوس الذي يجب أن يكون فاضلاً يجب أن يكـــون بطـــلاً. العالم لا يعلمك الفضيلة، الشارع لا يعلمك الفضيلة، القصص بين النســـاء وبـــين الرجال هنا وهناك في البيوت لا تعلمك الفضيلة هذه ليست مدرسة صـــالحة للفضيلة لا للكبير ولا للصغير. يجب أن تكون رجلاً يا تيموثاوس أن تعرف أن تجر الناس لا أن يجرك الناس.

اليوم لا يعرف الإنسان لماذا يلبس ثيابه هذه. يلبسها فقط لأنها الموضة. نحن ننســـاق خلف أشياء لا نؤمن بها ولكن فقط لإرضاء الغير. لو كانت القديسة تقلا تـــنجرف لما كنا اليوم نعيّد لها في هذا المكان المقدس. الكثير نتعلمه من القديسة تقلا أكتفي بما قلت لكي أقول لكم في هذا العيد المبارك:

أيهـــا الشباب، ويا صباياانا دعوا الرب قريباً من قلوبكم فنحن لا نملك حباً في الدنـــيا ســـواكم. الإيمـــان المسيحي لكم لا تخنقوه في داخلكم دعوه يظهر على وجوهكم فرحاً وأن يكون في قلوبكم غنىً بالرب يسوع.

إن شاء الله دائماً نراكم بالفرح وكل عيد وأنتم بخير.

✞ ✞ ✞

في الكنيسة المحبة هي القانون*

أيهـــا الأحباء، في هذا اليوم المبارك، عندنا ـــ كما رأيتم ـــ رسامة رئيس كهـــنة. الشماس يرسمه واحد هو المطران، والكاهن يرسمه واحد هو المطران، ولكن المطـــران يرسمه كثيرون وليس واحداً. هذا له معناه في كنيستنا المقدسة. احتفالنا بأن يضـــع العديد من المطارنة أيديهم. هذا يجب أن نتذكره. يضعون أيديهم على رأس المرسوم جديداً ويطلبون حلول الروح القدس على لسان واحد بينهم هو البطريرك. هذا يذكرنا كيف أنه، عندما نقص عدد الرسل وكانوا اثني عشر فصاروا أحد عشر لأن يهوذا ابتعد عنهم ورُذل، كان يجب أن يكمل العدد فاختير شخص اسمه متياس لكي يحل محل يهوذا ويتم رهط الرسل القديسين الأطهار. عندئذ يقول الكتاب: كان الرسل هنالك صلوا ووضعوا الأيدي على رأسه فصار من جملة الرسل.

الـــيوم وُضعت الأيدي بالطريقة ذاتها المأخوذة من الرسل القديسين الأطهار وصار عندنا واحد من خلفاء الرسل.

لمـــاذا يهمـــنا هذا الأمر؟ يهمنا هذا الأمر لأنه كما أن الرسل صاروا رسلاً بالروح القدس الذي يعطيه الرب يسوع والذي ينبثق من الله الآب، كذلك بالرسامة هـــذه نقول لمن يصبح مطراناً: أنت لم تجعل من نفسك مطراناً. فهنالك جماعة هي جماعة الرسل رسمتك مطراناً. وذلك يعني أن الصفة التي عندك إياها لم تأتِ بها أنت ولكـــنك أُعطيـــت هذه النعمة. «كل موهبة صالحة تأتي من عندك يا أبا الأنوار». الـــنعمة الإلهية، أيها الأحباء، لا نخترعها نحن، وكثيراً ما يعتقد الناس أن الذي ننتخبه لم يعـــد يلـــزمه شيء. هذا غير صحيح. الانتخاب كما يحصل في مجلس الشعب أو الـــنواب مثلاً عملية بشرية. الانتخاب بحد نفسه يعلن عن رضى الناس عن الشخص

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، رسامة الأسقف ديمتري حصني، الجمعة ١٣/١٠/٢٠٠٠

الفـــلاني، ولكـــن هذا الرضى لا يجعل منه شماساً ولا يجعل منه كاهناً ولا يجعل منه مطـــراناً. الـــذي يضعه في مصف الاكليروس، في مصف الرسل، هو الروح القدس وحـــده بفعل الرسامة. هذا يجب أن ننتبه إليه ونتعلمه. وعندما يعرف المرسوم أنه لا يحصـــل على النعمة الإلهية من ذاته ولكنها تُعطى له وهو يتقبلها، يعرف أنه من غير الـــروح الإلهـــي لا يوجد كهنوت. يجب أن يعرف ذلك. قد يكون هنالك فلاسفة كـــثيرون وحكـــام كـــثيرون. قـــد يكون ذلك، ولكن ذلك لا يضعهم في مصف الكهـــنوت. فالكهـــنوت يأتي مجاناً من النعمة الإلهية وفي مصاف الرسل. هذا يقول للمطـــران: أنت من ضمن هيئة الرئاسة الروحية التي تنحصر بواحد في الكنيسة هي للمســـيح وحده لأنه هو وحده واحد والباقون كلهم متعددون. الكل يجتمعون لكي يتوصـــلوا إلى إيصال الروح القدس، لذلك فالمطران مطران مع المطارنة، فإذا خرج عنهم خرج على نعمة الروح القدس وصار معزولاً في الكنيسة، والكنيسة شجرة كل واحد غصن فيها إذا بقي في الشجرة عاش وإذا لم يبقَ فيها يجف وبعدئذ يموت.

انظـــروا إلى تاريخ الكنيسة تجدوا أن مَن انعزل عن الكنيسة كان يظن أنه يعمل حسناً فإذا به يعمل سيئاً. إذا رسمنا الأسقف ديمتري فالغاية أن يعرف أن النعمة تأتـــيه لـــيس من عنده وليس عن استحقاقه وليس من علمه أو تقاه هو، وما أكثر الأتقـــياء الذين ليسوا هم كهنة. ولكن لسبب واحد يصبح الإنسان كاهناً، وهو أن الـــروح القدس يحل عليه بوضع أيدي الرسل لكي يصير من عائلة الرسل. إذن نحن عندما نُرْسَم مدعوون إلى أن ننتمي إلى العائلة التي تصنعنا والتي إذا كنا فيها نصنعها أيضاً. أما خارجها، فأنت لا شيء ولا يمكنك أن تصبح شيئاً ولا يمكنك أن تؤسس شـــيئاً. لذلك أقول: الكنائس لا تُخترع اختراعاً، فمهما كنت قديساً وصالحاً بدون وضع الأيدي عليك لا يمكنك أن تصبح في الكنيسة.

أيهـــا الأحـــباء، هذا أقوله للمطارنة جميعاً وأقوله للأسقف ديمتري بصورة

خاصة هذا الصباح.

هنالك شيء آخر، لو انتبهتم إلى ما حصل للأسقف ديمتري لكنتم شاهدتم أنــه وقــف هــنا أمامنا لكي يقول: «أنا خاضع لقوانين الكنيسة»، أنا لست فوق الكنيســة، الكنيسة فوقي. أنا خاضع للكنيسة تعني أنك تدخل الكنيسة من تحت لا من فوق. ربنا وحده، الرب يسوع وحده يقول أنا أسست الكنيسة وهي أتت بعدي و لم تكن قبلي. هذا شيء أساسي.

يقــول الأســقف أنــا خاضع لقوانين الكنيسة، خاضع للمجمع المقدس وقــراراته لأن قراراته ليست من أجل فتح دكاكين. هذا المجمع المقدس يصلي وبإلهام الروح القدس الذي جعل منك كاهناً وهو يقرر في هذا الموضوع. ولذلك فخضوعك لــه هــو خضوع للروح القدس الذي جعل منك كاهناً أو جعل منك مطراناً. وما أتحدث به هو لاهوت وهو مهم جداً.

هنالك خط نعيشه نحن الاكليريكيين بصورة خاصة والجميع بصورة عامة. الــناس معتادون على السلطات. السلطات التي عندها السجون، عندها حبل المشنقة والــتي عندما تقول بأنك خاضع لها فأنت تخضع لها بالقوة. ولكن في الكنيسة ليس الأمر كذلك. في الكنيسة قانون واحد في النهاية هو قانون المحبة. ومَن تحبه يحلو لك أن تخضع له. بدون المحبة الخضوع قهر وبالمحبة يكون الخضوع محبة وتعبيراً عن المحبة.

كــيف تحــب إذا كنــت لا تسمع كلمةً من الذي تحبه، ولا تمنحه وقتاً للتحدث إليك؟ فإذا كلمك سمعت له وإلا كان الصمت، فكيف تكون هذه المحبة؟ لا محــبة بدون خضوع، والناس يتعلمون أن يخضع بعضهم للبعض عندما يحب الواحد الآخــر. عــندما تشعر أنك لا تخضع لشخص فقل إنك لا تحبه وهذا هو الموضوع. وعــلاج الموضــوع هــو أن تعــلم أنه تنقصك المحبة. من أجل ذلك نقول «احنوا رؤوسكم للرب» وهذا لا يعني قسراً. وليس معنى ذلك أن الرب «يكسر» الرقاب.

هذه لغة أبناء هذا الدهر، أما لغتنا فهي أن تحني رأسك وتقول سمعاً وطاعة بكل فرح وبكل محبة. هذا معنى الخضوع عندنا في الكنيسة. ويهمني أن أقول هذا في هذا الصباح المبارك، وقد تعلمنا أن الخضوع يعني المحبة وأن المحبة تعني الخضوع. الذي تحبه أنت تخضع له بفرح لأنك تقبل أن تعطيه وليس فقط أن تأخذ منه. الذين يكرهون هم الأخاذون وليس الذين يعطون. الرب يسوع هو ابن الله الوحيد الذي أتى إلى الأرض. إني أسأل المؤمنين أن يذكروا لي شيئاً واحداً فعله الرب يسوع من أجل ذاته. لقد عاش لسواه، صلب لسواه، أهين من أجل غيره. لماذا؟ لأنه يحب الكل ولكن ليس الكل يحبونه وحتى هذه الساعة.

سيدنا ديمتري. هذا الشيء موجود أيضاً في رعايانا. هذا شيء إنساني، وإذا أحببت كل الناس فليس معنى ذلك أن كل الناس يحبونك ولا يجب أن تتوقع ذلك، ولكن يجب أن تعرف شيئاً واحداً هو أن تحب الذي يحبك والذي لا يحبك. هذا شيء أساسي جداً وأنت تسمى بالراعي ليس لأن عندك خرافاً، تسمى بالراعي لأن خرافك هم البشر الذين أحبهم الله، ولأنك أخذت صفة الراعي الذي لا يدل الخراف إلا إلى ما ينفعها. نحن في الكرسي الانطاكي نتهيأ دائماً حتى نكون خداماً لكم. نحن خدام شعبنا. الذي تقولون له «سيدنا» أنتم سادته في النهاية إذا تطلعنا إلى الخدمة. ليس هو الحاكم بالعصا. في الكنيسة واجباتك على كل شيء في كل شيء ومع كل إنسان بدون استثناء. أسأل الله أن يجعل هذا اليوم المبارك يوماً مباركاً لعملك أنت وللرعية الطيبة التي عندنا في الريو.

تراب هذه الأرض يخصنا ونخصه*

إن الغاية هي أن نراكم وأن نكون معكم، وها نحن نراكم وها نحن معكم. وأشكر الله أني الآن بينكم ولأول مرة في حياتي، ولكن ليست المرة الأولى التي أرى فيها الذين يمثلون هذه الكنيسة ويمثلونكم والذين لا يبخلون علينا بزيارتي في دمشق، الذين يمثلون وجهكم الجيد ووجهكم الصبوح، هؤلاء أشكرهم خصوصاً.

الحمد لله نحن هنا، يا أحباء. هذا يذكرني يوم ذهبت إلى أنطاكية بعدما غاب عنها البطريرك الانطاكي ثمانين عاماً. وأذكر كيف كانت لاخوتكم هناك لهفة خاصة لأنهم شعروا بأن أفراد العائلة قد اجتمعوا ببعضهم البعض. واليوم، أيها الأحباء، فرحي من ذلك الفرح وفرحي من ذلك النوع لأننا نلتقي في هذا المكان المقدس.

نحن الأرثوذكس في بلدنا هذا، ونحن نعتز ببلدنا أينما كنا ساكنين وأينما كنا نعيش. وأعي أن الكثيرين من الكفير هم أيضاً في أراضي الانتشار. ولكن أينما كنا فعندنا وفاء للبلد الذي نعيش فيه. ونحن نفتخر ونقول لكل من يسأل عن صفاتنا نرجوكم دلّونا على عدد الخونة بيننا. نرجوكم أن تنظروا إلى السجون لكي تروا أنها إذا امتلأت لا تمتلئ بأبناء كنيستنا. نحن، أيها الأحباء، بنعمة الله، أوفياء للبلد الذي نعيش فيه. هنا نحن في لبنان ونعتز بلبنان، ونعتز أكثر فأكثر بمن يعتز بلبنان. نحن نعرف أن الله وهبنا الحياة، وهنا نشعر بأن الله أعطانا الحياة وها نحن نستمر عائشين وأحياء، وإننا من هذا الهواء نتنفس، على هذه الأرض نمشي، في هذا المكان نجتمع وهذه البقعة تعرف أفراحنا وتعرف أحزاننا. نحن نفتخر كثيراً، أيها الأحباء، بأننا هنا، ونحن صادقون.

---

* الكفير، جنوب لبنان، ١٨/١٠/٢٠٠٠

أعرف أن هذه الكنيسة قد نشأت بتعبكم. كل الكنائس الأرثوذكسية أينما كنا هي من تعب أبنائنا، لذلك أطلب إلى أبنائنا أن يشعروا بأن الكنيسة هي بيتهم، إنها لهم. نحن نبشر دائماً في كنيستنا أن البطريرك وأن المطران وأن الكاهن ليسوا طبقة مترفعة عن شعبنا، نحن خدام شعبنا، نحن خدامكم، أيها الأحباء، لولاكم لما كانت هذه الكنيسة ولولاكم لما كان لنا عمل ولنا رسالة. لولاكم لما كان الاخوة هنا وهناك يزورون الجميع، ويحاولون أن يشملوا الجميع بصلواتهم وأدعيتهم.

قيل لنا إنه يمكن أن يستغل اجتماعنا وقد يسبب أذى للجميع. وأقول لكم إذا كنا قريبين من أي موقع خطر فهذا لا يزعزع إيماننا بأبنائنا وبكنيستنا المقدسة وبوطننا. ونحن نذكر دائماً من أين ننطلق وإلى أين نذهب. أما نقطة انطلاقنا فهي هذا المكان، هذه البقعة، هذه البلدة. نحن ننطلق من بلادنا، من هنا، ولذلك لا ننكر ذلك بطريقة من الطرق.

من منا لا يعترف أن بدايته ونهايته هما هنا؟ من منا لا يعتقد اعتقاداً بالفعل أننا نحن تراب هذه الأرض؟ هذا التراب يخصنا ونخصه.

أيها الأحباء، أنا سعيد جداً أن أكون بينكم مهما كانت الظروف، ولا يهمني الشكل على الإطلاق، شيء واحد يهمني هو أن أرى وجوهكم، وكنا مصممين على هذا منذ وقت طويل، والآن والحمد لله نفذ ذلك التصميم ولكن إن شاء الله لن يكون التصميم الأول والأخير، إن شاء الله ستتبعه أيضاً زيارات ورؤية وجوهكم.

من كل القلب نطلب البركة ولكم الدعاء. أسأل الله أن يكون معكم وأن يقويكم لكي يكثر أمثالكم في هذا البلد، أمثالكم الأوفياء، أمثالكم الذين يحب بعضهم بعضاً ويحبون أبناء وطنهم ولا يخافون ولا يترددون إذا دعا الداعي وكان مطلوب إلينا أن نكون مدافعين عن بلدنا.

نحـــن لســـنا جبناء و لم نكن يوماً جبناء لذلك فنحن دائماً حاضرون. في السـلام نحن مسالمون، ولكن في الجهاد لسنا متقاعسين على الإطلاق، و لم يُقَل عنا ذلك يوماً من الأيام. اليوم ما دعا إلى الاحتراس ما قيل لنا من جماعة محبة ومسؤولة، وهو أن ليس بعيداً عنا القدس تنتهك. القدس لنا، نحن مالكون في القدس وإذا كان غيرنـــا ضـــيفاً هناك، فنحن لسنا ضيوفاً. نحن كنيستنا بدأت هناك. في القدس أول كنيســـة أرثوذكسية صارت كما ورد في الإنجيل المقدس. نحن نتحسس تحسساً كلياً ونـــرى كـــيف أن كثيراً من الشباب والحمد لله هناك في القدس ليس معهم سلاح، وليســـت عـــندهم قدرة، إلا قدرة زنودهم، وليس عندهم من يدعمهم إلا إرادة الله وإرادة الحق. هم لا يطلبون مكان غيرهم ولكنهم يطلبون مكانهم الذي عاش أهلهم فـــيه وتعـــبوا من أجله، هؤلاء الشباب نصلي من أجلهم ونسأل الله أن يقوي تلك الزنود لكي تقف في وجه العداء الذي نراه.

اليوم سمعنا أن نحو مئة وعشرة شباب ماتوا، كأن القصة أن عصفوراً مات أو أي شـــيء آخـــر لا قـــيمة له. ففي نظرنا أن الإنسان كرمه الله لأنه خلقه على صـــورته ومثاله، ولذلك من لا يكرمك فهو عدو الله ويسير في الاتجاه المنافي للإرادة الإلهية.

إنـــنا نصلي من أجل هؤلاء ليعطيهم الرب قوة لكي ترد كرامتهم وكرامتنا معهم.

المطران مطران بالروح القدس*

أود، أيهـا الأحباء، أن أهنئ شعبنا في حلب وأهنئ الهيئات التي تعمل لخير الكنيسـة ولخير الشعب، وأهنئ الكهنة في حلب الذين يخدمون الشعب وسيخدمونه وأهنـئكم جمـيعاً لهذا اليوم العظيم الذي فيه أبونا بولس صار سيدنا، بولس الذي أحببتموه «أبونا» ستحبونه «سيدنا» وأنا واثق من ذلك. أشكر المرتلين الذين بدونهم كانـت صلاتنا أقل بهجة مما هي. نشكر الله أننا أصبحنا في بيت الله نقدّم أفضل ما يمكن عندنا مما يليق بمجد الله. نشكر الله على ذلك.

في الأسـبوع الماضي وفي مثل هذا اليوم كانت عندنا رسامة وكنت أحدّث شعبنا الحاضر في ذلك الوقت عن المطران ومَن هو المطران؟

قلـت باختصار شديد إنه هو الشخص الذي بوضع الأيدي وبحلول الروح القدس، كما حصل وكما تقرأون في أعمال الرسل، صار مطراناً، وقصدت أن أقول ذلك القول لكي أذكّر المطران أنه لا يصنع نفسه ولكن غيره يصنعه، وهذا الغير هو مجمعه المقدس الذي يهمني أن أذكره كثيراً، لأنه لا يذكر عنه الكثير. لمّحت إلى ذلك في كنيسـة حلـب ويهمني أن أذكر ذلك الآن. المطران لم يأتِ من لا شيء ولكنه مسـنود بـنعمة الروح القدس التي تفعل وتحل بوضع الأيدي، أيدي خلفاء الرسل المطارنة، فتنقله من هيئة معينة بالكهنوت إلى هيئة أخرى في الكهنوت: من كاهنٍ إلى رئـيس كهنة. أود أن أقول إن المطران ليس مطراناً لنفسه. المطران هو من أجل كل الـناس مـا عدا لنفسه. هو خادم من نفسه. الكرسي الانطاكي المقدس الذي إليه تنتمون لا يهدأ عن القول إن المطران خادم والبطريرك خادم والكاهن خادم. مَن هو

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، رسامة الأرشمندريت بولس يازجي أسقفاً، الجمعة ٢٠/١٠/٢٠٠٠

المخـــدوم؟ المخـــدوم هو فقط شعبنا المبارك، شعبنا الذي تعمّد باسم الآب والابن والروح القدس وتغطّس ثلاثاً بالماء المقدس.

فلـــيعرف شعبنا، أننا لم نقم رؤساء عليه كما يفعل الناس عادةً، إننا دائماً نـــرفعه، فصلاتنا من أجله وتقديسنا وخدمتنا من أجله. فليعرف شعبنا أنه هو الأول في كـــل مـــا نفعـــل لأنه في النهاية هو الكنيسة. ولكن ليس وحده بل هو والكهنة ورؤساء الكهنة. الجميع يؤلفون الكنيسة. ليس عندنا طبقتان في الكنيسة: طبقة هي تشـــكل الكنيســـة كمـــا يُظن، وطبقة تابعة للكنيسة. هذا خطأ، وهذا لا يمت إلى عقيدتنا في شيء. الحقيقة هي أن الكنيسة هي كل مَن اعتمد على اسم الآب والابن والـــروح القدس. ينتقل المطران، مهما كان وضعه، من خدمة إلى خدمة أكبر. اليوم صـــلّينا إلى الله تعالى، الذي منه كل قوة ومنه كل نعمة ومن غيره لا قوة ولا نعمة. وهذا إيماننا. صلينا إلى الله تعالى لكي يجعل سيدنا بولس تابعاً للراعي الأول الذي هو المسيح مقلّداً إياه عائشاً عيشته متمماً رسالته.

وقـــبل كـــل شـــيء لمـــاذا ندعو الرب يسوع راعياً؟ وندعو كل مصاف الاكليروس رعاة؟ ماذا فعل الراعي؟

تحدّث الكتاب المقدس عن الراعي غير المأجور لأن المأجور إذا رأى الذئب قادماً نحو الخراف، ينجو بنفسه، أما الراعي الحقيقي، راعي القطيع، فإنه عندما يرى الذئب قادماً يرمي بنفسه أولاً أمام الذئب لكي يحمي خرافه. إذن، أيها الأحباء، من القواعد الأساسية للمطران أن يكون خادماً لسواه. أكاد أقول إنه يمكنكم أن تقيسوا صـــلاح المطران أو عدم صلاحه بمقدار ما يعمل لنفسه لا لغيره. فإذا عمل لنفسه لم يكـــن المطران المنشود صلاحه، وهو كذلك بقدر ما يصنع لغيره. في يوم الدينونة لن يسأله الله: كيف حالك وماذا فعلت وماذا امتلكت؟ بل سيسأله: ماذا فعلت لسواك؟ مـــاذا فعلت لأخيك؟ ماذا فعلت للقريب منك؟ المطران يكون مطراناً بقدر ما يقدم

من نفسه للغير.

يظـن البعض أن فضائل المحبة والتضحية والطاعة أمورٌ يجب أن تقدمها لمن يستحق ذلك. هذا المنطق ليس منطق الكنيسة. في الكنيسة، المحبة تعني أن تحب بدون شـروط وألا يوجـد على وجه الأرض مَن لا تحبه، أنت ملزم أن تحب كل إنسان، والمحـبة عندنا تقاس لا من حيث تصب بل من حيث تنبع. إذا كانت طبيعتك محبة، فإنك ستحب كالشمس تماماً تشرق على المستحق وغير المستحق، على الصالح وعلى الطالح، لأنها شمس لا تسأل على مَن تشرق.

أيها الأحباء، كما قلت لكم إن شاء الله سيجد شعبنا راعياً آخر كالرعيان الذين سبقوه، كأبناء الخط الذي نحن منه ننبع. الكهنوت لا يأتي به أحدٌ من بيته وإذا سـألتموني من يستحق الكهنوت أقول لا أحد على وجه الأرض يستحق الكهنوت إطلاقاً إلا ذاك الذي يتنازل الرب فيرسل روحه عليه. نحن لسنا على استحقاق كما تروننا اليوم.

أيها الأحباء، قلت لرعيتنا في حلب، وأطلب إلى العزيز المطران بولس كما كان راعياً ومربياً لأجيال في اللاذقية أن يكون كذلك في حلب، واللاذقية هي المكان والشـعب الذي يغذّي الكنيسة بأكبر عددٍ من خدّامها، أذكر منهم شخص سيدنا يوحنا منصور، مطران اللاذقية الذي يصمت ويترك للأفعال أن تنطق لتقول كم هم الذين تخرّجوا من رعايته الطيبة. حفظكم الله وأدامكم رعاةً لهذا الكرسي الانطاكي المـبارك الـذي أنتم حجارته وبناته عسى أن يكون همتكم منطلقاً لحياة من الرعية الطيبة إلى الراعي الطيب ومن الراعي الطيب إلى الرعية الطيبة.

الكنيسة للمؤمن ولغير المؤمن*

موضوعنا هام جداً.

نسمع دائماً ذكر الدولة وذكر الدين. عندما يتكلم الناس عن الدولة وعن الدين ونحن ممن عندهم دين وعندنا كنيسة يخطر السؤال: ما علاقتهما ببعضهما. كيف يجب أن نكون مع الدولة وكيف يجب أن نكون مع الدين. هذا موضوع في غاية الأهمية والكثيرون يجهلون ما يجب أن نقوم به باتجاه الاثنين.

وكثيراً ما نسمع في وسائل الإعلام ونقرأ في الصحف حول ما يدور في الإنجيل من أن جماعة أتوا إلى يسوع ليجربوه أي ليوقعوه في فخ. أتوا إليه بعملة وسألوه: «هل يجوز أن ندفع الجزية لقيصر؟»، وهنا طلب منهم قطعة نقود عليها صورة وسألهم لمن هذه الصورة؟ فأجابوا: إنها صورة رئيس الدولة، فقال لهم: أعطوا القطعة لصاحب الصورة، وهكذا تخلص الرب يسوع من الفخ.

كيف يفهم البعض هذا الأمر؟ إنهم يفهمون أن الدولة لا علاقة لها بالدين ولا علاقة لها بالكنيسة. ولكن الرب يسوع لم يقل ذلك، إذ عندما سألوه عن الاثنين، قال: أعطوا الدولة حصتها وكذلك الدين. لم يقل أعطوا الكل فقط إلى واحد من الاثنين بل قال: يجب أن نؤدي الواجب إلى الاثنين معاً الدولة والدين، الدولة والكنيسة بالنسبة للمسيحيين. وهل يعني هذا أن الاثنين متماثلان، كلا ليسا متماثلين. وهذا يعني أنه عندما تفكر بواجبك يجب أن تفكر بشيئين مختلفين وأن واجبك يتعلق بالاثنين. لا يمكنك أن تستغني بالواحدة عن الأخرى، كلا. عندك كنيستك وعندك دولتك ولا يجوز أن تقصر تجاه هذه أو تجاه تلك. لماذا؟ لأنه كما

---

* الكاتدرائية المريمية، الأحد ٢٩/١٠/٢٠٠٠

أن الإنسان هو روح وجسد لذلك وجدت الكنيسة لتهتم بالأشياء الروحية، ووجدت الدولة لتهتم بالأشياء الجسدية يعني من واجب الدولة أن تطعم الناس لا أن تأكل هي، ومن واجباقا أن تحمي الناس لا أن يحميها الناس. الدولة موجودة لأجل خدمتك لا لأجل أن تخدمها. أنت تعرف الدولة الصالحة من الدولة غير الصالحة «من أعمالهم تعرفونهم»، بقدر ما تخدم أنت الدولة تكون الدولة غير صالحة وبقدر ما تخدمك هي تكون دولة حقيقية. تسهر على ألا تجوع وتعمل على ألا تمرض وأن تتمكن من تعليم أولادك. كل هذه الأمور إن كانت الدولة تقوم بها فهي دولة جيدة وهذا بالمقابل يرتب عليك واجبات تجاهها.

ماذا نفعل في الكنيسة؟ الكنيسة تنبهك إلى أن الإنسان ليس قطعة من الخشب وأن الله خلقه، هذا يجب أن تحترمه وأن تقدره وأن تهتم بكرامته وهذه لا تكون إن أطعمت وشَرّبت فقط، يمكنك أن تطعم الناس وتشرّبهم لتجعلهم مرضى. الدولة تهتم بالأولى ويجب أن تهتم بالموضوع الثاني. وهي تعلم الناس أن إلههم ليس زيداً أو عمراً من الناس. البشر الذين يعبدون إنساناً يكونون عبيداً له فهل أعبد رجلاً أو امرأة.

الذي تعبده هو فوق وهو واحد وليس اثنين. تعبد واحداً فقط وهو الله تعالى. وغير الله لا يوجد أحد تعبده لأن الناس كلهم سواسية ولا يوجد أناس معبودين وأناس عابدين، علي الأرض كل البشر متساوون: يوجد هنالك تفاوت في المستويات الحياتية، فلان يملك سيارة وآخر لا يملك، فلان يعلم أولاده حيث يشاء والآخر لا. هذا شيء غير سوي. الناس كلهم سواسية وهذا من واجب الدولة.

نحن لا نتصور أنه لا يمكنك أن تكون في الدولة إلا إذا كنت كافراً وأنه لا يمكنك أن تكون في الكنيسة إن كنت رجل سياسة. هذا غير صحيح. كائناً من كنت يجب أن يكون قلبك متجهاً إلى الله حتى تعرف أن البشر هم خلائق الله وأنه

عليك أن تحترمهم وأن تعمل من أجلهم. وهكذا تكون الدولة الحقيقية.

فكّرنا اليوم في هذا الموضوع لأننا اليوم نبحث عن دولة وعن شعب يُعيّدون سوية وأنا لا أعتقد أنه يجب أن نترك الكنيسة بحجة الدولة ولا أن نترك الدولة بحجة الكنيسة. هذا غير صحيح. وفي هذه المناسبة فلنتذكر بصورة خاصة الشعب اليوناني والدولة اليونانية التي لم تفعل مثل غيرها: إما أن تكون في الدولة أو أن تكون في الكنيسة لا أنت في الدولة وفي الكنيسة والشعب ليس شعبين والإيمان ليس إيمانين والله يريد لك أن تُخْدَم من الاثنين. تخدم من الدولة ومن الكنيسة.

✝ ✝ ✝

نحن في فرنسا كنيسة أرثوذكسية*

لا حاجـــة، أيها الأحباء، إلى القول، إننا في هذا الصباح نمارس شيئاً خاصاً جـــداً لـــه علاقـــة بوضعنا نحن، وضع الكرسي الأنطاكي المقدس في أوروبا الغربية والوســـطى. هذا الوضع يقضي بأن ننتقل نحن من وضع عابر كنا عليه حتى اليوم إلى وضـــع ثابـــت. أي أن تكـــون عـــندنا أبرشية وأن يكون الذي يرأسها عنده صفة المتروبوليت وهذا لم يكن متوفراً من قبل.

مـــا الـــذي دعانا إلى أن نقوم بهذه الخطوة؟! الذي دعانا هو أولاً اعتقادنا وإيماننا بأن الكنيسة في النهاية هي المؤمنون الذين تعمدوا فيها والذين سيعتمدون فيها بعـــد ذلك. هؤلاء حيثما يكونون تكون الكنيسة معهم أيضاً. يكون معهم كاهنهم. يكون معهم مطرانهم وتكون معهم خدمات الأسرار الإلهية لمباركة حياتهم ومن أجل تنقية نفوسهم وأجسادهم.

هذه الأبرشية بدأت موقتة، لأن كل ما استدعى وجودها كان في ظننا نحن عابـــراً، كـــنا نظنه موقتاً. أتى الناس من لبنان، من سوريا، من كل المناطق التي نحن نعـــيش فـــيها، جاءوا وكنا نعتقد بأنه بعد وقت قصير سيعود كل شيء إلى ما كان علـــيه، وأن الـــناس الذين أتوا إلى هنا سوف يعودون إلى منازلهم التي تركوها. لكن الأيام خيبت ظننا ورأينا بعدئذ أنه يجب علينا أن نعتبر أن الوضع الآن دائم. حتى يأتي ظرف آخر، لا ندري متى يسمح الله بأن يأتي في المستقبل.

هـــذا هـــو الشيء الذي دعانا إلى اتخاذ القرار الذي ننفذه اليوم ونعيد له. والمجمـــع الأنطـــاكي المقدس، أيها الأحباء، لم يعد من الممكن أن يفكر أن يكون في

* باريس، تنصيب الأسقف غفرائيل مطراناً، ٥/١١/٢٠٠٠

مكان جغرافي محدود لأن الجغرافيا ليست بيدنا وليس لنا جغرافية على الأرض ثابتة. فكل شيء يتحرك وكل شيء يتغير ويتبدل. الشيء الوحيد الذي يجب أن نأخذه بعين الاعتبار هو أن يكون المؤمنون مؤمنين حيثما كانوا. نحن نزرع الاعتقاد اليوم في الكنيسة الأرثوذكسية عامة أنه إذا كانت فيما مضى هناك أبرشيات محدودة جغرافياً، فهذا لم يعد يصح اليوم. المؤمن حيث هو تكون الكنيسة لأنه هو الذي توجد الكنيسة من أجل خلاصه. هكذا فعلنا مثلاً في أميركا الشمالية والوسطى والجنوبية. تصوروا أنه بعد مئات من السنين، كان وجود المؤمنين هنالك وكأنه مؤقت وعابر. اليوم بالعكس صار عندنا أبرشياتنا وصار عندنا مطارنتنا لكي لا يكون وضعهم الروحي بالنسبة إلى الكنائس الأخرى من درجة ثانية. ونحن نأمل دائماً أن يكون كل مؤمن رسولاً ينشر الإيمان الذي ينقله بمعموديته وبميرونه، وعلينا نحن كإكليريكيين أن نؤمن له حاجاته الروحية. كذلك حصل في استراليا. الكرسي الأنطاكي المقدس لم يعد في أنطاكية وحدها. الكرسي الأنطاكي المقدس ينسحب على كل القارات ما عدا أفريقيا التي لها كرسيها الإسكندري الخاص بها. وما عدا أورشليم التي فيها كرسيها الأرثوذكسي المستقل. فيما عدا ذلك فكرسيكم الأنطاكي موجود في كل الأمكنة الأخرى.

نتكلم الفرنسية حيث يوجد الفرنسيون أو في الأوساط الفرنسية، ونتكلم الأسبانية والإنكليزية حيث توجد جماعتنا هناك أيضاً. نحن نظرنا مشدود إلى أهل الإيمان. ماذا يتكلمون؟ وماذا يمكننا أن نستعمل كلغة لكي تصل إليهم بواسطتها كلمات الإيمان. لا يهمنا أي مذهب آخر لنا. نحن أولاً كنيسة أرثوذكسية. نحن قبل كل شيء كنيسة أرثوذكسية كائنة ما كانت اللغة التي نستعملها. وعندنا الاستعداد أنه مهما كانت لغتك أنت أن نستعمل هذه اللغة بالذات لكي نتصل بك حتى تسبح الرب الذي يعرف كل اللغات والذي له كل تسبيح.

أيهـــا الأحباء، اليوم عندنا هذا الأمر المهم: ،كما قلت، يمكن لكنيستنا هنا من الآن فصاعداً، لا بل يجب عليها أن تتخذ وضع الديمومة والاستقرار. إذاً يجب أن ننســـى الوضع العابر الذي كنا فيه، والذي كان باسمه لا يمكننا أن نقوم بكل شيء. هذه الكنيسة لم يعد عندها المبرر لأن تكون وكأنها مستعدة لحمل خيمتها والعودة إلى حيـــث كان أبناؤها. لا. نحن نتوقع اليوم أن يكون عندنا المطرانية وأن تكون عندنا الكنيســـة، وأن يكون عندنا الإكليروس ولو كان من هنا، فرنسياً. فنحن عندنا في قلب فرنسا بناتنا الراهبات الفرنسيات. في إنكلترا عندنا الرعايا الإنكليزية الأصل التي لم تنطق يوماً بغير اللغة الإنكليزية. كذلك الأمر عندنا في أميركا اللاتينية وفي أميركا الشـــمالية. صـــار مـــن الواجب أن نكون مستقرين حيث نحن وأن نعمل على هذا الأساس.

إنـــنا نشكر الله على هذه المرحلة التي وصلنا إليها. هذه ترتب مسؤوليات علينـــا يجب أن نفتح عيوننا أكثر لنرى كيف نتولى الشؤون مع أناس ما كنا نعرفهم حضـــارياً، ولكنـــنا صرنا نعرفهم وصاروا يعرفوننا من الوجهة الروحية، لا شك في ذلك. الكنيسة هيئة من أجل الروح وليس من أجل أي شيء آخر. ليست من أجل الـــثقافة العاديـــة وليســـت من أجل السياسة وليست من أجل الذكريات الماضية. الكنيسة ليست كذلك.

اليوم شيء عظيم يحدث وأنا أهنئ سيدنا غفرائيل الذي كان هو من السادة المطارنة الذين لا تعرفون أنتم كيف يبدأ عمله.

عـــندما يُرسل الإنسان إلى مكان لا يعرفه، وليس له فيه موطئ قدم، وهذا ينطبق على مطراننا في باريس وفي أوروبا الوسطى والغربية كما يصح على مطارنتنا في أميركـــا وفي أســـتراليا حيث يذهب الشخص فقط لأنه طُلب إليه بإلهام الروح القدس أن يذهب إلى الناس ليتدبروا أمرهم هنالك. فيذهب الإكليريكي وقد لا يجد

مكانـــاً يأكل فيه وهذا واقع وليس كلاماً شعرياً. وقد لا يجد المطران صديقاً واحداً يعـــرفه وهـــذا واقـــع أيضاً. ولكن مطارنتكم الذين لا تعرفون عنهم الكثير، هم في معظمهـــم من هذا النوع. يذهبون متكلين على الله. وهم يذهبون لكي يخدموا مهما كان ثمن الخدمة.

أيهـــا الأحـــباء، أنتم حلقة من جملة حلقات في الكرسي الأنطاكي المقدس وهي حلقة مباركة. بارك الله بكم وحفظكم.

✝ ✝ ✝

من ثمارهم تعرفونهم*

باسم الآب والابن والروح القدس

كل عام وأنتم بخير، وإن شاء الله تبقى هذه الكنيسة مزدهرة ويكون الجميع يــنعمون بالخير والنعمة الإلهية. وأشكر كل القائمين على الكنيسة: الكهنة، المرتلين، الأخويــات وكل من يهتم بهذه الكنيسة المقدسة، إذ لولاهم لكان هنالك نقص ما. وهــذا الشيء يجعلني أفكر معكم إذ عندي الشعور في بعض الأوقات أننا نكتفي من الأشــياء باسمهــا. أعــرف أناساً يتحدثون عن الكلمة في الكنيسة، ويدرسون عن الكنيســة، ويقــرأون عن الكنيسة، ولكن عندما تسألهم أين تقع الكنيسة تجدهم لا يعرفون.

الكاهن، نحن نقرأ عن الكاهن أي نطال الفكرة والكلمة فقط. الكنيسة لا يحتاجها ربنا في السماء لأنه هو موجود في السماء. ولكنه أسسها على الأرض حتى تنفتح أعيننا وحتى تسمع آذاننا وحتى نرى بشراً خلقهم الله وهم يشكلون الكنيسة. إذا كــنا لا نــرى هكــذا فإننا نكون لا نرى الكنيسة. وتكون الكنيسة عبارة عن كــلمات تــتردد. نرى الكنيسة فلا تعني لنا سوى بناء كغيره من الأبنية، ونشاهد الكاهن فنرى فيه رجلاً فقط لا غير.

مــا أتمناه، يا أحباء، أن يصبح كلامنا له معناه. عندما نذكر الصلاة معنى ذلــك أن نصــلي، وعندما نذكر الصوم فالصوم لنا وليس ظرفاً للتغني. نبشر بالمحبة لنحــب الناس، فإن لم نحبهم فنحن كاذبون في أقوالنا. وكأن الكنيسة أصبحت شيئاً وهمياً. الكنيسة قطعة من السماء على الأرض أسسها الرب يسوع من أجل أن يرى

* كنيسة مار ميخائيل، دمشق، عيد مار ميخائيل، الأحد ١٢/١١/٢٠٠٠

الـــناس عيـــنة بسيطة مما يفعله الله عادةً وليس البشر. الكنيسة لا يصنعها البشر ولا تكـــون بالاتفـــاق بـــين عدد من الأشخاص كما يفعل الكثيرون. الكنيسة هي التي أسســـها المســـيح وهو وحده صانعها. الكنيسة ليست جمعية ولو كان أعضاء هذه الجمعـــية يقرأون الإنجيل ويذكرون كلمة الرب. هذا لا يشكل كنيسة. إذا لم تكن الكنيســـة كنيسة المسيح فستبقى كنيسة الذي صنعها أي كنيسة بشر. ما نحتاجه هو أن يصـــبح لكلمتـــنا معنى وأن يكون لحديثنا وأفعالنا معنى. هذا لا نفعله لكي نطبق بـــرنامجاً عندنا. فإن كنت أقول: «يا رب ارحم» وكلمة يا رب تعني بالفعل يا رب أنت ارحمنا حينئذ فقط أكون أقول شيئاً. وأما إذا رددناها آلياً فهي لا تعني شيئاً.

في كنيستنا بمقدار ما تفعل تكون مصلياً وليس لمجرد أن تقول. القول هو من أجل أن يغدو فعلاً لا رفع عتب. ربنا لا يحاسبنا على الكلمات ولكنه يهتم لما تلفظه الشفاه ويتلقفه القلب. لذلك في الكنيسة يوجد الناس المؤمنون. المؤمن هو الذي يأتي إلى الكنيســـة وهو مؤمن بأنه يفعل شيئاً جيداً بمجيئه. وإذا دخل إلى الكنيسة وصلى فلأنـــه يحـــب ذلك، وأنه عندما يصلي يكون قلبه ينبض مع فمه .أعرف الكثير من الـــناس يـــترددون عـــلى الكنيسة قياماً بواجب. هذا ليس بواجب ولكنه حياة. في الكنيسة أنت تعيش مع الناس. لولاكم لما كانت الكنيسة. اليوم ما كان يوجد قداس لولا وجودكم. وبالطبع لولا وجود الكاهن. نحن نؤم الكنيسة حتى يحس الإنسان بأن الشـــخص الآخر هو مهم جداً بالنسبة إليه. نأتي إلى الكنيسة والغضب يملأنا، نأتي الكنيسة وقد خاصمنا فلاناً وفلاناً. هذا ليس موقفاً سليماً.

أولادكـــم لا يسمعون كل ما نقول ولكنهم يرون أعمالكم وتصرفاتكم. أوجه الحديث للآباء والأمهات والإكليريكيين الذين هم محط أنظار الناس والأولاد. «مـــن ثمارهم تعرفونهم» لا من أقوالهم. تسمع شاعراً يفتنك بشعره فيسألك كيف وجدتني؟ أي أنه يطلب المديح ومن ثم تجد أن ما قاله لا علاقة له بحياته، لا علاقة له

بكيفية فهمه للناس. يهمه ما ستقوله أنت عنه لا ما أخذته أنت من أجلك.

يا أحباء، عيدنا اليوم هو دعوة إلى واقعنا، دعوة إلى أن ننظر إلى واقعنا بكل جدية. حرام أن نُضيّع وقتنا بأشياء لا تشكل كنـــزاً يُضاف إلى حياتنا فيغنيها. حرام أن نصرف وقتاً على شيء لا يفيدنا ولا يرفعنا إلى فوق.

كنـــت الأســـبوع الماضي عند أخوة لكم في فرنسا حيث لنا كنيسة هناك. الكرســـي الأنطاكي ليس كلمة تعني أنطاكية فقط. الكرسي الأنطاكي الذي تنتمون إلـــيه هـــو موجـــود في القارات الأربع لأنه في أفريقيا ــ القارة الخامسة ــ يوجد الكرسي الإسكندري.

في الكرســـي الأنطاكي في فرنسا عندنا دير للراهبات. وكم أتمنى أن يكون عـــندنا في كـــل مكـــان ديـــر يضم راهبات كاللواتي في فرنسا. في إنكلترا نصلي بالإنكلـــيزية، وفي فرنســـا بالفرنسية. في إنكلترا عندنا /١١/ رعية مع كهنتها. وفي ألمانيا عندنا عدد كبير وتُقام الصلاة بالألمانية.

إذاً أنـــتم منتشرون في القارات الأربع وإيمانكم يعلن في كل الأماكن هناك. عـــندكم أخوة أكثر مما تعرفون وعندكم مطارنة أكثر مما تعرفون. عندكم بطريرك واحـــد ولا نـــتمنى أن يصبح عشرة. هناك، يا أحباء، يتساءل الناس ما دام الكرسي الأنطاكي كان موجوداً منذ القدم فلمَ لم نعرفه سابقاً، إذا كان أبناء الكنيسة صادقين وإذا كان كهنتها صادقين ومطارنتها صادقين، وكذلك بطاركتها.

كان يهمنا أن تأخذ كنيستنا في أوروبا وضعاً معيناً حتى نتمكن من العمل بحرية أكثر، وفعالية أكثر.

أحببـــت أن أقـــول لكم هذا، وأحب أن أقول لكم بمناسبة هذا العيد، إن أخوتكم في القارات الأربع يفرحون كثيراً عندما يسمعون بأنهم أخوة لكثيرين.

أيهـــا الأحـــباء، كونوا أخوة بالمعنى الحقيقي. من تسميه أخي فهو أخوك. واغطـــوا الانطباع الصحيح بأنكم صادقون، وأن إنجيل المحبة الذي تحملونه هو الذي يوجهكم في كلامكم وفي أفعالكم.

ســـتخطئون كثيراً ولكن لا تخافوا من الخطأ. حذار أن يوقفكم الخطأ عن العمـــل الحسن، كل إنسان يقع ولكن عليه أن ينهض ثانية. لا تجعلوا الخطيئة تتغلب علـــيكم. دائمـــاً انظـــروا إلى الأعلى. عشرون مرة سنقع، ولكننا سنقوم في المرات العشـــرين. حذار أن نستسلم للخطيئة والغلط. هذه ليست الروح المسيحية ولا هي نفسية المؤمن. المؤمن قوي كثيراً وهو مجاهد. كونوا أقوياء. وكل عام وأنتم بخير.

✝ ✝ ✝

الجبناء يبرزون الأبطال*

أيهـــا الأحباء، كلنا يعلم أن المسيح ولد في بيت لحم وعاش في الناصرة ــ لذلـــك دُعي ناصرياً. ثم أتى القدس وطاف في المدن والقرى التي حولها. وكل هذا يعني أنه من فلسطين.

كيف اعتنقت المنطقة المسيحية؟ هذا ما لا يعرفه كل الناس ولكن يجب أن يعـــرفوه. نحن نعلم من قراءة التاريخ أن هذا البلد احتل بعد الفتح الإسلامي. وهذا يعـــني أن جيشاً محتلاً أتى من الجنوب واحتل حوران. وحوران من أولى المناطق التي اعتنقت المسيحية. ومن ثم دخل الجيش دمشق من طريق الميدان ومن الباب الشرقي. نعـــم لم تحصل معارك ولكن ككل فتح جاء أناس يعتقدون بديانة أخرى هي الديانة الإســـلامية. ولا يظـــنن أحد أنهم اصطحبوا معهم عيالهم وأطفالهم فهذا غير صحيح فالجـــيـــش عندما يأتي ويهاجم لا يصطحب النساء والأطفال. والسؤال كيف صار الناس هنا مسلمين وماذا كانوا قبل ذلك؟ كانوا كلهم مسيحيين، وكلهم كانوا من الروم الأرثوذكس، وكلهم كانوا يعرفون أنهم مرتبطون بديانة المسيح التي ولدت معه في بيت لحم ومن ثم انتشرت اعتباراً من فلسطين.

إذن لا نظـــنن أن كـــل المســـيحيين الموجودين في الشام كانوا في الأساس مســـلمين أو كانوا غير مسيحيين. لا، عندما جاء الجيش، وكان قوياً وأصبح في يده الحكـــم. تحوّل العديد منهم إلى مسلمين. إذن مسلمو الوقت الحاضر كان معظمهم وقد يكونون جميعاً مسيحيين. هذه الأشياء يجب أن تُعرف وهذه هي طبيعة الأمور. فحيثما وجد جيش قوي محتل يهرع الناس إلى طلب رضاه ويسلكون حسب رغبته وهـــواه. وهـــذا مـــا نجده عندما دخل الفرنسيون فالكثيرون تسابقوا لنيل رضاهم

---

* كنيسة القديس يوحنا الدمشقي، دمشق، عيد القديس يوحنا الدمشقي، ٢٠٠٠/١٢/٤

وكسب مودهم. وأصبح التكلم بالفرنسية نوعاً من التعالي والافتخار.

هـذه مـرحلة من المراحل التي مررنا بها. جاء الجيش أيام الأمويين ودخل دمشـق فمـن وجد؟ وجد مسيحيين. لم يكن الجيش الذي احتل دمشق قد تخرّج ضـباطه وأفراده من المدرسة الحربية وغيرها ولا يملك الأسلحة الحديثة ولكن الجيش أتى متسلحاً بإيمانه واندفاعه واعتقاده بأنه يقوم بالعمل الصالح والصحيح.

لكـن ماذا كان وضع المسيحيين الذين وجدهم الجيش في بلاد الشام؟ لقد دخـل الشام فوجد الدوائر الحكومية والمكاتب الحكومية ووجد أن الحكام يحكمون وفـق أنظمة وقوانين وضعتها الدولة البيزنطية. وفي الدولة البيزنطية كان هذا يدعى عسكرياً وذاك يسمى قاضياً وآخر يدعى كاتباً... إذن كان هنالك تنظيم وخصوصاً في القضايا المالية. والذي لا يعرف أن يدير المال فهو لا يعرف شيئاً.

جـاء الأمويون فرأوا أن الناس يعيشون في بيوت أشادوها، وأنهم يعيشون بطـريقة معيـنة يأكلون بطريقة معينة بينما هم جماعة بدو وينتمون إلى قبائل وليس عـندهم فكرة عن كثير من الأشياء التي صادفوهم في دمشق. لذلك أخذ القادمون يتعـلمون مـن الناس الموجودين هنا. ومن هم الأناس الذين كانوا موجودين هنا؟ حـوالي السنة ٧٠٠ كانت في دمشق دولة منظمة تنظيماً دقيقاً. وكانت لها ديانتها وفـيها كنائسـها وفـيها علماؤها ومدارسها وهذا يعني أن الناس الذين دخلوا من الجنوب واحتلوا حوران وجدوا في البلد المحتل أناساً يحسن التعلم منهم. صار الفاتح يجب أن يتعلم من الناس الذين هم تحت سيطرته وهذا ما حصل. ومن الحسن جداً أن يتعلم الإنسان الأشياء التي لا يعرفها عندما يجد شيئاً جديداً هو مجال للتعلم.

ويمكـن القـول إن كل موظفي الدولة كانوا من أهل البلد أي مسيحيين وبعدئـذ أصبح العدد يقل شيئاً فشيئاً. نساء كثيرات اعتنقن الإسلام لغرض في نفس يعقـوب وكذلك أصحاب المصالح والضعيفو النفوس وهذا ما يحصل في كل زمان

ولذلك أصبح عدد المسيحيين قليلاً وازداد عدد المسلمين، ونحن الآن أقلية ونحن بقايا الناس الذين لم يرضوا أن يغيروا دينهم، وكانت لهم الحرية في أن لا يبدلوا ديانتهم.

نسمع كثيراً أن الجيش الإسلامي فرض الإسلام بالسلاح (بالسيف). هذا غير صحيح. الصحيح أنهم أتوا وأخذوا من العلم ما أخذوا والذي شاء أن يتبعهم كان له ذلك و لم يشهر جميع السكان إسلامهم بالقوة.

من جملة الأشخاص الذين كانوا مهمين جداً في الدولة وكان له مركزه نجد يوحنا الدمشقي وهو مَن نعيّد له اليوم. يوحنا الدمشقي كان موظفاً في الدولة ووالده كان كذلك ويتعاطى بالأمور المالية. والأمور المالية شيء دقيق جداً ولا يحتمل الغلط والاستهتار.

يوحنا الدمشقي كان من جملة هؤلاء الأشخاص واشتغل، وقام بواجبه، وتمم وظيفته كما يجب ثم رأى ــ في وقت من الأوقات ــ أنه يجب أن يترك الوظيفة وينصرف إلى العمل الكنسي. وبالفعل قام بأعمال مهمة جداً. يوحنا هو مَن وضع الألحان الثمانية التي نستخدمها الآن في الكنيسة. كان يعرف الموسيقى جيداً وترك لنا تراثاً هاماً في ذلك.

وكان يوحنا الدمشقي لاهوتياً عميق النظرة والفكر و لم يكن شأنه شأن بعض موظفينا الآن الذين عندما يراجعهم أحد من جماعتنا فإنهم يتهربون من الخدمة خوفاً من اتهامهم ووصفهم بالطائفيين هؤلاء كلهم جبناء وما أكثر الجبناء عندنا وعند غيرنا كذلك.

يوحنا الدمشقي لم يصمت عندما رأى أن الجيش الذي أتى لم يأت فقط حتى يضع وزراء بدل الموجودين وأن يضع موظفين من قبله وغير ذلك ولكنه أتى يحمل ديانة جديدة يبشر بها. لذلك قال: من حقي أن أدافع عن ديانتي ولذلك كتب يوحنا الدمشقي أحسن المقالات في الإيمان الأرثوذكسي وأنا آسف جداً على أن ما

كتبه ما يزال مخطوطاً حتى الآن و لم يطبع*، لذلك لم يتعرف عليها معظم الناس. إذن عين نفسه محامياً عن الإيمان القويم. ولقد دافع بشكل خاص عن العذراء مريم. فشرح لمــاذا صار الحبل بها من الروح القدس وكيف ولدت المسيح. وكان الآخرون يردون على يوحنا الدمشقي وما زالوا حتى الآن.

منذ أيام قليلة كتب البعض يقول: إن ولادة المسيح بدون أب ليست عجيبة فائقة فآدم وُلد بدون أب وبدون أم وهذا أعظم من الولادة بدون أب. فأجبتهم: إن آدم لم يلده أحد فيما نتكلم نحن عن ولادة يسوع الذي ولد من أم أما آدم فلم يولد من أحد. آدم خُلق والله خلقه خلقاً كما أنه خلق حواء. فحواء ليست ابنة أحد. فلا يصــح التشبيه بين الخلق والولادة لذلك فولادة يسوع عجائبية وهامة جداً بالنسبة إلينا.

يوحــنا الدمشــقي الذي نعيّد له كان إنساناً مهماً، كان في قلب الدولة ويعــيش مع الأكثرية الساحقة التي أصبحت مسلمة. ونحن نحترم الذي يحترم نفسه كائنــاً مَــن كــان. الذي لا نحترمه هو الجبان، وبيننا العديد من الجبناء، والفضيلة الوحــيدة للجبــناء ـــ إن كانت تعتبر فضيلة ـــ هي أنهم يُظهرون الأبطال في هذه الكنيســة. إذن ليس من شك أن يوحنا الدمشقي كان من الأشخاص المميزين الذين نذكرهم. ونحن اليوم نعيّد له.

أود أن ألفــتكم إلى شيء آخر. إذا تطلعتم إلى الأيقونات عندنا في الكنيسة تجدوا أنها صنعت في السنة ١٨٦٦. هذه الأيقونات ثمينة جداً ولا تقدر بثمن مادي. إذن أيقوناتنا ثمينة بنوعيتها وبالتاريخ الذي تحمله.

هــذه الكنيسة ـــ كنيسة المريمية ـــ قديمة فإذا كانت أيقوناتها تحمل التاريخ

* بعض ما كتبه طبع في لبنان.

١٨٦٦ فهـــذا يعني أنها كانت قبل ذلك. ماذا حصل في السنة ١٨٦٦. المريمية هذه والـــتي أنـــتم موجودون فيها أعيد بناؤها في السنة ١٨٦٦ لأنها كانت قد تهدمت، تهدمت المريمية مرات عديدة. كنائسنا تهدمت و لم تبق كلها على ما كانت عليه.

بدأت إعادة البناء في المريمية السنة ١٨٦٦. انظروا إلى الحائط حولكم تجدوا أن قســـماً محمـــرّ اللون وأن قسماً آخر ملون بلون آخر. القسم المحمر ــ خاصة في الهيكل ــ هو القسم الذي لم يطله الحريق فبقي على ما هو.

الســـنة ١٨٦٠ كـــان يوجـــد كاهن اسمه الخوري يوسف الدمشقي، هذا الكـــاهن ذبح عند باب كنيسة المريمية. وهو مَن نعيّد له كقديس، نعيّد له لأنه مات شهيداً.

الفـــترة بـــين الســـنة ١٨٦٠ والسنة ١٨٦٥ كانت فترة صعبة إلى أقصى الحدود. وقد نجى الله الجميع منها. والآن نتحدث عما حصل كأحداث ماضية وليس كـــأحداث نعيشـــها الآن. الآن لا يوجد تقتيل ولا ذبح ولا تجريح فالإنسان حر في ذهابه وإيابه والحمد لله أننا نطالب الآن بما نعتبره حقنا ولا نبقى صامتين.

تـــرون أن عـــيدنا هـــام جداً ويوحنا الدمشقي ليس بحجم هذه الكنيسة فالكنيســـة صـــغيرة نسبياً. لقد كان فناناً، وكان موسيقياً، وكان يحب هذه الألحان الجمـــيلة. وكـــان إنســـاناً يحب التنظيم والترتيب. نحن اليوم نعيد له وفي هذا العيد أعايدكم وأطلب من الله أن يعيده عليكم ويحفظكم جميعاً. آمين.

✠ ✠ ✠

الجنة أن تكون محباً ومحبوباً*

من الواجب، كما أرى، أن نذكر الذين يهتمون بهذه الكنيسة المقدسة، أن نذكـر الكـاهن، أن نذكر الوكالة، أن نذكر المرتلين وأن نذكركم جميعاً في هذه المناسبة، أيها الأحباء. وأتمنى أن يكون هذا اليوم عيداً مباركاً عليكم جميعاً. نشكر الله أنـنا حتى اليوم لنا عيون لكي ترى ولكي تشكر عندما ترى شيئاً جيداً. أتذكر هذه الكنيسـة المقدسة كيف كانت منذ سنوات، منذ عشر سنين أو خمس عشرة سنة. أتذكـر أين كنّا وأرى اليوم أين صرنا. هذه الكنيسة كانت قائمة وحدها. لم تكن محاطة ببناء بل على العكس كان هنالك محل يرتاده الجميع، محل «داشر»، لكن هذا المحـل «الداشر» أصبح مكاناً مسكوناً. في تلك الأيام ما كانت الكنيسة بهذا البهاء، حلوة وجميلة ترتاح لها العين عندما تنظر إليها. كنيسة بالفعل جميلة. وأتذكر في ذلك الوقـت أنني كنت أقول يجب أن يكون الأيقونسطاس ليس حاجزاً بين الناس وبين الهـيكل ولكن يجب أن يكون بالعكس جاذباً للناس لكي ينظروا إلى الهيكل المقدس ويـروا داخله وهاهو الأيقونسطاس كما ترونه جميلاً وتعرفون أن القصد الذي وراء وجوده هو قصد جيد لا يقصد به أن يبتعد الناس عن الهيكل بل بالعكس أن يكونوا قريبين منه. وأذكر أيضاً انه منذ أكثر من عشر سنوات كان الشيء الذي نتمناه هو أن تتمكن الرعية في هذه المنطقة أن تعبر عن وجودها في الكنيسة أكثر مما كان يحصل سـابقاً. لكـن البيوت بعيدة، الناس بعيدون الواحد عن الآخر والأوقات، أوقات الصلاة لا تناسب كل الناس. وكان من أصعب ما يكون أن نكون في الكنيسة كما نحـن في هذه الساعة. لم تكن هذه الكنيسة تمتلئ بالمصلين كما هي ممتلئة الآن وكل هـذا يتطلب جهداً، جهداً منكم وجهداً من الكاهن، وجهداً من الوكالة لكي تجعل

* كنيسة القديس نيقولاوس، دمشق، عيد القديس نيقولاوس، ٦/١٢/٢٠٠٠

الناس يفكرون بأن الكنيسة التي أنشئت في المزة وأصبحت كما ترون هي لهم، وهي كنيستهم. هم يملكونها، ولا معنى لها بدون وجودهم. هذه الكنيسة كنيسة أبنائنا في المـــزة لكل واحد منهم حصة فيها، حصة عملية وحصة روحية. هذا كان في القديم ولكـــن، أيها الأحباء، جميع الناس يحتاج إلى جهد. الإنسان يخلق مفرداً، يخلق وحده. ومـــنذ الدقيقة الأولى لولادته تصبح المشكلة عنده كيف سيكون هنالك أناس يعتمد علـــيهم لكي يعيش، ولكي يروه، ولكي يحبوه، ولكي يعتنوا به. كلنا نخلق الواحد لوحـــده بعدئذ عندما يكبر الإنسان يصبح همه كيف يجد جماعة تعاونه، وكيف يجد جماعـــة يحبونه، وجماعة هو يحبهم. هذا لا يأتي بصورة آلية وهذا يجب أن تعمل لكي تحصـــل عليه. والنجاح في النهاية في هذه الدنيا هو أن تنجح في أن تحب الناس وأن تنجح في أن يحبك الناس. بدون هذا لا نجاح. لا المال يفيدك ولا العلم ولا أي شيء على الإطلاق إذا كنت كارهاً ومكروهاً.

الإنســـان يفـــتش عن أن يكون مع الآخرين محباً لهم ويكون الآخرون معه ومحبوباً لديهم. من هنا، أيها الأحباء، فكرة الكنيسة. نلفظ كلمة الكنيسة ولا نعرف من أين أتت وما معناها... الخ كلمة كنيسة تعني فقط الناس الذين يحبون وأن يكون بيـــنهم جاذب واحد. الكنيسة هي المكان أو الهيئة التي فيها تجاذب وتقارب. الواحد لوحده يكون بعيداً عن كل الناس، ولكن في الكنيسة يتعلم أنه ليس وحده في العالم. الدوافـــع لكـــي يجتمع الناس كثيرة لكن ليست كلها محمودة. في العالم يجتمع الناس لكي يتآمروا في كثير من الأحيان. في العالم الناس يجتمعون لكي يخفي الواحد عيوبه عـــن الآخـــر. في هذا المكان أنتم تجتمعون ليس الواحد في الآخر ولكن الواحد مع الآخر في الآب السماوي الواحد الوحيد.

أيها الأحباء، في الكنيسة نحن نكتشف أننا أبناء لأب واحد. هذا مهم جداً جداً وهذا أقرب في النهاية ويجعلنا نتقارب أكثر من أية وسيلة في العالم. ونحن اليوم

في هـــذا العـــيد المبارك أتمنى لكم ألا ينتهي العيد بعد الصلاة ولكن أن تبقوا الواحد مـــنكم يعـــترف بالآخر، يحب الآخر، يعرف أنه ملتزم بالآخر، نحن لم نأت ليتفرج الواحد على الآخر نحن نأتي وكأن قلب كل واحد يقول لقلب الآخر أنا معك وأنت معي أنا لك وأنت لي لأننا أبناء لأب واحد. الآباء كثيرون في هذه الدنيا ولكن الآب الســـماوي الذي باسمه نجتمع هو واحد أحد لا يزيد عليه شيء ولا ينتقص منه شيء على الإطلاق.

أيهـــا الأحباء، شكراً لكم أننا اجتمعنا. وأسأل الله أن يجعلكم دائماً يقظين عـــلى أنكم لستم وحدكم وأن الإنسان الذي يعيش وحده هو إنسان معزول. أنت لســـت معـــزولاً، أنت بالمحبة تجتمع بالناس، أنت حياتك تكون جنة إذا كنت محباً وكنت محبوباً، وحياتك تكون جهنم إذا لم تكن محباً لأحد وإذا لم يكن أحد يحبك. عيد الكنيسة أن نكون معاً محبوبين من كل الجهات ومحبين للجميع وكل عيد وأنتم بخير.

✞ ✞ ✞

تعال وانظر*

أيها الأحباء، اليوم نعيد للقديس اغناطيوس الانطاكي الذي هو عملياً شفيع المسـيحيين الذين يبدأون من أنطاكية في هذه المنطقة. وتحدث النص الإنجيلي المقدس كيف أن التلاميذ كانوا يتباحثون في الطريق حول من هو الأعظم.

أعـود بالفكر إلى اغناطيوس الانطاكي. نحن الآن في القرن الثاني للمسيح. وفي القرن الثاني الميلادي لم تكن المسيحية قد أصبحت ديناً رسمياً في الدولة لأن ذلك لم يحدث قبل السنة ٣١٣. إذن كان هنالك جو بالنسبة للكنيسة هو غير الجو الذي أصبح بعد السنة ٣١٣ والذي يشكل مرحلة جديدة في حياة الكنيسة.

في النصـوص التي كتبها اغناطيوس الانطاكي ماذا نجد؟ نجد أن التشديد في رسائله وفي خطابه للآخرين موجه للإنسان في علاقته مع الإنسان أخيه. اغناطيوس الانطـاكي يدعو إلى التآخي، يدعو المؤمنين باسم المسيح إلى أن يعرف الواحد منهم الآخر. وعندما يذكر المسيح فهو يشدد على الصليب، يشدد على الآلام ويشدد على التواضـع ولذلك فهو لا يتكلم عن الأمجاد التي ينشدها البعض عندما يصبح مسيحياً بل يتكلم عن التواضع عند المسيحي، وعن الوداعة وعن السلام الشخصي.

الرسائل التي كتبها اغناطيوس الانطاكي رسائل فيها ينظر الإنسان إلى اخوته فيسـامح مـتطلعاً إلى الله الـذي سـامحه. وهذا هو الجو الذي كان يسود رسائل اغناطـيوس الانطـاكي دون أن نجد فيها محاولة للإقناع العقلي الذي نجده في بعض رسـائل بولـس الرسـول الذي كان يخاطب فيها الذين يعرفون الفكر الاغريقي. اغناطيوس الانطاكي لم يقل يمكنكم أن تقتنعوا بالمسيح ولكنه كان يقول: إن هنالك

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد القديس اغناطيوس الانطاكي، ٢٠/١٢/٢٠٠٠

تجسداً، فالمسيح لم يأت كلمة، المسيح لم يأت كتاباً، المسيح لم يأت منطقاً ولا فلسفة ولكنه أتى ابن الله الوحيد، أتى على الأرض وهو تحمّل الصلب. ومن له عينان فيجب أن ينظر إلى ذلك.

تقتنع بالمسيح إذا اتحدت به كمسيح. المسيح ليس فكرة، المسيح واقع. ومن هنا التشديد على أعمال الناس. قال الإنجيلي مرقس: التلاميذ تساءلوا فيما بينهم: إذا وجدنا إنساناً يعمل خيراً ولا يتبعنا فماذا نقول له؟ لأنه بلغة العالم نقول له أنت غريب يجب أن تبتعد عنا وأن نبتعد عنك ولكن جواب المخلص كان مختلفاً عن ذلك كلياً فقال: إن من يعمل الخير فهو يفعله لأن بذرة من الله فيه. لا تسأل الإنسان عن كنيسته ولا عن دينه ولكن أنظر كيف يعمل وكيف يتصرف فإن كان يحترم خليقة الله فهو مرتبط بالإرادة الإلهية وهذا هو المهم.

اغناطيوس الانطاكي كان تابعاً للسيد ليس أكثر. وكان قبل القرن الرابع الذي فيه حصل انقلاب فعمّت المسيحية الدولة والناس. وعليه ففي أيامه كان المسيحيون أقلية. وهم الآن أقلية بالرغم من أن نفسيتنا وشعورنا أصبحا بعد القرن الرابع نفسية وشعور أكثرية. ونحن نتصرف في كثير من الأحيان كما لو أننا مخلوقون «غير شكل» وان السماء مغلقة دون سوانا. وبالطبع هذا غير صحيح. اغناطيوس الانطاكي لم يعرف رأسه التاج الذي أضعه على رأسي ولم يلبس الملابس التي ترونها الآن. لم يكن على اغناطيوس الانطاكي أن يلبس صورة الإمبراطور. الصورة التي ترونـنا عليها في القداس هي صورة إمبراطورية شئنا أم أبينا. أنا لست كالإمبراطور والمؤمنون ليسوا أتباعاً. وأعتقد أن اغناطيوس الانطاكي ومعاصريه لم يصلوا في مكان فخم كهذا ولا كانت بيوت الناس مثل هذا البيت.

إلى التعابير التي أصبحنا نطلقها في القداس الإلهي بعد القرن الرابع. أصبحنا نتكلم كثيراً عن المجد «لأن لك المجد والقدرة» لأن لك الإكرام «لأن لك

الفخامـــة... الكلمة تبدلت، اللهجة تغيرت حتى ظن الكثيرون ــ وعن حق ــ أننا نفـــتش عـــن كبرياء أكثر مما نفتش عن تواضع المتجسد في المغارة. هذا أيها الأحباء انقلاب أساسي ولكن ليس في الاتجاه الصحيح.

ومـــاذا نجـــد أيضـــاً؟ نجد أن الذي تُلبسه ثياب الإمبراطور قد يصدق أنه إمـــبراطور. وإذا وضـــعت قناعاً على وجه إنسان مدة طويلة فإنه يتخذ وجه القناع وجهـــاً له، ويقتنع بأنه كالصورة التي تظهر للناس. والواقع ما الفرق بين الإمبراطور وبين من يلبس ثياب الإمبراطور. كل من يلبس لباس الإمبراطور يصبح إمبراطوراً من ناحـــية معينة. لذلك فالخصومات في الكنيسة انقلبت إلى خصومات شخصية تسعى إلى تنفيذ الكلمة وإلى إخضاع الآخر وإلى فرض قناعاتك عليه. نعم في الكنيسة وفي العهود الإمبراطورية حصل قهر وحصلت انكسارات وغلبة.

اغناطـــيوس الانطاكي كانت قوته بأنه سار إلى الموت. نعم في المسيرة إلى المـــوت كانـــت قوته لا بفرض ما يقول به وبالطريقة نفسها أو حتى ــ كما يفعل البعض اليوم ــ باللغة نفسها فلا نتكلم عن الإنجيل إلا باللغة التي كتب فيها لأن هذا يتعلق بجهة معينة وحضارة معينة.

أيهـــا الأحـــباء، الذي نعيد له اليوم ليس كما ترون ولكن كما نصلي لأن نكـــون بتواضع، بوداعة، وخصوصاً بقدوة. القدوة هي الكلمة التي تعني في الكتاب المقدس التجسد. أنتم تجسديون. الشيء الذي لا يتجسد أمامنا لا وجود له. الكلام ليس أكثر من كلمات، من حروف وأمواج صوتية تخرج من الفم باتجاهات مختلفة. نعـــيد لاغناطـــيوس الانطاكي قبل الميلاد وكأنه يقول لنا: إن الله المتجسد هو الإله الحقيقي وأنتم اعملوا واعملوا واجعلوا الأشياء تجسيدية. كونوا القدوة.

دعوتك للناس تختصر في كلمتين: تعال وانظر. وكل عام وأنتم بخير.

كلنا مدعو إلى مائدة الرب*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

آمـــل أن يأتينا العيد المكرم ونحن بالفعل قد هيأنا لاستقبال الرب آتياً إلينا. الـــيوم، يـــا أحباء، قال لنا الكتاب المقدس: يشبه ملكوت السموات وهذا يعني أن هنالك مملكة ثانية. لا يوجد فقط ممالك على الأرض، أعني الممالك التي نراها وفيها العســكر وفـــيها الآلات وفيها الحكام وإنما توجد مملكة ثانية وهنالك ملك آخر، ملكوت آخر، السلطة فيه من نوع آخر، الحياة فيه من نوع آخر.

في ملكوت السموات، صنع صاحب الملك هناك، القاضي، الحاكم، الملك، عشـــاءً وقـــال للعمال عنده ادعوا الناس للغداء الذي أعددته. الصوت صوت ملك الســـموات، العشاء عشاء ملك السموات، الخدام عنده هم الملائكة الذين يجب أن يذهبوا لكي يدعوا الناس إلى العشاء الملكي.

مـــاذا حصل؟ يقول الكتاب المقدس: «لم يلبِ الدعوة أحد». وهذا يحدث كـــل يـــوم، نُدعى إلى الصلاة فلا نأتي إلى الصلاة، نُدعى لأن نكون بالفعل تابعين لربنا، وإذا بنا نتبع زيداً وعمراً من الناس. هذا يحدث كل يوم، ويظن البعض أننا نحن فقـــط مَـــن يريدنا الله أتينا إلى الصلاة أم لم نأت، كنا صالحين أم غير صالحين. نحن وحدنا الشعب الإلهي، نحن وحدنا مثلاً المسيحيون. يظن البعض هذا الظن. نتغيب في كثير من الأحيان عن الدعوة، عن الصوت الإلهي. الصوت يقول لنا: هنا شيء جيد وهـــناك شيء سيئ فنختار الشيء السيئ. كأننا نقول له احتفظ بصوتك وأما نحن فنتـــبع ما نرغب، ونذهب إلى حيث نتلذذ. يقول لنا الإنجيل المقدس: أنتم واهمون،

---

*أحد الأجداد، ٢٠٠٠

أنـــتم واهمون، الملكوت السماوي أوسع مما تتصورون، الملكوت السماوي يأتي إليه الناس الذين لا تتصورون أنهم يستحقون الملكوت.

كثير هم البشر الذين تعتقدون أنكم أنتم أفضل منهم، الذين من ديانة ثانية مثلاً، الذين يسكنون في منطقة أخرى، الذين لا يعجبونكم، تظنون هؤلاء خارج الملكوت. لا، هـــؤلاء أيضـــاً يدعوهم رب الملكوت، يدعوهم إلى مائدته، أنتم لستم وحدكم مدعوين للجنة، للفردوس، هذا ليس صحيحاً. في الفردوس سيكون الكثيرون منكم ولكن سيكون هناك الكثيرون غيركم أيضاً. الله لا يترك خليقته بدون عنايته ومحبته، أكنتم أنتم تلك الخليقة أم كان غيركم فهو يفتح لكل خليقته باب الفردوس.

لا تتكـــبروا عـــلى أحد، ولا تظنوا أن الله لكم، هذا غير صحيح. أنتم لله أيضـــاً. ولكن ليس الله لكم وحدكم. كلنا صغار أما الله فكبير. نحن لا نستوعب، بالكاد يستوعب الواحد منا الآخر. الله ليس كذلك، الله باب مفتوح، عشاؤه مفتوح لكل الناس، وهو يرحب بهم إذا هم قصدوه. وقد قال في الإنجيل المقدس عندما ظن الـــبعض (وهم اليهود، واليهود كما تعرفون هم من الأجداد)، أنهم إذا ما اقتربوا من المســـيح لن يكون أحد غيرهم ولكنكم ترون في الواقع أننا لسنا يهوداً ولكننا حول المســـيح. وقال الرب كلمة قاسية جداً لأولئك اليهود: «إذا كنتم تظنون أنكم أنتم وحدكم أولاد لإبراهيم و لم تأتوا، فإن الله يخلق من الحجارة أولاداً لإبراهيم». الله لا يحتاج إلينا، نحن نحتاج إلى الله، نحن من يحتاج إلى أن يأتي إلى الله.

الله يـــأتي إلينا بالتواضع بالتنازل لأنه يحبنا، أما نحن إذا لم نحب الله وابتعدنا عنه فهذا لا يعني أن الله سيعطش أو سيجوع. هذا غير صحيح. نحن نصلي لأننا نحن نحـــتاج إلى الله ليس لأن الله يحتاج إلينا. هو يحبنا والمحب يعطي ولا يأخذ، نحن الذين نأخذ. إذاً فلنأت إليه بتواضع، نحن نأتي إليه لأننا بحاجة إليه، هذا مهم جداً. البعض يظـــنون أنهـــم يأتون إلى الصلاة لأن الكنيسة تحتاج إليهم، لا، نحن الذين بحاجة إلى

الصلاة.

الصـــلاة تبقى، الله يسمع من الناس كائنين من كانوا، يسمع من المسيحي، ويسمع من غير المسيحي، يسمع من هذه الطائفة ويسمع من غيرها. أنت تصلي من أجـــل نفســـك، لا من أجل الآخرين. البعض يظن أن الكنيسة هي لبعض الناس، للكـــاهن مـــثلاً. كنيستك لك، الصليب الذي تحمله هو صليبك وأنت تحمله، هذا المكان هو لك، أنت تأتي من أجل نفسك لا من أجل أن تبيّض وجهك مع أحد، لا أحد يطلب منك أن تبيّض وجهك معه.

أيهـــا الأحـــباء، ونحـــن مقبلون إلى الميلاد الشريف، المسيح آتٍ من أجلنا فلنستقبله، فلنستقبله في قلوبنا فلنستقبله في بيوتنا، فلنستقبله كما قال الكتاب المقدس بألسنتنا. اللسان الشتّام لا يستقبل المسيح، اللسان اللاعن لا يستقبل المسيح، اللسان النظيف هو الذي يستقبله، والقلب النظيف هو الذي يستقبله أيضاً.

وعسى أن يأتي إلينا المسيح فيجدنا مستحقين لاستقباله، آمين.

✠ ✠ ✠

ضميرنا دليلنا*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. آمين.

كنا نتصور أنه بعد أن صار عندنا ما يمكن وصفه بأجمل كنيسة في الشرق، وأن هـــذه الكنيسة مزودة بكل وسائل الراحة أن تكون همة أولادنا أشد وأن يحاولوا الإفـــادة مما هو موجود. أتمنى أن توصلوا هذا للذين لم يحضروا. كان التذمر لماذا لا يوجـــد تـــبريد في الصيف ولا تدفئة في الشتاء، والآن قد صار ذلك فتفضلوا لأن ما حصـــل هـــو من أجلكم. مثلكم كمثل الجائع الذي يطلب طعاماً وعندما يقدم له الطعام يمتنع عن الأكل. لذلك يجب أن نذكّر جماعتنا بهذا الموضوع. ما عُمِل هو من أجلكم وحتى تأتوا إلى الكنيسة للصلاة. أنتم لا تصلون من أجلي أنتم تصلون للذي أصلي له وهو ربنا، كلنا نصلي لربنا الذي هو واحد. لذلك من الضروري أن تخبروا بعضـــكم لكي يأتوا إلى هذا البيت الذي هو لكم والكراسي هي لكي تجلسوا عليها وهـــذه الكنيســـة لكـــم حتى تأتوا إليها ولا أعتقد أن أحداً منكم يملك بيتاً مثلها. استخدموا هذا البيت لتسبحوا ربكم. يجب أن نعرف ما هو مطلوب منا وليس فقط أن نطلب ما نريد نحن. يجب أن نتعلم كيف نلبي نداء الكنيسة وهو مهم جداً.

بولـــس الرسول كان يبشر ليس في فلسطين، ولكن خارجها في أنطاكية ثم وصل حتى روما. العالم في روما ليس يهودياً بالكلية ولذلك فالذين اهتدوا هناك كان منهم الذي أصله يهودياً ومنهم من ليس ذا أصل يهودي.

الـــذي من أصل يهودي إذا ما أراد ربنا أن يحاسبه، فسيسأله عما ورد في الـــتوراة: لا تسرق، لا تزنِ، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك... في التوراة توجد

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، ٢٠٠١

شـــريعة ويوجـــد ناموس. ولكن الذين ليس عندهم توراة فكيف سيحاسبهم الله، وكيف سيسألهم في اليوم الأخير عن أشياء لم يعرفوا أبداً أنهم يجب أن يفعلوها أم لا. هـــذا ســؤال مهم جداً ومن أهم الأسئلة التي واجهها الرسل ومن أهم الأسئلة التي ووجه بها الرب يسوع. الذين تبعوك يعرفون الآن ما يجب أن يفعلوه ولكن أتباعك قلة، فماذا سيحل بالآخرين وهل مصيرهم النار (جهنم). هذا ما كان يعتقده اليهود ولكـــن الـــرب يسوع فسر لهم وقال أنتم أبناء الشريعة نعم، ولكن لا تظنوا أنكم وحدكـــم أولاد لإبراهـــيم أي من الذين يحبهم الله لأن الله يخلق من الحجارة أولاداً لإبراهـــيم. لذلك فالسموات ليست لكم فقط وهي ليست ملككم. كذلك بولس الرسول تكلم مع اليهود لأن اليهود كانوا يعتقدون أنهم متميزون لأن عندهم الكتاب المقدس، التوراة وأما الآخرون فهم من الدون.

في الرســـالة الـــيوم كان السؤال: ما هو وضع الذين ليس عندهم ناموس؟ الجواب هو أن الله أب لكل الناس وليس أباً لعدد بسيط ونحن منهم. الله يريد الجميع وعـــندما أتى الرب يسوع جاء ليخلص الجميع وليس فئة معينة. هذا التفكير خاطئ لأنه يعني أن هنالك طبقية وهذا ليس صحيحاً وديننا لا يقول ذلك ولا إيماننا.

ســـألوا بولس الرسول: الذي ليس منا كيف يعرف أنه فعل الحسن أو فعل الغلـــط؟ فكان الجواب: كل إنسان مخلوق على صورة الله ومثاله ضميره دليله. حتى ولـــو لم يقـــرأ كتاباً ولا سمع موعظة فهنالك شيء في قلبه يخزه ويقول له متى يفعل الحســـن ومتى يفعل السيئ. فالذي يقتل يحس بأنه قام بعمل سيء مهما كان دينه. وكل الناس تعرف أنك إذا سرقت إنساناً ومنعته من إطعام أولاده فإن ذلك خاطئ.

الولد مثلاً الذي نقول إنه طاهر نجده يفعل بعض الأمور على مرأى من أهله ولكـــن هناك أشياء يفعلها عندما يغيب أهله. حتى الولد لأنه مخلوق على صورة الله ومـــثاله يعرف الشيء الصح من الشيء الخطأ. كذلك يجب أن ننبه الولد ونقول له

بأن ما فعله غير صحيح.

نحن نعرف أننا في اليوم الأخير سنقف للدينونة، ونكون إما على اليمين وإما عـــلى اليسار وسيسألنا الديان: ماذا فعلنا؟.. هذا نحن نعرفه ولكن الذين لا يعرفون هذا فعلام ستكون محاكمتهم؟ إن صوت الله الذي في قلوبهم وصورته المطبوعة فيهم هي التي تدلهم ومسؤوليتنا نحن أن نذكرهم ونخبرهم لذلك لا يجوز أن نكون في بيتنا لا نعـــلم مـــا هو الصالح وما هو الطالح. هنالك أناس لا يتفوهون بكلمة واحدة في البيـــت حـــتى يرشدون بها أولادهم. لم يعد الأب والأم يدلان أولادهما إلى الطريق السوي ولكن رغم ذلك فوجود صورة الله في الأولاد تظل تعرفهم الخير من الشر.

الســـؤال يسأل: الرب يسوع مخلص العالم قبل أن يتجسد في بيت لحم منذ ألفي سنة ألم يكن هنالك بشر. لقد كان يوجد بشر. إذاً كيف سيحاكمهم الله؟ ما دام الله وضع فيهم صورته ومثاله فهذه الصورة وهذا المثال هما المرشد لأولئك الناس فـــإذا ســـاروا على حسب الصورة والمثال يكونون سائرين في الطريق القويم. وهم يحســـون بذلك ويعرفون متى يخالفون ومتى يكونون على الصراط المستقيم. إذاً الذين لم يعرفوا المسيحية فضميرهم هو دليلهم.

في هـــذه الأيام لا يتكلم أناس كثيرون عن الضمير. ضميرك يقول لك إذا كنت تؤذي أم أنك تفعل الخير. وضميرك يخبرك إذا كنت تسير في الطريق القويم أم لا. الضـــمير هو صوت الله في الداخل وهو الذي يدلك عندما لا تعرف ولا يعلمك أحـــد. مـــا نتعلمه هو شيء مهم جداً وهذا السؤال يطرح دائماً ممن هم قبل المسيح وحـــتى من غير المسيحيين، الآن ما مصيرهم ألم يمت المسيح من أجلهم. نعم المسيح مات من أجله وهو يحمل صورة الله وقد مات المسيح من أجله.

إذاً فالسؤال في الدينونة: هل سرت حسب ضميرك؟ وهذا يعني أنك صنعت المعروف وزرت المريض والسجين.

بالنسبة لنا لا يوجد إنسان بلا ضمير ولكن يوجد إنسان يسير حسب ضميره وإنسان لا يسير حسب ضميره وهذه ناحية مهمة جداً. فالله لم يغلق أبواب الفردوس في وجه أحد. فالكل مدعوون إلى ولوج الجنة ولكن حسب مسيرهم وحسب توافقهم مع تعاليم الله كائناً ما كان دينهم أو جنسيتهم أو لونهم.

اليوم نحن نتعلم أن الكنيسة أكبر منا وأن الرب يسوع ليس ربنا فقط وأن أبناءها يتجاوزوننا إلى كل الناس، والله خالق السموات والأرض هو خالق كل إنسان وأن الرب يسوع لكل إنسان، لا نتفاخرن على أحد فقد يدخل أي كان الجنة قبلنا. فالذي يحفظ إيمانه ولا يسير حسبه يسبقه إلى الجنة من لا يعرف الإيمان ولكنه يسير حسبه.

أريد أن تكونوا واعين لهذا الموضوع وألا نتفاخر على غيرنا وأن ندل أولادنا على الشيء الحسن ونلقنهم كلمات المسيح لكي يعرفوا ولو قليلاً ما يريده ربنا. يجب ألا تتركوهم عمياناً. عافاكم الله.

✝ ✝ ✝

الشر صنع البشر*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. آمين.

أيهـــا الأحـــباء، أعـــتقد أنه ليس من الضروري أن أذكركم بأننا في زمن الصوم، وأن هذا الصوم وضع من أجلنا لذلك يجب أن نصوم.

وكما تلاحظون أن الصوم لا نمارسه طيلة أيام السنة وكذلك الصلوات التي تسمعونها مساءً أثناء هذه الفترة. إذاً يوجد الآن شيء خاص وفترة مميزة. لذلك يجب أن نتشـــدد الآن ونـــأخذ أمورنا بشيء من الجدية. وأن نقول: «في النهاية يجب أن يظهـــر الصـــوم على وجوهنا والذي يراني في هذه الفترة يجب أن يراني فرحاً لأنني صائم».

أولادنـــا في البيـــت يجب أن يحسوا بأن هنالك شيئاً ما يحصل ويدعو إلى التســـاؤل وأن وجود صوم هو الجواب على هذا التساؤل. وبذلك يعرف الأولاد أن الصوم موجود وهذا ضروري جداً.

وفي الصوم يأتي إلى الكنيسة أناس لن تراهم إلا إذا كنت في الكنيسة وهؤلاء يمكنك التعرف عليهم والصلاة معهم. فإذا ما أتيت الكنيسة بمفردك فلن تكون فيها لوحـــدك بل بالعكس فستجد نفسك بين أناس من كل الفئات وكلهم يقومون بما تقوم به. لا تظنن أنك وحدك في الساحة فأنت فرد في عائلة كبيرة وفي أسرة تشمل كل الذين هم معك في الكنيسة، وهذا الشيء لا تجده في المناسبات الأخرى.

قد يحصل لقاء في الجناز أو الإكليل مثلاً، ولكن الناس لا يصلون في الإكليل لأنهم يعتقدون أنه ليس للصلاة، بينما هو للصلاة فقط. تجدهم يرتدون ثياباً قد تليق

---

* ٢٠٠١

بالمناسبات الاجتماعية ولكنها حتماً لا تليق بالكنيسة، فثياب الكنيسة هي للكنيسة، فإن كنت ترى غير ذلك فأنت حر. فالكنيسة كنيسة، والصلاة صلاة. هنالك أناس لا يـتم فرحهم إلا بالضجيج والهرج والمرج ولكن الفرح قد يكون بطريقة أخرى، بهـدوء وشعور داخلي بالفرح. هل نحن الآن حزانى في الكنيسة؟ لا. إننا نستمع إلى التراتيل ونتمتع بجو الكنيسة الرائع، نحن نحب النور ولا نحب الظلام.

مـا يهمني الآن هو أن تعرف أن ما يحصل في الكنيسة هو من أجلنا جميعاً. تذكـروا في الصوم بصورة خاصة أن كل واحد منكم هو الكنيسة فإذا فعلت أنت شـيئاً حسناً فهذا يعني أنه في الكنيسة لا بل في الكرسي الأنطاكي قد حصل شيء حسن وإن لم تفعل ذلك الشيء فهذا يعني أن هنالك شيئاً في الكرسي الأنطاكي كان يمكن فعله ولكن ذلك لم يحصل. أنت المسؤول عن الفعل ولا تنتظر غيرك.

عندما تظهر موضة جديدة ترى الناس يتهافتون على ارتداء الملابس الجديدة وعندئذ يكون التقليد مستحباً، فلماذا لا يحصل ذلك في الأشياء الحسنة؟.

البشـر الطيبون يمكن ألا نتحدث عنهم كثيراً، يمكننا ذلك ولكن يمكننا أن نقلدهم في السلوك الحسن؟ بعون الله أنتم منهم والحمد لله أننا لسنا كنيسة لصوص ولا كنيسـة كذبـة ولا كنيسة مستهترين. نحن مقصرون تجاه الله والناس ولكننا لا ننسى الله ولا ننسى الناس الذين هم حولنا.

في هذا الصوم نركز نوعاً ما على أنفسنا. لا تعتمد على أحد ولكن اعتمد على الله وحده وقم بما يجب عليك، فإذا أنت لم تفعل الشيء الحسن فالشيء الحسن لن يكون. لا تنسَ ذلك.

ننظر إلى العالم لنرى ما يحصل فنجد أن أشياء كثيرة تحصل في هذا العالم لا نُشـكر عليها نحن البشر، الناس يذبح بعضهم البعض، حتى الأطفال لم يسلموا من ذلـك. فمـاذا فعل هؤلاء ليُذبحوا، القتل مرفوض حتماً لا سيما للأطفال الذين لم

يفعلــوا شيئاً ولا علاقة لهم لا بالسياسة ولا بالاقتصاد.. هؤلاء ما ذنبهم؟ لا أتصور كيف يمكن لإنسان أن يشاهد منظر الذبح مثلاً وكيف يمكن لقاتل أن يسمع صراخ الأطفال ويبقى مصراً على فعلته بقلب حجري.

ليـــس المطلوب اليوم أن يكون غيرنا جيداً وليس نحن. لا يا أحباء، فالعالم الـــذي يحصـــل فيه ما يحصل نحن مسؤولون عنه لأننا نحن من هذا العالم. يمكننا أن نكـــون مـــثل تلك الفئة ولكننا نصلي أن يكونوا هم مثلنا يعرفون الصوم ويعرفون الصلاة ويعرفون الإيمان ويعرفون محبة الناس واحترام البشر.

من أين أتى الشر إلى العالم؟ لقد أتى من الناس، الطبيعة والحيوانات لا تصنع الشـــر، الحيوان يفترس ليأكل فقط ولكن ليس بغاية القتل للقتل. ولكن الشر الذي يحصل يسببه البشر.

نحـــن ندعو في الكنيسة إلى أن نكون نواة خيرة، فعندما يتقاتل البشر نقدم نحن ما عندنا لغيرنا وعندما يتذابح الناس نفكر كيف نسعد البشر الذين نحن معهم.

إنـــنا نتطلع في الصوم إلى أن تذكر كلمة الله في مكان ما، وهذا المكان هو حيث توجدون أي في بيوتكم مع الذين تحبونهم أو لا تحبونهم وأن تذكروا كلمة الله.

والصـــوم، كما قلنا، ليس مسألة أكل وشرب، نذكر الأكل والشرب لأننا نأكل ونشرب وقد نبالغ في الأكل والشرب حتى المرض. ولكن الأهم من ذلك يجب أن نتعـــلم أن نحـــب الدنيا عندما لا يحبها كل واحد فيها. وهذا العالم لا يحبه كل واحـــد. والله خلـــق العالم وسلمنا إياه حتى نسلمه أفضل مما استلمناه وليس أسوأ. فالكذب والرياء والإساءة إلى البيئة والعداوة كلها لا تساعد أن يكون العالم نظيفاً لا بـــل توسخه ونحن مطلوب منا ألا نوسخه. ومطلوب منا ألا نكون وسخين حتى لا نوسخه.

يا أحباء، أذكركم أن عندنا صوماً وأنا أعرف أن الكثيرين من الموجودين في الكنيسة الآن لا يصومون، ولا أدري ما السبب. نحن مؤمنون ونسمع كلمات الرب الذي صام هو لكي نصوم نحن أيضاً، الذي لم يبدأ الصوم فليبدأ اليوم أو غداً ولنكن قـــدوة للصغار حتى يتعلموا من آبائهم وأخوتهم الكبار أن هنالك شيئاً اسمه الصوم. أتمنى لكم صوماً مباركاً.

✞ ✞ ✞

الإنسان ليس إنساناً بدون الحرية*

كل سنة وأنتم جميعاً بخير، أيها الأحباء،

شاء الله أن تكون في هذه الفترة أعياد مجتمعة: منها بالطبع هذا الذي نذكره اليوم، ومنها بصورة خاصة عيد الفطر المجيد، وعيد الميلاد المجيد. لذلك فإننا اليوم نرفع الصلاة من أجل جميع الذين عيّدوا عيد الفطر، ومن أجل جميع الذين عيّدوا عيد الميلاد، ونتمنى أن يكونوا قد عيّدوا كأسرة واحدة. ونعايد بصورة خاصة الدكتور بشار الأسد، رئيس الجمهورية المكرّم، وجميع أعوانه، كما نعايد أيضاً صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية، أميل لحود، وجميع معاونيه، سائلين إياه تعالى أن يعطيهم القوة لكي يقوموا بواجباتهم من أجل خير شعبنا ومن أجل استقلال البلد وحرية أبنائه، ومن أجل أن يكون دائماً آخذاً مصفاً بين أفضل الأمم وأشرفها.

وما دمنا لم نتكلم في فترة الميلاد الشريف، فإننا نغتنم اليوم هذه الفرصة لكي نقول بعض الشيء في موضوع الميلاد.

عندما نذكر الميلاد، نحن المسيحيين، نقصد بذلك أن ابن الله الوحيد قد تنازل وتجسد من أجلنا آخذاً الطبيعة البشرية التي هي طبيعتنا. نحن نقول: «تنازل» وكأنه كان في مكان مرتفع جغرافياً ونزل إلى مكان منخفض جغرافياً، وأنتم تعرفون أن الله ليس عنده جغرافيا، ليس عنده جبال وليس عنده وديان، لكنه يأتي إلينا. الميلاد هو عيد مجيء الله وهو بالفعل ماثلٌ بيننا. الله في كل زمان وفي كل مكان. لذلك فهذه الكلمات هي كلمات صورية وليست كلمات بالمعنى الدقيق للكلمة. الله لا يسكن في مكان واحد والله لا يأتي في وقت واحد ولكنه فوق كل زمان وفوق كل

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد رأس السنة، ٢٠٠١/١/١

مكان، وهو آتٍ، وهو بيننا كما كان. كذلك هو وكذلك سيكون. يجب أن نعرف أننا نعني بحضور الله شيئاً استثنائياً، ولا نعني كأن الله لم يكن بيننا من قبل، أو أن الله لن يكون بيننا فيما بعد.

سمعت أن البعض لا يجدون في قولنا إن المسيح ولد من البتول حالةً عجيبةً أو ما يدعو إلى العجب، لأن المقول عند هؤلاء الاخوة إنه إذا كان المسيح قد ولد بدون أب، فــآدم كان أعظم منه لأنه لم يكن له لا أب ولا أم. أريد أن أوضح الآن هذه الــنقطة فأقول إن المسيح ولد ولادةً وآدم خُلق خلقاً، والولادة ليست الخلق والخلق لــيس الــولادة. فلنعجب إذاً من أن ابن الله قد ولد من عذراء نقية لا على ناموس الطبــيعة ولكــن على ناموس الإرادة الإلهية التي تفوق الطبيعة لأنها هي التي تخلقها. المســيح ـــ كما سمعنا في هذا الإنجيل ـــ كان هذه المرة وفي هذا الوقت في الناصرة. هــو من الناصرة، ولد في بيت لحم ولكنه لم يعش طويلاً في الناصرة. ترك الناصرة. وكيف تركها؟ تركها بعد حادث معين. وما هو هذا الحادث؟ كان يصلي مع جماعته في الناصــرة، وكــان يتلو نصوصاً موجودة في الكتاب المقدس منذ أكثر من ألفين وثمانمائــة ســنة اعتــباراً من اليوم. ماذا قرأ؟ قرأ: "روح الرب عليَّ". تكلم وجعل الموضوع عن نفسه هو. هذا القول كان يقوله نبيٌّ يجعله الله يرى في المستقبل أن روح الرب سينــزل، وكما قلت: الرب ليس فوق، لا السقف ينــزل ولا الرب يصعد. إنه موجودٌ في كل مكان كما قلت. هذا شيء مهم يجب أن نعرفه ولكننا لا نقدر أن نعــبِّر عن الأشياء الإلهية إلا بلغتنا الضيقة وبتفكيرنا الضيق. الرب يسوع، في الشعب الذي كان يصلي معه، اتخذ الكلمة من الأنبياء، من النبي أشعياء ليقول: "روح الرب عــليَّ أنــا". هنا نرى المنهاج الذي يتبناه الرب يسوع فيقول في الآخر: اليوم، هذه الكتابة التي تليت على مسامعكم تمت اليوم. كان يتكلم عن نفسه. وروح الرب! ما هــو روح الرب؟. انظروا بماذا يتصف روح الرب. قال: "روح الرب عليَّ مسحني وأرسلني لأبشر المساكين". ستجدون شيئاً غريباً في هذا النص الإنجيلي. تكلم المخلص

عن المساكين (يعني الفقراء)، تكلم عن منكسري القلوب الذين لا يلتفت إليهم أحد، تكلم عن المهشمين المنكسرين. وهؤلاء، مَن يلتفت إليهم في هذا العالم؟ وتكلم عن المسجونين، والمسجون يودع في السجن ومن يذكره؟ بالكاد أهله يذكرونه. إذاً الرب يسوع المسيح بروح الرب عليه، كما قال، ماذا رأى في هذا العالم؟ رأى الفقير، رأى المسكين، رأى السجين، رأى المريض، رأى هؤلاء ليقول لنا: يا أحباء، من ظن منكم أنه في وقت من الأوقات لم يكن هنالك فقراء، لم يكن هنالك مرضى، لم يكن هنالك مظلومون، لم يكن هناك سجناء هو غلطان. كانت دائماً في هذا العالم أمور كهذه. هذا الكلام منذ أكثر من ألفي سنة، ومنذ أكثر من ألفي سنة قيل لنا إن في العالم فئات من النوع الذي أنا أذكره لكم، وأنا آتٍ من أجل هذه الفئات. أتى المخلص، أتى من أجل الفقراء، ودائماً كان هنالك فقراء. ولماذا؟ هل يخلق الله غنياً ويخلق فقيراً؟ — كلا! كل إنسان يُخلق عارياً ليس عليه شيء وليس عنده شيء، ثم يصبح عنده ما عنده بعد أن يُخلق، ولا يكون الله قد ألبس واحداً دون أن يلبس الآخر.

تكلم عن السجناء، لماذا؟ ماذا ينقص السجين؟ — إنه يأكل ويشرب وينام ككل إنسان — ينقصه أن يكون حراً. تنقصه الحرية. ما معنى الحرية؟ هو أن يكون قادراً على تقرير شيء يخصه ليقول: هذا يناسبني وهذا لا يناسبني. هذا يعجبني وهذا لا يعجبني. هذا أقبله وهذا لا أقبله. السجين يأكل ويشرب وينام ولكنه لا يقدر أن يقول الأشياء التي نقولها نحن. لذلك فالإنسان غير الحر إنسان مجهول. إذا كنت تحب غصباً عنك فالمحبة فاشلة. إذا كنت تعمل الخير غصباً عنك فعمل الخير فاشل. إذا كنت تقول الكلمة غصباً عنك فأنت لست صادقاً. الصدق يفترض فيك أن تكون بالفعل حراً.

أيها الأحباء، في النهاية إذا شئنا نحن اليوم أن نختصر تعليمنا لأولادنا، يجب أن نعرف كيف نعلّمهم أن يكونوا أحراراً. إذا كانوا أحراراً يكونون صادقين، فيمكنك حينئذ أن تعرف متى يكونون مسرورين، أو غير مسرورين. أما إذا كانوا

كالكثيرين، أو كما قيل من المتملقين الذين يقولون لك ما تريده أنت لا ما هي الحقيقة، فإنهم يكونون من الكاذبين الذين يقولون لك ما يرضيك، لا الشيء الصحيح. إذا لم نكن نحن نربي أولادنا على قول الحق بملئه في جو الحرية الحقيقية، فنحن لا نعلمهم أن يكونوا رجالاً، والرجل بالمعنى العام للكلمة، لا يعني الرجل وحده بل المرأة أيضاً وكل الناس. الإنسان لا يكون إنساناً إلا إذا كان حراً. من يلاحقه ويراقبه ويعنّفه ويهدده لا يصنع منه إنساناً حراً، لكنه يصنع منه إنساناً جفولاً في كل وقت، خائفاً من قول الحقائق التي في قلبه، أي إنساناً غريباً حتى في بيته. لمن يقول الإنسان الحقيقة؟ إنه يقولها بالفعل لمن يحب، ولمن يريد أن يخدم. يقولها عندما يريد أن يكون صادقاً، أن يكون وفياً. الذي ليس حراً هو إنسان محروم من كل هذه المتعة. أن تكون حراً تعني أن تقول ما تقول، فيعرف الناس أنك تقول الحق كما يعرفون أنك أيضاً تخطئ. الذي يظن أن هناك واحداً على وجه الأرض لا يخطئ يكون هو مخطئاً جداً. كل إنسان يخطئ، ولكن هنالك ما يجب أن نفعله في حالة الخطأ وهو أن نصلحه بمحبة أيضاً. المسيح أتى ليقول: «ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا وكل ما سوى ذلك فهو من الشرير».

إذا كنت أمدحك بما ليس فيك فأنا أؤذيك، أنا أضرك، أنا أخون المحبة بالنسبة إليك. المسيح أتى هكذا، أيها الأحباء. أنا لا أقول كل شيء وارد في الإنجيل، بل أكتفي بهذا القدر. عندما سمعه الجمع، لم يعجبهم كلامه. صحيح أن الكلام الحق لا يرضي كل إنسان. الكلام الحق يتعب الناس كثيراً، والذي يقول الحق يكون تعباً، تعباً في هذه الدنيا. لذلك أتخيل أن الجماعة الذين سمعوا ذلك الشاب يقول هذه الأقوال التفتوا بعضهم إلى بعض وقالوا: من هو هذا وماذا يقول؟ فليذهب إلى غيرنا. تصوروا أن الرب يسوع، أول ما رُفض، رُفض من قريته الناصرة. رفضه الناس الذين هو مواطن معهم، رفضته عائلته بالذات، وهو لم يفعل شيئاً ولكنه استعمل كلمات قاسية مع أهل بلده. «ليس لنبي كرامة في وطنه». أهل الوطن لا يقدّرون إلا الغريب،

إلا البعـــيد. أتذكر هنا يوم كان الأجانب يحكمون هذه المنطقة أن الأدنى فيهم كان «خواجـــا» وسيداً بالنسبة إلينا جميعاً، وكان خيرة الناس من أولادنا الأوادم المؤمنين المخلصين لا يلتفت إليهم أحد.

أيهـــا الأحـــباء، هذا سمعناه اليوم لكي نسمعه غداً، ولكي نسمعه بعد غد ولكي نسمعه دائماً، دائماً. قال الرب يسوع: اليوم تمت هذه الكتابة، و لم يقصد ذلك الـــيوم بالذات. قال ذلك منذ أكثر من ألفي سنة، لكنه قصد بقوله أن تسمع ما قاله كـــل يـــوم. الإنسان ينـــزلق إذا لم تكن أذناه مفتوحتين لله دائماً. وأنت، عليك أن تتكل دائماً على الله، أن تضع الله أمامك، وتسمع كلماته. عليك بعدئذ أن تنظر إلى الفقـــير، إلى المسكين، إلى المريض، إلى المسجون، إلى المظلوم، حتى إذا كانت عندك ذرة من الخير وجب عليك أن تزرعها.

يا أحباء، بجانبنا اليوم شباب تطلق عليهم النار ويقتلون ظلماً وليس لهم إلا دمـــوع أمهـــاتهم وآبائهم وإخوتهم ترافقهم. لذلك يقتصر عيدنا اليوم على أن نرفع قلوبـــنا لله ضارعين، ولذلك لن تكون في البطريركية استقبالات. سأودّعكم هنا في آخـــر هـــذه الصلاة ليذهب كل منكم إلى بيته. مطلوب من الحاضرين ألا ينسى أي مـــنهم أن الذيـــن يموتـــون إنما يموتون عن كل واحد منا. لو كان هؤلاء الشباب لا يملكـــون القدر الكافي من الشجاعة، ما كان العار ليلحق بهم وحدهم بل بنا جميعاً. لذلـــك يهمني جداً أن نتبنى هذا الوضع في قلوبنا لأنه ضروري من أجلنا ومن أجل أولادنـــا ومستقبل أولادنا، وخاصة كي نكون صادقين مع أنفسنا. إننا نذكر القدس حيث صُلب المسيح وحيث قام. الله يعرف ذلك وكل مَن لا يعرف ذلك مغتصب. نذكر أن المسيح ذهب إلى الناصرة وذهب إلى بيت لحم وإلى غير ذلك من الأماكن. أين هي الآن؟ إنها مغتصبة، ولو جاء المسيح لما تمكن من دخولها.

نحن مصابون في دمشق ولسنا مكتفين لا ينقصنا فيها شيء. كلا! ينقصنا أن تكـــون القدس قدسنا، وينقصنا أن يكون الصليب صليبنا، والناصرة ناصرتنا وكذلك

بيـــت لحم. هذا كله ينقصنا، وعلينا أن نصلي دائماً من أجل ذلك وأن نبذل كل ما في طاقتنا من جهد في سبيل ذلك. أنا تعجبني الزكاة عند إخوتنا المسلمين، فلنطبقها.

كونـــوا ســـبباً لأن يفـــرح الآخرون ويحافظوا على كراماتهم. لا تسمحوا للأجـــنبي بأن يدوس كرامتنا. كم أتمنى أن تتحركوا وترفعوا أصواتكم ليسمعها كل الناس.

أســـأل الله أن نـــتجه نحو الإحساس بأننا شعب واحد. كنْ كما تشاء أن تكـــون، ولكن اعلم بأنك مواطن هنا. هنا بلدك... وهنا هويتك... وهنا كرامتك، أنت وإخوتك في فلسطين وفي كل مكان آخر. عسى أن يظل هذا الأمر في قلوبكم، وعســـى أن نعـــلم جميعاً بأننا لم نأتِ من المجهول، نحن آتون من هنا تماماً كالحجارة الموجـــودة هنا، لأن أهلنا وأقرباءنا وأصدقاءنا هم الحجارة الحية التي صُنع منها هذا الوطـــن... أطال الله أعماركم، وحفظ لنا هذا الوطن الغالي، وأدامكم في مقدمة مَن يحـــاربون لنحصـــل عـــلى حقوقنا وعلى قدسنا الحبيب مع الشباب الذين يضربون بالحجـــارة من يضربونهم بالرصاص. كلنا سنموت ذات يوم، ولن يبقى إلا الشهيد الأكبر منا جميعاً، لأنه يموت دفاعاً عنا. كان الله معكم، وشكراً.

✞ ✞ ✞

الطبيعة أيضاً مباركة*

اليوم معمودية الرب يسوع المسيح في الأردن وهي ما نسميه بعيد الظهور الإلهي. الظهور الإلهي يعني أن هنالك شيئاً كان مخفياً وظهر. وما هو هذا الشيء الذي كان مخفياً فظهر ما الذي حدث في المعمودية وجعلنا نقول هذا الكلام. ما حصل هو أنه جرى حديث بين يوحنا وبين الرب يسوع. تردد يوحنا وقال أنا من يجب أن يعتمد منك ولكن الرب يسوع قال له يجب أن تنفذ ما هو مطلوب وأن تعمدني، وللحال وقف الرب يسوع في النهر وتقبل المعمودية من يوحنا. ما حصل — يقول الإنجيل المقدس — هو أن صوتاً من السماء سُمع وهذا يعني أنه يوجد أحد في السماء يتكلم. وهذا أول شيء ظهر إذ علمنا أن السماء ليست في الهواء ولكن هنالك أحد وهذا الأحد هو من دعوناه الآب. ماذا قال الصوت: قال: هذا هو ابني. إذن هنالك أب يقول هذا هو ابني.

من هو المسيح؟ حتى تلك الساعة كان الناس يعتقدون أن المسيح رجل كبقية الرجال فقط ولكن الصوت الذي أشار إلى وجود الآب هو الذي قال هذا هو ابني لذلك صرنا نقول: الآب والابن وهذا مصدرنا.

الشيء الآخر هو الروح القدس. لم يكن الروح القدس معروفاً آنذاك. صورة حمامة نزلت وغطّت على يسوع، لم تكن هنالك حمامة ولكن صورة حمامة.

إذاً ماذا حصل في هذه المعمودية؟ في المعمودية سمعنا من الآب صوته لذلك نقول باسم الآب وهذا الصوت كان دليلنا إلى الابن لذلك نقول باسم الابن ورأينا الروح القدس فأصبحنا نقول: باسم الآب والابن والروح القدس. هذا ما ظهر.

عيد الظهور هو العيد الذي فيه عرفنا أن الله الآب دلنا على ابنه الوحيد

---

* عيد الظهور الإلهي، ٦/١/٢٠٠١

وأظهر لنا روحه القدوس هذا ما يجب أن نتعلمه وأن نعلمه لأولادنا. فإذا سألونا لماذا نقـــول باســـم الآب والابن والروح القدس فالجواب أصبح سهلاً وهو أن نذكر ما حصـــل في المعمودية وما ظهر لنا فيها ولذا يدعى هذا العيد بعيد الظهور الإلهي. هذا أول شيء ألفتكم إليه.

ثانياً: يوجد عندنا اليوم ماء في الكنيسة. فما علاقة الماء بالصلاة، ما علاقته بربنا؟

صـــحيح أن ربنا نزل إلى الأرض من أجلنا نحن البشر. ولكنه نزل أيضاً من أجـــل أن تتبارك المياه. اليوم نصلي على المياه، أليس هو الذي صنع المياه، هذه المياه تتبارك اليوم. ألا نصلي على الطعام؟ يجب أن يكون ربنا معنا ونفكر به عندما نأكل وعندما نشرب وعند النوم والسفر. ليس الله معنا لدقائق معدودات ثم نتركه لنلتفت إلى أشياء أخرى. لذلك فربنا الذي خلق الدنيا وخلقنا يبارك العالم بأجمعه ويباركنا. لذلـــك ليس لك الحق أن تؤذي الطبيعة فتقتل الحيوانات وتقطع الأشجار. ما صنعه الرب لا يحق لك أن تدمره لأن الله باركه كما باركك. أليست يدنا من لحم وعظم، هـــذه قد تكون نجسه لأننا نستخدمها للنجاسة والله لم يدنس أيدينا ولا أرجلنا ولا أعينـــنا. وربنا لا يخرج من مصنعه شيء نجس: لا الطبيعة ولا نحن. وهذا ما يجب أن ننتبه له كثيراً.

إذاً اليوم حصل عندنا شيئان مهمان. الشيء الأول أننا عرفنا لماذا نقول الآب والابن والروح القدس والشيء الثاني هو أن الله لا يخلق شيئاً نجساً ونحن من يدنس.

الـــيوم نتعلم أن الله يبارك كل شيء ويجب أن ننتبه إلى عدم تدنيس الأشياء الطاهرة التي خلقها الله.

يـــا أحباء: كلكم طاهرون إلا إذا دنستم أنفسكم بأنفسكم. النجاسة نحن مسؤولون عن وجودها فكلنا مباركون فليحب بعضنا البعض ولنخدم بعضنا وهذا هو

معنى عيدنا اليوم وهذا شيء أساسي.

كهنـــتكم الذيـــن هم آباؤكم سيزورنكم حاملين الماء المقدس. فافتحوا لهم بيوتكم. يذهب الكهنة إلى البيوت فلا يجدون أحداً فيها بالرغم من إخبار أهل البيت بالزيارة. وهنالك أناس يغيرون مكان إقامتهم أو قد يكونون مسافرين في تلك الفترة. لا بـــأس، يعود المسافر فليتكرم بإعلام الكاهن بعودته. ليس من العدل أن نضع اللوم دائمـــاً على الكاهن فكهنتكم هم آباؤكم وأنتم عيالنا فنرجو أن تعلمونا بغيابكم أو بتغيير أماكن إقامتكم وهذا شيء مهم.

✝ ✝ ✝

أطيعوا مدبريكم*

عيدكم مبارك إن شاء الله.

نشكر الله أن الذين يحتفلون في هذا العيد هم كثرة. أولاً نشكر الله الذي جمعنا، فباسم الله ربنا نجتمع وليس باسم أحد آخر على وجه الأرض، ونشكر الكهنة الذين يقومون بالرعاية في هذه الرعية المباركة، كما نشكر المرتلين الذين قاموا بالترتيل في هذه الخدمة الإلهية، ونشكر الوكالة وأعضاء مجلس الرعية الذين اهتموا بكل شيء. ونحن يهمنا أن تكون الكنيسة على أحسن وجه وأن تكون الخدمة على أكمل وجه. في النهاية يجب أن نفعل شيئاً يليق بالله. بالنسبة لنا قد تكون الأمور حسنة ولكن بالنسبة لله فهو المعصوم عن الخطأ، وما يجب أن نفعله من أجله يجب أن يكون على أفضل ما يكون.

عندما نسمع بقديس كالقديس أنطونيوس فنحن نتكلم عن الرهبان. لماذا يوجد رهبان؟ أتى القديس أنطونيوس وكان عمر الكنيسة حوالي ٤٠٠ سنة. وعندما أتى ماذا كان يوجد. كانت توجد دولة. اليوم لا نسمع إلا بالدولة الإسلامية، ونحن كانت عندنا الدولة المسيحية. تلك الدولة كان الذي لا يتبع ديانتها يعتبر مارقاً. ويعتبر غريباً. القوة، قوة السلاح، قوة السلطان تجربة عظيمة. بمجرد أن يقوى الإنسان فإنه قد يصبح بدون رحمة ويعتبر الناس عبيداً له. في القرن الرابع لاحظ القديس أنطونيوس ولاحظ غيره كذلك من الذين كانوا قبله ـ والرهبنات أساساً ظهرت في مصر وليس عندنا، ظهرت في الصحراء ـ أن الكثيرين يركضون خلف الرزق. ووراء الشبع. ولكن الذي يركض وراء الشبع إنسان متوهم يجب أن نشفق عليه لأنه سيأتي وقت إما أن تتركه الدنيا ولو كان يملكها كلها، أو أن يتركها هو،

*كنيسة القديس أنطونيوس، جرمانا، دمشق، عيد القديس أنطونيوس، ٢٠٠١/١/١٩

ولن يستمرا معاً. وهكذا فالكثيرون يعيشون في الهم. لذلك أحب الرهبان أن يبرهنوا أن كل ما يركض الإنسان خلفه لن يشبع منه، يأكل فيشبع ثم يجوع ثم يأكل وهكذا، يجمع المال فيركض خلف المزيد منه والكثيرون يموتون وهم يفتشون عن هذه الأشياء. هـــذا يعـــني أن الرهبان موجودون ليقولوا لك لا تصدق كل الأشياء، لا تصدق أن الأشـــياء التي تطلبها ستعطيك السعادة وأن تلك السعادة ستدوم. فكر فـــي هذين الشيئين. يجب أن لا نعطي قيمة للشيء الذي ليـــس له قيمة كبيرة. فلنعط كل حاجة قيمتها فقط حتى لا تستعبدنا. نحن مقيدون كثيراً في حياتنا، كل واحد منا يعرف هذا مـــن نفســـه. الرهبنة هي لكل الناس وتحب أن تقول لنا لا تنغشوا، كونوا أكبر من الأشـــياء وليس العكس. "المال إذا كنت تضعه تحتك فإنه يرفعك ولكن إن وضعته فوقك فهو يغرِّقك"، وهـــذا صحيح. يجمع الإنسان بعض المال فيلاحظ اهتمام الناس بـــه وتملقهم له، فيزداد اهتمامه بالمال أكثر ولا يعود يهتم كيف سيجمع المال وبأية طريقة وهكذا يستشري الفساد. لاحظوا أن الذي يقرأ يعرف أن اللصوص موجودون في كـــل مكان وكذلك الغشاشون، والمستغلون. هناك أناس يبيعون أخوتهم ويبيعون أصـــدقاءهم مـــن أجل كمشة دراهم ولا يشبعون. والعجيب أن الذي يحاول الشبع ويركض سنة وسنتين، لا بل أكثر، ولا يصل إلى الشبع لا يتعلم ويعرف أنه لن يشبع. الرهبـــنة تقول للإنسان لا تكن غبياً والفردوس ليس هنا ومن يحسبه هنا فهو جاهل وغبي. حسن أن يفتح إنسان عينيه بعد مدة ليرى أنه يركض وراء السراب. الراهب يقول شيئاً آخر. يقول نحن نعيش دون أن نركض كباقي الناس، نحن لا نخاف الفقر لا بل نحن نختار الفقر، لذلك يقول الراهب: أنا مثلك أجوع وأعطش، مثلك تماماً، ولكـــن لا تظن أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش إلا إذا قضى عمره يركض خلف هذا وذاك، هذا غير صحيح.

في بيوتنا مثلاً، إذا طُلب إلينا أن نُبقي الأشياء التي نحن بحاجة إليها، ولا يمكن الاســـتغناء عنها، نجد أنه يمكننا الاستغناء عن معظم ما عندنا، وأننا لا نحتاج إلا إلى

فـــراش ننام عليه وصحن نأكل فيه. الراهب يقول لا تظن أني من طينة أخرى، لا أنا شـــخص مثلك تماماً، ما تشتهيه أنا أشتهيه، ولكنني عاهدت الله على أن أتغلب على شهوتي، وأطلب من الله أن يساعدني لكي أتغلب على شهوتي، وبدون الله لا يمكنني التغلب على شيء.

القديس أنطونيوس كان أحد معلمي هذه المدرسة: أنت في العالم وأنت تعمل، ولكـــن الإنسان الذي لا يجد فرصة لكي يعيش، هو إنسان جاهل وهو يعمل ليموت لا ليعـــيش. هـــؤلاء الصـــغار لا يملكون شيئاً ولكنهم يعيشون. وهذا ما نتعلمه من القديس أنطونيوس الذي نعيد له اليوم.

مـــا أود أن أقوله أيضاً في هذا الصباح هو ما لفت نظري في الرسالة: أطيعوا مدبريكم الذين يسهرون عليكم.

أصـــبحت الموضة الآن ألا يطيع أحد أحداً، لا الابن الأب ولا الابنة أمها ولا الصـــديق صـــديقه. ولا أعرف ما حل بهذا المجتمع، وكأن كل واحد يخاف الآخر. الإنســـان لم يعـــد يسمع، ولا يقول ما دام العالم لي والآخر يوجد معي هذا يعني أنه يجـــب أن نتكلم مع بعضنا ونتحادث. يجب أن أستمع إليه وأن يستمع إلي لأنه يملك عيـــنين كما أنا أملك، وله عقل كما أنا أملك. كنت أفكر في هذا الموضوع وكنت أقول لأولادنا إنهم ليسوا كثيرين هم الذين يعرفون بالفعل أن هنالك أناساً لا عمل لهم سوى التفكير بكم. وهذا شيء لا يعرفه الجميع، قد تحسبون أن الكنائس والجمعيات والمشاريع تقوم من تلقاء نفسها، وهذا غير صحيح، المسؤولون في الكنيسة همهم أنتم، إذا نجحـــوا يكـــون ذلـــك معكـــم وإن لم يكن النجاح معكم فهم فاشلون في كل الأحوال.

والآن ســـأحدثكم عـــن شيء جديد. يا أحباء، لسنا راضين عن عدم وجود كنيسة في هذه المنطقة. ولكن الأشياء ليست سهلة كما تتصورون، نحن نفكر في هذا الموضـــوع ونحضـــر له، ونستعين بالجميع من أجله. لسنا نياماً، قد نكون مقصرين،

ولكـــن الاهـــتمام غير غائب عن فكرنا، ونحن بانتظار أن يقال لنا هذه هي الأرض المناســبة والتي هي ضمن الإمكانية لأن إمكانيتنا هي إمكانيتكم وأنتم منجمنا، وإلا فمن أين؟ لأنه إذا لم نضم جهودنا معاً فلا يمكن أن نقوم لا نحن ولا أنتم بأي عمل.

هـــذا ما أردت قوله من ناحية الكنيسة. يبقى شيء آخر. كنا نفكر في هذه المـــنطقة، وبشـــكل خـــاص بموضوع المدارس، وكنت أتسأل في أية ساعة يستيقظ الأطفـــال حتى يذهبوا إلى المدرسة. ولم ننس أن هذا يتطلب جهداً وتعباً إضافيا من التلاميذ والأهل، لذلك فكرنا بإيجاد مدرسة قريبة منكم. وهي موجودة بالفعل مبنية كأفضل ما يكون وأتأمل أنه في أول السنة المدرسية الجديدة ستكون المدرسة جاهزة، وستوفر عليكم التعب والمادة. نحن خدامكم، وبالتعاون معاً نحقق الأشياء.

وكل عام وأنتم بخير.

✞ ✞ ✞

الله وحده الكبير*

يا أحباء. كلنا نعرف أنه اعتباراً من الأحد الماضي بدأنا التهيئة للصوم. وكيف ذلك؟ صرنا نقول كالأحد الماضي إن أسوأ ما يمكن أن يفعله الإنسان هو أن يتكبر على غيره. بمجرد أن يبدأ الإنسان بتمييز نفسه عن غيره، معنى ذلك أن كل ما يقوله أو يفعله أصبح غير مقبول.

الأحد الماضي يصور الإنجيل أن واحداً دخل المعبد ليصلي، فبدأ يقول يا رب أنت تعرف أني جيد جداً، أصوم وأصلي وأقوم بواجباتي خير قيام، وأنا لست مثل هذا الذي أتى معي ليصلي، ذاك غير صالح. وبمجرد أن يكون الإنسان هكذا فمعنى ذلك أنه أصبح لا شيء عند ربنا. المقبول هو الشخص الذي يعرف نفسه، والذي ينظر إلى نفسه قبل أن ينظر إلى غيره، الذي ينتقد نفسه قبل أن ينتقد غيره، الشخص الذي يقول: غيري له ربه، وأنا لست ربه، أنا لست رب الناس.

يجب أن يتعلم الإنسان كيف يكون متواضعاً. اليوم يوجد عندنا صورة ثانية، صورة أب غني عنده ولدان واحد منهما فكر في نفسه أنه بلغ سن الرشد وكبر وأنه أصبح من حقه أن يترك العائلة وأن يستقل متحرراً مما يعتبره قيوداً. إذن سآخذ حصتي من الميراث ومن ثم أنطلق لأفعل ما أشاء.

يفتكر الناس اليوم أنهم لا يكونون أحراراً إلا إذا فعلوا ما يشاؤون، ولا أحد يتساءل عما إذا كان ما يريده غير صالح له. قال الشاب إنه أصبح ناضجاً فقال له والده هذا حقك وهكذا يقول الناموس، ثم أعطاه حصته.

ذهب الشاب ليعيش كما يريد فخسر كل شيء. وكما يريد تعني أن يتحرر الإنسان من كل القيود، القيود العائلية والعلاقات مع الأب والأم والأخوة. إذن انطلق

*الكاتدرائية المريمية، دمشق، أحد الابن الشاطر، الأحد ٢٠٠١/٢/١١

ليعيش على هواه مع زيد وعمرو من البشر. وهذه هي العادة اليوم وهذا ما نتعلمه من السينما والتلفزيون. في التلفزيون، لا نشاهد صبية أو شاباً مع أهلهما ولكن دائما كل واحد بمفرده ليفعل ما يشاء وكما يريد. ولكن ألا يجوز للصبي أو للفتاة أن يسأل والديه الأكبر منه عن تجربتهما وبعدئذ يأخذ أو لا يأخذ بتلك التجربة.

اليوم عندما يتحدث أحد الوالدين إلى الابن أو الابنة يعتبر هذا نوعاً من الضغط المعنوي. وفي الواقع لا أحد يضغط على أحد. لأن الشاب يمكنه أن يسمع وأن يقبل أو يرفض ما يسمعه. هذا الصبي فعل كما أراد فكانت النتيجة السيئة التي تعرفونها.

نحن اليوم سمعنا هذا الإنجيل حتى نفكر في هذه النقطة. كلنا (نشذ) كلنا نترك والدنا، وكلنا نترك معلمنا، وكلنا نترك إنجيلنا، كلنا دون استثناء ولكن فليفكر الإنسان أنه كما حصل لهذا الشاب، فقال أنا أخطأت، وما دمت أنا أخطأت فيمكنني أن أصحح الخطأ. فهنالك أناس يخطئون ولا يعودون عن الخطأ، وهنالك أناس يشذون ولكنهم لا يعودون إلى الخط المستقيم.

اليوم يعلمنا الإنجيل أنه مهما كانت خطاياك ومهما كانت أخطاؤك فطريق التوبة مفتوح أمامك. والمطلوب منا أن نتوب.

الأحد الماضي كانت الوصية لا تتكبر فالله وحده هو الأكبر. واليوم تقول الوصية إنك تخطئ ولكن يمكنك أن تتوب إذا أردت ذلك فعلاً. وهذا ما يطلب منا اليوم.

لماذا نرتكب الخطأ؟ الخطأ نفعله لأن شيئاً ما قد يكون حلواً أو مغرياً يجذبنا إليه. إذا قال أحدهم أنا لا يمكنني أن أقاوم، أنا لا يمكنني عدم التدخين أو الإقلاع عن شرب المسكرات. ما نتعلمه اليوم هو أنك تقدر على ذلك إذا كنت مع ربك، مع أبيك الكبير. إذن في أمثولتنا لهذا اليوم يوجد شيئان:

أولاً: يجب أن تريد أنت أن تصطلح. فإذا لم تشأ فلا يمكن لأحد أن يفعل ذلك عنك. فهـــنالك مـــن يمكث في السجن عشرين سنة ويخرج منه كما دخله. إذا كنت تريد فيمكـــنك أن تصـــبح أفضل وإذا لم تكن قادراً فاطلب ممن يمكنه أن يقويك. والذي يقويك هو ربنا.

ثانــياً: غداً نحن قادمون إلى الصوم. والصوم يعني أن نضبط أنفسنا. لا تتكبر قل عن الخطأ إنه خطأ ولو صدر عنك ثم تراجع عنه. وعندما تجد أنك ضعيف تجاه أخطائك فـــتطلع إلى فـــوق وقل يا رب قوني. هذه هي الغاية من الإنجيل المقدس الذي سمعناه اليوم. تقووا، نحن ضعفاء ويجب أن نعترف أننا ضعفاء ولكننا لا نريد ذلك ونود أن نصبح أقوياء ولكن بمن؟ سنتقوى بمن هو القوة أي الله وليس زيداً أو عمراً من الناس. وعلى وجه الأرض لا يوجد أحد كبيراً. وعسى أن يكون استعدادنا للصوم جيداً.

✝ ✝ ✝

ماذا فعلت لأخيك؟*

أيها الأحباء: إنجيلنا اليوم وكذلك الصلوات والتراتيل تعطينا صورة ذات معنى.

نحن نعتقد أن الإنسان يعيش سنين عديدة وفيها يعمل أو لا يعمل، يفعل الخير أو لا يفعله ولكن عمله لا يذهب سدى فسيأتي وقت فيه سيحاسبنا شخص ويسألنا ماذا فعلتم؟ من هو هذا الشخص؟ إنه الشخص الذي نقرأ عنه في الإنجيل وأنه ولد في مغارة. هذا الشخص عاش حياة طبيعية جداً ومتواضعة إلى أقصى الحدود و لم نسمع أنـــه كـــان يملك شيئاً أو مكاناً يسند إليه رأسه. قبضوا على هذا الشخص وأهانوه وضـــربوه لذا يصعب على الإنسان أن يقول عنه بأنه هو ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور.

اليوم نتذكر أننا في قراءتنا لدستور الإيمان "أومن بإله واحد". نصل إلى "أيضاً يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات".

اليوم نصلي من أجل أن يدين الأحياء والأموات. ولكنه لن يأتي للدينونة يحيط به الجند الرومان، واليهود يهزأون به كما حصل في الصلب، لا، لن يأتي ليدير الناس لـــه ظهورهـــم، بل سيأتي جالساً على العرش كما يفعل الملوك. وسيأتي ليسألنا عما فعلناه في حياتنا. هذه هي عقيدتنا ومن أجل هذا نصلي.

الصـــورة إذن هـــي أن الذي رُفع على الصليب سيكون جالساً على العرش والـــناس يأتون لكي يحاكمهم. وقد وصف بأنه الحاكم العادل، الحاكم المقسط الذي يعطي لكل نصيبه. إنه الحاكم وهو الذي سيقف الناس أمامه في اليوم الأخير.

وهذا يعني أن القبر الذي سيضعوننا فيه ليس هو المقام الأخير. نعم سنوضع في القـــبر ولكننا سنخرج منه، متى؟ نحن لا نعرف. ونحن لا نعلم كل شيء. الله وحده

---

*الكاتدرائية المريمية، دمشق، أحد مرفع اللحم، الأحد ٢٠٠١/٢/١٨

يعرف كل شيء. ومتى أراد هو يفتح القبور لنخرج ونقف أمامه.

والشـــيء الجميل جداً والملفت هو منظر الناس الواقفين أمام الديان. من هم أولـــئك الـــناس الواقفون؟ فلنتصور تلك الجماهير الواقفة وهي تضم الكبير والصغير والقـــوي والضـــعيف والرجل والمرأة والعبد والسيد. هؤلاء كلهم يقفون على قدم المساواة ينتظرون الحكم.

في العالم نحن مختلفون ومتمايزون ولكن أمام ربنا، حيث العدالة والمساواة، لا يوجد كبير ولا صغير الكل متساوون.

مـــاذا يسألنا؟ أنتم الآن جالسون وأكتافكم ملتصقة والسؤال: ماذا فعلت من أجـــل الذي يجلس إلى جانبك؟ إن كان الجواب هو الصيام. فسيقول لك الديان إن الصـــيام هو من أجلك أنت، وأنا لا أسألك عن نفسك. في العالم تهتم بالأشياء التي تصـــنعها مـــن أجلك أنت والأشياء التي يقوم بها الناس من أجلك. ولكنك لا تفكر كثيراً بالذي تصنعه أنت للناس.

عندنا في الكنيسة نسمع دائماً السؤال: ماذا قدمت لنا الكنيسة؟ أين هو كذا وكـــذا. هؤلاء الذين يتشدقون بهذه الأقوال لم يسألوا أنفسهم مرة واحدة ماذا فعلنا نحـــن للكنيسة؟. فالكنيسة لنا، لي ولك، للكبير والصغير. إنها الجماهير المحتشدة أمام يسوع للدينونة.

الديـــان يسألك ماذا فعلت أنت؟ هل تصوم حتى ينقيك الصوم؟ صحيح أن الصـــوم يـــنقي، وهل تصلي لأن الصلاة تذكرك بخطاياك ووجوب التوبة عن تلك الخطايا؟ هذا جيد ولكنه يخصك أنت شخصياً.

موضـــوعنا يـــوم الدينونة هو: يوجد مريض، يوجد فقير، فماذا تفعل لهؤلاء؟ قلـــت مرة للذين يطالبوننا بأن نعلم أولادهم مجاناً حسناً ونحن نريد ذلك ولكن هذا يتطلـــب أن يعمل المعلم بدون معاش وكذلك العاملون في المدرسة ولكن هل يصح

ذلك؟ وكيف يعيش الناس؟ إن لم نعطِ فلن نأخذ شيئاً.

ربنا سيسألنا ما الذي تفعلونه أنتم، ما الذي تقدمه أنت للذين هم إلى جانبك؟ هذا شيء مهم جداً جداً.

نحن في الصيام، إن صمنا، نفتخر بأننا مثل الفريسي نصوم ونصلي وأننا لسنا كسائر الناس، وننسى أن يسوع عندما يجلس على العرش فلن يسألنا أبداً ماذا فعلتم لأنفسكم ولكن ماذا فعلتم للمحتاجين لكم؟ وإن كنتم قادرين فماذا تنتظرون؟

أيهـــا الأحباء، هذه هي الدينونة. سيسألك الحاكم العادل ماذا فعلت لفلان وفلان، فإن قلت: فلان لا يستحق تكون نسيت أنك أول غير المستحقين. فهل أنت مـــلاك وغـــيرك شيطان؟ هذا غير صحيح. الكل متساوون والكل يخطئون، والكل يقعون في التجارب، والجميع يحتاجون إلى التوبة وأنت منهم ومثلهم،والكبرياء وحده يجعلك تظن أنك لست كسائر الناس.

هذا ما نتعلمه اليوم، ويجب أن نفخر كثيراً بأننا جئنا إلى الكنيسة وغداً نصوم عن بعض الأطعمة، ولكن الكثيرين ممن يسمعونني الآن لن يصوموا بحجة أن صحتهم تحتاج إلى كذا وكذا.

مـــا نتمناه اليوم هو أن يقوينا الرب حتى نحارب الكبرياء والأنانية فينا. أخوك الذي إلى جانبك وأختك التي هي قربك وكل إنسان هو مهم بالنسبة إليك. وهؤلاء إن لم تقدم لهم المعروف فربنا الذي يحبهم سيقول لك يوماً: لقد كانوا معك ولكنك لم تفعل لهم ما أريد.

هذه الصورة العظيمة التي أعطانا إياها الإنجيل المقدس. الناس مجتمعون وكلهم سواســـية أتـــوا ليســـألهم الرب ليس عن أحوالهم الشخصية ولكنه سألهم عما فعلوا بجيرانهم. وكلنا سنسأل هكذا.

لـــن يخلصنا القبر ولكننا سنتقدم من العرش. يصورون الرب يلبس التاج، لأن

الملك كان يلبس التاج ويجلس على العرش، وهكذا الرب يسوع.

نطلـــب مـــن الله أن يجعل الصوم حقيقياً ويجعلنا نتذكر بعضنا البعض عندما نـــتحادث وعندما ننظر لبعضنا البعض ونتعامل مع بعضنا حتى يكون صومنا بالفعل صوماً مباركاً. وهذا ما أتمناه لكم جميعاً.

✞ ✞ ✞

السقوط أن نخطط للشر ونفعله*

اليوم نذكر ما يسمى بالسقوط والسقوط يعني لآدم وحواء الخروج من الجنة. كيف حدث هذا الأمر؟ بعد أن خلق الله آدم وحواء قال لهما انموا وأكثرا في الأرض. خلق الله آدم ليكون زوجاً لحواء وخلق حواء لتكون زوجة لآدم، خلقهما ذكراً وأنثى ليتوالدا لذلك كان العقر عند المرأة والرجل يعتبر عيباً ونقصاً كبيراً.

اليوم سنتعلم أشياء قد لا يعلمها كل الناس وقد يخالها المستمعون مخالِفة لما ورد في الإنجيل والتوراة. حواء أُخِذت من آدم، وهي مثل آدم من لحمه ومن دمه وليست عجينة مختلفة أو أدنى. هذه الدونية لا وجود لها في إيماننا فهما من بعضهما ولبعضهما والخالق واحد. الله لم يخلق آدم وترك لغيره أن يخلق حواء. هذا غير صحيح. وضع الرب آدم وحواء في الفردوس وطلب منهما أن يُكوِّنا عائلة وأن يرزقا بالأولاد صبياناً وبنات حتى يعمُر الكون. وإلا فكيف سيعمر الكون إذا لم يتزوجا بإرادة الله وببركته، وكيف يأتي الناس؟

ما حصل بعدئذ أن الشيطان لبس الحية وجاءت الحية لتغري حواء. كانت حواء وآدم لوحدهما في الجنة. وما هو الشيء الذي استعمله الشيطان متلبساً الحية حتى يغري حواء؟ لقد استخدم الشيطان الشجرة، شجرة الخير والشر فقال لحواء: انظري إلى هذه الشجرة كم هي جميلة وكم هو ثمرها شهي؟ وهنا تجدر الملاحظة أن الشيطان لم يذكر أن الشجرة هي شجرة تفاح والنص الإنجيلي لا يُعيِّن نوع الشجرة بل يشير فقط إلى ثمر الشجرة دون تسمية نوعه بخلاف الاعتقاد الشعبي الذي يذكر التفاحة وشجرة التفاح. وقراءة في سفر التكوين تعطينا الجواب الصحيح.

إذن قال الشيطان لحواء انظري إلى تلك الثمرة ما أجملها وما ألذها، نظرت

---

* أحد مرفع الجبن، ٢٠٠١/٢/٢٥

حواء وقد تكون أعجبت بالثمرة واشتهتها ولكنها تذكرت قول الحية: إذا أكلتما من ثمـــر هذه الشجرة تصبحان مثل الله تعرفان الخير من الشر كالله تماماً. وهذا ما أغوى حـــواء لأنـــنا كلنا نحب أن ننتفخ، كلنا نحب الكبرياء والعظمة وأن نتباهى بأعمالنا وحـــتى أن نتشـــبه بالله. وهذا ما أغوى حواء وجعلت آدم يقبل به، ولكن حواء لم تضـــطر آدم إلى الأكل. والصورة التي عندنا ليست كذلك. فحواء امرأة رأت شيئاً أعجبها وأحبت أن تشرك زوجها به ككل الزوجات الصالحات. أما أن تكون بارعة لدرجـــة أن تلعب لعبة الحية لتغوي زوجها فهذا لا ذكر له في الكتاب المقدس. إذن فحـــواء زوجة صالحة ولكنها بشر أغواها الشيطان عندما قال لها ستصبحان عظيمين وتعرفان الخير والشر ونحن بطبيعتنا نحب التعظيم. حاول أن تمدح إنساناً وتعظمه تجده ينتفخ ويستسلم.

ماذا حصل بعدئذ. قال الله لآدم وحواء ما دمتما أكلتما من ثمر هذه الشجرة لتصبحا مثلي فأنتما لم تعودا في حاجة إلي. وهاكما الدنيا التي أوجدتها فاستلماها مع نســـلكما وأنا أعدكم بأني سأكون مع كل إنسان يعود عن الخطيئة. وأقول إنكم إذا تصـــورتم أنفسكم أنكم لن تخطئوا ولن تعيشوا في الخطيئة فأنتم مخطئون. لكن اعلموا أنـــي دائماً بانتظاركم. ولنتذكر هنا حادثة الابن الشاطر (الضال) الذي أخذ نصيبه وســـافر وأنفق كل شيء حتى الفقر ولكنه عندما عاد لم يناقشه والده بموضوع الحق والقـــانون ولكـــنه قال له: أنا أحبك ولست قاضياً. والرحمة والمحبة هما فوق القانون وفوق الحقوق.

هذا ما حصل بالنسبة لآدم وحواء. ونحن في حالة السقوط لأننا نفعل الخير ونعـــرف أنه خير ولكننا نفعل كذلك الشر ونخطط لتنفيذه. وكم من الناس يدرسون ويخططـــون من أجل السرقة والغش. وكما ترون فإن معظم الاختراعات يمكنها أن تقـــتل وأن تخرب. وهذا هو السقوط. كان عقلنا يتجه دائماً نحو الرب ليستمد منه ونصنع حسب مشيئته. الآن يمكنني أن أقول للرب: أنا لا أريدك وسأعبد الإله الذي

أريـــده. نعـــم أصبح بإمكاننا الكفر. وبغض النظر عن أن الكفر قد يسبب لصاحبه الأذى الجـــزئي وقد يصل في بعض الأماكن إلى أن يكون شاملاً. ولكن ربنا رحيم وسيبقى هكذا حتى النهاية.

بـــدأ الحديث عن الصيام، والصيام هو لنا ويجب أن نصوم. والصوم هو أن تتكل في حياتك على الله «إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص». يتعود الإنسان على الطعام بدون ملح مثلاً والكثيرون لا يذوقون اللحم. فلا نعظمن الأمور ونعطيها قـــيمة أكثر مما تستحق. الفريسي كان يصوم ويصلي ولكنه نزل من الهيكل غير مبرر لأنه تباهى وتفاخر وكأنه يمنن الله بذلك. وهكذا نحن فلا نعظمن الأمور بل فلنعترف بأنـــنا أخطأنا عندما قلنا للرب إننا لا نحتاج إليه. الخطيئة هي أن يقول واحدنا لله: يا الله أنا لا أحتاج إليك وأن لا يسأله ماذا يطلب منه ليعمل حسب إرادته.

إذا أكلنا خلافاً لما يريده الله فقد أخطأنا، وإذا شربنا خلافاً لما يريده الله فقد أخطأنـــا وإذا صـــلينا على خلاف ما يريده الرب فذلك خطيئة وكذلك في الزواج. ولكن الله لم يقل لا تأكلوا ولا تشربوا و لم يقل لا تتزوجوا بل قال للمتزوجين: «انموا وأكثروا واملأوا الأرض» وهذا شيء مبارك.

في الغـــد يبدأ الصوم فعسى أن نَصدُق في ذلك وأن لا نحاول الكذب على ربنا. هذه علاقة بين ربنا وبين كل واحد من الحاضرين والغائبين. آمين.

✠ ✠ ✠

البيت للتربية وليس مطعماً*

اليوم نعيّد لرأي صحيح (قويم) جاء رداً على آراء خاطئة ظهرت في الكنيسة. إذا دخلتم جامعاً فلن تروا فيه صورة ولن تجدوا تمثالاً بل ستجدون كلمات مخطوطة فقط. لماذا؟ لأن الديانة الإسلامية هي من التيار الذي يقول بأن الأيقونات تدخل في خانة الأصنام. وإذا كنتم ممن يسمعون الأخبار فإنكم سمعتم لا شك بأنه في مكان ما يهدمون تماثيل لإله هندي هو بوذا. بوذا بالنسبة للمسلمين ليس إلهاً ولكنه بالنسبة للهنود هو إله. لقد دمروا التماثيل لأنهم لا يقبلون بوجودها ولا بوجود الصور كذلك.

ولكن هذا الشيء حصل عندنا ومنذ ١٢٠٠ سنة. فقد ظهر في المسيحية تيار يقول بأنه لا يجوز أن تكون عندنا أيقونات. وهذا ما نعتبره الرأي الخاطئ. إذ نحن نقول بوجوب أن تكون عندنا أيقونات. وما المانع؟ نعم لقد ورد في الإنجيل أن الله لم يره أحد قط وهو روح لا يظهر ولا يُرى، وهذا صحيح. ولكننا في الكنيسة لا نصنع أيقونة لله الآب ولكننا نصنع أيقونة للسيد ابن الله الوحيد الذي، كما يقول الإنجيل، أتى إلى العالم، ووُلد من العذراء مريم ولبس جسداً مثلنا، وكان الناس يرونه ويأكلون معه ويعيشون معه. وهذا المشهد الإنجيلي هو ما نعتبره الأيقونة الكبرى، بل الأيقونة الهامة.

نحن نعتقد أنك إذا أردت فعل الخير لإنسان جائع فلا يمكنك أن تقدم له عدة كلمات، يجب أن تطعمه شيئاً. نعم هذا الإنسان له روح ولكنه ذو جسد تشاهده ولا يمكنك أن تتغاضى عنه. هذا واقع ولا يمكنك أن تتجاهله. فإذا أردت أن تصنع الخير لجائع فأطعمه وأما المريض فزره وساعده وكذلك السجين فحاول أن

* أحد الأرثوذكسية، ٢٠٠١/٣/٤

تخلصه من سجنه. نحن لا نخاف من رؤية الجسد أمامنا، نحن روح وجسد معاً وكل واحد منهما لوحده لا يكوّن الإنسان.

مـــا هـــي الأيقونـــات الـــتي عندنا؟ ما عندنا هو وجوه لأناس كانت لهم وجوههـــم. الـــيوم يمكنك أن تذهب إلى المصوّرِ فيصورك بأشكال مختلفة وأوضاع مخـــتلفة. ولكـــن ما الفرق بين هذه الصور والأيقونة؟ الفرق هو أن صورتك تظهر وجهـــك أنت وتنطبع بطابعك أنت أما الأيقونة فليست كذلك وهي لا تنطبق تماماً على من صور عليها. فالسيد مثلاً نرى وجهه بعدة أشكال وألوان، الأيقونة تدلنا على الشـــخص دون أن تكون هي إياه تماماً وكذلك أيقونة العذراء فإنها تذكرنا بالعذراء وتدلـــنا إلـــيها دون أن يكون الشكل هو شكل العذراء. وهكذا فالصور التي تعلو الأيقونســـطاس فإنها تدلنا على أصحابها وتذكرنا بأنه عندنا مار نقولا ومارجرجس ومارمتري... ولكن ما نراه ليس صورهم الحقيقية.

الســـؤال يطـــرح: لمـــاذا كل هذا التكريم والتبجيل والسجود للأيقونات؟ والجـــواب هو أن صورة عزيز علينا تذكرنا بذلك الشخص ونحن نهتم للصورة لأننا نهـــتم للشخص الذي فيها. هذا بالنسبة لصورة لشخص عادي فكم بالحري الأيقونة التي تحمل صورة المسيح وصورة العذراء، وصور القديسين هؤلاء نكرمهم لأننا نراهم عندما نرى الأيقونة، والتكريم هو لهم. نحن لا نكرّم الخشب ولا الورق ولكننا نكرم الشخص الذي نراه من خلال الصورة والأيقونة.

اليوم نعيد لهذا الحدث وللذي يتهمنا بأننا نعبد الأصنام نقول له إنك مخطئ ونحـــن لسنا عباد أصنام ولا نكرم الصورة بل الذين هم في الصورة. الذين يطالبوننا بإبعـــاد الأيقونات فكأنهم يقولون إن ابن الله الوحيد لم يكن له أن يتجسد وأن يولد من العذراء وأن يكون إنساناً تاماً. هذه ليست عقيدتنا. نحن نؤمن بأن ابن الله الوحيد وُلـــد مـــن الســـيدة العذراء في بيت معين وكان الناس يرونه ويلمسونه ويكلمونه ويكلمهم.

أيها الأحباء، في تربية أولادنا يجب ألا ننتبه إلى طعامهم وشرابهم فقط ولكن يجـــب الاهـــتمام بأرواحهم أيضاً وملاحظة ما يشاهدون وما يتعلمون ونتابع نموهم وتطورهـــم. فالبيـــت لـــيس مطعماً ولكنه مكان للتربية والإنسان الذي يتخرج من مدرسة البيت يجب أن يكون من نوع معين. أن تربي أولادك لا يعني أن تشبع بطونهم فقط. وهذا ما نتعلمه اليوم.

وعندما نطلب منكم أن تصوموا فالصوم لا يطال الجسد وحده لأن الإنسان روح وجســـد ويجب أن يطال الصوم الروح والجسد معاً. وهذه ناحية مهمة جداً. ونحـــن نذكـــرها الآن في هذا الصيام المبارك والذي نحن فيه مدعوون إلى القداسة. والقداسة ماء له نبع واحد وهذا النبع هو ربنا وليس نحن ولا أنتم.

✞ ✞ ✞

آدم على صورة الله وحواء كذلك*

أيها الأحباء، لم نكن منتبهين بما فيه الكفاية أنه يوجد مؤمنون يعملون حتى ساعة متأخرة وخاصة الأطباء والمحامين والمعلمين منهم لذلك حددنا ساعة الصلاة في السادسة مساء فيما هم يعملون حتى الثامنة تقريباً. فأخذنا هذه الأمور بعين الاعتبار وأصبحت خدمة المديح تقام مرتين الأولى في الساعة السادسة والثانية في الساعة الثامنة ليُتاح الحضور لكل من يرغب المجيء إلى الكنيسة والمشاركة في الصلاة.

وهنالك ناحية ثانية انتبهنا إليها وهي وجوب أن تكون الكنائس في دمشق مفتوحة الأبواب صباح كل يوم وحتى العاشرة مع وجود كاهن ليفسح في المجال أمام الذي يحب أن يزور الكنيسة ويتلو صلاة ثم يضيء شمعة وينصرف إلى عمله، أو من يحب أن يتحدث مع الكاهن في أي شيء يوده. فالكنيسة أولاً وآخراً هي للمؤمنين وهي للصلاة.

نحن اليوم في زمن الصوم الكبير وأحسب أن قسماً كبيراً من الحاضرين في الكنيسة ليس صائماً. أيها الأحباء، نحن لا نصلي من أجل ربنا فنحن نصلي من أجل أنفسنا. أحب أن أذكّر غير الصائم بأنه ليس له الحق في ألا يصوم. الصلاة لنا وليست لغيرنا وكذلك الصوم فهو حتى نصومه نحن. لذا أتمنى أن نشدد على هذا الشيء. ليس هنالك من كبير على الصيام وليس من صغير فالكل يمكنهم أن يصوموا. ولم نسمع قط أن أحداً مات من ممارسته للصوم. أطلب إليكم أن تحملوا هذا الشيء إلى أهلكم وإلى أقربائكم. يظن البعض أن الصوم وُجد للرهبان في الدير أو للكاهن فقط وهذا غير صحيح. الصيام هو لكل واحد منا ولو كان يمارَس في الدير على نطاق أوسع. لا نستطيع أن نطلب عمل شيء ونحن لا نقوم به. هذا شيء غير مقبول. وإذا استطعنا

*كنيسة الصليب المقدس، دمشق، المديح الثاني ٢٠٠١/٣/٩

أن نخفـــي أعمالنا عن الناس فكل شيء مكشوف أمام الله. يجب أن نصوم والذي لم يصـــم حتى الآن عليه أن يصوم ولا عذر له في ذلك. يجب أن نصوم في بيوتنا وأنتم مسؤولون تجاه أولادكم الذين يشكلون الكنيسة في المستقبل كما تشكلونها أنتم الآن. نعـــم أنتم مسؤولون تجاه أولادكم وتجاه الله فبصيامكم يرون الفرق بين أيام الصوم الكـــبير وبـــين الأيـــام العادية وعندئذ سيسألون لماذا اختلف نمط الحياة ونمط الأكل فتجيـــبونهم أنـــه في كنيســـتنا المقدسة يوجد شيء اسمه الصوم ونحن الآن صائمون. فليتعـــلموا مـــنذ الآن أن هنالك صوماً. يجب ألا نبقى على جهلنا. يجب أن تتعلموا وأتمنى أن نكون النموذج الصالح للصغار وأن يحسوا بذلك.

لكـــن الصوم ليس أكلاً وشرباً فقط. المهم أن نجعل أنفسنا صائمة فربنا لا يـــريد أن تكون أجسادنا فقط نظيفة ولكنه يريدنا أن نكون نظيفين في كلامنا. نحن مشهورون بأننا نغتاب بعضنا البعض ونتكلم عن الكاهن والمطران والبطريرك ونطال كل الناس ولا أحد يقول عن زيته أنه عكر. حسن أن يكون عندنا متنفس نلقي فيه بما يخالجنا ولكن يجب أن يكون كلامنا في الاتجاه الصحيح. يجب أن نحفظ لساننا عن «الكلام البطال» كما نقول في صلاتنا.

لماذا نصلي؟ وهل نصلي لكي نسمِّع درسنا أمام ربنا؟ إننا نصلي لكي نتعهد أمامـــه أنـــنا سنعمل وسنكون صادقين في عملنا وقولنا. يجب أن نصون ألسنتنا وأن نصـــون أعيننا وأن نصون عقولنا. فكم من الناس لا عمل لهم إلا في وضع خطط من أجـــل الغش ومن أجل ظلم البشر... وهذا يحصل كثيراً وعندئذ يكون صيامنا كلاماً بكـــلام. يجـــب أن نتحلى بفكر نظيف وقلب طاهر وعينين صافيتين. لقد وصل بنا الشك إلى حد سوء النية. ولكن الأمر ليس هكذا في الصوم فلا يكفي أن تصلي من أجل غيرك بل يجب أن لا تنسى الصلاة من أجل نفسك أيضاً فقد تكون غشاوة على عينـــيك فترى الأمور على غير حقيقتها وقد يكون عقلك على غير الصفاء المطلوب فتقول ما تقول. يا أخي فتّش عن العلة فيك قبل أن تطلبها عند غيرك.

البارحة كان عيد بمناسبة يوم المرأة العالمي وليس أفضل في هذه المناسبة من أن نتذكر العذراء مريم.

في صلاتنا اليوم وردت كلمة «خدعة حواء». وهذه الكلمة تحمل مفهومين: مفهوماً خاطئاً يقول إن حواء خدعت آدم وغشته وجلبت عليه الويل منذ البداية. ولكن ما ورد في الكتاب المقدس لا يقول ذلك بل العكس تماماً وهو أن الله عندما أوجد خليقته نظر فوجد أن كل شيء حسن. ولكنه عندما خلق آدم لوحده وجد أن هنالك نقصاً يجب أن يكمل فأوجد له معيناً من لحمه وعظمه حتى لا يتمكن من التعالي عليه. إذن لم يخلق إنساناً أفضل من إنسان آخر وأمهاتنا نساء شريفات وكذلك أخواتنا. زوجاتكم وبناتكم مخلوقات الله كما أنتم والذي خدع حواء هو الشر نفسه الذي خدع آدم. ولكن الكتاب لم يقل إننا خلقنا لنكون أشراراً. فالشر كالمرض يمكننا أن نشفى منه. وأننا نملك في الأساس النفس السمحة والقلب الطيب. القلب المحب، وليس أكبر من المحب فالكاره كائناً من كان ومهما كان فعدم وجوده خير من وجوده.

الله خلقنا على صورته ومثاله: «ذكراً وأنثى خلقهما» ولم يقل إنه خلق حواء على صورة الرجل ولا الرجل على صورة حواء فكلاهما خُلق على صورة الله ومثاله ولا فرق بينهما ولذلك جيد أن تكون المرأة كما هي وغير مسترجلة وأن يكون الرجل رجلاً كما خلقه الله وليس مخنثاً. الله ليس ذكراً ولا أنثى وليس هو بالرجل أو المرأة. الله روح وهو هو نفسه. مرجعنا هو الإنجيل المقدس وليس ما يقال هنا وهناك وعندنا تعليمنا في الكنيسة المقدسة فلنتبعه.

الكنيسة تعلمنا أن الله لا يخلق إلا كل ما هو حسن ولكن ضعفنا قد يسوقنا إلى الخطيئة لذلك نطلب من الله أن يقوينا حتى لا نقع في الخطيئة.

الصوم وجد لكي ننتبه إلى أمور كثيرة في حياتنا وأن نصلحها وغايتنا في

الكنيســـة أن يوجـــد أناس صالحون وإلا فوجودنا لا معنى له. ويحسن هنا ذكر الأم و«الجـــنة تحت أقدام الأمهات». عندنا آدم واحد وحواء واحدة وهكذا أراد الله ولو أراد غير ذلك لفعل.

في الأخـــير نقول خاصة للرجال يجب أن نصوم لأن الرجال يدعون أنهم لا يهـــتمون لهـــذه التفاهات حتى يبرروا تقصيرهم ولكن الذي لا يصوم هو مقصر في الكنيســـة، ومقصر بحق عائلته وبحق امرأته وأولاده. يجب أن نصوم ونحن هنا لنقول هذا القول.

وفي النهاية القيامة لنا وليست لغيرنا ونور المسيح سيغمرنا نحن.

أدامكم الله وقواكم وجعل نور المسيح دائماً في قلوبكم.

✞ ✞ ✞

النساء أول من بشّر بالقيامة*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

فرح عظيم، أيها الأحباء، أن نجتمع في هذه المناسبة الشريفة. فأراكم وابتهج جداً عندما أراكم وخصوصاً وأنتم تصلون. هذه نعمة أشكر الله عليها. أحييكم قبل كل شيء وأهنئكم بالصوم الأربعيني المقدس، الذي أتمنى أن تكونوا تصومونه. في كنيستنا الكثيرون لا يشعرون أن الصلاة لهم. لذلك تقوم الصلاة وهم يتحدثون الواحد مع الآخر، أو الواحدة مع الأخرى. الصلاة لكم، الكنيسة كنيستكم. وهي تكون كما أنتم والله يبعث إلينا بروحه القدوس عندما نكون منتبهين. وعندما نشعر أننا نتوجه إليه لا أن يتوجه الواحد إلى الآخر حتى يسمع حديثه. أهنئكم بكل ما يُعمل في هذه الرعية، رعيتنا. وأنا أكرر هذا الأمر، لأنه إذا كنت كل يوم تقول إن الشمس تشرق والشمس حلوة فهذا ليس عيباً ولا يمل منه الناس. ولذلك أنا أكرر أن رعيتنا هنا وأولادنا أي أنتم شيء نعتز به ونفتخر به. وكائنة ما كانت الطبول التي تدق حولنا، فطبلنا خير طبل، وزمرنا أفضل زمر وشعبنا بالنسبة إلينا خير الشعوب. وألفتكم إلى شيء جديد في الكنيسة وهو الإنارة. تذكرون في الفترة الأولى التي كنا ندخل فيها إلى الكنيسة، ما كانت الأنوار تكفينا، كنا بالكاد نرى بعضنا البعض. اليوم والحمد لله النور جيد وكافٍ وفوقه نوركم أنتم وفوق كل ذلك نور الله علينا في هذه الكنيسة المقدسة.

ومار الياس، مار الياس الذي أصبح كلما نظرنا إلى الشرق نراه على أجمل ما يمكن أن يكون في الكنائس، مرسوم بطريقة جيدة من أناس طيبين، لكي نتذكر بطولته الروحية. لا تنسوا أنه كان وحيداً على رأس الجبل وكان هناك كثيرون من

---

*كنيسة النبي الياس الغيور، دمشق، المديح الثالث، ٢٠٠١/٣/١٦

الكهـــنة الذيـــن يعبدون الأصنام فتحداهم وقال لهم إذا شئتم أن تعرفوا من هو الإله الصحيح؟ هل هو إله الأربعمائة أم إله الواحد فليس لكم إلا أن تطلبوا من إلهكم أن يحرق محرقته. فصلوا كثيراً ورقصوا وصرخوا، وفعلوا كل ما في إمكانهم وعندما تعبوا قال لهم الآن جاء دوري. وعندها التفت إلى الله، إلى فوق وقال يا ربي لكي يتمجد اسمـــك دع الـــنار تأكل هذه الذبيحة، فنـــزلت النار وأكلت الذبيحة. فالتفت إلى الأربعمئة وقال لهم هذا هو الإله الحقيقي. وهذا الإله الحقيقي هو إلهنا بالذات وليس عندنا إله آخر. إلهنا واحد أحد هو الذي خلق السماوات والأرض وخلق كل واحد منا فكان كلما خلق شيئاً، السماء والطيور والأشجار والأرض والحيوانات وكل ذلك كـــان يقول، كما نجد في الكتاب المقدس، ورأى الرب أن ذلك كان حسناً. أي أنه كـــان يسر بالأشياء التي كان يخلقها إلا عندما خلق آدم وآدم رجل، عندما خلقه لم يقـــل هذا كله حسن، لكنه قال هذا لا يكفي ولكي يكفي خلق امرأة معه. الخليقة الأولى هي رجل وامرأة، المرأة خليقة الله وكما أن آدم على صورة الله ومثاله، كذلك المرأة هي على صورة الله ومثاله. الله ليس ذكراً والله ليس أنثى، الله ليس عنده جنس، لـــيس عنده ذكورة ولا أنوثة، الله روح وليس عنده جسد، لذلك عندما خلق الذين عندهم جسد قال: هذا جسد على صورتي ومثالي وهذه جسد على صورتي ومثالي.

اليوم، نحن نعيد، ونذكر العذراء، بصورة خاصة، ليس نكاية بالرجال، لكن لنـــتذكر أمهاتـــنا. أمـــي وأمكَ وأمكِ امرأة على صورة الله ومثاله. بدونها ما كنتم موجودين، وبدونها ما كنت موجوداً، وبدونها لم يكن يوجد مؤمنون في هذه الكنيسة ولن يكون بشر في هذا العالم. في كثير من الأحيان لا ننتبه لهذا الأمر. نحن اليوم، إذا كـــنا نصلي إلى العذراء مريم لأنه لولاها لما تجسد المسيح، ابن الله الوحيد. وكان من الضروري أن تكون هناك امرأة أم. لذلك نذكر اليوم أمهاتنا، أخواتنا، نذكر البنات عـــندنا، نذكـــر الزوجات عند المتزوجين، عيب علينا أن ننسى تكريم هذه الفئة من الـــناس التي خلقها الله بنفس اليد وخلقها بنفس الكرامة. غيرنا يقول المرأة سلعة، لا

أمي ليست سلعة. سيداتنا لسن سلعة، إنهن خلائق الله لذلك نحن نكرمهن. لهذا تقول الوصية أكرم أباك وأمك لم تقل أكرم أباك وحده. قالت أكرم أباك وأمك، هذا يجب أن نتذكره، يجب أن نعرفه.

يا أحباء، في بعض الحالات، يريد ربنا أن يعلمنا بعض الأمور. هل تعرفون أنـه عـند الصليب عملياً ما عدا في إنجيل يوحنا، لم يكن هنالك أحد من الناس إلا النساء: مريم أمه والمريمات اللواتي كن معها. وحدهن كن معها. اليوم عندما يموت لنا عزيـز وحبيب نرى أول دمعة تنحدر هي من عيني امرأة وآخر دمعة تنحدر كذلك فإنها تنهمر من عيني امرأة. نحن الرجال لم نُعطَ هذه النعمة دائماً دائماً.

السؤال الآن لماذا نكرم المرأة إلى هذا الحد؟ إنها تستحق وتستحق أكثر. لماذا نكرمها في الصوم الأربعيني المقدس؟ في الصوم الأربعيني المقدس يظن البعض أن المرأة شيء نجس يجب ألا نكلمه وألا نقترب إليه إطلاقاً لأنها كائن نجس. هذا عند غيرنا، وغيرنـا يجـب أن يتعـلم منا انه على خطأ. نكرم العذراء ومعها أمهاتنا وزوجات المـتزوجين وبناتـنا جميعاً، نكرمهن لأنهن سيكن أول من عرف بالقيامة. نحن نكرم العـذراء اليوم ومعها كل النساء، لأن النساء كن أول كائنات بشرية عرفن بالقيامة. ذهـبن فوجدن الملاك و لم يكن رسول واحد عند القبر، لم يذهب رسول واحد إلى القـبر ليـتأكد مـن أن يسوع لم يكن كاذباً عندما كان يقول لهم إن ابن الإنسان سـيموت وسيقوم في اليوم الثالث. لم يوجد واحد منهم إلى جانب قبره ليرى حقيقة إن كـان قـد قام أو لا. كان يجب أن تكون هنالك سيدات، أن تكون نساء لكي يذهـبن إلى الرسل الذين كانوا منصرفين إلى أعمالهم، النساء ذهبن إليهم لكي يقلن لهـم: المسيح قام. تعالوا وانظروا المسيح قام. هذه بشارة امرأة وهذه هي التي ولدت الذي مات ولكنه قام. من أجل ذلك نحن نكرم العذراء مريم ومعها كل النساء.

أيهـا الأحـباء، عندما تهان الأم، عندما تهان الزوجة، عندما تهان الأخت،

عندما تهان البنت فكل العائلة تهان. لذلك لا ندع باباً مفتوحاً إلا وأن نكون مكرمين لبناتـــنا وللزوجات ولجميع النساء عندنا. نتميز عن سوانا بهذه الناحية ولذلك يتمنى كـــثير من النساء ومن طوائف متعددة وديانات مختلفة أن يكن تحت رعاية كنيستكم وتحت رعاية إنجيلكم.

ليس لي إلا أن أكرر أن الله الذي وهبنا أن نجتمع وأن نكرم السيدة العذراء وأن نتذكر أنه بدونها ليس من مسيح هو الذي دعانا أن نكرم النساء معها في البيت. هذا شيء مهم ليس عندنا أنصاف بشر نحن. الرجل إنسان تام والمرأة نصف إنسان. هـــذا ليس عندنا. وفي قانون الإرث عندنا لا وجود أن للذكر مثل حظ الانثيين. لا وجود لذلك عندنا.

أيها الأحباء، نعمة أن نكون ههنا ونكرم السيدة العذراء، ونعرف أن النساء ســـبقننا إلى القيامة. ومَن يدري فقد يكنّ قد سبقننا إلى الصوم الأربعيني المقدس. إن شاء الله في سباقنا في مجال الكنيسة ألا يكون الرجال من المقصرين في الصوم.

صوماً مباركاً إن شاء الله.

✝ ✝ ✝

الصليب كان لعنة فأصبح بركة*

اليوم نتأمل في الصليب المكرم ونعيّد له اليوم في منتصف الصوم الأربعيني المقدس. أتمنى أن نكون صائمين، آلاف البشر في القارات الخمس يصومون في هذه الفترة، وأتمنى أن نكون منهم. الحمد لله يزداد عدد الذين يصومون عندنا. الحمد لله كثر هم الذين يصومون. نشكر الله على ذلك وأنا لا أرى عملاً أفضل من الصيام. وهذا شيء حسن جداً، ونحن يجب أن نكون مع الجيش من المؤمنين الأرثوذكس في العالم الذين يصومون هذا الصيام المبارك، أتمنى لكم أن تصوموا وأن يكون الصوم الأربعيني المقدس فترة بركة لكم جميعاً.

اليوم، نحن نتكلم عن الصليب، ولكن عن أي صليب؟ كان في الجلجلة حيث حصل الصلب ثلاثة مصلوبين إذن كان هنالك ثلاثة صلبان واحد للرب يسوع واثنان آخران للصين ونحن عندما نعيد للصليب لا نعيد لصليبي اللصين بل للصليب الذي صُلب عليه ربنا ولو لم يكن ربنا قد صُلب لكان الصليب لا يعني لنا شيئاً وليس له معنى بالكلية. والصليب كان «لعنة» أي وجد للمجرمين واللصوص... فمن الذي أعطى للصليب قيمة؟ الصليب لم يعطِ قيمة للرب يسوع، الرب يسوع هو الذي أعطى قيمة للصليب. ونحن كما قلنا عندما نعيد للصليب، فإننا لا نعيد لأي صليب كان بل نعيد فقط لصليب الرب يسوع الذي فيه قدم نفسه لنا كلنا. كيف قدم نفسه؟ الرب يسوع لم يكن يملك شيئاً في هذا العالم والإنجيل لا يذكر أنه كان يملك بيتاً أو رزقاً كل ذلك لأن الرب يسوع لم يأت من أجل نفسه. نقول إنه قدم نفسه وقدمها من أجل خطايا لم يرتكبها هو بل نحن ارتكبناها وهو يدفع الثمن. مَن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه، يكفر بنفسه يعني انسحاقاً. فإذا أردت أن تتبعني وأنت مؤمن بي

---

*كنيسة الصليب المقدس، دمشق، أحد الصليب، ٢٠٠١/٣/١٨

إنـــس نفسك، لا تهتم بماذا تأكل أو ماذا تشرب. ربنا قبل الصليب من أجلنا، حتى الصـــليب الـــذي يضعونه للمجرم لم يلعنه الرب بل هو قدس الصليب صرنا نذكر الصـــليب، وأصبحنا نتقدس به والآن نصلي للصليب لأنه مقدس ولأن الرب باركه. ربـــنا جاء للناس الخطأة ونحن منهم، جاء للناس الخطأة ليقدم نفسه عنهم. لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، تريد أن تشفى فاذهب إلى المستشفى لترى الناس الذين ينتظرون الشـــفاء. لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب لكن المرضى. الرب يسوع أتى إلينا من أجل أنفســـنا. مـــا هو الشيء الذي يجب أن ننقله بعد هذه الصلاة المباركة إلى بيوتنا وما الـــذي نتعـــلمه؟ نتعلم أن ربنا الإله، ابن الله الوحيد المتجسد من أجلنا، كان يعمل لغـــيره. وهـــنا ألفـــتكم إلى شيء عندنا أناس يعملون لغيرهم الآن ويحملون صليب المســـيح. لماذا نقول إن الأسرة شيء مهم، أن يكون هناك أم وأب وأولاد هذا شيء مهـــم جداً، لماذا؟ لأنه في العائلة قد لا يعمل إلا فرد منها. لكن الذي يعمل لا يعمل من أجل أن يأكل هو ولكن يعمل من أجل أن يأكل غيره. هو واحد من كثيرين من الذين هم يكونون العائلة، الأمهات اللواتي هنّ في البيوت، غير صحيح أنهن يعملن من أجل أنفسهن، وهناك آباء يعملون من أجل أولادهم.

هـــنالك أزواج يعملـــون مـــن أجـــل زوجاتهم وزوجات يعملن من أجل أزواجهـــن. وفي الكنيسة نقول إن العائلة مقدسة لأنها تعيش حياة مشتركة ويتعاون أفرادها في حياتهم. ونحن لا نحب الإنسان الذي ينسى عائلته وهو يخطئ بذلك. ونحن نذهب أبعد من ذلك فنرى أن الإنسان يعمل ليس فقط من أجل عائلته الصغرى بل من أجل عائلته الكبرى التي تشمل الآخر كائناً من كان. وهذا هو صليبنا ونحن عندما نتكلم عن الصليب فإننا نعني صليب الرب.

الذي صار أن الرب قد صلب لا لذنب ارتكبه هو ولكنك أنت من ارتكبه. فعل ذلك لأنه أحب أن نسترد كرامتنا نحن المخلوقين على صورة الله ومثاله فلا نبقى غـــارقين في خطايانا. يريد أن يرفعنا وأن يمنحنا الصحة. هذا هو عمل الرب يسوع

الذي نعيد اليوم لصليبه. عندنا أشياء كثيرة في كنيستنا لنتعلمها. أتمنى أن نتذكر تلك الأشياء وأن نعرف جيداً أن الصليب لا يعطي قيمة للرب يسوع ولكن الرب يسوع هــو الذي يعطي قيمة للصليب. ولذلك فكلما رسمت شارة الصليب تذكر أن الرب يسوع هو الذي قدس الصليب ونحن نتقدس لأنه هو قدسه.

أتمنى لكم صوماً مباركاً وشكراً.

✞ ✞ ✞

صوموا، صوموا، صوموا*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

هـــذا اليوم، أيها الأحباء، هو يوم مميز ويعطينا فرحاً لا نستطيع إلا أن نعبر عنه. فرحنا أننا نراكم. وقد قدمت في فترة الصوم الأربعيني المقدس لنرى بعضنا وهذا مجـــال يتاح في كل الكنائس لكي يجتمع المصلون برفقة صغارهم. وعندما كنا صغاراً كـــنا نتصرف كما يتصرف هؤلاء الصغار الجالسون خارج الكنيسة. وكنا نحس أنها مناســـبة يـــأتي فـــيها الإنسان إلى الكنيسة لكي يلتقي الآخرين في جو صلاة محبب. وبالفعل كان المؤمن ينظر ليرى الناس بعين المحبة وليس بعين الكره. اليوم نحن هنا لنعبر عن شكرنا لله على اجتماعنا ونشكره على تمكننا من أن نجتمع في هذا المكان الذي لم يكـــن موجوداً قبلاً وسيكون دائماً لمجد الله وذكر اسم الله الذي باسمه نعتمد وباسمه نتمـــيَرن وباسمه نصبح رهباناً وإكليريكيين وتتم كل الأسرار الإلهية. كذلك يجب أن نتذكر دائماً أن لله حصة فينا، له حصة في بيوتنا وحصة بأولادنا ونصيب في كل ما نفعل.

ما هو الصيام؟ الصوم ليس مسألة أكل. وإن اعتقد أحد أنه يسدد لله حساباً بامتـــناعه عن أكل لقمة عيش فهو مخطئ. في الصوم يجب أن يصوم كل شيء فينا. جسدي يجب أن يصوم. يقول البعض إن الصوم عملية روحية، هذا غير صحيح. إننا نحـــب بعضنا ليس بالروح فقط، ونتعاون مع بعضنا ليس بالروح فقط وليس هنالك شيء روحي فقط وكأن الروح شيء يهيم في الهواء. قلقنا يطال الجسد والروح لذلك يجب أن نتصرف بالروح والجسد معاً. الذي يتصرف بالجسد فقط هو مخطئ والذي يتصرف بالروح فقط هو على خطأ لأن ربنا هو ابن الله الوحيد الذي تجسد من أجلنا

---

* قطنا، صلاة النوم الكبرى، ١٩/٣/٢٠٠١

ورآه الـــناس ولمسوه وأكل معهم وأكلوا معه وسمعوه يتكلم كما يتكلم سائر الناس. المسيح لم يأتِ روحاً يسبح في الهواء. لقد رآه الناس وباركهم وشفى مرضاهم وأطعم فقراءهم. هذا هو مسيحنا، إلهنا إله نزل إلينا وبيننا.

كذلـــك أحـــس أنـــنا نهمل نوعاً ما الصيام. وآمل أن يكون العديد بينكم صـــائمين وأن لا يتناسوا هذا الشيء. الكنيسة تقول إنك إن لم تأكل تموت ولقمتك أهـــم من الوعظ وأهم من أي شيء آخر لأنه بدونها لا تتمكن من سماع الوعظ ولا تقدر أن تحضر إلى الكنيسة بل لن تكون موجوداً لذلك نقول إن الأم مهمة جداً لأنها تطعم عائلتها.

وعندما نذكر ربنا نصفه بأنه خالق السماء والأرض. إذن الله خلقنا جميعاً. ولكـــن لماذا الدنيا بأسرها إذا لم يكن الإنسان موجوداً فيها؟ الله له علاقة بأكلنا وله علاقة بشربنا وله علاقة بفرحنا وعلاقة بحزننا. إنه ليس بعيداً عنا في كل أوضاعنا على الإطلاق. ونحن نحيد عن الطريق الصحيح عندما نتساءل ما دخل الله بفرحنا، ما دخله في شـــؤوننا؟ الله هو خالقنا وهو الذي أعطانا الحياة. وهل من عطية أكبر من عطية الحـــياة؟ الله يحب أن نفرح. وعندما تكون عندنا أحزان وآلام، يذكّرنا دائماً أن بعد المـــوت قيامة وأن بعد الحزن فرحاً وأنه يهيئ لنا السبل لتكون أيامنا حلوة. فربنا لا يحب الوجه المتجهم ويقول: إذا صمت فاغسل وجهك لئلا يراك الناس عابساً فالله لا يحب العابسين.

الله لـــيس بحاجـــة إلينا وهو سيد وليس كالأسياد لأنه يعطي كل شيء ولا يـــأخذ شـــيئاً. إنـــنا نحن من يحتاج المسيح لئلا نكره بعضنا فلا نهين بعضنا أو نحتقر الآخـــرين. لقد صنعنا على صورته ومثاله فأين هي صورته ومثاله فينا إذا كنا نكره ونحسد.

لذلك فنحن في الصوم الأربعيني المقدس نتذكر بصورة خاصة أن ربنا خلقنا لكي ننظر إلى فوق لا أن نغرق في نقائصنا. فمهما كانت خطايانا كبيرة فرحمة الرب

أكــبر منها. قد يغرينا الشيطان بشتى الوسائل فيسبب الكره والخصام حتى بين أفراد العائلة ويزين للشباب الأمور السيئة بشتى الصور الجميلة. نحن لا ننغش بسهولة ونحن نحب أن نسير على دروبه. وكم هو جميل أن يكون الآن اجتماعنا باسمه.

نحن الآن مجتمعون في هذا المكان المقدس الذي سيبقى شاهداً للتاريخ ليعرف كــل مــن يــراه أنه لم يوجد بالصدفة ولكن هناك بشر عملوا على إيجاده. والذين أوجدوه ليسوا ملائكة ولكنهم بشر ككل الناس قاموا بعمل خير. قد يحب البعض أن يفعلــوا الخير ولكنهم لا يعرفون ذلك. أما في هذه البلدة فعندنا شيء جيد جداً نأمل أن يكون لائقاً بالله ونتمنى أن تحتوي قلوبنا الله كما تضمنا هذه الكنيسة الآن.

لــيكن صيامنا صوماً مباركاً. وأقول: صوموا، صوموا، صوموا، لأنه يوجد بينكم من هو غير صائم. هذا الصوم لنا والكنيسة لنا. آمين.

✠ ✠ ✠

الكلمة تقتل أحياناً*

أشكركم جميعاً على حضوركم إلى هذا المكان المقدس لأجل هذه الصلاة التي شاركنا بها جميعاً. وقد رأينا أن الناس لا يجتمعون فقط للطعام أو للغناء ولكن كذلك نجدهم يجتمعون عندما يودون الترتيل وتسبيح الله. وأشكركم على ترتيلكم الجيد.

ما هو الصوم الأربعيني المقدس؟ ما هو هذا الصوم؟ يبدو أنه يحصل فيه شيء استثنائي. ما هو الذي يحصل فيه ولا يحصل في صوم عيد الميلاد؟ هذا الشيء أننا في الصوم الأربعيني المقدس نتهيأ لأهم شيء في إيماننا. ما هو أهم شيء في إيماننا؟ هو آخر شيء نذكره في دستور الإيمان. وما هو هذا الشيء أنه «أترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي».

هذا ما نقوله في نهاية دستور الإيمان لأن كل الباقي من دستور الإيمان إذا سرنا فيه وتوقفنا عند هذه الجملة نكون كمن وصل إلى طريق مسدود. الباب الذي يجب أن ينفتح في وجهنا هو ماذا سيحصل؟ هل ستكتفي، كما قال بولس الرسول بالأكل والشرب وبعض اللهو أي ما يفعله الناس عادة في كل الشعوب ومنذ العصور الأولى وعند المسيحيين وغير المسيحيين. ترى ما الذي ننتظره. إننا ننتظر قيامة الرب يسوع لأنه لو لم يقم الرب يسوع لما كان عندنا أمل في قيامة أحد من بين الأموات.

الرب يسوع هو شاهد على أن الإنسان يقوم من الموت إلى حياة جديدة.

إذن نحن في هذا الصوم نهيئ أنفسنا لنرى الرب يسوع قائماً من بين الأموات ونعرف أن الوجوه التي اعتدنا أن نتمتع بها سيقوم حاملوها في يوم من الأيام ليقفوا بين يدي الرب ليحاسب كل واحد حسب أعماله. لأجل هذا نحن نتهيأ. كيف

---

* جديدة، دمشق، صلاة النوم الكبرى، ٢٠/٣/٢٠٠١

تكـــون التهيـــئة؟ الـــبعض يظـــنون أن الموضوع يتعلق بصوم عن أكل اللحوم أو مستحضرات الحيوانات. صحيح نحن نصوم عن هذه الأشياء لأنه يهمنا أن نحس بأننا نعـــيش مع الطبيعة التي خلقها الله. هذه النباتات التي ندوسها يجب أن نعرف أنها في وقت من الأوقات ستكون قوتنا. نحن إجمالاً نعايش النباتات والأزهار والأسماك. هذه ليست فقط لنأكلها. ومن منا يقول للنبات وللثمار شكراً لأنك تشكلين قوتنا في هذا الظرف الذي نحن فيه نتهيأ كلياً من أجل يوم القيامة.

أعـــود إلى القـــول لـــيس الموضوع موضوع طعام ولكنه في الوقت نفسه موضوع طعام. نعم يجب أن نصوم. هنالك الكثيرون الذين يفتشون عن الحجج حتى لا يصـــوموا. أعتقد أن نوايا هؤلاء ليست طيبة. وهذا لا ينسجم مع روح الكنيسة. روح الكنيسة لا يقول إنك إذا كنت مريضاً أو تتناول أدوية وبالتالي في وضع صحي لا يســـمح لـــك بالصوم فيجب أن تصوم. الكنيسة لا تقول هذا القول وفي تاريخ الكنيســـة الأرثوذكســـية لم تســـمع أن إنساناً توفي نتيجة فرضه الصوم على نفسه. الكنيسة لا تفرض الأذى على أحد.

الكنيسة هي أنت وبالتالي إذا صمت فالكنيسة صائمة وإذا صليت فالكنيسة قـــد صلّت. الكنيسة هي أنت وليس غيرك إذن ليس هنالك أوامر للصوم من غيرك فأنت الذي يقرر وأنت المعمد وأنت الذي مسح بالميرون وأنت الذي يتناول الأسرار الإلهية فتتناول جسد المسيح ودمه وتتزوج بمخافة الله ونعمة الروح القدس.

لا أحـــد يحل محلك، لا أحد يصوم عنك ولا أحد يأكل بالنيابة عن غيره لا توجـــد عندنا إنابات فلا أحد ينوب عن أحد. لماذا؟ لأن الله خلقك أنت وليس بين البشر من عنده أكثر مما عندك. أنت على صورة الله ومثاله تماماً كغيرك. ليس أحد في هـــذه الدنـــيا يملك أكثر مما يملك غيره. ولكن الذي يمرن يديه يجدها تقوى والذين يمـــرنون تنفســـهم يتسع صدرهم. يوجد أناس لا يمرنون حياتهم الروحية. لا يمرنون

محبتهم لله، ومحبتهم لله هي محبتهم لكل الناس.

لا يمكنك أن تحب الله وتكره صورته. البشر مخلوقون على صورة الله ومثاله معـــنى ذلك أنك ملزم بهم إنْ كنت صادقاً. لماذا أقول إنْ لأننا نكذب، أيها الأحباء، ونحـــن في كنيســـتنا تعلمـــنا أن نصلي من أجل بعضنا البعض وليس أحد أفضل من الآخـــر. لذلك يجب أن تحب الناس لكي تكون صادقاً. ولكي تحب الناس يجب أن تتعـــلم. هـــنالك مدرســـة للمحبة. لا تأتي المحبة بالصدفة. أجلب ولداً حذره دائماً بـــالقول: انتبه من فلان لئلا يضربك، ابتعد عن فلان لئلا يهينك، فلان كذا وفلان كـــذا، ستجد الولد بعد فترة وقد أصبح يكره كل الناس. يجب أن نربي الناس على المحبة. كيف تكون التربية على المحبة بحسب بولس الرسول وبحسب صلواتنا؟ يجب أن لا نســـتمع في الكنيســـة إلى الألحان فقط بل يجب أن نعرف معنى الكلمات الملحنة. بولـــس الرسول يقول والصلوات تردد: عيناك! عيناك يجب أن تربيهما حتى لا تكونا كعـــيني الـــذي أينما تطلع لا يرى إلا الناس السيئين والناس الذين لا أخلاق لهم ولا يفعلـــون إلا الســـوء. رب عينيك حتى عندما تنظران تريان الناس الذين خلقهم الله والذيـــن تحق لهم الحياة. وإذا لم يكرمهم أحد على الأرض فأنا سأكرمهم لأني أعلم جيداً أن صورة الله فيهم.

إذن يجـــب أن نربي عيوننا وكذلك يجب أن نربي آذاننا فهنالك من يلتقطون الكـــلمات السيئة بسرعة وسهولة بينما هم يسمعون «يا رب ارحم» مرات ومرات ولا يحفظونها.

يجـــب أن نعوّد آذاننا على الفرح والسرور. وكما أنها تطرب للنغمة الحلوة والترتـــيل الجميل والغناء المطرب كذلك يجب أن نعلمها الفرح عندما نشاهد إنساناً طيـــباً. إنساناً يحب الناس ويقول لهم: أحبكم. إنساناً تحسه لا يضمر الكراهية لأحد، ولا ترى في وجهه إمارات للحقد. الوجه الباسم المرتاح، الوجه المحب بالمعنى الحقيقي للكـــلمة. يجب أن نعوّد آذاننا على سماع الكلمة الحلوة لأنه يوجد بشر لمجرد سماعهم

قصة لا تحمل في طياتها إلا البشاعة تجد أن آذانهم اتجهت إلى مصدرها.

ونحن نلاحظ أنه في العديد من المرات عندما يبدأ الوعظ يأخذ بعض المؤمنين بالخـــروج مـــن باب الكنيسة. يجب أن نربي آذاننا حتى تسمع الجيد. ويجب أن نربي لساننا. إذا قرأتم يعقوب الرسول من الإصحاح الثاني فصاعداً تجدونه يقول لكم بأن اللســـان يشبه عود كبريت. فعود الكبريت بحد نفسه لا شيء ولكنك إذا شعلته فقد تتمكن به من أن تسبب حريقاً لا ينطفئ.

رب لسانك. فليس صحيحاً أن الحرب تكون بالسلاح فقط. لا قد يحصل القـــتل بالكلمة. فعندما تتهم إنساناً زوراً فأنت تقتله وأنت مجرم بالنسبة إليه. الله لم يقـــل ذلك وهذا ليس حلالاً. يجب أن نربي أنفسنا وننتبه لأنفسنا، وأن نغمض أعيننا عـــن أشياء كثيرة. ونسد آذاننا تجاه الكثير من الأقوال. يجب أن نُعوِّد أنفسنا على أن تنضبط وأن نغلق أفواهنا عند الضرورة. معظم الخلافات التي تحصل في العائلة نفسها وفي البلد نفسه، وراءها القيل والقال والتقولات التي لا أساس لها.

في الصـــوم نـــتذكر هذا الشيء. وكما أنه في يوم القيامة لن تكون هنالك نصـــف قـــيامة. إذ كلنا سنقوم من بين الأموات بالصورة التي يرتضيها الله وسيكون عـــندنا جسد ولكنه جسد شفاف كالبلور تحسبون أنه غير موجود ولكنه في الواقع موجـــود. هذا الشيء جيد جداً جداً. نحن في الصوم الكبير نهيئ أنفسنا لهذا الشيء. يجـــب أن لا تبقى فينا زاوية غير نظيفة ومرتبة وأن نكون كأننا في حالة طوارئ. في الصوم الأربعيني المقدس نكون في حالة طوارئ: يدك يجب أن تصوم ورجلك يجب أن تصـــوم، عيـــنك يجب أن تصوم وبالتالي فالصيام يجب أن يشمل الإنسان كله. لقمة الخـــبز مهمـــة جداً بدونها لا يمكنك أن تعيش. الكبير والصغير، الغني والفقير، كلهم بحاجـــة ماسة إلى لقمة الخبز. لذلك فالسيدات اللواتي يهيئن الطعام يقمن بعمل مهم جداً وهن يساعدن عائلاتهن على المضي في الحياة. وإلا فالموت ينتظر كل واحد دون

توقف والأجيال تتالى ولذلك فالصوم يجب أن يشملنا بكليتنا. وهذا هو المطلوب في هـــذه الأيام. فيا أحباء، وهنا أتوجه إلى الأهل بشكل خاص لأقول ما يراه أولادكم منكم لن يشاهدوه في مكان آخر. خارج البيت لا يهم ابنك أو ابنتك ماذا يريان أو مـــاذا يســـمعان. لذلـــك يجب أن ينتبه الأهل إلى جو البيت فتكون الكلمة الحسنة والكلمة الصادقة ولنتجنب بشكل خاص الكذب.

✞ ✞ ✞

الكنيسة مقصرة إذن أنت مقصر*

أحيـــيكم، يـــا أحباء، وأسأل الله أن يجعل من الصوم الأربعيني المقدس فترة مباركة. وإني أعتقد أن ليس كل الذين وضع هذا الصوم من أجلهم يصومون. لذلك أتمنى أن نتبنى صومنا وأن نتبنى صلواتنا وأن نتبنى كنيستنا. إنها لنا وأشدد كثيراً أنه في الحياة الروحية، في الصوم، في الصلاة لا يمكن لأحد أن ينوب عنك. لا يوجد توكيل في الأشـــياء الحســـنة فإمـــا أن تفعلها أنت أو أن يفعلها غيرك وغيرك هو ليس أنت وبالتالي تكون مقصراً خصوصاً إذا كان مفهومنا للكنيسة أن الكنيسة هي أنت. أنت الكنيســـة لذلـــك إذا كنت مقصراً فمعنى ذلك أنه يوجد إنسان مقصر في الكنيسة وبالتالي فالكنيسة مقصرة.

أحب أن أقول اليوم إنه يجب أن نتبنى كنيستنا وأن تكون الكنيسة كنيستنا لـــيس بالاســـم ولكـــن بالفعل. يجب أن نأخذ إيماننا بصورة جدية. يجب أن نكون رصينين وجديين في موضوع الإيمان لأن الإيمان هو الذي يحدد نوعية شخصيتنا. هذا أحـــب أن أقوله اليوم، أتمنى أن يكون صيامكم بالفعل لكم وليس لزيد أو عمرو من الناس أي لكل الناس ما عداك. الكنيسة لك، الكاهن لك، المطران لك. الكنيسة ليس فـــيها إنابة ولا توكيل. تذكر أنه في الكنيسة لا يمكن لأحد أن يتعمد عنك أو يتزوج عنك أو يترهب عنك.

في الكنيســـة مـــا تفعله أنت يحصل وما لا تقوم به فلن يحصل إلا إذا قام به غيرك وأنت لست موكلاً أن تكون الناطق باسم غيرك. أنت لست موكلاً لتتحدث باســـم الناس، والله وحده هو الذي يتكلم عن كل أبنائه. وهذا شيء مهم جداً وهو للتذكير. ما أقوله لم يأتِ من مصدر عادي، إنها تعاليم الكنيسة. وعندما أحدّثكم فأنا

---

* كنيسة القديس جاورجيوس، دمشق، المديح الرابع، الجمعة ٢٠٠١/٣/٢٣

أتوجه بالحديث إلى نفسي كذلك. وكما يقال كلنا الآن في خندق واحد. صومنا يجب أن يكون لنا كلنا، كذلك صلواتنا. يجب أن لا نتنازل عن معموديتنا. لا يمكنك أن تتخلى عنها كما أنك لست حراً في أن تأتي إلى العالم بواسطة أمك. وأنا الآن أذكر الأم لتكون لنا مناسبة حتى نتكلم عن السيدات. سمعنا اليوم كل هذه الصلوات للعذراء. والأوصاف العديدة وكلمة «افرحي» التي ترد ليست ترجمتها صحيحة. والأفضل أن تترجم بكلمة «حياكِ الله» فيقال: «حياكِ الله» أيتها العذراء لأنك كذا وكذا، وليس المقصود بـ «افرحي» أن ترقصي فرحاً.

وعندما كنا نذكر بصوت عال السيدة العذراء ونصفها بكذا وكذا كنا بالفعل نبطن سيدة أخرى لم نذكرها مباشرة وهذه السيدة هي حواء أم البشر. لذلك لكي نفهم جيداً ما قيل عن السيدة العذراء يجب أن نعرف ماذا يقال عن السيدة الأولى في العالم والتي هي أمنا جميعاً أعني حواء.

حواء امرأة مثل كل النساء على وجه الأرض. ما حصل معها أنها لم تتنجس هي ولكنها أُغْريت، وقعت كما يقع كل واحد منا، ولا أحد كبير على التجربة إلا الأفراد الروحيين الذين لا يمكننا الادعاء أننا منهم. أنا لا أتهم أحداً ولكنني أتكلم عما أعرف. ما هي التجربة التي مرت بها. هذه التجربة كانت أنّ الله قال كلمة وحصلت مخالفة لها. ولننتبه هنا أن البارعين في الشر لا يبرعون لكونهم أذكياء أو ذوي أخلاق رفيعة، فالبراعة في السوء ليست براعة، ولا يمكننا أن نمنح وساماً للص أو كذاب أو مجرم مع أن كل هذه تتطلب أن يُعْمِل الإنسان عقله ويفكر.

الكلمة التي قالها الله: لا تأكلوا من هذه الشجرة أي لا تنفذوا كلمة الشيطان الذي يريدكم أن تبتعدوا عن الله. الذي حصل أن حواء كزوجة صالحة أتت إلى زوجها وأعلمته بكل ما حصل معها. ولكن زوجها لم يكن أعقل منها، وليس الرجال دائماً أكثر عقلانية من النساء. وهنا ألفت النظر إلى ما ورد في الكتاب

المقدس وكأنه موجه إلينا.

إذن ذهبت حواء إلى زوجها وقالت له ما قيل لها مع التعليق بأن ربنا وكأنه يغـــار منا وهو لا يريدنا أن نعرف ما يعرفه هو حتى نبقى مرتبطين به وتابعين له. لا، نحن نود أن نكون أحراراً ولذلك يكفي أن نأكل من شجرة الخير والشر حتى نصبح كـــالله عارفين الخير والشر وبذلك نستغني عن سؤال ربنا عما هو الحسن أو السيء ونتصرف على هوانا في القيام بما نريد. وبذا نسترد حريتنا.

الـــنقطة الأولى التي أود ذكرها هي: أنا حر، وهذا صحيح ولكن من دون الإرادة الإلهية التي أوجدتنا حتى نحيا. ربنا خلقنا حتى نحيا وليس لنموت. كل حرية لا تؤدي إلى الحياة هي حرية كاذبة: الناس أحرار في أن يقتلوا بعضهم البعض ولكن هذه ليست حرية. والناس أحرار أن يطعموا بعضهم ويساعدوا بعضهم وهذه هي الحرية.

ما حصل هو أن ربنا قال شيئاً ونحن فعلنا عكس ما قال.

وإذا قابلنا الذي حصل مع العذراء بما حصل مع حواء وآدم نجد أن العذراء عـــندما أتى الملاك مرسلاً من الله وقال لها: يا صبية ستحبلين خافت بالطبع ولكنها قالـــت: «هـــاءنذا أمـــة للرب» يعني أنها أطاعت الله بينما آدم وحواء فرحاً بالحرية الموعودة. الملاك وعد العذراء بأن المولود منها سيكون فريداً «غير شكل».

ويتابع الكتاب المقدس بما أن آدم وحواء هما تماماً كآبائنا وأمهاتنا إذن كان علـــيهما الاتحاد أولاً بالزواج ومن ثم يتوقعان الأولاد. لذلك فالولد الذي يأتي على صـــورة الله ومـــثاله يـــأتي أولاً بولادة بشرية من أب وأم ثم يبارك الله هذه الولادة. فيصـــيران على صورة الله. وأما ما حصل مع العذراء فهو مغاير لذلك فالحبل حصل بالـــروح القدس ومن ثم حصلت الولادة. إذ يقول الكتاب «مع الصوت تجسد سيد الكـــل فـــيك». عندما كان يحدثها الملاك لم يكن هنالك أي حدث ولكن مع قول الملاك حل الروح القدس.

ما قام به آدم وحواء أحدث شرخاً بين الخليقة والله وصار الحديث يجري من بعيد. وقال الله لحواء ستقعين في متاعب وحياتك ستكون صعبة ولكن ذلك لن يكون إلى الأبد. لأنه في يوم من الأيام سيأتي من يدوس رأس الحية التي أغوتك ونحن نقول إنه ابن العذراء المسيح الذي سيقتل الحية الشيطان.

ونحـــن نذكـــر هاتين السيدتين لا يسعنا إلا أن نشكر السيدة العذراء لأنها أجابـــت «أنـــا أمـــة للرب فليكن لي بحسب قولك» ويصعب جداً تصور ما كان سيحدث لو لم تستجب العذراء لإرادة الله.

نحن نعيش في دنيا نسمع فيها ألف صوت وصوت كلها تعلمنا. وقد يكون أن العالم لم يمر في عصر اعتبر فيه البشر أنهم أغبياء ويحتاجون أن يتعلموا أكثر من هذا العصـــر. وكثرت الدروس كيف تأكل وتشرب وكيف تكسب لتصبح غنياً وكيف تحدث الناس.

ولكن العذراء عرفت أن تميز بين صوت وصوت. ونحن علينا مسؤولية كبيرة في هـــذا الموضوع فالأمهات لا يربيهن إلا الأمهات. يتكلمون عن تربية السيدات في هـــذه الأيـــام ويـــتحدثون عن حقوق المرأة الآن. ولكن ما ألاحظه أنه عندما يجري الحديـــث عن المرأة فهو يتناولها فقط كزوجة. لماذا؟ لأن العالم هو عالم الرجال. معنى ذلـــك فالحديث هو عن زوجات لهذا أو ذاك من الرجال وهو يعطي كل شيء ومنه يؤخذ كل شيء.

أنـــا لا أسمع كثيراً الحديث عن الأم. بالنسبة للرجال يجب أن تُذْكَر النساء ليس فقط كزوجات ولكن كأمهات وأخوات فعندما يولد أولادنا فهم يفتشون عن أم وأب لذلـــك فالرجال يحتاجون إلى مَن يعلمهم إلى مَن يربيهم وكذلك الأمهات فهن يحتجن إلى أمهات يعلمنهن. أين نحن من هذا الموضوع. يا أحباء، الكنيسة نحن، ونحن عندما نجتمع فبقصد أن نوصل الأشياء التي أراد ربنا أن يوصلها إلينا. لأن ليس كـــل الناس يقرأون ويدرسون أو يتيسر لهم ذلك لذا فمن واجبنا أن نوصل لهم نحن

ونعــرِّفهم بإيمــانهم ولذلــك فإننا نتكلم. ولا نتكلم لنسمع أنفسنا بل لتسمعوا أنتم ولذلك ننــزعج عندما نرى أناساً يتركون الكنيسة عندما نبدأ الوعظ.

يــا أحــباء، العــذراء عذراؤنا والمسيح مسيحنا والخلاص هو لنا والصيام صيامنا. أطال الله في أعماركم جميعاً. آمين.

✞ ✞ ✞

ليس أغبى من المتكبر*

يـــا أحـــباء، في الصوم الأربعيني المقدس جئنا بالفعل حتى نراكم. والصوم الأربعيني المقدس قديم العهد وكنيستنا تبتهج في هذه المناسبة. ليس الصيام فترة حزن وتمسكن وتظاهر بأن الإنسان يكاد يموت من الجوع. صيامنا ليس هكذا. صيامنا هو وقـــت يقضـــيه الإنسان وكأنه في بيته. كان الإنسان يخرج منذ الصباح ويذهب إلى عملـــه فيلتقي فلاناً ويرى فلاناً ويتحدث إليه ولكنه لم يكن يشاهد نفسه. والإنسان عـــندما يشاهد غيره فيعيّر فلاناً بملابسه وينعت فلاناً بأحاديثه وينتقد زيداً أو عمراً. ولكنه عندما يقف أمام المرآة يرى نفسه فيكتشف أنه ليس مختلفاً عن البشر. لذلك لا يحق له التكبر على البشر. وكلما تعرف الإنسان على نفسه ازداد تواضعه واكتشف أنه كما أن ذاك لا يتكلم حسناً فهو كذلك لا يتكلم حسناً، وكما أن ذاك لا يحسن التصـــرف فهو قد أساء التصرف مائة مرة. يعني أن الإنسان ينظر إلى نفسه ويتوقف عن إدانة إخوته «وأن لا أدين إخوتي» كما في صلاة اسحق السرياني.

في الصـــوم تقول لنا الكنيسة المقدسة انظر إلى نفسك فإذا كنت نظيفاً معنى ذلـــك أنه يوجد إنسان نظيف وإنسانة نظيفة وهنا نتكلم بصفة عامة أي أننا نقصد الـــرجال والنســـاء. عندما نتطلع إلى أنفسنا نكتشف أننا لسنا أفضل من أحد. غيرنا جـــيد، نحمد الله على ذلك ولكن لسنا نحن الذين جعلناه جيداً بل الله هو الذي أراد ذلك. لذلك عندما نرى شيئاً حسناً وإنساناً جيداً نشكر الله على ذلك لأنه هو الذي أعطـــى. ماذا نعطي نحن؟ الأب أصبح يستحي أن يقول لابنه كن مثلي وكذلك الأم لأن المطلوب أن تكون الابنة أفضل من أمها لأن دنياها مغايرة لدنيا أمها والحياة التي ستعيشـــها ستكون على غير ما عاشت أمها. هي ليست نفسها. قد لا تكون أفضل

---

* داريا، دمشق، صلاة النوم الكبرى، ٢٠٠١/٣/٢٧

ولكنها مغايرة ولا يمكن أن نمزج بين الاثنتين.

في الصوم الأربعيني المقدس كما قلنا، يتطلع كل واحد إلى نفسه عندما يود الانتقاد ويتطلع إلى الآخر عندما يريد أن يتعلم. الويل لنا من الذين يدعون كل شيء والويـــل لنا من مدعي المعرفة، وويل لنا من المتكبرين. لا يوجد أغبى من المتكبر على الإطلاق، المتكبر هو أكثر الجاهلين لأنفسهم. ولمجرد أن ترى إنساناً يزاود على فلان وفـــلان فـــلا تتساءل عما يعرفه بل قل: كم هو جاهل لأن الذي يعرف نفسه جيداً يردد دائماً: «يا ربي اغفر لي أنا الخاطئ». أنا أعرف نفسي ولا أحد يعرفني بقدر ما أعرف نفسي، أنت تعرف نفسك ولا أحد يعرفك بقدر ما تعرف نفسك لذلك أنت مـــن يجـــب أن يقول: «يا رب ارحمني أنا الخاطئ». يقولون لكم كل الناس يفعلون هكذا، فليكن. ألست مثل سائر البشر؟ وأنا ألست من هؤلاء البشر؟. فلمَ يحق لهم أن يتصرفوا كما يشاؤون ولا يحق لي أن أفعل ما أشاء؟ ولماذا أقول غير ما أفعل. لماذا لا أكـــون أفضـــل؟ عندي الشعور أن المسيحيين كثيراً ما يستحون بأنفسهم. وهذا ما ألاحظـــه عندنا ولكي نساير فلاناً وفلاناً كثيراً ما ألجأ إلى عدم الجهر بإيماني. لذلك أقـــول إن الكـــبرياء فاسدة والكذب شيء سيئ. ولو كذبت مليون مرة فأكون قد أخطـــأت ملـــيون مرة. يجب أن تكون عندنا رجولة بالمعنى العام للكلمة، حتى ننقذ أنفسنا. ولماذا نقوم بهذه العملية وفي الصوم الكبير بالذات. ولماذا يدعى الصوم الكبير وهو أربعون يوماً وليس ثمانية وأربعين يوماً لأن الأسبوع الأخير صوم مستقل يتعلق بأسبوع الآلام. لذلك فهو أربعون يوماً كصوم الميلاد ونلاحظ أنه تحصل صلوات في الصوم الأربعيني لا تحصل في غيره.

في الصوم الأربعيني المقدس، يا أحباء، لا ننسَ أن الصوم هو طريقة نهيئ بها أنفسنا. ستحدث أحداث هامة جداً جداً بعد الأربعين يوماً نهيئ أنفسنا منذ الآن من أجـــلها كمن يتوقع مجيء ضيف عزيز تراه يبدأ بالتفكير بالتحضيرات لاستقبال هذا الضيف. الصوم الأربعيني المقدس هو استعداد لأسبوع الآلام.

ماذا سنرى في أسبوع الآلام؟ سنعاين الرب الذي أتى من أجلنا وصُلب من أجلـــنا. الذين يمارسون أعمالهم على هذه الأرض يصادفون أناساً كثيرين على هذه الأرض يعتبرون أنفسهم أذكياء وبقدر ما يغشون ويضللون يعتقدون أنفسهم مميزين. الفخر للذي ينجح وليس للمستقيم. ما ننتظره، يا أحباء، هو آلام الرب ومن ثم قيامة الـــرب التي لولاها لما كان لصلواتنا من أجل الأموات أية قيمة. نرتل «جمع الملائكة ذُهل متحيراً.. وداحضاً قوة الموت ومنهضاً آدم معك». لولا قيامة الرب لما صدقنا أنه توجد قيامة. وما هو البرهان على القيامة من بعد الموت، البرهان هو قيامة المخلص. لذلـــك مـــا ننتظره بعد أيام معدودات هو شيء هام جداً. والقيامة، يا أحباء، فرح. القـــيامة شـــيء يعطينا دفعاً وقوة. وهذا يأتينا من مصدر هام جداً ألا وهو ربنا الإله الحقيقي وهو الذي غلب الموت.

الموت يأتينا فيقضي على الصغير والكبير ولا يمكن لأحد أن يشذ عنه. هذه مشـــكلتنا ولكـــن الرب يسوع حل هذه المشكلة بموته وقيامته. وهذا الصليب الذي نشـــاهده كان وسيلة عقوبة للصوص وقطّاع الطرق. ولكن عندما وضع عليه يسوع قدسه. لم يكن الصليب هو الذي قدس المسيح ولكن العكس تماماً فالمسيح هو الذي قدس الصليب.

إذن، يا أحباء، هذه مناسبة حسنة تجمعنا سوية وأنا مرتاح جداً وأشكركم كثيراً. وبالمناسبة فإنني كلما اجتمعت بهذه الرعية أجد عندنا أشياء جديدة. وبالنسبة للكتـــب الموجودة عندنا فهي للقراءة وللقراءة في البيت لأننا في الكنيسة نقرأ معاً ولا نقـــرأ لأنفسنا بل ليسمع الناس ويفهموا ولذلك نقرأ بوضوح وبصوت عال وهذا ما يجب أن ننتبه إليه.

أعـــتقد أنه يجب أن تقرأ هذه النصوص وقد شكلت لتسهيل قراءتها وحتى يســـهل فهمها جيداً. وليس حسناً أن يقال هؤلاء المستقيمو الرأي تسمعهم فتجدهم يضعون الفتحة مكان الضمة والكسرة مكان الفتحة وهكذا. لا نحن أفضل من ذلك

وفخــورون بكنيســتنا ورب الكنيسة وليس بأنفسنا لأن مشاكل الكنيسة ناتجة عنا ولــيس عن رب الكنيسة. لذلك آمل أن تقرأوا في هذه الكتب وبشكل حسن وإن حدثــت هنالك أخطاء لغوية فلا بأس ولن يحاسبنا ربنا عليها فربما لا يسمع الفتحة والضمة ولكنه يسمع ما نوجهه إليه بكل صدق.

آباؤنا وأجدادنا لم تكن عندهم المدارس الموجودة الآن ولكنهم كانوا يصلون من كل قلوبهم ولذلك لم يكونوا يرضون بالقبيح بل يفعلون الصحيح لأنهم يسمعون كلمة الله وليس كلام زيد وعمرو من الناس.

أنــا أشكركم جداً على حضوركم ولكن عندي ملاحظة أبديها لكم: لماذا يقف البعض خارج الكنيسة؟ وما دمنا قد أتينا فلماذا لا نكون معاً في الكنيسة نشترك في الصلاة ونجتمع مع بعضنا. ونحن لا نرى بعضنا كل يوم والكنيسة هي كنيسة أبيك وجدك وستبقى كنيسة أولادك وأحفادك وعندنا أشياء نفتخر بها. والدنيا وجه فالذي تشــاهد وجهه تكون قد رأيته ومن غاب وجهه عنك فهو غائب و لم تره و لم يرك. فلنشاهد وجوه بعضنا البعض ونحن نحب وجوهكم ونحب أن نراها.

صوماً مباركاً.

✞ ✞ ✞

يجب أن ننقي عيوننا حتى نرى جيداً*

يـــوم الأحد الماضي كنت في اللاذقية وكان عندنا تدشين كنيسة القديسين رئيسي الملائكة جبرائيل وميخائيل وكان لهذا التدشين معنى مهم جداً لأنه ذكرنا كلنا معاً كيف أنه منذ أكثر من عشرين سنة ــ وكنت أنا هناك ــ كانت هذه الكنيسة نفسها تعبر عن انقسام طائفتنا انقساماً كلياً لأنه كان يوجد أناس لا يذهبون إلا إلى مـــار ميخائـــيل وهنالك آخرون لا يذهبون إلا إلى مار جرجس. إذن هنالك فريقان مخـــتلفان مـــع بعضهما. هذه الكنيسة كانت مهمة جداً وكان المطران لا يتمكن من دخولهـــا لأنه كان مرفوضاً من جماعتها. إذن كان يتبعه فقط قسم من أبناء الطائفة. كان لي الحظ أن أول ما فعله مطران اللاذقية في تلك الأيام أنه ذهب إلى هذه الكنيسة واستمر مدة على هذا المنوال يقيم الصلوات أسبوعياً ويعظ وهكذا انتهى أمر القطيعة والخلاف. والذي خلفني لم يجد أثراً لتلك الخلافات.

كـــثيراً ما نستسهل مسألة الانقسامات في كنيستنا لأننا لا نعي جيداً أهمية هـــذا الموضوع. أن نبتعد عن الكنيسة معنى ذلك أن نبتعد عن إيماننا الذي هو الإيمان الحقيقي وننأى عن تناول الأسرار الإلهية التي تغذي حياتنا وتباركها منذ ميلادنا وحتى مماتنا.

يلجأ الكثيرون إلى الابتعاد عن الكنيسة لأن الكاهن الفلاني لا نتفق معه أو أن المطران الفلاني يسيء التصرف، أو هم على خلاف مع بعض المؤمنين. وينسون أن الكنيســـة بدونهم لا تكون ولكنهم وحدهم لا يشكلونها وكل عضو في الكنيسة هو عضـــو بنفس المقدار وكلنا نلنا نفس المعمودية والروح نفسه حل علينا جميعاً. وهذا كـــثيراً مـــا ننساه وأعتقد أنه يجب أن نتذكره وبصورة خاصة في زمن الصوم حيث

* كنيسة القديس جاورجيوس، عربين، دمشق، صلاة النوم الكبرى، ٢٠٠١/٣/٢٨

يحاسب الإنسان نفسه بدل محاسبته للآخرين «أعتقني من روح البطالة والفضول وحب الرئاسة...» أنا، أنا، أنا، إنه لا يقول اغفر لفلان ولكن لي أيضاً لأنني أنا المشكلة. أنت من يجب أن يطهر نفسه ومن يجب أن ينقي نفسه.

وكثيراً ما نرى الناس خاطئين فيما تكون عيوننا هي غير صافية فلا نرى بوضوح. وخطايانا هي التي تحجب عنا الرؤية السليمة فنرى الناس خاطئين. يجب أن ننقي عيوننا حتى ترى جيداً. يجب أن يتدرب الناس ليتعلموا عندما يرون شخصاً أن يروا منه الناحية الإيجابية وليس السلبية لأننا إذا كنا نفتش عن عيوبنا فهي أكثر من أن تُحصى. لذلك وبشكل خاص في الصوم الأربعيني المقدس يجب أن ننظر إلى أنفسنا. لماذا ذكرت اللاذقية لأنه كان لي فيها حديث إلى أخوتكم هناك وكنت أقف في باب الهيكل وأحببت أن ألفت نظر أهل اللاذقية، وكان يحيط بي أربعة مطارنة من اللاذقية. وكنت أشكرهم على مجيئهم لاستقبالي. وشعبنا يحب أن يقوم بهذا الشيء وهم محقون في ذلك. وجيد أن يفرح الإنسان بما عنده. وحسن أن يعرفوا أن عندهم أربعة رؤساء كهنة من اللاذقية.

لماذا أتحدث عنهم وأنا قررت بعد أن أزور اللاذقية أن أذهب إليهم لأنه توجد في هذه المدينة بقعة خرجت لنا رؤساء الكهنة الذين ترونهم ولا توجد كنائس كثيرة يمكنها أن تفتخر بأنها أعطت أشخاصاً من هذا النوع، كما أن الأربعة مطارنة الموجودين هناك هم كما غيرهم من المطارنة أصبح مستواهم الروحي أفضل، ومعلوماتنا عن كنيستنا أصبحت أفضل لأنك في وقت من الأوقات كنت تسأل الشخص فيحدثك عن كل شيء ما عدا كنيسته. وإذا سألته حسناً، ما قلته يحيلك إلى ما قيل عند اليونان والروس وغيرهم، فماذا عنا؟ هذه النقطة ما نزال مقصرين فيها. يجب أن نعرف أنفسنا أكثر مما نعرف الآن، لأن معموديتنا معمودية صحيحة وصلواتنا هي الصلوات الصحيحة وتاريخنا تاريخ صحيح. إذن لماذا يجلب نظرنا الشخص الغريب وليس القريب.

المطارنـــة الذين هم عندنا لا يوجد مثلهم أينما كان فلا تنغشوا وإذا رأيتم «أبونا» يوحنا وغيره فلا تحسبوا أن كل الكنائس عندها نفس المستوى يجب أن نفتح أعيننا جيداً ونتطلع إلى بعضنا البعض لنرى جيداً. هؤلاء لم نقتطعهم من مقلع ولكنهم مـــن أســـر فيها الأب والأم والأخوة والأخوات. وهم عن وعي أرادوا أن يكرسوا أنفســـهم للكنيسة. ما أتمناه أن ننتقل إلى بقعة ثانية وإلى عائلة أرثوذكسية ثانية فأنتم تعـــرفون ســـيدنا دامسكينوس وسيدنا جوزيف الذي نفتخر به فخراً كبيراً وأنتم لا تعـــرفونهما كما أعرفهما أنا لأنهما عاشا معي أكثر مما عاشا في بيتيهما. أنا أعرفهما منذ دراستهما قبل البروفيه بسنتين وبعد ذلك أصبحا حصتي أنا وليسا حصتكم أنتم. ونشـــكر الله على النعمة التي أعطانا إياها والجماعة التي خرجت من هذه البلدة التي نشكر الله على أنها تعرف أن تصلي.

مـــا أطلـــبه منكم أن نشكر الله. وأنتم تعرفون أن القداس الإلهي هو صلاة الشـــكر ونحن نشكر الله على كل ما يقدمه لنا وما قدمه لنا وهو هام جداً، هو ابنه الوحيد لأن خطايانا تتجاوز قدرتنا على إصلاحها. ليس أسهل من ارتكاب الخطيئة. يمكنك أن ترتكب كل يوم مائة خطيئة ولكن لا يمكنك أن تشفي نفسك مائة مرة. الخطـــأ الذي تمارسه تحتاج إلى وقت حتى تصححه. لذلك فالقدرة التي قدمها الله لنا بواســـطة ابنه الوحيد ألحقها بتقديم هذه الكنيسة التي نحن موجودين فيها وهي سبب وجودنا.

انقضت الأيام التي كان البعض يستحون فيها بكنيستهم. نشكر الله أن محبتنا لإكليروسنا أصبحت تظهر أكثر وهي محبة حقيقية. ومحبتنا لشعبنا موجودة منذ البدء وهـــي كرســـالة موجودة في قلوبهم. الأب لا يمكنه إلا أن يحب أولاده وكل أولاده بـــدون أي اســـتثناء وبـــدون أي تمييز. نحن نشكر الله في الكنيسة الأرثوذكسية في الكرســـي الأنطـــاكي لأننـــا أســـرة تحب بعضها. أين هي الانقسامات وأين هي الخصومات. إنها لم تعد موجودة عندنا.

مـا أحـذر منه أن نصوب نظرنا دائماً نحو العيوب. لا ننس أننا بشر وأن عـندنا جمـيعاً الكثير من العيوب ولكن الذي يتميز بعيوب أكثر هو الذي يتبرأ من العـيوب أكثر من غيره. نحن كلنا خطأة كبيرنا خاطئ وصغيرنا كذلك وكلنا نحتاج إلى رحمـة الله. في صـلواتنا نصلي من أجل بعضنا البعض ونصلي من أجل الكاهن والمطـران والـبطريرك. ونصلي من أجل الشعب الذي تعمد على اسم الآب والابن والروح القدس. وهذا شيء مهم جداً.

يا أحباء، أحب أن أقول بالفعل إنني أتيت إلى هنا ولا أدري لماذا أحس بأن هنالك شيئاً من البرودة في العلاقة بيني وبينكم دون أن أعرف لماذا. يجب أن تذكروني بأنفسكم لأننا كلنا بشر وقد يكون البعيد عن النظر بعيداً عن القلب. ولكن بالتأكيد نحن نحبكم لأن الكهنة من أولادكم وكذلك رؤساء الكهنة وهم دائماً ماثلون أمامنا ويقولون نحن هنا، ونحن نعتز بهم.

مـن أوفى الاكليريكـيين الموجودين بين المطارنة في الكرسي الأنطاكي هم الذين تخرجوا من هذه الكنيسة المقدسة ومن هذه الرعية الطيبة.

يـا أحـباء، أحب أن أقول لكم في هذا الصوم: انتبهوا لأنفسهم، يجب أن نصـوم ولمـاذا؟ لأن الصـوم هو لنا وليس لأحد سوانا ولأن الكنيسة هي كنيستنا وليست كنيسة أحد سوانا.

وكمـا قلت في الكنائس الأخرى التي زرتها إنه في الكنيسة لا توجد وكالة من أحد لآخر. فالشيء الذي تقوم به ينجز وأما ما لا تفعله فلن تراه لأنه لا أحد يحل محل الآخر. لأن الله لا يسألك، في النهاية، عن وكيلك، بل يسألك ما الذي فعلته وما الذي قدمته لاخوتك.

أنا واثق بأن الله منعم عليكم من خلال شعبنا بأناس طيبين وأمهات شريفات وبـنات عفيفات. قد يوجد أناس منحرفون فلندع الدينونة لله لأن هذا عمله وليس

عملنا.

«لا أديـــن أخوتي» وأنا أدين نفسي بالدرجة الأولى لأنني لا أعلم متى أقع فيما وقع فيه الذين أتحدث عنهم الآن.

«لا أحد فوق رأسه خيمة» كما نقول وهذا صحيح وحقيقي.

يا أحباء، في الصيام أتمنى أن تعم البركة الجميع ولا نريد أن يزاود أحد علينا بمحبة الله وخاصة بالإقرار بأننا خاطئين.

إذا ســـألك واحـــد، هل أنت أفضل مني لتنصحني؟ أجبه لا، أنت الأفضل ولكـــن ما أقوله لك ليس من بيت أبي ولكن من الكنيسة المستقيمة الرأي وأنا أسوقه إلـــيك كما أسوقه لنفسي. لست أفضل منك ولكن ما تقوله الكنيسة هو جيد لك والله يـــريد ذلـــك. أطـــال الله أعماركم وصوماً مباركاً ونشكر الله أننا صلينا اليوم معكم.

✞ ✞ ✞

لا توكيل في الكنيسة*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

في هـــذه الفـــترة التي نجتازها من الصوم الأربعيني المقدس وجدت أنه من الحسن أن نلتقي بأولادنا أكثر ما يمكن، وأن نراهم ونتحدث معهم ونصلي وإياهم، وأن نذكـــرهم أننا في الصوم الأربعيني مدعوون لكي نصوم. وأتمنى من كل قلبي أن يكون أولادنا يمارسون الصوم. وأنا أذكّر أولادنا دائماً بأن الصوم لنا وكذلك الصلاة وكل ما يحصل في الكنيسة يكون من أجلنا نحن. وأكرر أنه في الكنيسة والصلوات لا أحد يقوم مقام أحد ولا توجد وكالة في الكنيسة. فلا أحد يمكنه أن يعتمد عنك ولا أن يُمســـح بالميرون مكانك والله يخلقنا كلاً بمفرده حتى يقوم بمسؤولياته لوحده وإذا أردنا محبة الله فلا أحد يمكنه أن يحبه عنا. هذا شيء غير موجود وهذا شيء مهم جداً جداً في حياتنا.

أشـــكركم صغاراً وكباراً وأؤكد لكم أن هذه الدقائق التي قضيناها معاً هي دقائق محبة وثمينة بالنسبة إلينا. ونتيجة لزياراتي التي قمت بها إلى معظم الكنائس يمكنني التأكـــيد الآن أن اخوتكـــم يحبون كنيستهم وأن الأيام التي كان يجلس الإنسان في كنيســـته ويـــتطلع إلى الخـــارج أيام مضت. أولادنا يجدون أن كنيستهم من خيرة الأمهات لذلك فهم يحبون كنيستهم كالعذراء التي هي خير الأمهات.

أتمنى أن نصوم دائماً، وألفت النظر دائماً إلى أننا لا نعرف كل شيء. وليس بمقدور كل واحد أن يعلم الأولاد في البيت. ولكنه بصومه يعرف الأولاد أن هنالك صـــوماً. وإذا تســـاءل الأولاد لماذا اختلفت نوعية الطعام فالجواب هو أننا في حالة الصوم.

---

* معرونة، دمشق، صلاة النوم الكبرى، ٢/٤/٢٠٠١

ومـــا هي حالة الصوم؟ إنها حالة استعداد. ولكنها استعداد لماذا؟ إننا نستعد أولاً بالصـــيام في هـــذا الأسبوع الذي هو أسبوع الآلام لنستحق أن نشارك في آلام السيد بالتسابيح التي يقدمها له عبيده الذين أوجدهم وبالتالي نكون قد هيأنا جيداً من أجل القيامة.

الذي لا يصلي ولا يصوم ولا يقرأ، ولا يفكر بالله كيف سيستقبل القيامة؟ القـــيامة تكـــون بالنسبة إليه كأي شيء في حياته عابرة لا بل غير موجودة. يصف الآخــــرون كنيســـتنا بأنها كنيسة القيامة. غيرنا يعيد في الميلاد ونرى البهرجة والهدايا والحفلات وتقوم الدنيا ولا تقعد. وما أن يصلوا إلى عيد القيامة حتى نجدهم كالشمعة الآخذة في الذبول والتي يكاد نورها يتلاشى. أما عندنا فيحصل العكس مع احترامنا الكلي لميلاد السيد الذي أتى ليخلصنا. ولكن لو رأيناه يموت و لم يقم لقلنا هذا إنسان كسائر الناس ولما حصل الخلاص. الخلاص حصل عندما قام المسيح من بين الأموات. لاحظـــوا أنـــه في الصـــلاة يدعونه بكر الأموات. ما معنى أنه بكر الأموات يعني أنه كـــالولد البكر الذي يخرج من بطن أمه كذلك هو الأول في القيامة من بين الأموات وأول واحـــد قام من القبر. لو لم يقم من بين الأموات لما كان عندنا عيد قيامة لأننا «نحـــن تراب وإلى التراب نعود».وكلنا مصيرنا القبر. لكن إيماننا ينصب على الرب يســـوع بـــاكورة القائمين الذي فتح لنا الباب لنقوم «أترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي».

أعايدكم اليوم وأتمنى لكم الخير وأحب أن أذكركم أنه كما أنكم تنتظرون بفارغ الصبر لقاءنا كذلك نحن ننتظر. بدونكم لا توجد كنيسة ولا معنى لوجودنا.

لذلـــك فالكنيسة كنيستكم بالضبط كبيوتكم وأولادكم ورزقكم. كلكم تملكون الكنيسة لذلك فالغريب الذي يأتي تستقبلونه في كنيستكم لأنها ملك للجميع. وفيها الكل يمجد الله.

يـــا أحباء، الصوم لنا والذي لم يصم حتى الآن نتمنى أن يصوم وهنا تلعب

السـيدات دوراً كـبيراً في تعليم أولادهن لأن الأجيال الطالعة تعتمد في التعليم على المدارس والمدارس لا تعلم هذه الأشياء وتهتم فقط بالقراءة والكتابة وأن يحصل التلميذ على علامات أكثر.

أما نحن فنريد للذي تعمد أن يعرف بأن عينه تقدست وأذنه تقدست ويده تقدسـت وكذلك طعامه. نحن جماعة تعيش بالبركة ونتزوج بالنعمة الإلهية وبالسر الإلهي سر الزواج وهو سر كباقي الأسرار. فليعطنا الرب الإله أن نتمكن من رؤيتكم أكثر وتأكدوا أنكم في قلبنا ونحن نحبكم وحفظكم الله وإلى سنين عديدة.

✝ ✝ ✝

كونوا رجالاً، تقووا*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

أشـــكركم جميعاً لأنكم جئتم لنصلي معاً. أقوم الآن بجولة على إخوتكم في كل ريف دمشق حتى نجعل فترة الصوم الأربعيني المقدس تأخذ معناها الاستثنائي. هذا الشيء لا نقوم به في كل يوم ولكننا نفعله في الظرف الاستثنائي الذي نحن موجودون فـــيه، أعني به الصوم الأربعيني المقدس. ما لاحظته، أيها الأحباء، أن إخوتكم الذين نلتقـــيهم أصـــبح عندهم شعور أقوى بأن هذه الكنيسة كنيستهم، وهذه الصلاة هي صـــلاتهم، وهذا الصيام هو صومهم وإذا لم نُقِم هذه الصلاة فلمن وُجدت؟ وإذا لم نمـــارس هذا الصيام فمن سيصوم؟ أقول هذا الكلام لأنني أحس أحياناً وكأن جماعتنا قد استعفت من مسؤوليتها بالنسبة للصلاة. يا أحباء، بيتك إذا كنت لا تحن إليه ولا تهـــتم بـــه يصبح مثل أي بيت آخر بالنسبة إليك. أنا مسرور جداً لأنني أرى شبابنا يرتلون، وأرى أولادنا الصغار موجودين. هذا الشيء يعزينا بالفعل.

لمـــاذا نعطي أهمية لفترة الصوم الأربعيني المقدس، لأنه وضع من أجلنا نحن، الملائكـــة لا تصـــوم، مطلـــوب منا نحن أن نصوم وهو مطلوب بصورة خاصة من الأرثوذكسي المنتمي لهذه الكنيسة على قدر استطاعته وضمن إمكاناته الجسدية ولكن أن نســـتعفي مـــن الصيام ونستعفي من صلاتنا، فماذا يبقى؟ لماذا نحن نصوم؟ نصوم ليتجه تفكيرنا قليلاً إلى ماذا يأكل غيرنا. يقوم الإنسان صباحاً وينطلق إلى عمله وهو يفكر كيف سيُحَصِّل رزقه وكيف سيؤمن الأرباح ليؤمن معيشته. في الصوم لا يكون التفكير هكذا لأن التفكير في الصيام يتجه نحو الآخر، كيف أفعل لأحس مع الذي لا يـــأكل. لا تتوهموا أن العالم هو كما نراه حولنا. هناك ملايين من البشر الذين هم في

---

*معلولا، صلاة النوم الكبرى، ٣/٤/٢٠٠١

هـــذه الساعة ليس عندهم شيء يأكلوه وهم بالفعل لا يشبعون. لا تصدقوا أن الدنيا هـــي جـــنة الفردوس. الوضع عندنا أحسن مما هو عند غيرنا. قد يوجد عندنا أناس يحتاجون إلى أشياء كثيرة ولا يقدرون أن يحصلوا عليها. هذا موجود حتى اليوم. يجب ألا نخفـــي حقائقـــنا لأن العـــالم كله ليس العالم الذي يتمتع فيه كل الناس بالأكل وبالشرب وبالثياب وبالمسكن... هذا وهم نعيشه. في هذه الأيام نحن نقول يجب أن نحس مع هذه الجماعة وعندما لا نأكل بعض الأشياء فهذا لا يعني أننا نحرم أنفسنا إلى هـــذا الحد فلا نمنن ربنا. إننا نأكل حتى الشبع ولكن الكائن الذي وضع فيه الله حياة هـــذا لا نقتله في هذه الفترة. وقد يكون من ضعفنا الإنساني أننا لا نقدر إلا أن نذبح ونـــأكل. بـــيد أن هذا لن يكون في الفردوس. الذي يقرأ في الكتاب المقدس (العهد القـــديم) سيجد أن الله عندما خلق آدم وحواء ووضعهما في الفردوس قال لهما: من ثمـــار الفردوس تأكلان، لم يقل لهما اذبحا وكلا بل بالعكس أوصاهما أن ينتبها للدنيا الخضـــراء والحيوانات التي خلقها الله. إذاً نحن اليوم، يا أحباء، في الصيام نتذكر هذه الأشـــياء، وهـــذه الأشياء مهمة جداً. قد يوجد أناس لا يفكرون بهذه الأشياء ونحن نلومهم على ذلك ونتساءل بماذا يفكرون إذاً. وهل يخافون أن يموت أحد من الجوع؟ الكنيســـة كنيستنا يعني أن كل واحد لبنةٌ في بنيانها. الكنيسة تبدأ في كل واحد وهو مسؤول عن وجودها.

الـــبارحة كنت أقول لاخوتكم إنه لا توجد في الكنيسة وكالات ولا ينوب أحـــد عنك. أنت من يتناول وأنت من يعتمد وعليك أنت أن تمارس أسرارها. أنت موجـــود لـــتكون في أساس الكنيسة. والذي يقصر في حق كنيسته وفي حق نفسه فسيحاكم يوم الدينونة ولا يمكن لأحد أن يحل محله. سيقول له الديان أنا في الأساس لا أجـــوع ولا أعطش ولا أتألم وبالتالي لا يطالني الموت ولكنني تجسدت وعرضت نفسي للعطش والجوع والألم ومن ثم الموت من أجلك ثم قمت لتعلم أنه توجد قيامة وأن مصـــيرك هـــو القيامة. لكن أنت ماذا فعلت؟ الله لا يحتاج إليك ولكن ما الذي

قدمـــته لأخيك الذي تراه كل يوم دون أن تلتفت إليه. هذا واجبك ويجب أن تفعله. لا تنسوا أنه يمكن ألا يكون عندك بيت لكن الكنيسة هي بيتك الدائم والأخير تخسر أملاكك وأشياءك ولكن الكنيسة تبقى لك، وكنائسنا في كل مكان مسجلة على اسم الأوقاف لهذا أتمنى أن نحس بالفعل أن الكنيسة ملك لنا. بيت السيدة يدل عليها فإذا دخلـــت بيـــتاً وكـــان مرتباً فإنك تقول صاحبة البيت مرتبة وإن كان نظيفاً وسمتها بالنظافة وهكذا فكنيستنا تدل علينا.

يـــا أحـــباء، اليوم كان لي حديث مع شيخ مسلم، هذا الشيخ المسلم كان يتكلم ويقول إننا نحن المسلمين والمسيحيين والمسيحيين والمسلمين ويستعمل العبارات المـــتداولة التي تسمعونها في كل يوم. فقلت له يا شيخ المسيحية لا أحد يراها، ليس هـــناك شيء اسمه مسيحية، يوجد أناس يدعون مسيحيين. وهذا لا نتعلمه من القراءة ولكن يجب أن نفتح أعيننا لنراه. الإسلام أين هو، نحن لا نرى إلا المسلمين، نحن بشر وقـــد خلقنا الله على صورته ومثاله، أنا عندما أنظر إليك أقول إن الله أحسن صنعه. وكذلك أنت عندما تنظر إلي تقول ذلك. لا يوجد إسلام ولا توجد مسيحية، يوجد مسلمون ومسيحيون. هؤلاء عندما يتكلمون مع بعضهم يتكلم الإسلام مع المسيحية. لا يوجـــد إســـلام في المطلق. ولا توجد مسيحية في المطلق. المسيحي هو الشخص المســـيحي، الشخص المعمد الذي يعرف الإنجيل ويعرف «أومن بإله واحد» ويعرف «أبانـــا الذي في السماوات» والذي يقول عندنا صلاة ويرددها لا الذي يقول عندنا صـــلاة لكـــن إذا سألته أن يتلو آية منها فإنه يصمت. المسلم يقول أنا حافظ لقرآني ويجيـــب بالآيات القرآنية التي عنده. يجب ألا يكابر الإنسان، ونحن الآن في الكنيسة يجب أن نتكلم الصدق. وأقول قلائل هم الذين يضعون إنجيلاً في بيوتهم ويقرأون فيه ليتعرفوا على محتواه ويتعلموا منه إيمانهم.

أحببت في هذا الصوم الأربعيني المقدس أن أقول هاتين الكلمتين وباللغة التي تتداولونها. هذه الكنيسة كنيستنا ونحن نؤلفها ونوجدها وبدوننا لا كنيسة. أرجوكم

باسم الذين يصومون ويحضرون أنفسهم من أجل صليبه المقدس ومن ثم قيامته المجيدة. نصـــلي من أجل أمواتنا لأن المسيح قام من بين الأموات وهم سيقومون فعلاً ولولا قيامـــته لما صدق أحد وجود القيامة. وأنا الآن أحدثكم باسم يسوع لنأخذ الكنيسة بكـــل جديـــة وأن نكون نحن الكنيسة. وهذا شيء أساسي جداً. فخر للإنسان أن يعرف نفسه والإنسان الذي إذا سئل بماذا تؤمن يقف صامتاً ولا يحرِ جواباً. الأشرف له في مثل هذه الحالة أن يجيب بأنه غير مسيحي.

نطلب من السيد الذي سنعيد لآلامه وقيامته أن يقوينا لنقوى فبدون الغذاء نضعف كذلك في الكنيسة إذا كنا لا نصلي فسنبقى جهلة وسنقضي عمرنا لا نعرف لمـــاذا المعمودية وما هو جسد المسيح ودمه الكريمان وسنموت دون أن نعرف ما هو المصـــير. آمل أن يخرج من هنا أناس إذا ذكر اسم الله يعرفون من هو الله وإذا ذكر الابـــن عـــرفوا أن هذا ربهم وإذا ذكر الروح القدس عرفوا أنه هو الذي قواهم حتى يضبطوا أنفسهم وكنيستهم.

نحن رجال في كل شيء فلنكن رجالاً بكل معنى الكلمة ورجالاً في كنيستنا. ولنكن أقوياء بقوة الله ونعمته.

أطال الله أعماركم وصوماً مباركاً وأسبوع آلام مباركاً وقيامة مباركة.

✠ ✠ ✠

إيماننا مسؤوليتنا*

في هذه الجولة التي نقوم بها الآن على الضيع لنرى الأشخاص الذين يحسون بأنهم بعيدون، ندرك أكثر فأكثر ماذا يوجد من النعم الإلهية في شعبنا. هناك أناس ولا أحلى، هناك بين شبّاننا الكثير من الطيبين. وبين صبايانا من يعتز الإنسان بهن وفي أسرنا توجد كرامة ونظافة في أكثريتها الساحقة. هذا معناه أن الأسرار الإلهية التي نعيشها بعد معموديتنا. الميرون المقدس، الزواج المقدس، سر التوبة، هذه بالفعل ليست كلمة في كنيستنا ولكنها واقع. عندنا أناس يخافون الله، عندنا أناس يفضلون الجيد على القبيح وهذا لا يوجد عند كل الناس ولكن عندنا وفي كنيستنا أناس من هذا النوع. وجرت العادة أن نحسب الذي لا يتكلم كثيراً ولا يبرز اجتماعياً غير موجود. وهذا غير صحيح ونحن بذلك نظلم الكنيسة المقدسة التي تتألف من شعبنا ولا نعطيها حقها وندل على أننا لا نعرف كنيستنا. لا، يا أحباء، في هذه الجولة التي أقوم بها في هذا الصوم الأربعيني المقدس أستطيع أن أؤكد لكم أن الروح القدس الذي يرسله الله في كل الأسرار الإلهية غير صحيح أنه موجود عند كل الناس ما عدانا. كنيستنا هي كنيسة الروح القدس والروح القدس يفعل فيها، والدليل على ذلك هو أنتم، وأخوتكم الذين هم مثلكم. تصوروا أنه حيثما تذهب ولو إلى قرية بعيدة تجد انهم يهتمون بالصلوات التي تقيمونها وأنهم يمارسونها ويحاولون أن تكون متقنة قدر الإمكان ونرى أن صبايانا وشبابنا هم الذين يرتلون ويقومون بالخدم، كذلك نجد سيداتنا نشيطات ويقمن بالعمل الكنسي ولا يقفن متفرجات وكأن الكنيسة لا تخصهن، بل كل واحد في الكنيسة يعتبر أن معموديته قد ألزمته بكنيسته وبالتالي أصبح يحس بوجوب العمل فيها شخصياً دون الاتكال على فلان وفلان. في الكنيسة

---

*كنيسة مار ميخائيل، دمشق، صلاة النوم الكبرى، ٢٠٠١/٤/٥

يتكل الإنسان على الله وحده ولا توجد في الكنيسة استنابة فلا أحد يمكنه أن يعتمد عـني أو يصـلي ويجير لي صلاته. نحن مسؤولون عن إيماننا. أحسست أنه يجب أن أوصل لكم هذا الشعور الذي هو مدعاة فخر لنا كلنا، حتى نعرف أن هذه الكنيسة الـتي نحن نعملها، هي ليست فقط على حجمنا نحن بل تتجاوزنا إلى الكثيرين معنا والذين هم مثل الشمعة التي تضيء في ظلمة هذا العالم.

الآن نحـن في زمـن الصوم وأنا أتخوف في المدن من عدم التقيد بما تقوله الكنيسـة عـلى أساس أن الأكل والشرب غير مهمين. إنهما جداً مهمان لأنه إن لم تـأكل فـإنك تموت. معنى هذا أن الأكل والشرب ضروريان لحياة الإنسان ولكن الصوم شيء مقدس نحن على الأرض نعيش كعائلة واحدة ونحترم خليقة الله لذا نمتنع في الصـوم عن الذبح والقتل ونتجنب الاستيلاء على طعام الخروف أو البقرة. وقد يكـون من حسناتَ مرض البقر أنه منع الإنسان عن أكل اللحوم و لم يمت الإنسان. وأحب في هذا المناسبة أن أقول لكم إن اخوتكم جماعة طيبون ويصح الافتخار بهم. كنيسـتنا كنيسة «أوادم» و«الأوادم» هم أنتم. الكنيسة ليست البناء، الكنيسة هي أنتم، كل واحد منكم. وهذا يجب أن نعرفه لأنه هام جداً.

وإذا تأملنا في صلواتنا اليوم فماذا يلفت فيها؟ إننا نجد القول: «تشفعوا فينا نحن الخطأة»... الخطيئة، الخطيئة نذكرها كثيراً لأنها هي العلّة وما نود أن نحاربه هو الشيء السيئ الذي هو الخطيئة. والخطيئة نحن نقترفها، ولذلك نحن نذكر هذا الشيء. هـذا يجعلـني أعود بالذاكرة معكم إلى الأحد الذي نهيأ فيه للصيام الأربعيني المقدس حيث قال الفريسي يا ربي أنا أصوم وأصلي وأنا أفضل من كل الناس والعشار الذي قـال يا ربي اغفر لي أنا الخاطئ، هكذا نفتتح نحن فترة الصيام. يعني في هذا الصيام، هناك موقف نرفضه، وهو أن لا يكون للإنسان عمل سوى أن ينظر إلى غيره وينتقد عـيوب غيره ويدين غيره. بالطبع لدى الناس جميعاً ما يدينهم لكنك تنسى أن تدين نفسك. في الصيام نتذكر أن عينيك يجب أن لا تنظرا إلى الخارج، يجب أن تنظرا إلى

الداخـــل، فقد تكون أنت المخطئ تجاه من أخطأ إليك. وعندما تتهم شخصاً بأنه لا يستحق المحبة فقد يكون ذلك لنقص في المحبة فيك. نظّف نيتك أولاً ثم تكلم. افحص نفســك جــيداً. قوتنا في أننا لا نخاف أن نقول نحن خطأة، الذي لا يقول هذا فهو كــاذب، ونحن لسنا كنيسة كذابين، نحن نعترف بأننا نغلط نخطئ كالشخص الذي يقــول إن صــحتي تسوء من وقت إلى آخر وهذا يعني أنه يجب أن تداوي نفسك. كذلك الأمر عندما نقول نحن خطأة نذكر ذلك لنداوي أنفسنا، ولكن ليس بالاتكال عــلى أنفسنا فقط. نحن بصلواتنا نتجه نحو الله، الله الذي خلق هو يساعد ولا أحد غيره يساعد. نحن بالصلوات نتقوى ببعضنا. هناك فرق بين أن ندخل إلى الكنيسة ولا نرى أحداً، فنصلي لوحدنا وبين أن ندخل الكنيسة ونجد هذه الأسرة المباركة، أسرة الكنيســة تصلي كلها مع بعضها فيكبر قلبه ونفسه تقوى ويعرف أنه ليس وحده في الساحة وإذا أراد أن يصارع ضد الخطيئة، فهو ليس وحده في الميدان فالله يكون معه وكذلك الاخوة يساعد بعضهم البعض. أيها الأحباء، نحن عائلة، نحن أسرة، على هذا يحسن أن يدرب المؤمن نفسه أثناء الصوم الأربعيني المقدس بصورة خاصة وأن لا يظن أنه هو أفضل من غيره. وأؤكد لكم أن الذي يعود إلى نفسه يتذكر أن ما كان ينتقده في أولاده وجيرانه وأصحابه يقع فيه في كل يوم. يجب أن ننتبه لهذا الشيء وأن نتكل على الله الذي يقوينا. ولا يمكن للشيطان أن يتغلب علينا لأننا لسنا وحدنا «معنا هو الله» هـــذا ما نردده وهو ليس كلمات نلقيها جزافاً لأن الله يكون معنا إذا أردنا أن نحارب الخطيئة فهو لا يحارب عنا. يجب أن نريد نحن. دعونا في هذا الصوم المبارك أن نتكل على الله بشكل جدي وهو حاضر لمساعدتنا وهو حاضر مجاناً ولا يطلب منا إلا أن نريده معنا.

عسى أن تكون فترة الصوم فترة وعي بالنسبة إلينا ونتذكر أن الرب يريدنا متواضـــعين عـــارفين أنفســـنا ومتجهين إلى ربنا بانسحاق قائلين: يا الله اغفر لي أنا الخاطئ. وهذا هو هدف الصوم والصلاة.

أحبب قريبك كنفسك*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

فرح عظيم جداً أن نجتمع في هذا الأسبوع المبارك، أسبوع الآلام. وأتمنى أن نكون صائمين في أسبوع الآلام. وأحب أن أذكر الذي نسي أو تناسى أو أهمل أننا الآن في أسبوع الآلام وأنه يجب أن نصوم.

أقول إن اجتماعنا اليوم فرح كبير، وأحب اليوم أن أتأمل وإياكم في الإنجيل الطويل الذي سمعناه دون أن أعود إلى قراءته. هذا الإنجيل عظيم الأهمية. تصوروا الرب يسوع واقفاً وحوله أناس يكلمونه، يسألوه وكأنهم يمتحنونه. هذا الإنجيل هو امتحان للسيد، يسألونه فيجيبهم ثم ينتقل هو إلى سؤالهم. أخذوا قطعة نقود وأروه إياها واسم القيصر مطبوع على أحد وجهيها وسألوه أندفع الجزية لقيصر أم لا؟ فأجابهم بكل بساطة: أليس اسمه مكتوباً عليها؟ إذن فليأخذها. ولكن إذا كان القصد أن تجعلوا قيصر الملك مكان الله فهذا لا أوافق عليه. الله له مركزه الخاص، الله إله والذي لله أعطوه لله. فماذا فينا لله؟ الله خلقني. النقود يصنعها البشر وكذا الأشياء الأخرى وهذه ردوها لصانعها. ولكن هناك شيء صنعه الله، فإذا أردت أن تعيد هذا الشيء إلى صانعه فأعده لله وقدمه له. وهذا الشيء هو أنت. وهنا خاب أمل سائليه لقد حسبوا أنه سيتهجم على القيصر ولكنه لم يفعل. لقد فشلوا في إيقاع يسوع وأعطى لكل حقه: «ما لقيصر لقيصر وما لله لله». اليوم يسيء الناس كثيراً في تفسير هذه الآية، وكأن البعض يقولون: لله فينا حصة وللعالم أيضاً حصة فينا.

لا يمكننا الموافقة على هذا القول. فنحن لله كلنا وهو خلقنا ونحن له بكاملنا ولا يوجد حقل من حقول حياتنا هو خارج عن إرادة الله. في طعامنا وفي شرابنا

---

* كنيسة الصليب المقدس، دمشق، صلاة الختن، ٢٠٠١/٤/٩

نطلـــب الـــبركة وقبل البدء بالعمل نطلب التوفيق وبعد العمل نشكر الله. فهو الملك ونقول له «لأن لك الملك والقدرة والمجد إلى الأبد». وهو رب الجيش والحكام وجميع البشـــر لأنـــه خالقهم. لم يقع يسوع في الفخ، لقد كلموه عن السياسة فحدثهم عن الدين والديانة. حدثهم عن الله الذي منه كل شيء وإليه يعود كل شيء. فهو لا يريد نصـــف الإنسان بل يطلبه بكامله لأن الإنسان لا يتجزأ. وكلام كهذا غير مسؤول وغير مسيحي.

انـــتهى الامتحان الأول وجاء دور الامتحان الثاني فقد جاءت طائفة أخرى مـــن اليهود لا تعتقد بالقيامة وهم الصدوقيون أتوا ليسألوه هل هنالك قيامة فأجابهم بالتأكيد، قالوا له كان يوجد سبعة إخوة تزوجوا الواحد تلو الآخر امرأة واحدة وهم توفوا جميعاً. فإذا كانت توجد قيامة وقاموا جميعاً فلمن منهم تكون المرأة. لاحظوا أن السؤال قد اختير بشكل ذكي ولكن الرب يسوع اشتهر بأجوبته وذكائه المفرط فكان جوابـــه غـــير المباشر والذي لم يتوقعوه إذ قال لهم تتحدثون عن الزواج بعد القيامة وكأن هنالك زوجاً وزوجة تتوفر فيهم كل شروط الزواج المتوفرة قبل الموت. وهذا لـــن يكـــون فبعد القيامة لن تكون الأجساد هي نفسها والبشر سيكونون كالملائكة حيـــث لا ذكـــر ولا أنثى وهم روحانيون إذن فالسؤال في أساسه خاطئ وآنذاك لا يزوجون ولا يتزوجون.

بعـــد هذيـــن الامتحانين جاء العلماء اليهود وهم علماء الشريعة والناموس فسألوه أن يوجز لهم الناموس ليتأكدوا من صدق يهوديته فكان الجواب: أحبب الرب من كل قلبك وقريبك كنفسك. الرب الذي هو إلهك وقريبك الذي هو أخوك الذي تقـــول معه: «أبانا الذي في السموات». فأبانا تعني أن الله أبي وأب لكل من يناديه. وأن لـــنا أبـــاً واحداً يجمعنا. إذن فنحن أخوة من أب واحد. نجح يسوع بالامتحان وتوقف الاستجواب وجاء دور ليسوع ليطرح ما عنده فالناس يتحدثون عن اليهودية والمســـيحية ويعتقدون أن لا فرق بينهما. نعم، لا يوجد فرق بين الإنسان اليهودي

والإنسان المسيحي لأن كليهما إنسان ولكن يوجد فرق بين اليهودية والمسيحية. قال لهـــم يسوع أنتم تقولون بالوصايا. لا تشهد بالزور، لا تسرق، أكرم أباك وأمك... هــــذا حسن ولكن ماذا بعدئذ. تحرِّمون عليهم فعل كذا وكذا ولكن ما هو الحلال. إنكـــم تقولـــون ما هو الحرام ولكنكم لا تقولون لهم ماذا يفعلون. وهذا ينطبق على الأب الذي يقول لابنه لا تفعل كذا أو كذا. حسناً، عرفت ما يجب ألا أعمله ولكن مـــاذا عـــليّ أن أفعـــل؟ مـــثلاً عندنا المبخرة وقد أصبحنا نتعلق بشكلها وأجراسها وزخرفـــتها ونسينا البخور الذي هو المهم في الأساس وقد وجدت المبخرة من أجله. أصبح اهتمامنا ينصب على الأشياء المادية دون الجوهر. العديد من المصلين لو سألتهم بعد ثلاثين سنة من الصلاة بماذا تحس فإنه يجيبك كان الترتيل جيداً وكانت الكنيسة حلـــوة... كـــل هذه أشياء لها مسحة مسيحية ولكنها كالثياب بالنسبة للإنسان إنها تظهر ولكنها تخفي الإنسان. والإنسان في الأصل هو المهم. تتحدثون عن الشكليات وعن الوسائل وتتغاضون عن الجوهر. ثيابي ليست أنا ويجب أن ننظر إلى الداخل لنرى الجوهر وكم من أحكام جائرة أصدرتموها على أناس لا يهتمون للمظهر واتهمتموهم بأنهم غير مؤمنين ولا يحبون الله. كل ذلك لأنهم متواضعون ولا يتحدثون عن أنفسهم ولا يهمهـــم الجلوس في الصف الأول. و لم نعد نعرف هل أصبح الإنسان للمقعد أم المقعد للإنسان؟ يجب أن يعامل الجميع بالتساوي. لقد نسيتم أن تكونوا عادلين وأن تكونوا محقين. لقد تعودتم أن تروا مظهر الإنسان، شكله الخارجي، وتسمعوا كلماته الســـطحية دون أن تفتشوا عن الثمار. من ثمارهم تعرفونهم، أي أنك يجب أن تحتَكَّ بالـــناس وأن تعاشرهم لتعرفهم حق المعرفة. هذا ما يقوله إنجيلنا اليوم وقد أحببت أن أوضحه لكم.

وأخيراً فالرب يسوع لم يأت ليبطل الناموس بل ليكمله، وما جاء ليقول لا تفعل هذا ولا تقل ذاك. بل افعل هذا وقل ذاك. وكل هذا يختصر بجملة واحدة وهي: «أن تحب الرب إلهك من كل قلبك وكل فكرك وأن تحب قريبك كنفسك». وهكذا

نتهيأ للفصح الإلهي وإلا نكون كالقبور المكلسة من الخارج وأما داخلها ففيه النتانة والعظام البالية لا غير. ونحن لا نريد أن نكون هكذا.

أدعوكم إلى الصوم، أطال الله أعماركم.

المسيح إله بالفعل وإنسان بالفعل*

الأناجيل التي سمعناها مأخوذة عن الأناجيل الأربعة: متى، لوقا، مرقص ويوحنا. وأخذنا بالتحديد ما كتب عن آلام المسيح وصلبه، ولكي تكون المعلومات مكتملة عن الساعات الأخيرة لحياة الرب يسوع من محاكمة وما تبعها وحتى تكون المعلومات من مصادر مختلفة.

على ماذا شدد الإنجيليون كثيراً. لقد شددوا على أن المسيح كان يعتبر بالفعل مجرماً. المسيح كان يعتبر عند اليهود كافراً لذلك سلموه للجند الرومان ليحاكم ويحكم عليه بالصلب لأن القوانين آنذاك كانت لا تسمح لليهود أن يحكموا بالإعدام بل يجب أن يصدر الحكم عن محكمة رومانية.

لماذا أحب ربنا أن يحصل هذا الشيء؟ في ذلك الوقت كان البعض ينظر إلى يسوع أنه إنسان فقط، والبعض كانوا يعتبرونه إلهاً مغلفاً بجسد. هذه الأناجيل تقول لنا إنه صحيح كان ابن الله ولكن في الوقت نفسه كان إنساناً مثلي ومثلك يتكلم الناس معه ويكلمهم وتعرّض للضرب والبصاق، وقد حصل هذا بالفعل. لذلك عندما قال لنا الإنجيل إن ابن الله الوحيد تجسد من أجلنا فإنه لم يأت ليعطينا صورة عن نفسه ولكنه كان إنساناً بالمعنى الحقيقي للكلمة تماماً مثلنا. وهذا إيماننا: لقد كان إلهاً بالفعل ولكنه كان إنساناً حقيقياً.

كانت الأناجيل تحب أن تقول لنا إن الرب يسوع كان مع الناس كما هم. ولكن توجد ملاحظة وهي أن المسيح كان بلا خطيئة. فإذا راجعنا محاكمته نجد أن الحكام لم يتمكن[illegible] [illegible]صاق أية تهمة به. وبما أنه لم تكن هنالك تهمة فكل المحاكمة [illegible]

هذا نجده كثيراً في الواقع ومع الأسف كثيرون هم المرميون في السجون لا بل البعض يعـــدم دون أن يكون قد ارتكب أية خطيئة. الرب يسوع كان من هؤلاء و لم يخطأ والإنجـــيل يقول إن المسيح قَبِلَ كل هذه الأشياء ليس لأنه يستحقها ولكنه قَبِلَها من أجلنا لأننا كنا دائماً في ذهنه، في قلبه، وفعل كل شيء من أجلنا ومن أجل خلاصنا.

هـــنالك العديد من الذين يضحّون بأنفسهم من أجل أشياء تتعلق بالشرف والكرامة والمسؤولية. والمسيح مات من أجل ما بشر به. والأناجيل تقول بأن اليهود ســـلموا المســـيح للرومان ليحكموا عليه بالإعدام وقد حكموا عليه دون أن يكونوا مقتـــنعين بذلـــك كما يحصل الآن عندنا في قضايا الزواج والطلاق والنفقة وما شابه فالدولـــة كثيراً ما تكون غير مقتنعة بأحكام المحاكم الروحية ولكنها تطبقها وتنفذها. وهذا ما حصل مع الرب يسوع.

يا أحباء، بدءاً من الغد سنتكلم عن موت المخلص وهل كان موته صورياً أم فعلياً. اليوم عرفنا أنه مات ليغلب الموت حتى نتمكن بواسطته أن نغلب الموت ونقوم من بين الأموات.

لم يقـــبل أن يـــبقى جالساً على عرشه بل نزل وعاش مثلنا وتحمل أكثر منا وأكثر مما يتحمله المجرمون.

أحـــب أن أذكر أنه كانت توجد عادة أن يبدأ المؤمنون صوماً بدون طعام مـــنذ يـــوم الجمعة وإلى يوم الأحد ليتقدموا إلى المناولة. هكذا كان آباؤنا وأجدادنا والآن يوجد أناس هكذا. آمين.

المسيحي يقع ولكنه يقوم*

هناك جملة لم ننتبه لها في الإنجيل المقدس عندما قال الرب يسوع: «الآن كل شيء قد تم»، كل شيء انتهى. ما هو الشيء الذي تم؟ لقد تمت الأشياء التي يجب أن تحصل من أجل الفداء. وهذا مهم جداً. ما هي هذه الأشياء؟ يريدون أن يحاكموني فقد حاكموني يريدون أن يهينوني فأهانوني. يريدون أن يضربوني فقد تعرضت للضرب. وأرادوا لي الصلب فصلبوني وطعنوا جنبي بحربة. طلبت ماء فجلبوا لي الخل. فماذا بقي؟ لم يبق شيء، بعدئذ قال الرب يسوع وهو على الصليب إن «كل شيء قد تم». وكأنه يقول لأبيه السماوي: يا أبت الذي في السماوات أرسلتني لأقدم كل شيء من أجل البشر الذين أنت خلقتهم والذين تحبهم. أنظر، لم يبق شيء يمكنني أن أقدمه. لقد أتممت كل شيء. كلمة «تم» هنا تعني أن كل واحد منا يجب أن يعرف أن الرب يسوع مات من أجله. المسيح ليس بحاجة أن يموت عن نفسه.

إجمالاً الناس لا يعملون شيئاً لا مصلحة لهم فيه، المسيح ليس له مصلحة مات من أجل كل واحد، وهو لا يطلب من أحد شيئاً، ولا يطلب ربحاً ولا أي شيء على الإطلاق، ولكن الذي يريده أن يرانا نغلب الخطيئة، نغلب الشيطان ونغلب الموت، ونحن مدعوون من أجل أن نعيش، لأجل ذلك فجنازنا اليوم ليس جنازاً عادياً. نحن نبكي أحباءنا الذين نجنزهم ونودعهم بالنحيب. وهذا حق. الموت ليس أمراً جميلاً لا شك في ذلك. ولكننا اليوم نلاحظ أن كلمة «المجد» ترددت كثيراً في صلواتنا. اليوم المسيح يموت يعني أن المسيح يتمجد. غيرنا يتصور أن المسيح بطريق الصدفة جاء وحصل معه ما حصل. نحن نعرف من الكتاب المقدس أنه جاء على الأرض وكان يتوقع مصيره، وكان يعرف ما سيحصل له ولكنه لم يتراجع خطوة

* خدمة الجناز، ٢٠٠١/٤/١٣

واحدة بل ظل يسير قدماً إلى الأمام حتى يقدم نفسه فداءً للجميع. عندما قال: لقد تم كل شيء. معنى هذا أن عملية الفداء تمت.

نحـــن، يا أحباء، في هذا الصوم تذكرنا خطايانا كثيراً، وكلنا نعرف أننا لا نســـتطيع أن نعد خطايانا. إذا حاولنا أن نعدها من يوم ولادتنا حتى اليوم لاستحال ذلـــك علينا. ولكن مهما كانت قوة الشيطان الذي يوحي لنا بها فالمسيح أقوى من الشـــيطان. المســـيحية، أيها الأحباء، دين القوة مع الخير، القوة على الشر. هذه هي المســـيحية. المسيحي لا يستسلم أبداً عندما يقع، لا يستسلم عندما يغلط. إنه يخطئ ولكنه يصحح خطأه. هكذا هو المسيحي الحقيقي.

يـــا أحباء، نحن مهيأون للقيامة المجيدة، ما هي القيامة؟ سنكلمكم عنها فيما بعـــد. لكن بكلمة مختصرة القيامة هي نفض الحجارة عن القبر وإزاحة العسكر حتى يُقال لهم إن المسيح القائم من بين الأموات هو أقوى من الحجارة وأقوى من العسكر، أقوى من كل شيء على هذه الأرض. فإلى سنين عديدة وأنتم أقوياء. وعيب علينا ألا نصوم وليس عيباً أن نصوم ولنكن أشداء في حمل الكنيسة.

أدامكم الله.

✠ ✠ ✠

الاستقرار نوع من الموت*

أيها الاخوة أعايدكم جميعاً بقيامة الرب حيثما كنتم.

وفي صلواتنا نحن نذكر اليوم خصوصاً الدكتور بشار رئيس الجمهورية العربية السورية ونطلب له كمال التوفيق في المهمات التي تسلمها والتي يعالجها كل يوم. كما نطلب له العمر الطويل، وخصوصاً نطلب له النجاح في مساعيه وفي الأشياء التي يتمنى تحقيقها، فسوريا تستحق أن تكون دائماً في حال تقدم وفي حال انتقال من حسن إلى أحسن، ومن شيء جيد إلى أفضل منه.

وفي الوقت نفسه نصلي لرئيس الجمهورية عزيزنا العماد لحود، ونطلب له أيضاً أن يوفّق في مساعيه ونرجو أن يجمع في شخصه كل التعددات التي توجد في لبنان، فالشعوب تتلاقى في قممها وليس في قاعدها، وهو القمة في لبنان. فليكن الشخص الذي يستوعب كل اللبنانيين وكل الوطن في كل أحواله وفي كل زمن.

أنتقل، أيها الأحباء، إلى القيامة المجيدة. قلت مرة وأكرر اليوم إننا في الشرق الأوسط في كل أدياننا نؤمن بأن هنالك قيامة لنا. ونحن نؤمن بأن الإنسان لم يخلق لكي يموت ولم يُخلق لكي يقبر في التراب وينتهي به الأمر هناك. نحن نؤمن بأن هنالك دائماً قيامة بعد الموت ومثولاً أمام الله لكي نحاسَبَ كل واحد عن أعماله.

أنظُر اليوم، خصوصاً إلى قبر الرب يسوع. فالقيامة هي ذهاب من وضع وخلق لوضع جديد. الوضع الجديد هو كأنه ولادة ثانية. الرب يسوع انتقل من جسد دُقت فيه المسامير وضُرب بحربة، وكان ملموساً ومحسوساً، إلى جسد هو أيضاً حقيقي فيه آثار المسامير وفيه آثار الحربة، ولكن يمكنه أن يدخل إلى التلاميذ والأبواب مغلقة. إن جسده الجديد هو جسد شفاف به يأكل المسيح ويشرب عندما يشاء، وبه

* الكاتدرائية المريمية. دمشق، اثنين الفصح، ١٦/٤/٢٠٠١

يمكـــنه أن يخترق الحواجز. إنه في وضع جديد، وهذا الوضع هو الذي نحن مدعوون إلـــيه بعد الموت. ولكن المسيح رفض الموت الذي يستولي على كل إنسان، تجاوزه، انتصـــر عليه ووطئ الموت بالموت، غلب الموت. ماذا فعل بالواقع، بما كان عنده قبل الصلب، قبل أن يدخل القبر، في القبر والظلمة؟ المسيح رفض الظلمة لأننا نحن نعرف مـــن الكـــتاب المقدس أن الله نور هو، فكيف يستكين الرب يسوع ابن الله الوحيد للظـــلام؟ هذا غير ممكن. الرب يسوع ترك الظلمة وخرج منها، انتفض منها، وهو يذكـــرنا بـــأن الله نور، وان الله نور ومعرفة. بالله أنت تزداد معرفة، بالله أنت تزداد فهماً وتزداد إدراكاً، والله يساعدك على أن تعرف الأكثر.

عـــندنا مصدران نعرف بهما عن الله: المصدر الأول هو الوحي الإلهي. الله أوحـــى فكُتبت كتب نسميها الكتب الإلهية. نعم كُتبت كتب، ولكن الكتب تبقى كتـــباً لأنهـــا تستعمل اللغات البشرية التي يمكن أن تُقرأ على أوجه متعددة. اللغات البشـــرية كالبشر: نحن متعددون وكذلك تفسير اللغة التي تم فيها الوحي، فقد يكون مـــتعدداً. لذلـــك فالذي يكتفي بقراءة الكتب لا يجد أمامه الكثير، ومهما وجد فلن يتعدى معرفةً ناقصة عن الله تعالى.

وأما المصدر الثاني الذي يجب أن نقرأه وأن نعرفه والذي هو أيضاً من صنع الله، فهو الخلائق التي خلقها الله تعالى.

الكـــتاب موحى به من الله، والناس والطبيعة والأرض والسموات وكل ما فـــيها هي من خلائق الله. فإذا شئت أن تعرف الله يجب أن تقرأ ما في الكتاب وأن تنظر ما فعل، لأن الكلمة عندنا هي كلمة في الكتاب ولكنها بعيدة عن الفعل. في الله تعالى لا يمكنك أن تفهم كلمة الله وحدها إلا إذا رأيتها في الفعل الإلهي، والله خالق السموات والأرض وهو صانع المسكونة بأسرها.

إذا تطلعت إلى الخلائق فماذا ترى؟ ترى أولئك الذين هم أمامك. الله خلق

لنا العينين لكي ننظر بهما ولكي نرى. إذا قرأت عنك عشرين كتاباً و لم أرك فستبقى معلوماتي عنك ناقصة. يجب أن أراك، يجب أن أقرأك لأن الله من خلالك يوحي بشيء موجود فيك، وفيك وحدك.

خلقك الله على صورته ومثاله، وهذه الصورة وهذا المثال لا يقرءان قراءة كاملة إلا إذا نظرتك بعينين. وهذا شيء مهم. حواسنا لم يخلقها الله لنتسلى بها، خلقها لكي نتعرف إليه، بطريقة من الطرق، في مخلوقاته. وهذه الطريقة هي طريقة واحدة فريدة من نوعها ويجب أن تستخدم ويجب أن نستعملها. لماذا؟ لأنك إذا قرأت الكتاب قد تدرك، قد تفهم، ولكن لا يمكنك أن تحب لأن ما هو أمامك ورق وحبر وما إلى ذلك، وهذه الأشياء لا يمكنك أن تحبها محبة حقيقية. الإنسان والخليقة عموماً هي وحدها ماثلة أمامك، فإذا كنت تستعمل المعلومات وحدها لمعرفتها فهذا لا يكفي، يجب أن تحبها لكي تفهمها حقيقة، ولكي ترى فيها اليد الإلهية التي خلقتها، وهذا شيء مهم جداً. لذلك فالرب يسوع ترك الظلمة في القبر وذهب إلى الخارج لكي يواجه الطبيعة الإنسانية التي خلقها والطبيعة العامة التي هي أيضاً من صنعه.

شيء ثان خلفه الله في القبر وتركه وانتفض بالنسبة إليه، هذا الشيء هو الأكفان. لقد ترك الأكفان وخرج. لماذا؟ الرب يسوع ابن الله الوحيد، الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس الذي هو خالق للكل، «به كان كل شيء ــ كل ما خلقه كان به ــ وبغيره لم يكن شيء مما كان». ليس المهم أن نرى أمامنا أكفاناً، المهم أن نرى حياة. المسيح حي قبل كل شيء، لذلك هو يطلب أن نكون أحياء.

كثير من المفكرين يظنون أنه يكفي أن تفكر تفكيراً صحيحاً لكي يصبح لديك كائن حي، وهذا غير صحيح. لا شيء يحل محل الحياة. متى تقول عن إنسان إنه حي، وما الفرق بين إنسان حي وإنسان ميت مثلاً؟ هذا يتحرك وذاك لا يتحرك. الحياة حركة، الدنيا كلها تتحرك. أنت تتحرك. أنت تكبر، وهذا يعني أنك أنت اليوم

غـــيرك الــبارحة، وغداً ستكون على غير ما أنت عليه اليوم. الدنيا تتغير وكل شيء يتــبدل، وهذا يجب أن نعرفه. أنا لا أفهم أولئك الذين يتكلمون بالجمود ويتكلمون بالاســـتقرار بحجة أن ذلك مريح. الاستقرار نوع من الموت والمسيح لا يريد الموت، يــريد الحــياة وهو رب الحياة، ولذلك يجب أن يكون كل شيء حياً. لا خوف من التبديل، لا خوف من التغيير، لا خوف من أن نرى الأشياء في كل ساعة تتطلب منا عقلاً جديداً، فكراً جديداً، تصوراً جديداً، ورؤية جديدة لهذا العالم.

لا سمـــح الله أن نكـــون في حال استقرار أي في حالة جمود. وحدها المقبرة مســـتقرة. الحـــي لـــيس مســـتقراً ومَن لا يصدق فلينظر إلى الأحياء ليرى الهم غير مســـتقرين. ثـــوبي الذي كنت أرتديه منذ سنة قد لا يصلح الآن. لكل وقت لبوسه ولكـــل زمن ما يليق به وما يناسب. الأمر يحتاج إلى شجاعة ولِمَ لا نكون شجعاناً؟ لأنـــنا عـــندما نتحرك إنما ننتقل من وضع كائن موجود إلى وضع كائن موجود ولا نـــنتقل إلى عـــدم. نحن أيها الأحباء ربنا هو الذي يخلقنا في كل يوم وفي كل ساعة وإيماننا به "قوي" لأنه لن يترك خليقته على الإطلاق.

الله حي ويعطي الحياة. وهو "الصانع الحياة" كما نقول في صلواتنا. هذا في مـــا يخـــص المـــوت، الاستقرار، الجمود، الركود. الماء الراكد يصبح آسناً، يجب أن يتحرك الماء لكي يبقى ماء صحياً.

الشيء الثالث الذي انتفض عليه المخلص هو حجر القبر. يقول لنا الكتاب إن اللواتي أتين إلى القبر وجدن حجر القبر كبيراً، ثقيلاً. لذا كان يجب أن يأتي ملاك من السماء بقدرة إلهية حتى يدحرج الحجر. وبدون ذلك ما كان في إمكان النسوة أن يدحرجن الحجر.

الحجر هو ثقل، كمية، وزن، قيود. الحجارة كلها قيود. في طريق الناس وفي طـــريق أي شـــيء هي عثرات. إنها شيء متعب، شيء يعوق الإنسان عن أن يفعل

ويخلق ويبدع في حياته. حجر القبر حجر ثقيل. هذا تركه الرب، رفضه. إنه لا يحب القيود ولا يحب الاصفاد. يجب للإنسان أن يتحرك بحرية حتى يتمكن من أن يفعل ما يلهمه الله به ولو كان هنالك إمكان الخطأ. كل إنسان يخطئ. كل إنسان مهما فعل سيخطئ والله وحده هو المعصوم عن الخطأ.

إذا كنا نريد لإنسان ألا يخطئ فإننا حتماً سنقيده، وبذلك فإننا نقتل فيه الصح كما نقتل فيه الغلط. ولذلك فمن الصعب جداً أن يكون الذي لا يخطئ فاعلاً وأن ينجز شيئاً مفيداً.

وأخيراً، أيها الأحباء، أين صار العسكر؟ أين صار السلاح الذي كان حول القبر؟ اليهود قالوا: يجب أن تحرس القبر لئلا يأتي أحد من تلاميذ المخلص ويسرق الجثمان ويقول للناس: لقد قام من بين الأموات.

والسلاح ابتعد، والسلاح رمز للقمع. آخر فئات تركها الرب يسوع هي فئات القمع على أنواعها، فئات القهر، فئات القسر التي لا تحترم في الإنسان كونه على صورة الله ومثاله، وأن من حقه أن يقول وأن يتصرف، وأن من حقه أن يغلط. وهذا ليس معناه أن الإنسان لا يحتاج إلى إصلاح. لا، ولكن إذا كنت تخاف على ابنك من أن يخطئ وإذا كنت تقيده وتقمعه في كل شيء فأي نوع من الإنسان أنت تربي؟ إنك تخلق كائناً لا إرادة له، تخلق كائناً ليس عنده إبداع، وليست عنده مبادرة، وبالتالي فإنك تخلق كائناً ناقصاً.

الظلمة، الاستقرار في القبر، القيود في هذه الدنيا، القمع في هذا العالم. كل هذه انتفض عليها القائم من بين الأموات وخرج ظافراً. ولهذا نحن نعيد اليوم، أيها الأحباء.

المسيح مُحرّر للإنسان، ونريد نحن أن نكون أحراراً وأن نسير في خطه لنكون بالفعل أحراراً. عيدكم عيد حرية وغلبة على الموت.

الإنسان خُلق ليحب لا ليكره*

في هـذا المـناخ الطيب وفي هذه الجيرة الطيبة التي سنتكلم عنها بعد قليل، جـيرة الـنبي الـياس ونحن نفتخر بأنه هو النبي الأساسي عندنا، ونحن نعتز بتراثنا الأرثوذكسي الذي يضعه في مصف استثنائي بالنسبة لسائر الأنبياء.

نعيّد للكرسي الانطاكي الذي توجه إليه إنجيل لوقا. نحن مميَّزون، ككرسي انطاكي، لأن نسمع الإنجيل الموجه إلينا بصورة خاصة. هذا شيء مهم. لأننا في كثير من الأحيان لا نعرف من نحن ولا نعرف لمن ننتمي ولا نعرف ماذا فعل الروح القدس عـندما حـل عـلى الرسل وجعل بعضهم يكتبون أناجيل من جملتها الإنجيل الذي يخصـكم ويخصنا جميعاً. عندما استقبلت قداسة البابا، قلت: نحن نرحب بقداستك لأنـك اليوم تأتي من الغرب وتجلب معك الكنائس الغربية إلى منبع الإيمان المسيحي، وهو إنطاكية التي منها انطلقت البشارة إليكم.

هناك أمران:

الأمـر الأول: أن نكون فخورين بما سمح لنا الله به، فقدس إنطاكية وقدس الكرسي الانطاكي وقدس كل أبناء الكرسي الانطاكي.

وهـناك الأمر الثاني الذي يجعلنا نتذكر أن الله كريم إلى درجة لا يمكن أن تحدها العقول وهو كيف يرسل لنا كل ذلك ونحن لا نستحق أي شيء منه؟

كان الرسول بطرس يصف المؤمنين بـ"الغرباء" ويقول لهم: "أنتم الغرباء"! هذا يذكرنا بكلام الرب يسوع لتلاميذه: "أنتم في العالم ولستم من العالم". الذي في العالم أقوى من العالم، نحن موجودون في العالم لا لكي نغمض أعيننا، بل لكي نفعل فيه، لكي نغيره ونبدله ونكون عنصراً جديداً فيه، لكي يصبح العالم لائقاً بخلائق الله.

---

* دير رؤية القديس بولس، تل كوكب، دمشق، صلاة الغروب، الخميس ٢٠٠١/٦/٢٨

أعـــرف أناســـاً يــنامون على فراش الكراهية، حتى بدون أن يعرفوا لماذا يكـــرهون. الإنسان خلق لا ليَكره بل ليحب، خُلق لا ليُكرَه بل ليُحَب، والدنيا التي ليس فيها مَن يتحابان هي جهنم بالمعنى الحقيقي.

الـــذي يتكلم عن النبي الياس يمكن أن يقول الكثير، ولن أقول الكثير. النبي الـــياس كان في رأس الجبل، لا أدري ماذا كان يلبس. كان أفقر وكان أبسط من أن تكون عنده الثياب التي تلبسونها. ولست أدري إذا كان له حذاء. كان بمفرده، وكان كهنة البعل أمامه بكثرة. وحده أخذ موقفاً وطلب إلى الله أن يكون معينه فاستجاب له الله. اليوم نعيش ككل الناس: هكذا. فإذا كنت تنصح شخصاً ألا يكون لصاً يقول لـــك: كل الناس «هكذا». اليوم هذه كلمة مطلقة، ولكن رجلاً واحداً اتخذ موقفاً لكي يعلمنا بأن نتخذ موقفاً.

ونأتي أخيراً إلى بولس. يجب أن يكون هناك إنسان يقول للناس ما هو الصح بقطـــع الـــنظر عـــن أي زمان. بولس الرسول تكلم عن نفسه وقال: جُلدت مرات وعُذبـــت مرات. ولكن كل هذا لا يزيد عما صار بربي يسوع المسيح. لم يسمع أحد مني إلا كلام الحق!.. كلام الحق قوي، وقائل الحق قوي.

يجـــب أن تعرفوا أنكم شيء مهم جداً في رؤية الله تعالى وتدبيره، ويجب أن تعـــرف أنه إذا لم يكن قلبك نظيفاً من الحقد ومن الكراهية، فعبثاً تتكلم وعبثاً تبشر وعبثاً تفعل أي شيء.

أيها الأحباء، عيداً مباركاً إن شاء الله.

✠ ✠ ✠

النعمة الإلهية وحدها تخلص*

«بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين.

أولاً نقدم التعازي للأحباء الذين دعوا إلى الصلاة من أجل الذين فقدوهم، رحمهم الله وعزّى قلوبهم وقلوبكم.

بدأنا التعييد لهذا اليوم المجيد منذ البارحة، والبارحة كان ذلك في ماربولس في تل كوكب، وقد يكون البعض منكم قد حضر. كان شعبنا عديداً وكثيفاً في ذلك المكان. قدم الجميع إلى كنف مزار القديس بولس الرسول، وهذا الشيء يفرحنا كثيراً. أذكر كيف كان المكان منذ سنوات مقفراً وما كان يزوره إلا الغرباء الذين يسمعون بأنه كان لبولس الرسول مرور في ذلك المكان. أما اليوم، فليت الذين لم يكونوا حاضرين كانوا حاضرين لكي يروا مجد الله في شعبه هنالك حول المزار. هذا يدفعني، واليوم عيد الكرسي الانطاكي، إلى أن أشكر أولاً سيادة الأسقف موسى الذي هو المسؤول الروحي عن تلك المنطقة، وأذكر أيضاً الأرشمندريت متى وأطلب إلى الله أن يقويه ويزيده عافية، فإن الحياة قد دبت في ذلك المكان منذ أن وجد فيه ومنذ أن بدأ الاهتمام به. جيد جداً أن نرى الأشياء تتقدم وتتحسن. أشكر أيضاً اللجنة التي تساعد الأب متى وتحسن إدارة المركز على أفضل ما يمكن لكي يقدموا الخدمة المتاحة لأبنائنا الذين يزورون المكان.

أيها الأحباء، أشكركم جميعاً لحضوركم هذه الصلاة المباركة. أشكر أخوتي المطارنة والأساقفة. أشكر الكهنة. إن شاء الله يكون عيد الكرسي الانطاكي عيداً لكل مَن ينتمي إلى هذا الكرسي الانطاكي المقدس الذي هو ـــ كما تعرفون ـــ في الرتبة الثالثة بين كل الكراسي الأرثوذكسية في العالم. نحن الرقم ثلاثة ووراءنا كل

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد الكرسي الانطاكي، الجمعة ٢٠٠١/٦/٢٩

البطريركـــيات الباقـــية ورئاسات الكنائس الأخرى. نحن والحمد لله نأخذ بركة من كرسينا. هذه البركة لا شك في أنها متميزة جداً جداً بالنسبة إلينا جميعاً.

وأنتقل الآن إلى موضوع آخر. الموضوع هو أننا اليوم رسمنا الشماس اسحق فانتقل من حالة الشموسية إلى حالة الكهنوت. ماذا يعني هذا؟ حالة الشموسية درجة أولى، والشـــماس في الكنيسة عندنا كان أصلاً خادماً للموائد عندما كان المسيحيون يجـــتمعون في القرون الأولى بعد الصلاة. كانوا يصلون أولاً ثم يأخذون جسد الرب ودمـــه الكريمين ثم يتناولون الطعام. أين كانوا يأكلون؟ لم تكن عندهم كنائس كما عـــندنا نحن اليوم، ولم تكن عندهم قاعات مثل القاعات التي هي عندنا اليوم. كانوا يأكلون بطريقة بسيطة، لكنهم كانوا يأكلون وحدهم. وحصل خلاف بين المسيحيين مـــن أصل يهودي. لا تنسوا أن المسيح له المجد بدأ خطاباته في مجامع اليهودية وهذا طبيعي فأين كان يمكنه أن يجد أناساً غير اليهود ولا سيما في أورشليم؟

لكـــن بعـــد أن تطورت الأمور، أتى هنالك أناس من أصل وثني وليس من أصـــل يهودي. معنى ذلك أنهم لا يعرفون ما هو الكتاب المقدس ولا يعرفون ما هي التوراة، لا يعرفون شيئاً عن كل هذا. إذاً وحسب لوقا، فالذين كانوا يجتمعون كانوا يشكلون فئتين من أصلين مختلفين، وحسب النص الإنجيلي أيضاً، يفهم أن الذين كانوا مـــن أصل يهودي كانوا يعتقدون أنهم مميزون بالنسبة للآخرين لأنهم يعرفون الإلهام الإلهـــي، ويعرفون الكتاب المقدس، بينما الفئة الأخرى جهلة لا يعرفون شيئاً. كانت القصة تحتاج إلى تنظيم وإلى ترتيب. دعي الشمامسة، والشماس معناها خادم، وكانوا سبعة. والشمامسة كانوا مسؤولين عن التنظيم والسهر على خدمة المائدة ليكون عدل في الـــتوزيع وحتى يضطر الواحد إلى التفكير بأن إلى جانبه إنساناً يجب أن يحسب له حساباً. هذا كان في الأول.

وكـــان الاجـــتماع يبدأ بالصلاة وكسر الخبز «الكلمة». كسر الخبز يعني

الصـــلاة التي نقيمها ولكن ليس بالطريقة ذاتها. لم يكن عندهم هذه الفخفخة وهذا الـــلمعان. ما كان عندهم شيء من هذا، ولكن كان عندهم الخبز والخمر اللذان قال الـــرب عنهما: هذا هو جسدي، هذا هو دمي. كانوا حول الجسد يجتمعون وحول هـــذا الـــدم، وكانوا يؤمنون أنهم يصبحون واحداً عندما يأكلون هذا الخبز وعندما يشـــربون هذه الخمرة. الشماس عندنا ليس له دور في الخدمة الإلهية، ليس له دور في أي شـــيء. لقـــد كلف في وقت متأخر بأن يحمل القرابين إلى بيوت المرضى، ولكن لوحظ أنه حصل شيء من الكبرياء عند البعض منهم. والاكليروس مجربون بالكبرياء دائمـــاً. هنالك أناس يعتقدون بأنهم إذا أصبحوا من الاكليركيين أو من الرهبان فقد أصـــبحوا فوق البشر وأنهم أفضل من البشر، وهذا غير صحيح على الإطلاق. اليوم عندما رسمنا الشماس اسحق، فإنه بالروح القدس انتقل من الخدمة الثانوية التي ترونها الـــيوم إلى إقامـــة الأسرار الإلهية وقد أصبح قيماً عليها. لقد صلينا وطلبنا من الروح القدس أن يقويه لكي يكون كاملاً، لكي يكون حكيماً، ليكون أهلاً لأن يقدم هذه القرابين.

أيها الأحباء،

في الكنيسة اليوم، حصل شيئان: الشيء الأول هو العظة أي الكلام. الكلام مهم ولكن لا شيء في العالم يحل محل الأسرار الإلهية. إذا لم نكن معمدين وممسوحين بـــالميرون، وإذا لم يكـــن عندنا كهنوت وليس عندنا زواج، فلا توجد كنيسة على الإطـــلاق، والذيـــن يتحضرون لكي يقوموا بهذه الأمور يجب أن يكونوا من نوعية خاصة: يجب أن يعرفوا أنهم ينقلون إلى شعب الله، إليكم، أقدس ما سمح به الله لشعبه وأن الباقي كلام بكلام.

مـــتى نتقدس؟ نتقدس بالمعمودية، نتقدس بالميرون، نتقدس بالزواج، نتقدس بالكهـــنوت المقدس، نتقدس بالأسرار الإلهية. لا نتقدس بمجرد الكلام. إذاً، ولو كان الكـــاهن يعظ، وهذا جيد للتفسير للناس، فإذا لم يكن أهلاً لتقديم القرابين المقدسة،

فهـو لـيس كاهناً. هذا شيء أساسي. كنيستنا، أيها الأحباء، ليست كنيسة كلام، مهمـا حـلا ومهما كان حسناً، فهو لا يقودنا إلى الخلاص. النعمة الإلهية وحدها تخلص. لا يخلصك شيء آخر في هذه الدنيا إلا النعمة الإلهية. الكاهن هو آخذ النعمة الإلهية من الله الذي وحده يعطيها. لا أحد يعطي النعمة، ولا تأتي من عندي النعمة. لا يعطيها إلا الله وحده. ليس صالحاً إلا الله، وهو أبو الأنوار وهو الذي يعطي النعم. الكـاهن ينقلها من أبي الأنوار إلى أبناء النور ويوصلها لهم. إذا كان يتكلم فقط دون أن يفعـل هذا، فليس كاهناً. والناس لا يحتاجون فقط إلى أن يكدسوا معلومات عن القـداس، معلومات عن الصلاة، معلومات عن اللاهوت، معلومات عن أي شيء. مهما جمعت من المعلومات، لن تجد جسد الرب ودمه الكريمين. المقصود كيف تتغير حياة الإنسان بالإله الحي الذي هو ربنا يسوع المسيح. هذا شيء أساسي جداً.

كـان الشـماس قـبل ذلك في حيز الرهبنة. لا يكونن التباس عند أحد: فالراهـب لا يعطي الأسرار الإلهية للشعب، لا يعمد، لا يزوج، لا يرسم كهنة. ولا يمكنه أن يقيم سراً إلا إذا رُسم. فالراهب يحتاج إلى رسامة ليصبح كاهناً. بدون هذا الكهـنوت هو علماني تقي. الكاهن يلتفت إلى نفسه ليرى كيف هي مع الله وكيف هـي قليلاً مع الناس، لأنه يؤدي نذوراً أمام الله وليس أمام البشر، ويتعهد بأن يكون فقـيراً. أيـن نحن والفقر اليوم؟ أعتقد أنه يجب أن ننظف أنفسنا لكي تصبح النذور عـندنا كمـا يجب أن تكون. أين الفقر؟ وأين العفة؟. نشكر الله أن هيئاتنا الرهبانية تتمـتع بالعفة فلا تسمعون من وقت إلى آخر ما يسمع عند الكثيرين. لذلك فنحن عـندنا مثال صالح من أجل العفة هو الرهبان عندنا والراهبات. هل عندنا الفقر؟ لا! نحـن فقراء بالفقر، نحن ضعفاء بالفقر. بالعفة عندنا قوة، أما بالطاعة، فبالطاعة نحن ضـعفاء مثـلما نحن ضعفاء بالفقر. الناس لم يعودوا يعرفون كيف يطيعون لأنهم لا يعـرفون حقيقةً كيف يحبون، لأنك لا تطيع فعلاً إلا إذا كنت تفعل ذلك بمحبة، لا بقهـر ولا بضغط. الطاعة لا تكون، إلا إذا كنت بالفعل محباً وإلا فالسجين يطيع.

ولكن هذا لا يعني أنه مطيع حقاً.

أيهـــا الأحـــباء، كما ترون أن الانتقال من الشموسية التي هي درجة أولى ـــ وأكـــاد أقـــول ثانوية ـــ إلى درجة الكهنوت والتعاطي مع الأسرار الإلهية، هذا الانتقال أساسي، لا من حيث المعلومات فقط، ولكن من حيث الفعل. كيف لا يرى الـــناس فيك، أيها الكاهن، الذي عمد أولادهم والذي قدسهم؟ كيف لا يرون فيك الـــذي كلـــل الابنة وكلل الابن وجعلهم أسرة حقيقية؟ كيف لا ينظرون إليك أنت الـــذي بهذه اليد الدنسة تنقل القربان المقدس؟ هذه الأيدي، يا أحباء، أيدينا لا تنقل دائمـــاً الأشياء المقدسة، هذا غير صحيح. كلنا خطأة، وكلنا نحتاج إلى النعمة الإلهية كمـــا سمعـــتم في الرسالة. أيها الأحباء! مناسبة عيدنا ـــ عيد الكرسي الانطاكي ـــ مناسبة كانت هذه السنة بصورة خاصة ذات معنى وذات مضمون قوي جداً. لكن لا تنســـوا شيئاً واحداً: إن كل ما يُقال في الكنيسة، كل ما يعمل في الكنيسة، إن كل كاهن، وكل راهب، وكل رئيس كهنة هو من أجلكم ومن أجل خلاص نفوسكم.

✠ ✠ ✠

قوّني يا رب حتى يعرفوا اسمك*

أيها الأحباء!

إذا كنا نحن نحمل الحق والحقيقة والصدق فنحن أبطال، والأبطال يعرفون في ساحة المعركة، عندما يكونون معرضين للموت أكثر من غيرهم. إن النبي الياس يقول لنا في هذا اليوم المبارك: لا تنس الله في حياتك، ودع الناس يمجدون الله في حياتك، لا كبرياء في المسيحية، بل الإيمان بالله الواحد الأحد.

نعـــايد النبي الياس الغيور، ونعايد رئيس هذا الدير المقدس، دير مار الياس. نعـــايد سيدنا (الأسقف) الياس (نجم) الذي يرعى هذا الدير منذ سنوات طويلة، على أحسن ما يمكن أن يُرعى.

لا حاجـــة إلى تذكيركم بأن مَن كان يأتي إلى هذا المكان المقدس، منذ عشر سنين أو من خمس عشرة سنة، ما كان يرى ما نراه الآن، وما كان يسمع ما نسمعه الآن. أنا أسمع كثيراً أن هنالك همة شديدة جداً من رئاسة هذا الدير، للمحافظة على الأوقـــاف المقدســـة التي قدّمها آباؤكم وأجدادكم، فالمحافظة عليها هي محافظة على الأمانـــة الـــتي تسلّمناها. وسيدنا الياس كان بين عهدين، العهد الذي فيه خسر هذا الديـــر، وخســـرت أديرة أخرى في الكنيسة المقدسة الكثير مما قدم لها، والكثير من الأوقاف التي أعطيت لها. هذه مرحلة انتقل منها هذا الدير وسيدنا الياس ليبدأ مرحلة جديدة في هذا المكان المقدس. ومنذ وقت طويل لم يعد أحد يسمع أننا خسرنا الوقف الفـــلاني في المكـــان الفلاني. هذا لم يعد يحصل في دير مار الياس وسواه من الأديرة كالبلمـــند وفي كـــل الأديرة البطريركية. لم نعد نسمع كلمة واحدة تقول إن أهلنا قدموا هذه المساحة من الأرض، أو هذه العطية، فكان أن أخذها الجدد ووزعوها دون

* دير مار الياس شويا، ٢٠٠١/٧/٢٠

أن نعرف كيف.

في الأديــرة البطريركــية صـــار كل شيء واضحاً. نحن أمناء على ما يقدمه أبــناؤنا، ولن يتلاعب به أحد ما دمنا أحياء. هذا ما أحببت أن أقوله، أيها الأحباء، لأن القضية ليست ما نعمله نحن فقط.

البعض يظن أنه إذا كانت لدينا أوقاف اليوم، فإنه يمكننا أن نتصرف بها. هذا غــير صحيح. يمكننا أن نستثمرها، لكن لا يمكن أن نتصرف بها، لأن الذين سيأتون هــم مــثل الذين يعيشون اليوم. ستكون لهم حاجات، وستبقى الحاجة إلى أوقافنا، والذي ليس عنده أوقاف ليس عنده شيء. الأرض هي من أهم الأشياء التي يمكن أن نحافظ عليها. الذين سيأتون من حقهم أيضاً أن يجدوا كنيستكم عندها زاد لحاجاتهم، لا أن تقول الكنيسة في الغد: لم يبق عندنا شيء نقدمه إلى الجيل الجديد.

سيدنا الياس ساهم كثيراً لتبقى الأرض لمار الياس. ونحن نصارع مع سيدنا الــياس، ليعود إلينا ما صار ملكاً لسوانا في وقت من الأوقات. ومن نحن؟ يعني أنتم. نحــن نصـــارع لكــي يعود إليكم كل ما قدمه آباؤكم وأجدادكم لأبنائكم الذين سيحتاجون إليه في المستقبل والذين إن شاء الله، سيزيدونه أيضاً.

أذكــر والدَي سيدنا الياس اللذين كانا هنا. أذكر أباه وتكون علينا النعمة عظيمة جداً إذا ارتضى الله أن يرسل لنا جميع الكهنة على شاكلة ما كان عليه والده. لقــد كـــان بركةً في هذا الدير، كما كانت أمه، والآن هو يجيش كل الأسرة لكي تكــون خادمة في هذا الدير، فإذا وجدتموه يُصلّح فهذا ليس من طريق المصادفة، وإذا وجدتموه نظيفاً، فهذا ليس مصادفة أيضاً. يجب أن تكون هناك أيد تعمل، لكي نحصل على هذه النتيجة.

نحن اليوم في دير نظيف، في دير جيد، في دير نفتخر به، ولا نخشى أن نستقبل فيه كائناً مَن كان، لا نخشى أحداً على الإطلاق.

إن أديرتـــنا وأوقافنا هي باسمكم أنتم، ليست باسمنا نحن. واعلموا أن ما يُعمل في هـــذا الديـــر وفي سائر الأديرة وفي كل الأوقاف يُعمَل لكم لأنكم أنتم سترثونه ولأنكم أنتم تملكونه. انظروا في أوراق "الطابو" لتعرفوا باسم مَن هي، انها ليست لزيد أو عمـــرو من الناس. أقول هذا القول، أيها الأحباء، لأكرر أننا اليوم نفتخر كثيراً بما حصل في هذا الدير.

في هذه المناسبة نحن نفتخر بأن نعايد سيدنا، ونعايد كل معاونيه، وكل الذين يشعرون أن ديرنا وأن أوقافنا هي لكل واحد إلا لنا نحن. الأوقاف هي لكم كلكم ما عدانا نحن. نحن وظيفتنا أن نخدم ولن يبقى لنا شيء. الكل سيبقى لكم، ونحن سنبقى إن شاء الله حراساً على ما هو لديكم إلى آخر نسمة من نسمات حياتنا.

أيها الأحباء، أكرر شكر سيدنا الياس، لأنه يحافظ لكم على ما يخصكم. هذا عمـــل شريف وأداء للأمانة كما يلزم. أيها الأحباء، ليس من طريق المصادفة أن نجد اسم الياس ملتصقاً بأبنائنا أكثر من الكثير من بقية الأسماء المباركة. أود أن أذكر لكم شـــيئاً بســـيطاً عن الياس، لأننا نحن، وهذا انتقادي لكم، لا نقرأ كفاية، ولا نطلع كفاية. وغيرنا يعرف عن أنبيائنا وعن كنيستنا وعن قديسينا أكثر مما يعرف الكثيرون مـــنا، وهـــذا لا يجوز. عليكم تصويب هذا الأمر، عليكم فتح الكتب وقراءة العهد القديم، والعهد الجديد.

أقول ما يلفت النظر في النبي الياس أنه كان فقيراً، لم نسمع عن نبي أنه كان يمتلك قَصراً، أو كان عنده بيت، هذا لم يكن موجوداً، وإذا قرأتم ستعرفون هذا الأمر معرفة دقيقة.

هـــذا الإنسان كان يقاوم، بالكلمة المألوفة بيننا. أيها الأحباء، الآدمية تقاوم كثيراً وإذا كانوا مثلاً صادقين، فالصادق حظه ليس كبيراً في مجتمعنا، ولكن هل يجب أن يستسلم الصادق للكذب إذا كان غير محظوظ؟

تتعلم من النبي الياس أن لا تيأس: إذا كنت لوحدك فقط وكنت متكّلاً على

الله الصادق فلن يتغلب عليك أحد. قد ينتصر عليك بأشياء ثانوية، أما أمام الله وفي وجه الحقيقة والأخلاق الطيبة، فلن ينتصر عليك أحد.

يجب ألا نخاف إذا كنا نحمل الحق، نحمل الحقيقة، نحمل الصدق، فنحن أبطال، والأبطال أين يعرفون؟ يعرفون في ساحة المعركة عندما يكونون معرضين للموت أكثر من غيرهم. الأبطال لا يعرفون في الصالونات وما شابه ذلك.

أيها الأحباء، لم يكن حول النبي الياس أحد، السلطة الرسمية كانت ضده، والكهنة كانوا ضده، والإله الذي كانوا يعبدونه لم يكن الإله الحقيقي. أتصور أنه كان يتألم كثيراً عندما يرى الناس يسيرون في طريق الضلال ولكن ما العمل؟ العمل هو التحدي. يجب أن يتحدى الإنسان الشر لكي يغلبه، وسيغلبه. النبي الياس لم يجد معه إلا الله، وكان هو مع الله. وعندما اجتمع مع الكهنة الذين يعبدون البعل. وهذا إله فينيقي يعني أنه من هنا، ونحن صدّرنا الكثير من الآلهة الكذبة، النبي الياس أتى إلى مقربة من صور، كان هنا أيها الأحباء، وذهب من هنا قوياً إلى رأس ذلك الجبل، وقدّم ذبيحته وقال: يا الله، يا الله، إذا كنت أنت الإله الحقيقي، فلتنزل النار وتحرق هذه الذبيحة، وهكذا كان. ولكن ما الذي لم يقله النبي الياس؟ لم يقل يا رب قوّني حتى "أتفاخر على الآخرين" بل قال: يا رب قوني «حتى يعرفوا اسمك».

النبي الياس يقول لنا في هذا اليوم المبارك: لا تنس الله في حياتك، ودعْ الناس يمجدون الله في حياتك «ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذي في السموات». لا كبرياء في المسيحية، بل الإيمان بالله الواحد الأحد. هذه هي رسالة النبي الياس، وإن شاء الله تكون في قلوبنا جميعاً، ولا نتذكرها فقط في الساعة التي نحن مجتمعون فيها، ولكن في هذه الساعة، وفي كل ساعة إن شاء الله، وإلى السنة المقبلة بعون الله تعالى.

مريم المجدلية: قدوة*

يـــا أحـــباء، اليوم لم نذكر كثيراً اسم الذين نعيد لهم. اليوم نذكر بصورة خاصـــة مـــريم المجدلية. مريم المجدلية هي سيدة متميزة جداً، مشهورة اسمها بارز في الإنجـــيل المقدس ويصفها بأنها كانت خاطئة ومتفلتة من القواعد الأخلاقية. قد تكون لم تر في هذا العالم أفضل مما فعلته ففي دنيانا الكثير من الكذب، في عالمنا الكثير من الغش. رأت هذه الأشياء فغرقت فيها ولكنها لما عرفت الأفضل، فضلته على الأشياء الدنيا.

هـــنالك الكـــثيرون يمـــرّون في حالات صعبة ويرون الأحسن ولكنهم لا يفضلونه على الحالة الصعبة التي يمرون بها.

تتميز هذه المخلوقة الطيبة، المخلوقة الجميلة، والتي كانت تعيش حياة صعبة جـــداً بأنهـــا كانـــت تعيش في الظلمة ولكنها لما رأت النور أحبت النور وهي التي يصورها الفنانون ويصفها الكتاب بأنها عندما شاهدت المخلص التصقت به وتركت كل شيء وتبعته.

نذكـــرها الـــيوم ولم نذكر الجماعة التي كانت تعيش حياة رغدة وهنيئة. بالطبع هؤلاء قلة في العالم. في العالم نتكلم عن الخطيئة ونحن كلنا خطأة ونطلب من الله الـــرحمة لأنه لا يوجد كبير على الخطيئة. نحن المؤمنين المسيحيين الأرثوذكس لا نُغَـــش بأحد. ونعرف أنه ليس مستبعداً على أحد أن يقع في الخطيئة إذا تعرض لها. ولكننا تعمدنا باسم المسيح تعمدنا على اسم الآب والابن والروح القدس.

الـــناس يتحدثون عن اللحم وعن العظم وعن الشهوات. كل هذا غُطِّس في مـــاء المعموديـــة ودخل فيه الروح القدس وكله مُسح بالميرون لذلك أصبح كله نقياً

---

* ٢٠٠١/٨/١٢

وعليه يطلب إلينا بعد أن تنقينا أن نحب هذه النقاوة.

اليوم نذكر مريم المجدلية لا لنشمت بها ونتفاخر عليها هذا الفخار الكاذب. ليس كذلك. نذكرها اليوم لنعرف أنه لا أحد يَفْضُل أحداً في هذا العالم إلا الذي يقع ولكـــنه يجب أن ينهض من وقعته. وكذلك الذي كان يعيش في الظلمة فرأى النور وتبعه أو الذي يعيش السوء ويرى الفضيلة فيتبعها بقوة الرب يسوع.

يا أحباء، نحن نذكر هذه المخلوقة التي كان الناس يشكون بأنه من الصعب جداً عليها أن تخرج من الحفرة التي وقعت فيها.

نحـــن نتعـــلم اليوم أن الخطيئة كبيرة وضاغطة وأن الشيطان ماهر في عمله ولكـــن رحمة الله أعظم بكثير من كل الخطايا. وعندما نصلي فإننا نطلب الرحمة من الله. ارحمني يا الله بعظيم رحمتك والترجمة هذه خاطئة والأصل هو ارحمني يا الله على قدر ما هي رحمتك كبيرة (عظيمة). ارحمني يا الله رحمة توازي عظم رحمتك وهذا هو المعنى الحقيقي.

يا أحباء، نتبارك اليوم عندما نذكر اسم التي أحبت المسيح لمجرد رؤيته. ونحن مهما شاهدنا في هذا العالم وأحببنا فليبق حب المسيح هو الأول والأكبر. وليكن دائماً قائدنا في حياتنا ومحبوبنا.

اليوم تذكار مريم المجدلية هذا التذكار يقول لنا إن الله فوق الجميع وعلينا أن ننظر إليه وأن نراه ونحبه.

الكنيسة أمنا*

اليوم، يا أحباء، في هذا العيد الشريف، عيد ولادة السيدة العذراء من أبويها يواكيم وحنة، أول ما أُفكر به هو أن نشكر الله على اجتماعنا هذا الاجتماع الحلو. لذلك أعايدكم جميعاً، وأُعايد بصورة خاصة رئيسة هذا الدير وبناتنا الراهبات اللواتي لولاهن لما كانت هذه الكنيسة كما تَرون، ولما كنتم سمعتم ما سمعتموه، ولما حافظ الدير على شهرته والصفات التي يعرفها العالم كله.

الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة فخورة بأنها إذا لم يكن عندها الشيء الكثير حتى تفتخر به إذ نحن جماعة بسطاء وكلنا خطأة نعترف بخطايانا أمام كل الناس لكنها بالفعل ليست مجرد مجموعة من الخطأة بل تضم أيضاً بقعاً من القداسة، ودير صيدنايا هو إحدى هذه البقع. كما أنه يوجد بيننا نحن الخطأة، مَن وهبهم الله روحاً طيبة، روحاً قدوساً، بقطع النظر عن أعمارهم أو جنسهم. عيدنا كبير إذن بنعمة الله. عيدنا كبير بهذا الدير المقدس. عيدنا كبير برهباننا، براهباتنا في هذا الدير اللواتي يسهلن لنا كل شيء لإقامة مثل هذا العيد.

هذا العيد كالشمعة التي لا تضيء بعيداً. لذلك فالناس لا يعرفون المعنى الحقيقي لهذا العيد. ولكن كيف نرى هذه الأهمية؟ في عيد ميلاد السيدة العذراء، ولدت طفلة من أبوين هرمين وكان يقال إنهما عاقران. والعقر كان كارثةً وعاراً بالنسبة للرجل والمرأة. ونحن نعلم أن يواكيم وحنة كانا يهوديين، واليهود ما كانوا يحبون أن يكون مولودهم أنثى، والصبي هو من كان يُفرِح الأهل والأقرباء. ولكن يواكيم وحنة فرحا بالطفلة على عكس التوجه العام في مجتمعهما. لماذا؟ لأنها جاءت بنعمة استثنائية من الله. ولم يكونا يخجلان بطفلتهما. ونحن حتى الآن نحمل هذا

---

* كنيسة دير سيدة صيدنايا، عيد ميلاد العذراء، ٢٠٠١/٩/٨

الإرث، والإنسان يفتخر بأن يكون ولده البكر صبياً فيتكنى به وليس أنثى.

الكنيسة اتخذت هذا العيد لتقول لنا فيما تقوله وكما يقول بولس الرسول: أولاً إن الكل واحد في المسيح، لذلك فالمعمودية واحدة للطفل الذكر أو الأنثى وتتلى لهما الصلوات نفسها، ويتناولان جسد ودم المسيح الكريمين بالطريقة ذاتها. لذلك فليُفهم أولاً أننا في الكنيسة لا نميز بين الجنسين. وإذا كان غيرنا يميز فهو حر. فنحن لا نميز لأن الله هو الذي يخلق هذا وتلك، وليس عندنا مخلوق من الدرجة الثانية.

ثانياً، نتكلم عن العذراء في الكنيسة، والعذراء امرأة في مجتمع لا تظهر فيه المرأة في البيت ولا تجالس أحداً وإذا تكلمت فبصوت منخفض. ومع ذلك فإن ما سأركز عليه الآن هو تكريم العذراء لكي أقول إن العذراء ليست شيئاً ثانوياً إطلاقاً. أكبر حدث إلهي في العالم هو تجسد ابن الله الوحيد، وهذا التجسد حصل بواسطتها، إذاً هي الواسطة لأكبر حدث خلاصي، كما نقول، لذلك فهي ليست ثانوية في شيء.

ثالثاً، العذراء أم. وعندما تتكلم الكنيسة عن الأم فكأنها تقول بأن الكنيسة هي أم. الكنيسة أم لأننا جميعاً أولاد الكنيسة. إذاً هي الأم وكل واحد منا ولد لها. هذه هي الأم الكبرى، ولذلك فالذي يوحد في البيت، في الأسرة، أكثر من أي شيء آخر هو الأم. لذلك فالكارثة تكون خفيفة إلى حد ما إذا فقدت أسرة رب البيت. غياب الرجل لا يفتت العائلة، ولكنها تتفتت حتماً إذا غابت الأم ويصبح كل واحد في طرف.

تقولون ما العلاقة بين الكنيسة وبين الأم؟ بفقدان الأم تتفتت العائلة، أما الكنيسة فماذا يحدث فيها؟ لاحظوا أننا نحن قد نختلف في المسيح وقد نختلف في الثالوث، ولكن الخلافات الكبرى تقع في مستوى الأم، في مستوى الكنيسة. الناس مختلفون حول كنائسهم ولكن ليس بالضرورة حول إلههم. لاحظوا أن الذين لا

يعتقدون بالعذراء هم تماماً كعائلة بدون أم ترعاهم ولذلك هم مشتتون. عندنا شواهد كثيرة، إذ توجد المئات من الهيئات المدعوة بالكنائس لا يعترف بعضها بالبعض الآخر لأن ليس لها أم واحدة تجمعها.

وأخيراً ما أود أن أقوله لكم هو: لماذا ترفض بعض الكنائس السيدة العذراء؟ والجواب: ذلك لأنها لا تعتقد أن الروح القدس يمكن أن يُقدس هذا الجسد ولا تعتقد بأن السيدة العذراء، لأنها امرأة ولأنها حبلت وولدت، تستحق أن تكرّم. ولكن لماذا هذا الاعتقاد؟ أليس الله الواحد الأحد هو الذي يخلق الإنسان بكامله؟ هل هنالك إله يخلق الجسد وآخر يخلق الروح؟ لا. واحدٌ هو الذي يخلقهما. لذلك تدعو كنيستكم إلى أن تنتبهوا إلى أن القداسة ليست بالكلام وحده وليست بالفكر أو بالنيات وحدها.

إذا كانت هذه اليد ليست نقية وتمتد إلى كل الموبقات فصاحب اليد كله يُدان. وإذا كانت هذه العين لا ترى في الناس إلا الشر فالأحرى بها أن تكون مغمضة. وإذا كان هذا القلب لا يجد إنساناً يستحق أن يُحَب فهذا القلب قُدَّ من حجر. في هذا العيد نعرف أن الولادة ليست شيئاً سيئاً وأن الجسد ليس شيئاً سيئاً بحد نفسه. نحن الذين قد نجعله سيئاً. وكما لو كان بيدك صليب فبه يمكنك أن تبارك وبه يمكنك أن تفج رأس إنسان وتؤذيه. الأذى والشر هما فينا نحن وليس في اللحم والعظم، أيها الأحباء.

هذه بعض النقاط التي وددت، هذا الصباح، أن ألفتكم إليها. ومن أجلها جميعاً نُعيد اليوم. لذلك قلت إنه عيد كبير.

وكما قلت في البداية أقول في النهاية: بهذا العيد أعايدكم جميعاً وأعايد أسرة هذا الدير المباركة، جعل الله أيامكم كلها قداسة وبركة. آمين.

الاستقامة خطنا*

اليوم، يا أحباء، نذكر الآباء القديسين، كثيراً ما يسألني المؤمنون عن الآباء القديسين. الآباء القديسون كتبوا عن أشياء كثيرة وقالوا أشياء كثيرة. هؤلاء منهم من مات جوعاً ومنهم من سجن والبعض خالف الملوك ووقف في وجه الأقوياء. وكانت النتيجة الموت استشهاداً. لم يمت أحد من الرسل القديسين على فراشه. ماذا فعل هؤلاء؟

عندما كان الرب يسوع يبشر ويقول «اليوم صار الخلاص للعالم» «توبوا فقد اقترب ملكوت السموات» ويجب أن تفضلوا الحسن على السيئ. لا نستغرب أن نجد بشراً يقولون له: البشر هم بشر أولاً وآخراً، تكلمهم في الشرق فيجيبونك في الغرب، تطلب منهم عمل الخير فيفعلون الشر فالأسف كل الأسف على الوقت الذي تضيعه في الحديث معهم. وهذا ما نصادفه كثيراً في حياتنا فإذا وجد شاب يحاول أن يدل رفاقه على الصحيح فيكون جوابهم إن العالم يسير في الاتجاه المخالف فلماذا التعب. وإذا سيدة اعترضت على طريقة حياة الكثيرات ممن يعشن الآن يكون الجواب نريد أن نعيش حياتنا وأنت «موضة» قديمة.

ولكن كان للرب يسوع جواب على كل تساؤلات هؤلاء فقال: كل من يود ان يجني الثمار عليه أن يزرع ولكن خلال زراعته للحبوب فلا بد أن يتبدد البعض منها ويضيع بدون فائدة ومع ذلك فإنه يزرع ويعرف جيداً أن ليس كل ما زرعه سينتش ويعطي نتيجة، ولكنه يستمر في زراعته على أمل أن يكون جزء من البذار يعطي ثماراً جيدة. وهذا لا يعني أنه ما دام هنالك أناس سيئون فيجب أن نبطل فعل الصلاح.

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، أحد الآباء، ٢٠٠١/١٠/٧

كـــيف نعيش اليوم في هذا العالم. المسيحية ليست أقدم ديانة في العالم وأن أتـــباعها يـــزدادون يوماً فيوماً. هذا ليس صحيحاً في الواقع. ولكن هل يعني هذا أن نطـــرح إيماننا جانباً؟ الرب يسوع أجاب عن هذه الناحية فقال إذا كان التوجه العام نحـــو السيئ فهذا لا يعني أن تنساقوا في التيار. لا، أنتم كالخميرة الصغيرة في حجمها ولكنها توضع في العجنة فتخمرها كلها.

وهـــذا يعني أنكم ستبقون قلة ولكن تكلم وافعل الحسن وليكن قلبك قوياً لأن المؤمـــن الـــذي يفعـــل الخير يكون قلبه قوياً. فإذا كان المؤمن يعلن إيمانه بتردد وخوف فلن يصدقه الناس.

المؤمـــن شجاع، المؤمن قوي، المؤمن يواجه ويعلن خطه بصراحة ولا يخاف مما سيحصل. هكذا فعل الرب يسوع. كان أحياناً لوحده وحتى آخر أيامه نحن نعلم أن تلامـــيذه لم يكونوا جميعاً مؤمنين به تمام الإيمان وهم كما نعلم اثنا عشر وذهب واحد فبقوا أحد عشر. وهؤلاء حسب رواية الإنجيل لم يصدقوا موته حقاً ولا قيامته الحقيقـــية. ولكـــنه بقي على مسيرته. ومن ثم بماذا بشرنا؟ لقد قال لهم ابن البشر ـــ وهـــذه تســـميته لنفسه ليبعد عنه صفة السحر ـــ قال لهم سيذهب ابن البشر ولكنه ســـيعود وفي عودتـــه لن يجد كل الناس قديسين بل سيجد الذين يحبون الله قليلين. وعـــندما ســـألوه هل سيزداد عددنا أجابهم ليس هذا هو المهم في هذا العالم المهم أن تكونـــوا الخميرة الصغيرة توضع في العجنة الكبيرة وأن تؤثر الخميرة في العجنة وليس العكـــس. هذا هو المطلوب من كل منا، يا أحباء. رسالتنا في الإنجيل تقول يجب أن نسير دائماً مستقيمين.

اللهم اجعلنا أبناء السلام*

اليوم، يا أحباء، سمعنا في الإنجيل المقدس كيف أن الرب يسوع كان ماراً في الطريق فرأى جماعةً تحمل نعشاً. هذا النعش كان لشاب. والموت للشاب يحمل معنى خاصــاً أنه يؤلم لأن الشباب إجمالاً ليس فترة الموت. إذا سمعنا أن إنساناً بعمر متقدم قــد مــات فإننا لا نجد كثيراً من الصعوبة في قبول ذلك لأنه ليس إنسان يولد ولا يموت. كلنا نعرف بأننا ولدنا بالطبع وسنموت حتماً يوماً ما. غير أن حصول الموت في أوقــات أخرى مثلاً في سن الشباب هو غير حصوله في وقت الشيخوخة. كانوا يــنوحون وكان الشاب ابناً وحيداً لأرملة، يقول الإنجيل المقدس. وهذا شيء محزن بــالفعل جداً، أرملة ليس لها في هذا العالم سوى هذا الابن، هذا الشاب. ماذا كانت تبني عليه من الآمال؟ كانت تتوقع أن يحقق آمالها وأن تفتخر بوجوده، تتوقع أن تفرح بــه فتراه هو أيضاً يؤسس أسرة جديدة ولكن فجأة يأتي الموت ويبدد هذه الأحلام كــلها. الرب يسوع أتى بقدرته الإلهية ومد يده وأقامه من بين الأموات وكان ذلك تعــزية للأرملــة، وفي الوقت ذاته برهاناً على ماهيته أمام الشعب الذي كان يبكي والــذي كان يحمل النعش. إذاً أظهر نفسه أمام الشعب، وأظهر نفسه في حالة صعبة جداً هذه الحالة هي حالة موت شاب لأرملة.

الكــثيرون يقولون إن الإنجيل لا يتكلم كثيراً عن السيد، وإن السيد في كثير مــن الأحــيان، لا يعلــن ألوهيــته. كانت خطته أن يفعل الأفعال التي يفعلها أبوه الســماوي لا أن يملأ الدنيا مواعظ ولا أن يتكلم كثيراً عن ذاته. لم يكن يتكلم كثيراً عن ذاته، لكن الأعمال التي كان يعملها أعمال لا يمكن لأحد أن يقوم بها إلا إذا كان الإلــه بــالذات. وبالنسبة إلى الموت لا يمكن أن يحيي الإنسان الميت إلا الذي أعطاه

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، الأحد ٢٠٠١/١٠/١٤

الحياة أولاً. هو أعطى الحياة أولاً فولد وهو يُعيد إليه الحياة بعد الموت إذا كان بالفعل إلهـــاً. أيهـــا الأحـــباء في هذه الأيام نسمع كثيراً عن الموت، نسمع بالقتل، نسمع بالاغتيالات، نسمع كل ذلك. في كل يوم نتذكر أن الموت ليس فينا لأننا نكبر ولأننا نقترب من الموت في كل يوم. نبتعد عن الحياة البارحة ونقترب من الموت غداً نسمع كثيراً كيف أن الناس يموتون. آفة الحياة هي الموت. الآلام وكل ما يمر به الإنسان إذا لم تكن توصل إلى الموت تكون تقريباً كلا شيء. الموت هو القضاء الذي أخذناه في هـــذا العالم بعد السقوط وبعد أن صِرنا بين مجيء الرب وبين قيامته. نسمع اليوم بهذا الأمر، ويتفنن الناس بالقتل.

طـــرق مـــتعددة من أجل القتل ونحن قريبون من مكانه، أيها الأحباء، فيه نســـاؤنا يفقـــدن أولادهن، يفقدن أزواجهن. ما أبشع الحرب، الحرب لم يكن يوماً مـــباركاً لكن في عالم الخطيئة الإنسان عدو للإنسان وليس للإنسان عدو إلا الإنسان الآخـــر. الـــيوم أذكر أننا في حرب خسرنا فيها من أولادنا كثيراً، خسرنا من أرض الـــبلاد ولا نزال محتلين حتى هذه الساعة وإني أذكر أيها الأحباء أنني في الحرب التي مضـــت كنت في مصر وذهبنا إلى ضفة ترعة السويس ووقفنا في المكان الذي حصل فـــيه عبور الجيش المصري إلى الجيش الإسرائيلي الذي كان يحتل الضفة الأخرى من ترعة السويس. كيف قطع الطريق؟ بالسر في يوم عيد عند اليهود أقيم جسر متحرك وهـــذا الجسر اجتاز عليه الجيش المصري ثم وضعوا الرجال على الشاطئ وذهبوا وإذا بـــنا نحـــن فـــيما يسمى بخط بارليف، أنتم لا تعرفون خط الدفاع. خط الدفاع من الخطوط التي يقيمها الناس للدفاع وهي مكلفة أكثر من الأشياء التي ينشئونها من أجل الســـكن العادي. هناك دخلت في السراديب وكان فيها كل شيء كانت فيها أقنية للـــنور، أقنية للماء، أقنية للهواء، فيها قاعات وكأنك تعيش في مدينة ثانية، هذا كله ضـــربه المصريون وهرب منه الإسرائيليون ولم تنفعهم أسلحتهم بشيء. اليوم نذكر بصـــورة خاصـــة تلـــك الحرب ونقول ما أبشع الحرب أجارنا الله من الحرب ومن

شرورها.

اليوم نحن مهددون، الناس يصنعون الأسلحة أكثر مما يصنعون لكم الطعام. لماذا يُصنع كل هذا؟ لا لكي يوضع للعرض ولكن لكي يقتل الناس به بعضهم بعضاً. نحــن مهــددون ونحن محاطون بجماعة لا تحبنا، بجماعة تُعادينا، بجماعة تحتل أرضنا وإخوتنا الفلسطينيون يرون بأم العين البيت الذي كانوا يسكنونه يقطنه جماعة غرباء فيما هم مرميون في الطريق. تصور هذا الإرهاب الفكري الذي يتسلط عليك عندما تكون ترى بيتك معتدىً عليه محتلاً وأنت لا يمكنك أن تفعل شيئاً.

نحن اليوم نسأل الله أن ينجينا من الحروب ومن شرورها. في بلدنا هذا ونحن كما قلت مهددون مثل سائر الناس. عندنا بعض الضمانات وليس كل الضمانات أن الحــرب لن تنتصر علينا إذا ما حدثت. نسأل الله ألا تحدث. هذه الضمانات عندنا، تتمــثل بالدكــتور بشار، رئيس الجمهورية. نحن لا نزال نعتقد أن الإنسان إذا كان صالحاً فهو نعمة من الله. الدكتور بشار لم يقتل أحداً و لم يتعدّ على أحد وهو آت إلى الحكم لكي يحول الحكم من مكان للاعتقالات من مكان للإرهاب إلى مكان يتعرّف الناس فيه بعضهم إلى بعض ويعيشون في سلام ويتعودون حب السلام أيضاً.

نحــن الــيوم نسأل الله تعالى أن يقوي الرئيس، رئيس الجمهورية، الدكتور بشار ونسأل الله أن يحفظه ونسأل الله أن يُعينه على المصاعب الكبيرة التي تواجه كل مســؤول وتواجهه هو بصورة خاصة. إنه أملنا على الأرض وفي هذا البلد، إنه أملنا ونســأل الله أن يقوي هذا الأمل يوماً فيوماً. إن شعبنا يستحق أن يكون، وأن يأكل هنيــئاً لقمته، لقمة العيش التي يُحصِّلها بتعبه وبعرق جبينه. أيها الأحباء، نحن اليوم نصــلي لكي يتحقق للشعب هناؤه ولكي يتمكن رئيس الجمهورية ذو النية الطيبة أن يحقــق هــذا الهناء لهذا الشعب الكريم، لنصلّ من أجل هذا: يا الله أبعد عنا الحروب واجعل محبي السلام كثيرين واجعلنا نحن أبناء السلام. آمين.

المسيحية بطولة على حسابك*

من الطبيعي، أيها الأحباء، أن أعايدكم أولاً في هذا اليوم المبارك، ومع التعييد أحب أن أشكر هذه الرعية، أشكر راعيها والوكلاء وأشكر جميع العاملين في هذه الكنيسة، والمرتلين، نشكر الله على أننا لا نزال معاً. يا أحباء، حسن أن يعيّد الشعب وأن تعيد الكنيسة لأبطالها كما تعيد الدول وكما يعيد كل إنسان لإنسان متميز، لإنسان بارز. بولس الرسول يقول إنك بمجرد معموديتك أنت مولود جديداً بالماء والروح وأنت متقدس بحلول الروح القدس هذا ينساه البعض منا أننا نحن أيضاً أخذنا الروح القدس بالمعمودية الإلهية وبالميرون المقدس. لكن في المعركة الواحدة يتميز جندي عن جندي أيضاً الكل يكونون في ذات المعركة ولكن البعض يتميز. والقديس عندنا هو من الشعب وعنده الروح القدس مثل كل الشعب لكنه متميز بالنسبة إلينا نحن الخطأة. القديس ديمتريوس فارس، القديس جاورجيوس فارس، فرسان كلهم وروح الفروسية تنتقل معهم لكي تتقدس. القديسون على أنواع كثيرة هذا يتقدس بعمل ما، هذا يتقدس بالصوم والصلاة، وهذا مثل قديسنا يتقدس لأنه يعطي ذاته للآخرين. العسكري لا يُحارب من أجل ذاته، يحارب من أجل الوطن، من أجل البيت، من أجل الكرامة، من أجل الشرف، ليس من أجل ربح خاص لأن حسابه يكون خاطئاً إذا كان يحارب وفي الآن ذاته يفكر بنفسه كثيراً لأنه هل يعرف أنه سيعود حياً من المعركة أم لا؟ لا يمكنه أن يعرف ذلك. لذلك يفكر بالذي سيعطيه لا بالشيء الذي سيأتيه نتيجة اشتراكه في المعركة، أيها الأحباء. لماذا يحارب القديسون عندنا؟ بلغة بسيطة يحاربون لكي يقدموا لله ما أعطاهم الله، نحن لا نخلق أنفسنا، الحياة لا نأخذها نحن كما نشاء ولكنها تعطى لنا. من أين تعطى لنا؟ من خالقها. لذلك فالمتميزون والشهداء يقدمون لله ما أعطاهم الله. في كل حال سنموت

---

* كنيسة القديس ديمتريوس، دمشق، عيد القديس ديمتريوس، ٢٠٠١/١٠/٢٦

في كـــل حـــال هذه الأمانة ستعود إلى خالقها. الأبطال القديسون عندنا لا يتركون عودة هذه الروح إلى خالقها عندما يكونون متنعمين في الفراش ولكنهم يفعلون ذلك في قلب المعركة، وفي قلب المعركة يقدمون ذواقم. ألفتكم إلى شيء وهو أني لم أجد أيقونـــة و لم أقرأ قصة عن أي من قديسينا تقول إنه عندما تعرض للخطر وعندما قُدّم للشهادة ضَعُفَ وبكى. القديس عندنا لا يبكي، القديس عندنا شجاع، القديس عندنا قـــوي، يقـــول مـــثلاً كل الناس سيموتون فالأحرى بي أن أموت لشيء حق لشيء شـــريف لإيمان قويم هذا وكأنه يقبض ثمن موته. ما قيمة الموت إذا كان موتاً عادياً. قديســـنا رجل. غير صحيح أن القداسة في كنيستنا هي أخت الميوعة. حرام أن نقول هذا قديس للكسول وأن نقولها للذي لا يعمل، أو نقولها للشخص الذي يهتم لنفسه. صـــحيح أنه لا يضرّ أحداً لكنه لا ينفع أحداً. القديس عندنا بالفعل هو كائن حي، قوي، يقدم نفسه كالسبع في المعركة. المسيحيون لم يكونوا في حياقم وفي تاريخهم، يتـــبعون المســـيح على أساس أنهم سيكونون سعداء، وسيكونون مرفهين، وستكون حـــياقم ســـهلة. هذا لم يوجد في تاريخ المسيحية وفي الكنيسة: «مَن أراد منكم أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني». الطريق هو طريق الصليب طريق الجهاد طـــريق العمل هكذا يكون المسيحي الحقيقي. نعيّد لفارس، وهناك روحٌ للفروسية، الفـــارس الحقيقي لا يطعنك في الظهر، هذا عيب. أين تكون الفروسية عندما تستغل ســـواك حـــتى يضعف بدل أن تقف أمامه وجهاً لوجه وتمارس أصول اللعبة، أصول الفروسية لأن فروسيتك نفسها عندئذ تكون فروسية ضعيفة. نحن اليوم نعيد لأبطالنا أقول ذلك لأنها نعمة أن يموت إنسان من أجل حق ومن أجل صلاح.

أيها الأحباء، نسمع بالقتل، نسمع بالمذابح، نسمع بالقنابل. على من تسقط هذه كلها؟ على أطفال، على نساء، على جماعة عزل. هذه كلها تسقط على أبرياء. القديس لا يرضى بأن يكون الأعزل والبريء ضحية لأي شيء آخر من أجل ذلك في حياة كل واحد من القديسين وخصوصاً الفرسان بينهم تضحية من أجل شخص كان

مهدداً بالموت. دائماً لا نحبذ ولا نرضى عن أيام نعيش فيها والموت يجابه البريء أكثر ممـــا يجابه الظالم، أكثر مما يجابه قليل الأخلاق، أكثر مما يجابه المستغل للآخرين. نحن نعيش في عصر هذا هو ولو كان القديس ديمتريوس حاضراً لرمى بنفسه لا أدري أين لكـــي يمـــوت هو ويحيا الآخرون. أقول هذا لكي أكرر: أولاً المسيحية ليست ديانة نَوح، وليست ديانة بكاء إنها ديانة بطولة شرط أن يكون سلاحك ذاتك. كل واحد يمكن أن يكون بطلاً على حساب الآخرين، المسيحية بطولة على حسابك أنت وهي التي تظهر من أنت وهي التي تظهر حبك للتضحية وللعطاء.

يجب أن أصوم يجب أن أصلي يجب أن أقوم بأعمال حتى أنال الملكوت هذا جـــيد ولكـــنه وحده لا يكفي. في يوم الدينونة سيسألك الديّان العادل الرب يسوع الآتي مجـــدداً عمـــا فعلت بأخيك؟ إن قرأتم الإنجيل ويجب أن تقرأوه فستجدون أن الإنســـان يقف أمام الديان في الحكم فيقول له ماذا فعلت بأخيك؟ ولن يسأله كيف حـــالك إطلاقاً؟ يا أحباء، في أعياد كهذا العيد العظيم نتذكر أشياء قد ننساها عندما نغرق في اهتماماتنا. لا ننسين أن المسيح ذهب إلى الصليب وكأنه ذاهب ليقدم شهادةً وهو فرح، أخذوه فلم يبك أخذوه، فلم يضعف، ولكنه قدّم نفسه من أجلنا نحن، هو بطلنا الأول. وقديسونا هم الأبطال الذين أحبوه وتبعوه.

يا أحباء، عيداً مباركاً إن شاء الله.

✞ ✞ ✞

رسالة في الصوم*

السادة الإخوة الأجلاء

سـلام إلـيكم و إلى الإخوة العاملين معكم والمؤمنين فيما يحل علينا صيام الميلاد المبارك ونحن مشدودين إلى رؤية الطفل الإلهي مخلصاً وسيداً على حياتنا كلها.

في البلبلة الكبرى العاصفة في العالم اليوم، أمام الجوع والفقر والضلال العميم سوف ندخل في جهاد الصوم وقلوبنا مخطوفة إلى الذي "هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكـل وهو رأس الجسد الكنيسة الذي هو البداءة بكر من الأموات لكي يكون هو متقدماً في كل شيء" (كولوسي١:١٧-١٩).

هذا العالم المضطرب لن يخرج من ويلاته وشقائه إلا إذا آمن بأن الملاك الذي تراءى لرعاة بيت لحم قال قولين مترابطين: "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام" (لوقا٢:١٤). فعبثاً يحاولون سلاماً ليس الله سيده. وإلى هذا لن تكون سيادة الله علينا يقيناً فينا ما لم نحاول بناء السلام حولنا وفي العالم.

هـذا يعني أن نجاهد النفس أولاً لتكون صادقة حين تقول إنها تحب المسيح. المجاهَدَة تتطلب صلاة حارة دائمة، وتتطلب بآنٍ خدمة المعذبين والفقراء. خدمتنا هذه تنـبع مـن كوننا نحس بحاسة الجميع ومن كوننا "نواظب في الهيكل بنفس واحدةٍ" (أعمال٢: ٤٦).

أمـام ضخامة هذا الوجود وكل ما يرهب فيه، نحن أقوياء بما ينـزل علينا مـن نعـم السماء. هذا الطفل الصغير المطروح في مذود كان أجمل ما في هذه الدنيا وتاريخهـا ونحن ببهائه ووداعته ولطفه نحيا. ولهذا تصح دائماً الكلمة الإلهية التي قالها

---

* عظة بمناسبة بدء صوم الميلاد، تشرين الثاني ٢٠٠١

السـيد لتلاميذه ولنا من بعدهم: "لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت" (لوقا ١٢:٣٢). ومَن له الملكوت عنده كل شيء.

عـيدنا المقـبل نعمـة. ينبغي أن نجعله شهادة والتفافاً حول المسيح باقتبال حضوره فينا على الدوام. الله ظهر في ابنه ليبقى. ولن يبقى إلا بطاعتنا له.

رجائي إليه فيما الموسم مقبل أن تصير نفوسنا مريمية. فإذا طهرنا ذواتنا كما كانـت أم يسوع، واقتبلنا الزرع الإلهي، يمسي كل واحد منا مريماً إذ يلد المسيح في العـالم. إنـه ينتظر أن يولد ليس فقط في قلوبنا ولكن أن يخرج منها إلى هذا العالم ليحوله مسكناً لله.

ألا ألهـب الـرب صدورنا حباً للفادي وألقانا على صدره الطيب فنسمع نبضات قلبه ولا نسمع سواها.

كان يسوع الظاهر في ألوهيته وإنسانيته لنا مضيئاً نفوسكم وأجسادكم بكل نعمة ومتّعكم بالعافية والسلام والرضاء أبداً حتى إعلان مجده.

✠ ✠ ✠

الملاك رسول الله إلينا*

كل عيد وأنتم جميعاً بخير، اليوم، أيها الأحباء، من الحسن أن نفكر بالملائكة وعـــيد الملائكة. عادة نفكر بالبشر نفكر بالقديسين، نفكر بآباء الكنيسة، نفكر بالله تعـــالى، ولا نفكر كثيراً بالملائكة، القليلون يتكلمون عن الملائكة. اليوم سنتكلم عن الملائكة بمناسبة هذا العيد المبارك.

المـــلاك من المخلوقات يعني أنه ليس مثل الله خالقاً بل هو مخلوق كما نحن مخلوقـــون. لكـــن إذا نظرتم إلى الصور التي يُصور بها الملائكة لوجدتم أن لهم أجنحة وعندهم جسد، لكن جسدهم خفيف. نحن جسدنا غير خفيف، جسدهم خفيف لا يـــأكلون ولا يشـــربون وليست عندهم ملابس ولا يمرضون. جسدهم مختلف عن جســـدنا الـــذي يكلفنا الكثير من الجهد ومن التعب إذ اليوم نمرض وبعد قليل نجوع وبعـــد قليل نبرد. هذا لا يعيشه الملائكة، الملائكة جسدهم خفيف. بعدئذ يقول لنا الكـــتاب إن عندهم أعيناً كثيرة، أكثر من عينين اثنتين، عيون متعددة نحن بعينينا لا نرى إلا ما هو مواجه لنا وهم يرون في كل الاتجاهات.

كـــلمة ملاك لا تعني الملك بل تعني الرسول. الملاك هو الشخص الذي كما قلت له جسد غير ثقيل والذي عنده عيون كثيرة والذي هو حامل رسالة. الملاك هو حـــامل الرســـالة، هو الرسول. رسول ممن وإلى من؟ هو رسول من الله، من الآب والابن والروح القدس إلينا نحن البشر. ما هي وظيفة الملاك؟ هي أن يحمل الرسالة من السماء إلى الأرض من الله الخالق إلى الإنسان المخلوق لا بل إلى الطبيعة المخلوقة. إذاً هـــنالك ملائكة مرسلة إلينا، أيها الأحباء، أنت عندك ملاك يرسل إليك ويحمل لك شيئاً من الذي خلقك. غير صحيح الظن أنه الآن حولنا لا يوجد شيء. الآن حولنا

* كنيسة مار ميخائيل، دمشق، عيد مار ميخائيل، ٢٠٠١/١١/١١

وعندما تكون في البيت، وعندما تكون في أي مكان فأنت لست وحدك. إن هنالك رسولاً من الذي خلقك يبقى حولك لكي يقول لك إن الله يحبك، لكي يقول لك إذا كنت تنام فالذي خلقك لا ينام ولكنه يبعث برسوله إليك لكي تكون أعين الرسول منفتحة عليك ساهرة عليك.

مـــن هنا، أيها الأحباء: الله لا يترك خليقته. الله لا يفعل مثل أولئك الآباء والأمهـــات مثلاً الذين يلدون أولادهم ويتركوهم بلا عناية بلا تربية بلا أي شيء. يرســـلوهم إلى المدرســـة مثلاً ويستعفون من الاهتمام بهم. الله ليس هكذا الله يعرف وكلـــنا يجب أن يعرف هذا الأمر، إنه يعطينا الحياة ويرافقنا دائماً ونحن أحياء وعندما يـــرفع يده عنا ننتهي. إذاً إذا كنت أحيا منذ الصبيحة وحتى الآن فلأن الله يُرسل إليّ روحـــه القدوس لكي يتركني أعيش. بدون الله لا أحد يمكنه أن يعيش. الملاك ينقل هذه الرسالة ويذكرك بحضور الله معك ويقول لك أنت بدون الله تموت، أنت بدون الله مائـــت. لا تعتز بنفسك ولكن أشكر ربك دائماً لأنه يعتني بك ولو لم تكن أنت تدري.

وهـــذا شيء في غاية الأهمية، لأننا نطبخ لنأكل، نعمل لكي يكون عندنا ما نشتري به من حاجاتنا هذا كله نتذكره كل يوم وكل ساعة، لا بل كل دقيقة. الذي ننساه عادة ولا نذكره كثيراً ولا نذكره لأولادنا كثيراً هو أن الله الذي أعطاك الحياة لم يعطـــك الحياة وينسحب، الله لا ينسحب منك الله يبقى معك ويعطيك الحياة في كل ساعة وفي كل دقيقة. وعندما يسترجع وديعته عندئذ نحن ننتهي من هذا العمر. رسالة الملاك أن يقول لك إن الله يحبك ويبقيك في هذه الحياة.

والآن هـــل يقـــول هذا الملاك شيئاً؟ في بعض الأحيان، يا أحبة، لا نكون أنفسنا في كل دقيقة. فأحياناً أكون غاضباً وأحياناً أكون راضياً، وقد يتملكني التعب أحياناً ومن ثم تجدني مرتاحاً. الواحد منا لا يبقى على الحالة ذاتها في كل وقت ولكن ملاكه حاضر. عندما تقول لقد خطر لي اليوم العمل الفلاني ويكون ذلك العمل جيداً

فـــالذي يحرك فيك هذه الخاطرة هو ملاكك الذي لا تسمعه بهاتين الأذنين ولكنك تســـمعه في قلـــبك وهذا يحدث لكل إنسان منا. الملاك يوحي إلينا بما يريده الله منا، المـــلاك يـــنـــزعج عندما نخالف الله لأنه لا يريدنا أن نفعل ذلك، إذ هو رسول الله أرســـله حـــتى يقول لنا إنك على صورة الله ومثاله وعيب أن ترضى أن تكون على صـــورة غير صورة الله وعلى غير مثاله. عيب أن تكون مثل فلان وفلانة أو حسبما سمعـــت ورأيت في هذا العالم. ما تراه في العالم هو للرؤية فقط ولكن النموذج الذي يجب أن تكونه هو ذاك الذي صورته ومثاله فيك.

لذلـــك، أيها الأحباء، نقول في صلوات نتلوها في غير هذا اليوم إن الملائكة تحســـدنا. نحن لنا ملائكة أما الملائكة فهي غير محروسة كما نحن محروسون. الملائكة ليســـت عـــلى صورة الله ومثاله، أنت على صورة الله ومثاله، أنتِ على صورة الله ومـــثاله. ليتنا، يا أحباء، نعي أننا مكرمون عند الله، أننا محبوبون عند الله. هنا البشر أغبـــياء نحن أغبياء، لذلك نحن لا نكرِّم كما يجب أن نكرِّم. هذا نشتمه، هذا نحتقره هـــذا ننم عليه هذا لا نلتفت إليه. هذه تصرفات نستمدها من الحياة وليس لله علاقة بها. الله يحب كل واحد خلقه وهذا أملنا في هذه الحياة. لأنه ما هو أملنا في الحياة؟ أن يحبنا كل الناس فهذا لن يحصل، أن يحترمنا كل الناس فهذا لن يحصل أيضاً، أو أننا إذا احتجنا شيئاً سنجده حتماً من هنا وهناك فهذا غير أكيد على الإطلاق.

يمكنـــنا أن نحتفظ به هو إذا لم يحبنا أحد، إذا لم يرحمنا أحد، إذا لم يتحنن أحـــد فالله يبقى الوحيد الذي يبقى معنا والذي يكرمنا والذي لم يعطِ أحداً أكثر مما أعطانا. بين الناس البشر غير متساوين، عند الله البشر متساوون كلهم يُخلقون على أساس واحد، الكل. الاختلافات هنا ظاهرة هذا في ثيابه هذا في طعامه هذا في علمه، كـــل هـــذا ممكن ولكنه على الأرض أما عند الله فكلنا على صورته ومثاله. والملاك الرســـول، لكي يسهر على هذه الصورة وعلى هذا المثال ولكي يذكرنا بأن الله يحبنا ولـــو تركك العالم بأسره فالملاك يقول لك إن الله يحبك. ونحن نعرف أن ديانتنا نحن

المســـيحيين تُختصــر بأشـــياء قليلة ليس كل واحد يُطلب منه أن يكون لاهوتياً أو متفلسفاً لكن يجب أن يعرف دائماً أنني أنا أعيش لأن الله يريد، وأنني إذا رزقت لقمة خــبز لأن الله يريد، إذا كان الله وهبني مَن أحبه ومَن يحبني فلأن الله يريد. يا أحباء، الملائكة تقول لنا إن محبة الله لا تتوقف.

عــيدنا اليوم، عيد الملائكة عيد مهم جداً وعيد عظيم جداً. عندما تخرجون مــن هذه الكنيسة لا تظنوا أن حولكم لا يوجد أحد، يوجد ذاك الذي يُرسِل رُسله إلينا. لا يتكلم ولا يمكنك أن تنظره لكنه فاعل وباق معك. الله معكم.

✞ ✞ ✞

الصوم فترة استعداد*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

نحن، يا أحباء، أصبحنا في صوم الميلاد الشريف وهذا يعني أننا يجب أن نكون في حالـــة صوم وأن نتذكر دائماً أن الكنيسة كنيستنا، وأن هذه الصلاة صلاتنا وأن الصوم صيامنا وقد وضعته الكنيسة لكي نصومه نحن وليس غيرنا. إذاً أول شيء يجب أن نعرفه أننا في حالة صوم وأنه يجب أن نصوم وهذا الصوم يختصر بشيء بسيط جداً عملــياً يسمح فيه بأكل السمك والآن يوجد الكثير من الخضار وهذا حسن ومفيد للكـــثيرين الذين يستحسن أن يفقدوا البعض من وزنهم وأن يخففوا العمل في تحضير الطعام. في الصوم عندنا يجب أن لا نتكلم كثيراً عن الطعام. والمستغرب أنه في الصوم عند غيرنا يجري الحديث عن الطعام بكثرة. صومنا حتى لا يهتم الإنسان كثيراً بأموره الدنـــيوية. الإنسان لن يتوقف عن الطعام ولكن يجب أن يكون جو البيت جو صيام وإلا فإنهم يشبون وينسون أن في الكنيسة صوماً للميلاد وصوماً لعيد الفصح. يجب أن ننشأ على هذا الشيء وأنا أؤكد أن أحداً لم يمت من الصوم. يجب أن نحس بأننا نطيع كنيستنا عندما تقول بصوم الميلاد وعندما تحدد لنا نوع الأطعمة.

الســـؤال لماذا نصوم؟ قبل الفصح نصوم لنتألم مع المسيح ولكن بالفعل نحن لا نـــتألم ولا نقصد شيئاً من ذلك. والآن نصوم لكي نفرح بولادة المسيح. وهذا أيضاً غير صحيح. فما هو الشيء الحقيقي. الصيام عندنا نقوم به قبل حدث مهم. في البيت مـــثلاً الذي عنده عرس يكون عنده عمل كثير، ويستدعي انتباهاً كثيراً وهمة كبيرة. كذلـــك في الوفـــاة نجد أن الإنسان رغم كل شيء يحاول شحن نفسه بالقوة لكي يتمكن من القيام بواجبه.

---

* الأحد ٢٠٠١/١١/١٨

الصوم هو فترة استعداد فإذا سئلتم لماذا تصومون فقولوا إننا في فترة استعداد وليس أكثر من ذلك. هذا يحصل عند كل الناس.

الصـــيام فـــترة استعداد. في الميلاد لماذا نصوم وعلام نستعد. يا أحباء، كل المتدينين عندما يتحدثون عن الله يقولون إنه في السماء. لا أحد يراه ولا أحد يعرفه. لذلك لا يمكنك أن تصفه كسائر البشر لأنه ليس منهم. الله روح وليس له جسم إذن ليس له أذنان ولا عينان ولا يمكنك أن تراه.

في إيمانـــنا المسيحي أن الله الذي خلقنا يعلم أننا لن نذهب إليه لذلك هو أراد أن يـــأتي إلينا. ونحن في الصوم نستعد الآن لأنه في عيد الميلاد سيأتي الله إلينا. الله لا يتكبر علينا ولا يبتعد عنا. الله يقترب منا ويأتي إلينا ويحصل ما نسميه بالتجسد. يولد مـــن العذراء مريم التي نتعرف إليها لا لشخصها فقط ولكن لأنه سيولد منها الطفل يســـوع. ونحـــن نستعد لنرحب بربنا عسانا نفعل ذلك بالفعل فلا يأتي هو فيما نحن نهرب منه لتفاهاتنا ولسخافاتنا. وهذا ما نبشر به وما نؤمن به.

نحن نسأل الديانات الأخرى هذا الذي تعبدونه أين هو؟

إذا سئلنا نحن نقول إنه المولود في بيت لحم من العذراء مريم في المكان الفلاني والتاريخ الفلاني وإن ربنا ليس بعيداً عنا. نحن لم نره ولكن غيرنا رأوه وآكلوه وساروا معه. ربنا هنا. الله في السماء والله الذي هو الرب يسوع قادم إلينا وهو آت ليموت عنا.

الله خلقـــنا لأنه يحب أن يرانا، لذلك، يا أحباء، نحن نستعد بالصوم والصلاة وبترتيـــب البيت وتنظيفه وأن ننظف نفوسنا لنكون جاهزين لاستقبال ضيفنا العظيم الـــذي لا يطلب طعاماً ولا شراباً ولا لباساً ولكنه يريدنا نحن. هذا الحدث الذي لا يمكن لأحد أن يفتخر به إلا نحن لأنه أتى إلينا وهو من عندنا الشيء الذي لا يمكن أن يقوله أحد غيرنا. وسنقول لغيرنا أنتم عرفتموه بواسطتنا ونحن من عرَّفكم عليه.

أنا أعلم أن ليس الكثيرون منا يصومون وإني أستغرب لماذا ولكن ماذا يحصل لـــو توقفـــنا عن بعض الطعام. حبذا لو استعملنا عقلنا ووجهنا نظرنا نحو القادم إلينا لنقول له أهلاً وسهلاً.

✞ ✞ ✞

والأغنياء يؤمنون*

بادئ ذي بدء، أيها الأحباء، أود أن أرحب ببناتنا المؤتمرات بالمعنى الإيجابي للكلمة اللواتي كن خلال عدد من الأيام، يبحثن كيف يجب أن تكون المرأة الأنطاكية وبماذا تكون المرأة من الكرسي الأنطاكي امرأةً بالفعل أنطاكية. وكُنَّ يعملن طيلة النهار. نشكر الله أنهن بيننا ونشكرهن ونؤكد أننا نحن مستعدون لاستقبالهن ومن يأتين معهن بكل فرح وفي كل وقت. أهلاً وسهلاً.

شيء ثان أحب أن أقوله اليوم. سمعنا الإنجيل المقدس وأنا أعتقد أن هذا الإنجيل لا يفسر تفسيراً صحيحاً. نسمع منه الكلمة التي تقول: إنه صعبٌ على الغني أن يدخل ملكوت السماوات صعوبة دخول الجمل من ثقب الإبرة. هذه الجملة صحيح أنها قيلت في الإنجيل ولكن لم نذكر ماذا قبلها، وماذا بعدها؟ الذي جاء قبلها هو أن الشخص الذي كان المسيح يخاطبه كان يمتحن المسيح. ولم يكن مؤمناً. أتى مجرباً إياه ولذلك ليس بالتأكيد أن ذلك الشخص كان يريد أن يؤمن بالفعل وإنما جاء لكي يتلاعب على المسيح. هذا أولاً ويبدو أنه هو كان غنياً ولذلك بدل أن يمتحن الرب يسوع امتحنه الرب يسوع فقال له: اذهب وبع كل شيء. لمس الوتر الحساس عنده وهو غناه فقال له: اذهب وبع كل أموالك..الخ هذا الخطاب كان موجهاً له بشكل خاص ولذلك كان امتحاناً.

جاء ليمتحن المخلص فامتحنه المخلص. المخلص نجح في الامتحان ولكن الشخص الذي أتى ليمتحن المخلص رسب في امتحانه. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية: عندنا تصور بأن الغنى فاسد بحد ذاته وهذا غير صحيح. لأن ليس كل غنى ككل غنى. عندما يتكلم الرب عن توزيع الغنى في العالم يقول فلان عنده خمس

* ٢٠٠١/١١/٢٥

وزنات وفلان عنده ثلاث وزنات وفلان عنده وزنة واحدة. لقد لاحظ الرب يسوع أن التوزيع في هذا العالم هو هكذا. وهو ليس أفضل توزيع ولكنه موجود. متى الإنجيلي لم يكن فقيراً، متى الإنجيلي كان جابياً، بعض الرسل الذين كانوا مع المخلص كان بعضهم يملك أكثر من قارب واحد للصيد، معنى ذلك أنه كان عنده عمال. وغير صحيح أن الرب يسوع فتّش لكي يجد فقراء وخطط لذلك. الأمر ليس كذلك لأن الأغنياء أيضاً هم يجب أن يؤمنوا وهم يجب أن ينتظروا ملكوت الله. هذا شيء مهم جداً يجب أن ننتبه إليه.

زكا العشار لم يكن فقيراً، التفت إليه الرب يسوع وقال له يا زكا أنا سأكون عندك في البيت، ومن أولى العجائب التي صنعها الرب يسوع صنعها لقائد المئة. وقواد الجيوش ليسوا فقراء، أيها الأحباء، ونحن نعرف هذا الأمر من واقعنا نحن. إذاً غير صحيح القول إنه بمجرد أن يكون الإنسان غنياً معنى ذلك أن مصيره جهنم ولن يدخل الجنة. البعض عندهم هذا الادعاء ولذلك يقولون بمجرد أن يكون الإنسان فقيراً فهو قديس وهذا غير صحيح. نحن فقراء ولسنا قديسين فليُفهم هذا الأمر. يجب أن ننتبه كثيراً إلى هذا الأمر. وفي الأديرة الكل مبدئياً هم فقراء ولكن ليسوا كلهم قديسين. القداسة ليست في كمية المال التي عندك كبيرة كانت أم صغيرة. وأكثر من هذا في الكنيسة عندما نقيم سر الزواج نصلي من أجل أن تكون خزائنكم مملوءة لكي تتمكنوا من عمل الخير إذاً هنالك غنى جيد غنى صالح وهو الغنى الذي فيه لا تستمر بالأخذ إلى الأبد بل تُعطي وتجود. لا يمكنك أن تجود إذا لم يكن عندك شيء تجود به.

النقطة الثالثة التي أود أن أطرقها هي أننا اليوم نعيد للقديسة كاترينا، القديسة كاترينا كانت صبية ولا يمنعنا شيء من أن نقول إنها كانت صبية جميلة ولكنها كانت غنية، كانت ابنة عائلة غنية وخصوصاً أنها كانت دارسة دراسة جامعية وكانت تحمل شهادات جامعية وكانت تجلس مع الفلاسفة وتناقشهم وتتغلب عليهم في الحوار. يعني أن القديسة كاترينا كانت شخصية قوية جداً مثقفة ثقافة عالية وهذا

يكـــذّب أن القداسة تتنافى مع العلم. هذا مهم جداً، لا يظنن إنسان أن القداسة من شروطها الغباء لا يمكنك أن تكون غبياً ولكونك غبياً فأنت قديس هذا غير صحيح. الكنيسة لا تقدس غبياً، تقدس القديس إن كان غبياً أو غير غبي وتقدس العلماء أيضاً. تذكرون الآباء في الكنيسة القديس يوحنا الذهبي الفم لم يكن غبياً، القديس باسيليوس الكـــبير لم يكـــن غبـــياً كـــان متعمقاً بأرسطو إلى أقصى حد وكان خريج الجامعة ومتخصصاً في حقل الفلسفة أيضاً. كذلك، أيها الأحباء، يمكننا أن نسمي أسماء كثيرة مـــن قديسينا الذين كانوا قديسين وكانوا علماء. ما هو موقفنا من العالم الذي يؤمن بـــأن الله هو خالق هذا الكون ويهمه أن يتعلم من الخليقة ما فعله الخالق. لذلك نحن نـــدرس، ونحن نتعمق وكلما زاد العلم، وكلما زاد التعمق، اكتشفنا إلى أي حد هي عظمـــة الخـــالق وإلى أي حد كان دقيقاً في صناعته وفي أعماله. الله لم يخلق الأشياء كيفما اتفق والعلماء يدرسون حتى اليوم، وسيدرسون إلى الأبد لكي يجدوا في الخليقة أشـــياء يحـــتاجون إلى أن يفسروها. أيها الأحباء، أحببت أن أخاطبكم بهذه النقاط الثلاث:

أولاً أن أرحـــب ببناتـــنا اللـــواتي يجتمعن عندنا من أجل الكلام في المرأة الأنطاكية.

ثانـــياً أن نذكـــر أن التفسير القائل بأن كل من هو غني يكون باب جهنم مفـــتوحاً له وأن كل من هو فقير يكون موجوداً في الجنة، هذا التفسير غير صحيح إطلاقاً وأعطيت مثالاً عنا نحن. لست وحدي في هذا الوضع ولكن بينكم الكثير ممن هم فقراء ولكن ليسوا قديسين.

وثالثاً يجب أن ننشد العلم لأنه صنع الله ولا يمكنك أن تعرف صناعة الله إلا إذا كنـــت تدرســـها وتتعمق فيها. الله كبير وخالق بالمعنى الجدي للكلمة ولندرسنّ خليقته لكي نعرف أنه فوق كل شيء وأنه على كل شيء قدير.

الطاعة هي التعبير الحقيقي للمحبة*

كل عام وأنتم بخير.

أعـــايد الكهـــنة. أعايد العاملين في الكنيسة، الوكالة. أعايد المؤمنين جميعاً، أعايد الذين يتسمون باسم القديس نيقولاوس.

في هـــذه المناسبة أذكر كيف أن الناس يتسمون باسم القديسين ويعيّدون. مـــثلاً نحن اليوم نعيّد. هذا يذكرني أيها الأحباء بأنه علينا أن نتبنى كنيستنا، الكنيسة الأرثوذكســـية لا يتبـــناها كل أبنائها. يقولون إنهم أرثوذكسيون ولكنهم لا يتبنون الكنيســـة كبناء، لا يتبنون الأيقونة الأرثوذكسية، لا يتبنون الأسرار الأرثوذكسية، لا يتبنون الآباء الأرثوذكسيين، وكل اسمهم آباء. فكأننا نحن نتبع كنيستنا بالاسم وهذا صحيح. الكثيرون منا يتبنون الكنيسة بالاسم. يا أحبائي، الكنيسة ليست كنيسة كل الناس ما عدانا، الكنيسة كنيستنا نحن، كنيستك أنت، هذا الذي تراه هو لك، يجب أن تحـــرص عليه كما تحرص على بيتك. وهو يخصك بقدر ما يخصك بيتك، وهؤلاء الذين تراهم في هذا المكان المقدس يأتون ليصلوا معك، عرفوك أم لم يعرفوك، هؤلاء هـــم أخوة لك بالحقيقة. وفي النهاية أُخوّة الإيمان، أخوّة الانتماء إلى الكنيسة لا تقلّ أهمـــية عن الأخوّة التي لك مع أخيك أو مع أختك. ينقصنا في الكنيسة الأرثوذكسية أن نتبنى كنيستنا. ومن جملة ما يجب أن نتبناه في الكنيسة هو الاسم. لو لم نكن جميعاً تبنينا كلمة القديس نيقولاوس "مار نقولا" لما كنا اجتمعنا اليوم ولما كنا نعيّد.

يا أحباء، أنتم الكنيسة، الكنيسة بنيت على أكتافكم، الكنيسة في قلوبكم. وإذا لم تكـــن على أكتافكم ولا في قلوبكم فهي ليست عندكم على الإطلاق. ولمن تبقى الكنيسة إلا للذين فيها تعمدوا، وفيها يصلّون، فيها يتناولون جسد الرب ودمه،

* كنيسة القديس نيقولاوس، دمشق، عيد القديس نيقولاوس، ٢٠٠١/١٢/٧

أي فـــيها يقررون علاقاتهم بالله. هذه تُعزّز في الكنيسة لا في سواها ولا في أي مكان آخر. وهذا ما جعلني اليوم أن أتذكر هذه النقطة وأن أذكرها لكم، أيها الأحباء.

يتمـــيز القديـــس نـــيقولاوس بأنـــه رئيس كهنة، يتميز بهذا عن القديسين الآخرين، وفي الكنيسة عندنا يمكن لكل إنسان أن يصبح قديساً، رجلاً كان أم امرأة كائـــناً مـــن كان، لا فرق عندنا على الإطلاق في المواهب الإلهية. عندما نصف هذا الإنسان نقول له: «لقد أظهرتك أفعال الحق»، الأعمال الصالحة التي تعملها، جعلتك قانونـــاً للإيمان. هذا يجعلني أفكر أيضاً أن قانون الإيمان ليس على الورقة وأن قانون الإيمان ليس في الكتاب. قانون الإيمان في ماذا تعمل أنت. معظم الناس، أيها الأحباء، لا يقـــرأون الإنجيل وأنتم منهم. نحن كلنا منهم إلى حد كبير ولكن الإنجيل لم يكتبه المســـيح. وسمعـــنا الـــيوم أنه اجتمع مع الناس و لم يذكر لنا بأي نوع من الناس هو اجـــتمع. هؤلاء كانوا جماعة "الدراويش" الذين يقدّمون من وقتهم للمسيح. عندما رأوا شاباً يأتي بدون مصلحة لكي يحدثهم اجتمعوا فوعظهم.

مـــا علاقـــة رئيس الكهنة نيقولاوس وكل رئيس كهنة بشعبنا وبكل واحد مـــنكم؟ إنه يريد فقط أن تقبل أن تراه وتقبل أن تسمعه وهو يعرف فيك الشخص الذي يجب أن يراه والذي يجب أن يسمعه. قانون الكنيسة الذي يجمعنا، يجمعنا لأنك أنـــت تريدني وأنا أريدك ليس غير ذلك. لذلك عندنا كلمة الطاعة التي تعني أن نطيع بعضنا البعض. الطاعة هي التعبير الحقيقي عن المحبة. الذي تحبه تسمع منه، الذي تحبه تُطـــيعه ولا تخاف أبداً أن يذلّك. العلاقة بيننا هي الطاعة حيث لا يتكبّر إنسان على إنســـان ويضـــغط عليه. القوانين وراءها العصا، الطاعة في الكنيسة ليس وراءها من عصـــا، وراءهـــا قلب يحدِّث قلباً، إنسان يحدّث إنساناً ويتواضع. «لقد أحرزت، يا نيقولاوس، بالتواضع الغنى». الإنسان عندنا في الكنيسة لا يكبر عندما يتكبّر، عندما يتكبر يصغر كثيراً. ولكنه كلما تواضع دلّ على أنه كبير.

أيهـــا الأحـــباء، في عـــيدنا كما رأيتم نتذكر أشياء تخصنا في حياتنا جميعاً وأرجوكم أن تعتبروا العيد عيدكم والكنيسة كنيستكم والكلام لكم ومن أجلكم هو موجود. لولاكم لما كان يحدث شيء ولما كانت توجد كنيسة. أرجوكم أن تشعروا أنكـــم أنتم تصنعون الكنيسة أيضاً. لولاكم لما كان شيء له معنى من كل ما يحصل أمامكم. إذا لم يكن كذلك فبماذا نعايد بعضنا البعض. إذا لم يكن العيد عيدنا بالفعل وجديـــاً. نحـــن نُحدث الله تعالى بالكلمة. إذا كان العيد ليس عيدنا فلماذا نستعمل كلمات التهنئة بيننا. هذا يصبح شيئاً ظاهرياً وليس فيه كثير من الصدق. في عيد مار نقـــولا اعـــرفوا أن الواحد موجود للآخر ولا أقول الواحد للآخر عندنا فعلاً، قال الإنجـــيل: «إذا كنـــت لا تحب أخاك الذي تراه فكيف تقول إنك تحب الله الذي لا تراه». كيف؟ بالعينين يمكنك أن ترى أخاك، بالعينين لا يمكنك أن ترى الله تعالى. في هذا العيد يجب أن نتيقظ، أيها الأحباء، وأن نستيقظ إلى دورنا في الكنيسة. أنتم لستم في طرف والكنيسة في طرف آخر، أنتم الكنيسة والكنيسة هي أنتم فلتكن تلك بشارة العيد اليوم الذي أتمناه لكم إلى سنين عديدة آمين.

✠ ✠ ✠

المسيح وحده المخلص*

مســـاء البارحة عدت من السفر بعد غياب في بلجيكا دام عدة أيام. كنت هـــنالك بسبب اجتماع يتناول العلاقة بين الديانة اليهودية والديانة المسيحية والديانة الإسلامية.

اليهود يهتمون جداً أن يحدثونا عن ديانتهم ونشأتها. ونحن في المسيحية يهمنا جداً أن نعرف من أين أتت واليوم بالذات نسمع من الإنجيل أن المسيح هو فلان بن فلان بن فلان، ويعودون به إلى الأصل. إذاً هنالك أساس. إذا قيل للمسلمين ديانتكم جاءت مع محمد فالجواب لا، لقد كانت وجاء محمد ليقول إن هنالك ديانة إسلامية كانت موجودة وهو يبشر بها. نحن اجتمعنا لنعلن أن الديانات لا تأتي كيفما اتفق بل أتت عن تصميم. البعض يعتقدون أنه بمجرد اجتماع عدة أشخاص يمكن أن يكوّنوا كنيســـة كمـــا نسمع أنه حصل هنا وهناك وكأن الكنيسة هي مجرد جمعية. الكنيسة ليســـت هكذا فإذا لم تكن لك أصول ممتدة في التاريخ وفي عمل الروح لا يمكنك أن تكون كنيسة. يمكنك أن تشكل جمعية أو أي شيء آخر ما عدا الكنيسة.

الـــيوم كنا نسمع هذا الشيء لماذا؟ نحن الآن ننتظر الميلاد بعد يومين فماذا يعـــني المـــيلاد. ميلاد المخلص حصل من الروح القدس ومن مريم العذراء ويجب أن يذكـــر العنصـــران معاً لأن المسيح لم يولد من الروح القدس وحده ولا من العذراء وحدها، من الروح القدس ومن العذراء. لماذا نذكر هذا اليوم؟ نذكره حتى لا نكون مـــثل الـــيهود. اليهود يقولون إن الله خلق السموات والأرض ولكنهم لا يقولون إن كـــلمة الله هي التي خلقت العالم. الله خلق بكلمته وأن الكلمة صار جسداً وحل فينا وأن ابـــن الله هـــو كلمة الله. يقولون إن الله خلق العالم ويصمتون وهذا يعني أنه لا

---

* أحد النسبة، ٢٠٠١/١٢/٢٣

يوجد مسيح. نحن نقول إنه يوجد مسيح وهذا المسيح هو إله.

ما الفرق بيننا وبين المسلمين؟ المسلمون يقولون الله موجود ولكن يستحيل أن يتجسد. ونحن نقول إن الله موجود وقد أرسل ابنه ليتجسد، وعندما نقول بالتجسد الإلهي فإننا نعني أن المسيح ليس شبحاً وأن العذراء لم تلد روحاً. ولدت طفلاً كما تضع كل السيدات أطفالها ولكن والد هذا الطفل هو الروح القدس. هذا الطفل من لحم ودم ويتنفس كباقي الأطفال. ثم نمى وأصبح شاباً، لذلك فالمسلمون يقولون هذا رجل. ونحن نجيب لا، هذا ليس رجلاً. إنه رجل حقيقي ولكنه ابن الله المتجسد. وهذا الأمر يهمنا جداً. فمن ناحية نحن نجمع كل هذه الديانات فينا فنقول إننا نعبد الله، الله خالق السموات والأرض وهو الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. ونقول للمسلمين إن المسيح ليس رجلاً كمحمد أو غيره إذ إنه يجمع الطبيعتين الإلهية والبشرية معاً، محمد بشري فقط.

يجب أن نحضر أنفسنا للميلاد هكذا ونعتقد بأن الله لمحبته لنا أرسل ابنه الوحيد إلى هذا العالم لأننا لا يمكننا أن نُخلّص بعضنا من الخطيئة. الإنسان قد يعتمد على رفاقه فيجد أنهم يحتاجون إلى الإصلاح مثله لا بل أكثر، وقد يعتمد على أهله فيجد أنهم يحتاجون إلى الإصلاح إن لم يكن مثله فأكثر، وكذلك أساتذته. لا يوجد مخلص إلا واحد هو الرب يسوع. كيف يخلصنا؟ يخلصنا بأن يأتي إلينا ويقدّم نفسه ضحية من أجلنا.

أتمنى أن يعرف الذين تكاسلوا عن الصوم أننا غداً سنقيم الصلوات أكثر من أي يوم تقدمةً لعيد الميلاد، وفي هذا اليوم يجب أن نتفرغ وأن نهيئ أنفسنا لاستقبال الميلاد. عندما نود الذهاب في نزهة نجد أنفسنا نتحضر لها ونلبس لها لباسها ونعد لها عدتها. فكيف بنا ونحن نستعد لاستقبال ابن الله الذي تنازل وجاء ليخلصنا.

وفي النهاية ربنا لنا وهو يخصنا ونحن نخصه لذلك أتمنى أن نكون غداً مستعدين لاستقبال الميلاد الشريف ولنقول لكم: كل عام وأنتم بخير.

عيد الميلاد عيد الكرامة لكل إنسان*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

كـــل عام وأنتم بخير. إن شاء الله تستقبلون سنين عديدة أنتم وعائلاتكم، الكبار منكم والصغار وأنتم جميعاً بالصحة والعافية ونعمة الإيمان.

أيها الأحباء، عيد الميلاد هو عيد غريب جداً بالنسبة إلى كل ما يعرفه البشر. البشر في كل أطوار التاريخ كانوا يعتبرون الإله بعيداً عن الناس ويرونه كبيراً بالنسبة للناس. وكانوا كلما أبعدوه يعتقدون أنهم يعظّمونه أكثر.

لـــماذا حصل هذا الشيء المهم جداً وهو أن يأتي ابن الله الوحيد إلى الإنسان لكـــي يخلصه؟ يمكننا أن نجيب عن السؤال لماذا أتى إلى الأرض بالقول لكي يخلصنا. يخلصـــنا من أي شيء؟ ما هي القصة على الأرض حتى يضطر الإله أن ينـــزل وأن يتجســـد ويلبس طبيعتنا مخالفاً كل الآلهة في كل أطوار التاريخ وفي كل أطوار المعرفة الإنسانية؟ السبب، أيها الأحباء، أن الله خلقنا. الخلق مثل الولادة. عندما يولد الطفل نفرح بأنه وُلد، ولكن الهموم تبدأ بالنسبة إلينا بعد الولادة؟ بعد الولادة العيش، هموم العيش من أكل وشرب وعناية وصحة وغيرها، وكلها تأتي بعدئذ يعني أن الولادة هي بدء وليست نهاية، هي خطوة أولى ولكنها ليست الخطوة الأخيرة. لا يمكنك أن تلد أحداً وتعرف بعدئذ، هذا لا يصح.

خلق الله الإنسان. منذ البدء كانت هنالك معالجة وكان هنالك خلاف بين الإنســـان وبين خالقه. منذ كان الإنسان في الفردوس خالف الله. تكونت أول عائلة فقـــتل واحـــد مـــن أبنائها أخاه الإنسان. إذا كنتم تقرأون التوراة تجدون أن الحياة الموصوفة في التوراة هي حياة أسوأ من التي نعيشها اليوم. ماذا نسمع اليوم؟ نسمع أن

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد الميلاد، ٢٠٠١/١٢/٢٥

هـــذا ألقى قنبلة على فلان، وهذا قتل فلاناً، وهذا حارب فلاناً، وذاك قطع رزقه، أو ظـــلمه ووضعه في السجن، هذا ما نسمعه. وهذا الشيء لم يوجد اليوم فقط بل كان مـــنذ ولادة المسيح. ولماذا صار ذلك يقول لنا بولس الرسول اليوم: «إنه في المرحلة الأولى قبل الميلاد، كان الله ينظر إلينا، ويقول أنا أحبكم ولكننا لم نكن نسمع الكلام الـــذي يقوله لنا الله». أرسل لنا الوصايا فأين هي الوصايا؟ صحيح أننا نقرأ الوصايا العشـــر، ولكن من يطيع هذه الوصايا؟ إنها تظل كلاماً ولو كان كلاماً جيداً. اليوم يقـــول الـــناس هذا كلام وعظ، يعني أنه كلام تسمعه ثم تنصرف وتنسى ما سمعت. أرسل الله الأنبياء وبين الأنبياء شخصيات في غاية الأهمية والاعتبار. شخصيات قوية، شخصـــيات جبارة، ما كانت تخاف من حاكم ولا من قوي ولا من إنسان يستعمل المـــال ليشتري البشر. كانوا جبابرة. تكلموا وضحوا بأنفسهم وماتوا والناس يقولون هـــذا. كـــنا نكره هكذا يقول بولس الرسول، كنا نسمع الوصايا، نسمع الكلمات الإلهـــية ولكـــن كلها كانت مجرد وصايا، ومثل الوصايا اليوم هي القوانين والأنظمة وكـــل هذه الأمور. نظام السير تعرفون من يحترمه. النظام العام تعرفون من يحترمه. الوصايا لم تنفع شيئاً.

مـــاذا قال الله في تدبيره الإلهي؟ قال لم يبقَ إلا أن ننقل الإنسان من وضعه الحالي وضع الوصايا والقوانين والأنظمة إلى وضع البنوة. هذا ضروري ويعني انه بدل أن نكلم هذا الإنسان كما يكلمه المعلم أو القاضي أو القوي فإننا سنكلمه كما نكلم أبناءنا في المنـــزل في البيت. نحن اليوم في حالة التبني هكذا يقول بولس الرسول إذن لســـنا أبناء لكتاب ولا لقوانين ولا لأنظمة. نحن أبناء لأب يعني أننا نحتاج أن يكون أمامنا من يدعونا وهو بصورة الأب بصورة الشخص القريب الذي يأخذ طبيعتنا. لهذا حصـــل الميلاد. الميلاد حصل لأننا انتقلنا من موقع المستمع إلى الله من بعيد إلى وضع يقـــول لنا فيه أنا مثلكم في الطبيعة البشرية. وأنا جئت إليكم، جئت لا لآخذ ولكن لكي أعطيكم. وهذا هو العهد الجديد. العهد الجديد هو أن يأتي إلينا المخلص بالذات

لكي يعيش عيشتنا ولكي يطهرنا من خطايانا.

مــــاذا يمكننا أن نذكر اليوم بصورة خاصة؟ متى يا أحباء يُخطئ الواحد منا بالنســــبة للآخر؟ متى نرتكب خطيئة مع الشخص الآخر؟ ذلك عندما لا نحترمه. إذا كـــنا لا نحـــترم الشخص الآخر فإننا نسمح لأنفسنا بأن نشتمه بأن نقول كل شيء بحقـــه، وبالتالي نسمح لأنفسنا أن نستغله، أن نكذب عليه، أن نغشّه أن نقوم بكل المعاصــــي تجاهه ونقول هذا لا يستحق الإكرام. عندما يفقد الإنسان شعوره بإكرام الآخر فإنه يبيح لنفسه كل شيء تجاهه.

والـــيوم لو سئلنا ما هي رسالة الميلاد عندكم وماذا يعني عيد الميلاد بالنسبة إلـــيكم؟ الجـــواب هو أن الله أرسل ابنه الوحيد إلينا لكي نتعلّم أن الطبيعة الإنسانية ليست شيئاً مرذولاً، ليست شيئاً وسخاً، ليست شيئاً رخيصاً. نتعلم أن الإنسان الذي نعيش معه والذي نعرفه والذي لم نعرفه من قبل، هذا الإنسان أصبح مقدّساً لأن ابن الله لبس طبيعته وأتى من أجل أن يخلصه. نعم أنت مقدس. إذاً كيف أستعملك أسوأ الاســـتعمالات على أساس أن العلاقات بيننا بشرية محضة. لا لم تعد العلاقة تقتصر على بعضنا البعض فالمسيح معنا وفيما بيننا، ولذلك فلا يجوز إلا أن يُكرِم الواحد منا الآخـــر. اذكروا أن كلمة أخ التي تُستعمل في الإنجيل لا تعني أخاك ابن أمك وأبيك. ولكـــن تعني أخاك الإنسان كائناً من كان. هذا أخوك لا يحق لك إلا أن تأخذه بعين الإكـــرام وتقول بأن ابن الله الوحيد في النهاية قد أتى من أجل هذا الإنسان فكيف أهيـــنه كيف أعذبه وأضايقه وأسرقه وأتجنى عليه كيف؟ هذا لا يجوز. في الميلاد هذه الطبيعة لا تُحتقر، لأنه في الميلاد أخذ الله طبيعتنا وصرنا مقدسين نحن الحاملين صورته ومـــثاله. عيد الميلاد عيد الكرامة للشخص الذي أتى الله من أجله على الأرض، يعني كـــل واحد. رسالة الميلاد أكرموا كل إنسان أحبوا كل إنسان. الإنسان الآخر أمانة لديك لكي تكرمه. الله أكرمه فلا يحق لك أن تقوم بأفعال على عكس الإرادة الإلهية. عـــيد الميلاد عيد الكرامة لهذا الإنسان نراه ضعيفاً نراه مريضاً نراه يموت نراه يخطئ.

نعـــم هـــذا الإنسان نفسه أتى من أجله ابن الله الوحيد ومن أجل خلاصه. هذا ما نتعلمه. الميلاد ليس كلمة، أيها الأحباء، الميلاد ليس فقط الحدث أنه ولد لنا طفل في بيت لحم. الميلاد يقول لك إن ابن الله أتى في اللحم والدم لكي تحترم اللحم والدم في كل إنسان على وجه الأرض.

كل ميلاد وأنتم بخير.

✠ ✠ ✠

الحياة في الكره جهنم*

نسأل الله تعالى أن يستجيبنا ويرحمنا بسبب خطايانا، لأننا خاطئون، ولأن ما نراه في هذا العالم هو نتيجة الخطايا، وليس نتيجة الفضائل والصلاح. لنا علاقة وثيقة بما يحدث في هذا الكون، وما يحدث فيه هو من صنعنا، أفراداً وأعضاء في المجتمع الإنساني الذي يعيش على هذه الأرض. ولكن، إذا نظرنا إلى العام الذي انقضى، ماذا نرى؟ وما كانت نتيجة أعمالنا وأعمال كل العالم؟ نسمع أنه اكتشفت أدوية كثيرة تشفي العديد من الأمراض. هذا صحيح. ونعلم أن غالبية الناس أصبحت تعرف القراءة والكتابة، وهذا صحيح. ونجد أيضاً أن وسائل الاتصال غدت أكثر مما كانت، وهذا صحيح أيضاً. ونسمع أن المسافات بين الناس أصبحت من دون قيمة، لأنه يمكنك أن تخاطب الآخرين وأن يخاطبوك وأنت في بيتك، على كرسيك، وهذا أصبح ممكناً. ولكن، إذا كانت لنا عيون ترى وآذان تسمع فلا يجوز إلا أن نفتح أعيننا جيداً، ونلقي نظرة إلى العام المنقضي.

ليت أحداً يحصي من قُتلوا وذُبحوا وهم أبرياء لا علاقة لهم بجريمة وباغتصاب! ولو أعطي لنا إحصاء كهذا، لوجدتم أن ما أقوله ليس من المبالغة في شيء. الملايين ماتوا كباراً وصغاراً، رجالاً نساء، وغالبيتهم لا تعرف لماذا. غيرهم يسبب الفعل وهم يتحملون النتائج. هذه الأكثرية لم يَقِلَّ عددها العام الماضي بل كانت أكثر منها في أي عام مضى.

ولو حاولتم أن تحصوا عدد اللاجئين على وجه الأرض، لما تمكنتم من ذلك، فكثيرون منهم خارج بيوتهم وأوطانهم وخارج ما يملكون، وكثيرون يفتشون عن مأوى بسيط كي يلجأوا إليه. القارات الخمس ملأى باللاجئين. ونحن لا نحتاج إلى أن

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد رأس السنة، ٢٠٠٢/١/١

نذهب بعيداً كي نتمكن من القول إننا نعرف ذلك، فاللاجئون عندنا بالملايين. هؤلاء الذيـــن كانوا في بيوتهم في فلسطين ثم انتزعوا منها وأصبحوا غرباء في ديارهم، صار عليهم أن يموتوا حتى يحصلوا على شبر أرض يمكنهم أن يعيشوا عليه.

أيـــن العـــام الماضي مما نقرأه في الكتاب المقدس؟ من يلتفت إلى المساكين؟ الثروات بيد قلة من الناس عندنا وعند سوانا. فمن ينعمون بالثروات التي أعطاها الله هـــم قلة في كل العالم. والناس لا ينظر إليهم أحد، والمساكين لم يقلّ عددهم. ماذا ننتظر من السنة التي بدأت اليوم؟. يسمونها السنة الجديدة، فهل ستكون جديدة؟ الله وحده يعرف. وما دام الإنسان هو هو، فلن يكون الكثير جديداً في السنة المقبلة؟ نحن لا نريد السنة جديدة بل نريدها مختلفة عما ألِفناه، لأن الجديد ليس بالضرورة جيداً. نريد السنة مختلفة كي نرى غير ما رأينا ونعيش على غير ما عشنا عليه.

نحن جماعة نريد أن نرى ونسمع حتى نصدق. كيف ستكون السنة؟ سننتظر حـــتى نـــرى ولن نحكم عليها سلفاً. لسنا أنبياء وليس بيننا نبي واحد. ستكون السنة الجديـــدة نسخة طبق الأصل عن السنة الماضية إذا بقي الإنسان، أي أنت وأنا وكل واحد، كما كان.

طلبـــنا مـــن الله ما يفعله دائماً وهو أن يغفر خطايانا، ولكن هل طلبنا إلى أنفسنا أن نتوب؟ أم نطلب من الله أن يغفر وأن تترك لنا المجالات الواسعة لكي نعود إلى الحمأة التي كنا فيها؟

قلـــت في الـــبداية إن السنة الماضية ابنة أعمالنا فإذا لم نتب، فلماذا نطلب الغفـــران؟. طالب الغفران يُفترض ألا يحب الخطايا ولا يجب أن يكون ظالماً. لا يجب أن يكون شتاماً، ولا يجب أن يغتصب الآخرين. إذا لم يحدث هذا،كيف تكون السنة الجديدة مختلفة عن السنة القديمة؟

مشكلة الإنسان أنه حتى الآن لا يقبل أخاه. وهو يتصور دائماً أن الدنيا وما

فيها يجب أن تكون في خدمته وبين يديه، وأن الأخ منافس له، بل هو عدو. الأخ لا يكــون أخاً، إذا كان ذا مزاج مختلف. ولكن الله خلقه هكذا. نحن نتمرد على خليقة الله ونؤذيهــا، لان خليقة الله مختلفة عنا. ألسنا مختلفين عن كل الناس؟ كلما حدّثت إنساناً أجد أن العقبة التي يصادفها في حياته والتي تبرر العداوة وتبرر الكره وكل هذه الأمور هي الآخر، هي الأخ.

إذا اعتقدت أنت غير ما أعتقد أنا فأنت عدو. من أين جاءتنا هذه الفكرة؟ ومــتى كــان الناس يعتقدون اعتقاداً واحداً في أي مجتمع وفي أي مرحلة من مراحل الـــتاريخ؟ يجب أن نتعلم أننا نُخلَق مختلفين وأن كل واحد منا مختلف عن الآخر. هذا طبــيعي وهذا عادي، لا بل إنها بركة من البركات الإلهية. لسنا مقولبين كل واحد عــلى صــورة الآخر. القولبة ليست من إرادة الله. الله يخلقك ويضع فيك مواهبك ويكــون عــادلا بأنــه خلقك كما خلق الآخر تماماً، وأنه وهبك بمقدار ما وهب الآخرين. لماذا يريدنا بعضهم أن نفكر جميعاً التفكير نفسه وأن نعتقد الشيء عينه؟ من أيــن أتى هذا التفكير كأن ليس للبشر عيون ترى أنه ليس من اثنين في الكون يشبه أحدهمــا الآخر وانتم تعرفون ذلك في بيوتكم، في عائلاتكم، في أقربائكم. قد يكون بعضــهم يكرهني لأنني لست من دينه، أو أكرهه أنا لأنه ليس من ديني. كرهته أم لم تكرهه، سواء أكان من دينك أم لم يكن، فالذي خلقه هو نفسه الذي خلقك أنت. خالف في الأفكار، خالف في كل شيء، لكنك لا يمكن إلا أن تعتبر أن الذي أمامك من خلائق الله كما أنت تماماً، لذلك لا يمكن أن تمسه هو. قل له إنه مخطئ، ولكن لا يمكن أن تمد يدك إليه إلا للمصالحة.

في هــذا اليوم، نسأل الله أن يفتح عيوننا كي نرى إخوتنا ونعرف أن الذي خلقــنا هو نفسه خلقهم، وأن لهم الحق في أن يكونوا على الأرض بمقدار ما نكون، وإلا فإيمانــنا بالله كاذب. في هذا اليوم ننظر إلى عالمنا ونسأل الله الرحمة. هناك أناس يموتــون الآن من القنابل والقتل هنا وهناك. نسأل الله أن يرحمنا وأن يغفر لنا ذنوبنا.

وأســـأله لـــنا جميعاً في هذا اليوم، التواضع والحنان والمحبة. فالعالم لا يعيش إذا كان سكانه أعداء. والحياة في الكره جهنم.

في هـــذا اليوم، نسأل الله أن يقوي المسؤولين في هذا العالم كي ينفخوا فيه محـــبة لا دخانـــاً. أعـــايد الجميع وخصوصاً الدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية السورية، وأطلب له – وأنا أعرف نيته – أن يحقق بمعونة الله وإذنه ما في قلبه من محبة لكـــم، للشعب السوري. وما في تمنياته ألا ينقص أحداً راحة ورخاء وعدل وكرامة. أســـأل له عمـــراً طويلاً ومعونة إلهية. وللرئيس إميل لحود رئيس الجمهورية اللبنانية، أســـأل الله أن يكـــون معه في ظروف شديدة الدقة، وأن يلهم الآخرين أن يثقوا بأن لبـــنان ليس تراكم دويلات، لكنه دولة واحدة في طريق الوجود. وأسأل الله أن ينير عقل كل لبناني كي يلتفت إلى كل لبناني. نحن نصلي إلى الله ولله أن يرى وأن يحكم. ولا أمل لنا في السنة التي بدأت اليوم إلا ما نؤمن بأن الله لا شك فاعله.

✠ ✠ ✠

لسنا مشركين وإلهنا واحد أحد*

اليوم عندنا، أيها الأحباء، في هذا العيد شيء مهم جداً. قد يظن البعض أن أهم شيء في عيدنا اليوم هو الماء. هذا غير صحيح. فلنسر خطوة خطوة لنتعرف على معنى العيد.

عندما نسمع الترتيلة: «باعتمادك يا رب في نهر الأردن» ماذا حصل؟ «ظهرت السجدة للثالوث» ظهرت عبادة الثالوث. كان الحديث عن الرب فأصبح عن الثالوث. من أين أتى هذا الثالوث؟ في دستور الإيمان نقول: أومن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض. وبرب واحد يسوع المسيح. وبالروح القدس، الرب المحيي. كيف أتت هذه الأسماء آب ابن روح قدس؟ يا أحباء، في كنيستنا لا نخترع شيئاً مثل بعض الفرق البروتستانتية حيث كل يفصل دينه على مقاسه. نحن نأخذ ما أعطانا الله إياه. وأين أُعْطِيناه؟ في الإنجيل المقدس. ماذا نجد في الإنجيل المقدس؟ نجد أن الرب يسوع ذهب ليعتمد وكان عمره ثلاثين سنة. إذن هو لم يكن طفلاً وحتى ذاك الحين لم يكن أحد قد تحدث عنه بالكلية. ولكن جرت محاولات لكتابة شيء عن حياته يغطي الفترة بين ١٢ سنة وحتى الـ ٣٠ سنة فألفوا قصصاً. ولكن بالفعل لم يكن هنالك في هذه الفترة شيء خاص للتحدث عنه. لماذا لم يكن هنالك شيء خاص؟ لأن الروح لا يرى والإله لا يظهر. فالله لم يره أحد قط لأنه ليس مثل الإنسان حتى نراه ونسمعه فإذا لم يرد الله أن يظهر نفسه فلا يمكنك أن تراه وأن تعرفه.

نعيد اليوم للشخص الذي لم يكن أحد يعرف من هو. كانوا يظنونه إنساناً كبقية الناس وهذا صحيح ولكنه لم يكن إنساناً فقط إذ فيه شيء ظاهر وشيء مخفي.

---

* عيد الظهور الإلهي، ٢٠٠٢/١/٦

الظاهر هو ما يشبهننا كلنا والمخفي هو الإله والإله لا تستطيع أن تراه.

عـــيدنا اليوم، أيها الأحباء، ليس عيد المعمودية بل عيد الظهور الإلهي حيث ظهر من الرب يسوع ما كان مخفياً وهو العنصر الإلهي.

يقول الكتاب إنه ذهب ليعتمد من يوحنا ويوحنا كان قريبه وأكبر منه بستة أشهر فقط. ويذكر الكتاب أن يوحنا دهش عندما جاء يسوع وطلب إليه أن يعمده. قال له يوحنا أنا من يحتاج إلى أن يعتمد منك ولكن يسوع أصر وقال له أنا يهودي وأتيـــت لأعتمد حتى أتمم الناموس إذن يجب أن تعمدني. قد يكون الرب يسوع وهو الإله يعرف ماذا سيحصل في المعمودية.

ما حصل بعد قبول يوحنا أن يعمد الرب يسوع هو أن الرب نزل إلى مياه الأردن. يقول لنا الإنجيل المكتوب بإلهام إلهي أنه سُمع آنذاك صوتٌ من السماء يقول أنـــت ابـــني الحبيب وظهر ما يشبه الحمامة وقد نزلت على المعمد. إذن عندنا المعمد وصـــوت وروح يشبه الحمامة. ومن هنا نحن نقول بثلاثة ولكن هؤلاء الثلاثة ليسوا وكأنهم ثلاثة مثلنا لأننا نحن محدودون ومنفصلون فيما نَصِف الثالوث في الكنيسة بأنه غـــير منفصل أي لا يمكن أن تعدهم: واحد، اثنان، ثلاثة. فعندما تقول واحد فإنك تعني الثلاثة معاً وعندما تقول: اثنين فإنك تعني الثلاثة معاً وكذلك عندما تقول ثلاثة فإنك تعني أنهم واحد. أي إله واحد غير منفصل.

أومـــن بإله واحد. ونقول أبانا الذي في السموات... لأن لك الملك... أيها الآب والابـــن والروح القدس. وهذا المقطع أيها الآب والابن والروح القدس يردده الكـــاهن عدة مرات في الخدمة. والبعض يعتقد أننا عندما نلفظ ثلاث كلمات فهذا يعني أننا نتكلم مع ثلاثة أشخاص منفصلين وهذا خطأ. المقصود هو واحد في الجوهر وغـــير منفصل. ما نقوله لم يكن ظاهراً ومعروفاً لقد ظهر بجلاء في المعمودية عندما تعمـــد الـــرب يسوع. ونحن اليوم لا نعيد للمعمودية بحد ذاتها بل نعيد لما حصل في

المعمودية واكتشفنا بواسطته أن ربنا نفسه لم تكن معرفتنا له كافية. كنا نعرف عنه ما كان يعرفه اليهود وسواهم تلك المعرفة غير الكاملة.

نحن اليوم بميلاد المسيح ومعموديته ظهر لنا الشيء الخفي الذي لم يعرفه أحد قبلنا. قبلنا لم يكن الناس يعلمون أنك عندما تذكر الله فإنك تذكر الآب والابن والروح القدس وأنك عندما تتكلم عن الآب والابن والروح القدس فأنت لا تتكلم عن ثلاثة بل عن واحد وأنك عندما تذكر أي واحد منهم فإنك تعني الثلاثة. وهذا شيء مهم جداً وأعتقد أن الكثيرين بيننا لا يعرفون هذا الشيء.

اليوم أتأمل أن نكون قد تعرفنا على هذا الموضوع. وعندما يُقال لكم أنتم مشركون وعندكم ثلاثة آلهة فالجواب نحن ليس عندنا ثلاثة آلهة حسب نظرتكم أنتم ولكن عندنا إله واحد غير منفصل. وأنا أشدد على «غير منفصل». نحن ندعو المعمودية بالاستنارة لأن الإنسان يستنير فيها. وعندما أرسل الرب تلاميذه ليبشروا وكان قد بلغ الثلاثين قال لهم: «اذهبوا وتلمذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس». واليوم عيد الظهور الإلهي فليرسل الرب نوره علينا لينور عقولنا.

وإلى أعوام عديدة.

✠ ✠ ✠

حضارة المال*

عـــندما تـــنهـــار أبراج أعظم المدن ويموت الأولاد في فلسطين، ندرك أنّ التاريخ ونهاية العالم يختلطان. إن العلم والتقنية يوحِّدان الأرض، غير أن هذا التوحيد يولِّـــد تمييزات لا تطاق وردات فعل انتمائية عنيفة. ثمة ظلٌّ دموي لحضارة المال، إنه الإرهاب.

إن الإرهـــاب شـــكلٌ لأقســـى حداثـــة نعيشها اليوم. في محاكاته العمياء لتوتاليـــتاريات القـــرن العشرين صار إلى أن يكون عدمية انتحارية نتقاتل بوساطتها لنَقْتُل.

لكننا نعتقد في الشرق الأوسط أنه يوجد أيضاً إرهـــاب هو بالأولى سلاح الفقراء؛ سلاحُ من سلاحُهم ضعيف. لا ننسينّ هذا الفرق.

البشـــر يرون أن لا شيء يمكن له أن يَحْطُم لولب الحقد والخوف والعنف. غير أن الأديان، وحدها، في لُبِّها الناري، والعودة إلى التسامي، قادرة على إظهار أنّ الإنسان "يتجاوز الإنسان تجاوزاً لا نهاية له" وأنه يتجذر في الأعماق وفي ما هو كوني وأنه يستحق بالتالي تقديراً لا حد له. بالنسبة للمسيحية الأرثوذكسية، هناك، بشكل خاص، إنسان واحد في أشخاص عدَّة لأن ليس كل إنسان خليقةَ الله وصورته فقط، لكنّ البشرية كلها، في المسيح، بتأثير هبوب الروح، صارت جسد الله.

يقـــول بولـــس الرسول "إن ثمر الروح هو الفرح والسلام" (غلا ٥:٢٢) ويؤكد بقوله "إن ملكوت الله هو العدل والسلام والفرح في الروح" (رو ١٤:١٧).

أن نصـــلّي مـــن أجل السلام يفترض بالتالي أولاً السلامَ الداخلي الذي هو هـــدف كل التقشفات وتحولَ الطاقة الحيوية التي تستعملها الأهواء المدمرة للقتل إلى

* أسيزي، ايطاليا، يوم الصلاة العالمي من أجل السلام، ٢٠٠٢/١/٢٤

طاقـــة الحب التي تُكثِر الحياة. إنه تحول يسميه الرهبان "فن الفنون وعلم العلوم". في العالم غير المنظور، ليس من يقابل الإرهابي إلاّ القديس.

في نفسي الآن، يُخصِب هذا الصراع غير المنظور فعلَنا في التاريخ. يواكب هذا الفعلَ بحثٌ عن العدل والرحمة. تقول التطويبات: "طوبى للجياع والعطاش للبر" و"طـــوبى للـــرحماء" (مت٥:٦-٧). ليس عدلٌ كهذا إلا مشاركةً في الحياة وخدمة مشتركة لها، كما يحدث اليوم غالباً بين المسيحيين والمسلمين في بطريركية انطاكية.

إن أساسات الثقافـــة نفسَها هي الشيء الذي يجب على الصلاة أن تحوِّله: علينـــا أن نعتاد على العيش في الاختلاف وفي التوبة والغفران واحترام الغير واحترام أسلوبه في فهم العالم؛ وكذلك احترام الطبيعة الصائرة اليوم إلى دمار. يجب أن نحمل في صلاتنا كل تعقيد التاريخ والكون.

قـــبل كل شيء، وهذا طارئٌ مستعجل، يجب أن نصلّي ونعمل جاهـــدين مـــن أجل شفاء هذا السرطان الذي لا يفتأ يزيد في الأرض المثلثة القدسية والذي في نهايـــة المطـــاف يهـــدد وجود البشرية نفسَه، وأن نصلّي ونعمل من أجل أن تصير أورشليم فعلاً وللجميع مدينةَ السلام.

✝ ✝ ✝

وكان عندهم كل شيء مشتركاً*

إلى الأخوة رؤساء الكهنة والكهنة والمؤمنين جميعاً

سلام لكم بالرب يسوع فيما نرجو أن يؤهلنا لاستقبال الصيام من أجل القيامة. ستجمعنا الكلمة ويجمعنا الشوق إلى المخلص الظافر وندنو متحابين ومستغفرين من الذي مُجّد بآلامه فجعلنا شركاء مجده.

غاية الصوم:

هذه دعوته إلينا ويتطلب منا انتباهاً إليها. وما الصوم سوى هذا الانتباه إلى متطلبات الله التي إذا أطعناها نحقق القداسة. هذا الزمان المملوء بذكر القيامة نحارب فيه الغفلة عن الله وفتورنا في ما يختص به وبخلاصنا. أن نخرج من اللامبالاة بالرب إلى الحماسة لشؤونه يقتضي إصغاء أشد إلى الكلمات التي نطق بها على ما قال هو: "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يوحنا٦: ٦٣).

الصلاة والإمساك:

هذا يقودنا إلى الاعتكاف، إلى أن نجمع النفس إلى الصلاة وإلى تهذيبها بالصلاة لأنها، إذ ذاك، تكون صائمة عما يعطل مكوثها في الله. الإله الحي هو المطلوب في الصيام والصلاة روحه وزخمه.

ما من شك أن هناك جانب الإمساك عن بعض الأطعمة. فمن أهم ما في هذا أنك تصوم مع الجماعة، انك واحد مع الجماعة الممتدة من رعيتك إلى أقاصي الأرض. وقد اختبر أتقياؤنا في كل جيل الطيبات التي تتطيب بها النفس في هذا الزمان البهي وذاقوا الإحسان الإلهي الذي نزل عليهم.

---

*كلمة وجهها البطريرك اغناطيوس بمناسبة بدء الصوم، ٢٠٠٢/٣/١٠

الصوم مشاركة الأخ للأخ:

إن الـــيقظة الـــتي تحل علينا لا تؤتي ثمارها كاملة إلا إذا جعلنا الفقير خيارنا الأساســـي في هذا الموسم. فنحن نمتنع عن الطعام ليأكل هو. هذا كان منطلق الصيام في الكنيســـة الأولى. لم يكن الصوم رياضة شخصية إلا ليصبح مشاركة الأخ للأخ. "وكان عندهم كل شيء بينهم مشتركاً" (أعمال٢: ٤٤). في هذا نبين أننا واحد. لا ريب أن الميسورين منا قادرون كثيراً على القيام بهذا الأمر الإلهي. غير أن كُلاً منا في حدود قدرته مدعو إلى عطاء ينعتق به من انغلاقه.

الله هو كل الحياة:

جوهر صيامنا أن نجوع ليس إلى الطعام ولكن إلى الله، أن نشعر بأننا فقراء إلـــيه، أن نؤمن بأن الحاجة إلى واحد، إلى هذا الإله الذي يغذينا بنعمته فنفهم – إذا جاء الفصح – أننا نلنا كل شيء. ليس الصوم سوى ترويض النفس والقلب والعقل على أن الله، مهيمناً على الدنيا والتاريخ بمسيحه، هو كل الحياة.

يوم الأحد رمز الإيمان:

قـــد تكـــون هذه قناعتك ولكن المحب يحيي قناعته كل يوم لئلا يفقدها أو تصـــير فـــيه كلمات يجترها بلا إحساس. أهون الأمور أن تقول إنك مؤمن لكونك ورثـــت هذا عن ذويك أو لأن الناس في بلادنا منخرطون في أديان. غير أن الكتاب يقـــول إن الإنســـان يحيا بالإيمان ولا يقول إنه مسجل عليه. أن تحيا به هو أن تزيل أسباب موته فيك أو أسباب ضعفه وفتوره. لهذا لا معنى لقولك إنك مؤمن إذا كنت لا تبالي بالرمز الأساسي عندنا للإيمان وهو يوم الأحد الذي يسميه الكتاب يوم الرب (رؤيـــا١: ١٠) وكأنه يقول: إنه يوم اللقاء الكبير العميق بي لأنه لقاء الجماعة بي، إذ تجتمع لتبصر وجهي وتأكل جسدي وتشرب دمي.

كيف نتجدد بالإيمان؟

هذا هو اليوم الذي يغتسل فيه محبّي بي فيصير خليقة جديدة (٢كورنثوس٥: ١٧) هـــذا هو اليوم الذي يبدو فيه المؤمنون أنهم سمعوا ما قلته يوماً لأحبائي في كل جيل: "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم" (متى١١: ٢٨). فإذا اجتمعنا وقبلنا بعضنا بعضاً بالرضاء والغفران وإرادة التعاون وبنيان دنيا جديدة تقوم على العدل نكون قد تجددنا بإيماننا ولمسناه فاعلاً فينا وفي الإخوة ومن أعلناه له.

الكنيسة هي المكان الذي يمتحن فيه إخلاصنا ليسوع واستمرارنا في شركته فنضم إلينا من ذاق حلاوة هذه الشركة ونعرف أننا معاً إطلالة يسوع على العالم. لا يســعنا أن نتهاون بأقوى ما عندنا وأبهى ما عندنا، أعني ذلك القداس الأحدي الذي يترجم فيه السيد قيامته حضوراً فاعلاً في كل واحد منا وفينا مجتمعين. المسيح إذا جاء إلينا بهذه الصورة يتوقع أن نتلقاه. يطلب أن نكون جلساءه، أن نتعشى معه ويتعشى معنا (رؤيا٣: ٢٠).

عندما يقول المخلص بطرق شتى ومواضع عديدة إننا نأكل جسده ونشرب دمـــه فإنمـــا يريد أنه هو الذي يكوننا بذاته وأن حياته هي إياها التي تصير حياتنا. لا شـــيء أوضح من هذه اللحمة التي لا نقدم فيها شيئاً ونصير فيها المسيح ذاته. أما إذا أحجمتَ عن القداس الإلهي فمن ينشئك على الحب ومن يحييك؟ ألست بذلك محاولاً إقـــناع نفســـك أن لك وجوداً مستقلاً عن اجتماع الإخوة، ذلك الذي تتجلى فيه سيادة الفادي على الكون.

إن تقاعسنا عن الخدمة الإلهية إن لم نتب عنه يعني أننا ارتضينا الموت جماعياً لأن الموت الروحي هو بالضبط هذا: ألا تكون محتاجاً إلى المسيح وألا تقول له ذلك وألا تقصد المطرح الذي تتناول فيه العشاء الذي أعده للذين يحبونه.

لعلـــك إذا ذقت حلاوة يسوع لا تفوّت فرصة الاستماع إليه في كل الخدم

التي يمكنك أن تشترك بها لأنها كلها مواعد حب بينك وبين المعلم ولأنها تكشف لك ما تحتاج نفسك إليه. كل هذه الصلوات مركبة معاً تدفعك إلى اللقاء الكبير مع السيد صبيحة الأحد.

المحتاج يحتاج إلى محبتك:

وإذا خرجت من المعبد تحمل معك في قلبك كل الذين التقيتهم وكذلك الذين تخلفوا لعذر مقبول أو تخلفوا بسبب من فتورهم وتلتهب ليعودوا. وقد لا يكون الحاضرون على طرق الكمال الروحي وقد لا يأخذون المسيحية مأخذ الجد. ولكن المتحمسين والكسالى إخوتك أيضاً وهم في حاجة إلى افتقادك ولا سيما إذا كانوا من المحتاجين. كلٌّ محتاج على الأقل إلى محبتك. هذه تعبر عنها يومياً وإلا تكون قولاً يقال. وإذا ظهرت حاجتهم إلى مساعدة مالية فاقترب إليهم وتواضع أمامهم وبيّن لهم اخوّتك. وضمن الأخوة الصادقة الطيبة، أبذل لهم ما استطعت لأنهم عندئذ يصبحون مولودين من الله.

أهمية المؤسسات:

لا شك أن وحدتنا مع الإخوة المحتاجين تدعونا إلى تعزيز المؤسسات التي ترعاهم وإلى إنشاء مؤسسات جديدة حتى لا يحس أحد منا أن الجماعة تهمله. أجل، إن الكنيسة ليست بديلاً من الدولة وهي الراعية الاجتماعية بامتياز في العصر الحديث. غير أن النخوة تفرض علينا ألا نعيش ونحن نرى الناس يجوعون أو نراهم بلا طب أو بلا تعليم. لا بد من تشاور بيننا وتحسس بالمرميين على طرق الوجود، المنسيين في كل مكان لتظهر لهم أنهم سادة بيننا وأننا لهم. فإذا انضممنا نحن إليهم بالافتقاد يحسون أن يسوع قد ضمهم إلى صدره.

إن حياتنا الواحدة في الكنيسة تفترض أن "نحمل بعضنا أثقال بعض" (غلاطية٦: ٢) ومن الأثقال طبع الناس. إنهم قد يجيئونك من ضعف أو من نميمة أو

من رغبة في الخصام. احملهم جميعاً لأنهم خراف المسيح. وإذا حملتهم شفوا.

وحدة الكنيسة:

إن وحـــدة الكنيسة هي أولاً هذه الوحدة المحسوسة بيننا جميعاً. ولا يحتمل أحدنا الآخر إلا بالمسامحة الكبرى. وقد يكون الأولون في المسؤولية مهملين إياك كائناً ما كان السبب. اغفر للأولين وللآخرين وَعُد إلى رباط الوحدة لأن المسيح هكذا يحيا فينا.

هذه المشاعر المتعلقة بالصلاة والصوم وتكريس النفس في العطاء وبالمشاركة بعامـــة تجمعنا إلى كل من أحب يسوع المسيح. الذين يغتذون مثلنا من جسد الرب ودمـــه في كـــنائس أخـــرى، إذا كانت قلوبهم ممتلئة محبة إنما نسير معهم على طرق واحـــدة. فإذا هم تقدسوا نتقدس بهم وإذا نحن خطونا خطوة نحو السيد فإننا نحملهم في قلوبـــنا إليه. إن الصيام الذي نمارسه معاً إنما يدل على أننا وإياهم نبتغي القداسة وهي الباب الوحيد إلى الوحدة المحققة على الأرض بعد أن جعلنا المسيح معاً في داخل ذاته.

لسنا نعلم بعدُ الشكلَ الذي ستتخذه الوحدة. غير أننا كلنا جادون في سبيل تقارب لا يمحو أحداً ولا يلغي تراثاً شرعياً ولكنه يفتح الأبواب أمام انصباب الجهود والأفكار حتى لا يجدَّف على اسم الله بسببنا (رومية٢: ٢٤). ليس المجال هنا لنفحص العثرات التي تحول دون التقائنا الكامل هنا وهناك. غير أننا في حاجة إلى أن ننقي نياتنا كل التنقية ونحترم بعضنا بعضاً في "محبة بلا رياء".

مشكلة الفصح:

في هـــذا المـــنحى، نرى عامة الناس راغبة في تاريخ واحد للفصح. إن هذا رغبة عامة ويسعى الجميع إليه منذ عشرات السنين، وقد تفاهمت كنائس العالم مجتمعة في حلـــب مـــنذ ثلاث سنين على قواعد مشتركة لتبنّي يوم واحد لعيد القيامة. وقد

يـــتخذ تنفيذ ذلك تدابير رعائية أو تدابير توعية حتى إذا ما توخينا الوحدة لا نكون تسببنا بانقسام. هذا إذا أردنا أن ننتظر حلاً عالمياً.

غير أن هذه المسألة على أهميتها الشعورية لا تزيل الفوارق الأساسية القائمة بين الكنائس. أن نعيّد معاً لا يعني أننا في الأمور الرئيسية نمشي معاً. إن الخلاف بيننا ملف كامل. فإذا انحلت العقد الكبرى تنحل عقدة الفصح تلقائياً.

المهم أن نكتسب روحانية فصحية واحدة بحيث لا يغلبنا ألم ولا سقطة فنرى أن المســـيح "وطـــئ الموت بالموت" وأنه قاهر الشر الذي يبقى متحكماً فينا قبل أن يقبض المسيح على قوانا جميعاً.

أن نكـــون فصحيين، شباناً وشيوخاً، في الفرح والحزن واقعين حتى نقوم، وقـــائمين حذريـــن مـــن الوقوع، هذا هو أسلوبنا وهذه طريقنا وذلك هو إيماننا إذا استطعنا أن نقيم علاقة صميمية مع يسوع وإذا قرأناه على أنه كل الوجود.

كـــل ما نقيمه من أعياد وعبادات ما هو إلا تجليات لشخص السيد، فإذا لم نلقـــه لقـــاء الحبيب والحبيب تكون أعيادنا حاجبة له. ما ينبغي أن نذكره دوماً أن المسيحية ليست نظاماً دينياً يقوم على شرائع وأحكام، على أمر ونهي. إنها حبنا للسيد بعد أن أدركنا أنه جاء فقط ليحبنا حتى إذا عرفنا ذلك نرتاح إلى أن نكون مضمومين إليه فنجد في ذلك سلامنا والعزاء.

ولاختـــبارنا أنـــه صار حياتنا كلها تهون علينا الصعاب بل نستهين بها. إنه يذللها إذ جعل قلبنا مسكناً له ولأبيه وروحه. فمن الداخل الذي هو ينشئه نواجه ما يبدو جبالاً فتتفتت في المواجهة.

أنت شاهد للمسيح:

أن تـــرى المسيح نورك وحياتك كلها هو ما يجعلك تؤثره على كل شيء. هذه الرؤية وحدها تمكنك من التوبة التي هي رجوع قواك إليه بحيث لا يبقى لك فكر

مستقل عن فكره. أما إذا حلت الخطيئة بما تحمله من وجع ومرارة وقوة المأساة، فلا خـــروج منها إلا إذا منّ عليك المسيح من جديد بأن تراه فجراً يهتك الظلمات. إن ذهـــاب الخطيئة عنك لا يتم إلا بلقاء جديد بينك وبين يسوع. أجل الخطيئة موجعة ولكنها لا تمحى بمجرد الندامة التي هي تحسّر وتذكّر للماضي الأليم، ولكنها تستأصل بمجـــرد يقينك بأنك حبيب السيد وبأنك تريد من جديد الخلوة إليه. هذه الخلوة هي غايـــة الرياضـــات الروحية التي نقوم بها في هذا الموسم وغيره من المواسم. هي الغاية لكل قراءة روحية ولكل افتقاد أخوي. الناس مطارح حب تلقى فيها المسيح.

فمـــن الواضح أن المسيح ليس لمسرتك وحدك ولكنه لينتشر بك، لتكون له شاهداً. إنه لا يصير للعالم ولكل واحد في العالم إلا بك. المسيحية رسالة وجود فتغيير إذا أصـــغى الناس إلى الكلمة. فإذا أطاعوا الدعوة يتغيرون أو يكونون قد تغيروا وإلا تكون الدعوة مصلوبة على جهالتهم. مأساتهم تمردهم وتمردهم وجعنا. البر لا يتغلب على المعصية تغلباً آلياً. ولذلك نبقى في الألم وفي الرجاء معاً حتى يسلم المسيح الملك لله الآب (١كورنثوس١٥: ٢٤).

شهادة السلام:

في ما نحياه الآن، يبدو لنا أن الشهادة الملحة هي شهادة السلام وأن الخلاص يعـــني اليوم ـــ في ما يعنيه ـــ الخلاص من الحرب بعد أن أمست مجنونة بلا حدود. الحـــرب لم تـــبق محصورة بإرادة التوسع وشهوة المطامع وإذلال الصغار، ولكنها هنا وهـــناك إبادة للهويات. والغريب في كل هذا بعد أن ظننا بعضاً من الشعوب سالكة ســـلوك التقارب والتضامن ومحو العصبيات الموروثة، الغريب أن هناك بعثاً للتطرف الاثني والتشنج الطائفي ما جعل الحروب الصغيرة تكثر في غير قارة.

كـــل هذا جعل التهجير تعبيراً عن الخوف الجماعي والقناعة أن الغازي لن يتعايش والمغزي، وأنه مصمم على اقتلاعه من أرض لا مشاركة فيها. والغاية ليست

في أن ترحل عن الأرض ولكن أن ترحل عن التاريخ إذ لا يجوز بقاؤك لأن ماضيك، إن ثبت وثبت فيه مجدك، قد يوليك بعض حضور اليوم أو يدعم مزاعمك في الاستمرار.

العاتي يموت روحياً:

وما يحز في الصدر ألماً أن هناك تحيزاً لا يطاق، فالحماية ليست دائماً للضعيف ولكنها تدور في حركة مصالح دولية، ولا يخفي الكبار أن تحركهم هو لرعاية مصالحهم وما ظلوا متمسكين بترداد عبارة ظاهرها ألطف ولو كانت أكثر رياء وهي «التوازن الدولي». هناك اقتحام بلا حياء يجعل تفويض العدالة العالمية إلى هيئة الأمم المتحدة بات غير ذي موضوع.

كان دائماً بَوْن في السياسة بين المقول والمفعول. هذه المسافة تعاش اليوم ولا حاجة إلى تزكيتها وليتذمر من يتذمر ويحزن من يحزن ولييأس من المثل العليا من شاء. ويريدونك أن تسلّم بأن الحرب الشاملة على ما يسمى الإرهاب هي شرط للسلام ولا حاجة إلى أن تثبت التهمة ولا في قناعة أحد أن إشاعة الموت ليس من طبيعتها أن تأتي بالحياة.

في هذه الدنيا من بيده مفتاح الحياة والموت، حياة الشعوب أو تلاشيها هكذا مجاناً أو هكذا اختلالاً عقلياً. أن تعيش أمة من الأمم سيدة يبدو أمراً مسكراً يذكرنا بقول الرب قديماً في صور: "وقل لصور أيتها الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب... يا صور أنت قلت أنا كاملة الجمال. تخومك في قلب البحور. بنّاؤوك تمموا جمالك... كثرت ثروتك وارتفع قلبك بسبب غناك... من أجل أنك جعلت قلبك كقلب الآلهة" (راجع حزقيال٢٧ و٢٨).

قد تأتي الويلات وقد لا تأتي على عتاة الأرض. ولكن العاتي يموت روحياً أبداً وينتصر المنسحقون في قلب الله حتى يأتي يوم عدالة منظورة. المهم ألا نسجد

للقوة فإن من يدعى عظيماً اليوم قد يزول غداً كعشب الصحراء أو كظل مائل.

الجوع ضد العدل:

والكثير من الغطرسة يبدو من تحكم الشعوب الغنية بالشعوب الفقيرة لأن الأكابر لا يفهمون أن السلام هو المشاركة وأن ثروات هذه الأرض هي لأهل الأرض جميعاً من أجل التأمين للحد الأدنى من العيش، ذلك الذي نهرب فيه من المجاعة. فليكن أقل مطلب ألا يتفشى الجوع، ومن بعد هذا، تكافح الأمية طلباً لأدنى المعارف ليضمن بذلك العمل ونبدأ الصعود على معراج المعرفة وما أمكن من التحرر بالمعرفة. عندما تكون اللامساواة ظلما فاضحاً يتأذى الموهوب والمحروم معاً. فالعدل ليس محصوراً في حدود الدولة القومية. إنه في التوق إلى إنسانية متكاملة تتجاوز حدة العرقيات إلى هذه الوحدة التي سنكون إليها في اليوم الأخير بعد أن يفصل المسيح الخراف عن الجداء.

معنى الاستقلال:

يهمنا السلام في العالم كله لأن المسيح رئيس السلام، لأن الإنسانية مثل إنسان واحد أمامه، مثل جسد واحد، والأمم أعضاء متكاملة في هذا الجسد، ولئن كان لكل عضو وظيفة تتكامل والوظائف الأخرى. نحن نفهم أن لكل شعب ميراثاً ثقافياً أو وجدانياً له ذاتيته وينميها وفق مواهبها أو مقوماتها، ولكن ليس إلى حد الإماتة للشعوب الأخرى وإن كان لا مهرب أحياناً من الاختصام بسبب من تأكيد ذات جماعية ينكرها عليك الآخرون. وهذا هو المعنى العميق للاستقلال. ما كان الاستقلال لتأكيد فوقية ولكنه سعي إلى توافق أفضل في تنوع المواهب التاريخية. إن سيطرة شعب على شعب هي إلغاء صامت له، وقد تكون أسوأ من الإلغاء العسكري. وهذا صحيح في علاقة الأفراد كما في علاقة الشعوب. الموت في حقيقته هو أنك لا تحتاج إلى الآخر أو تتصرف كأنك لا تعرف حاجتك إليه. وقد تقول له

إنــك تعايشــه في سلام ولكن السلام ليس في المدى الذي بينك وبين الآخر. هو في عيشــك وعيشــه إن لم نقــل إنه في قلبك وقلبه. وفي لغة العلاقات الدولية إنه في سياستك لنفسك قبل أن يكون سياستك للآخر. أن تقود أمة نفسها إلى السلام ينشئ فــيها العــدل الــذي هــو الوحدة بين الشعوب كما هو الوحدة بين أهل الحكم والمواطنين.

فلسطين:

ومــع تبياننا روح السلام الذي ننشده في الأرض كلّها طاعةً لكلام الملائكة الذين تراءوا في بيت لحم عند ميلاد السيد "وعلى الأرض السلام". لا يسعنا إذًا إلا أن نــتعلق بالسلام على فلسطين وعلى القدس قلبها وكأن الظلم لا يستهدف اليوم قوماً كمــا يســتهدف أهلنا في فلسطين. ما يخيفنا أن حرب إبادة تجري هناك. إن مدينة السلام وما حولها صائرة اليوم مدينة الحرب بامتياز. وعندنا أن السلام في فلسطين إن تحقــق بنعمة الله ورضاه إنما ينسحب سلاماً على هذا المشرق كله لينــزع الحقد من النفوس.

لا يطلب الفلسطينيون المستحيل، يريدون أن يبقوا شعباً يعيش على أرضه، هــذه الــتي هــي شِعْرُهم وشُعورنا بهم. يريدون ألا تقطع أوصال هذه الأرض وأن يسجدوا لربهم في القدس التي يرونها رمزاً لصعودهم إلى وجه الله. ونحن متأكدون أن في هــذا خيراً لهم ولجيرانهم معاً إذا ذكروا جميعاً إبراهيم وإله إبراهيم. ونتوق نحن إلى السجود معهم في أرض القداسة.

غير أن السلام الذي ننشده في العالم العربي إنما يتأثر بسلام كل بلد عربي بما في ذلــك العدالة قرينة السلام. فالعدالة هي التي تفرض نمواً اقتصادياً في مختلف بلداننا والقضــاء على كل أسباب التخلف في الإنتاج والثقافة والنضج المجتمعي، وذلك في حــركة تعاضد وتآزر الشرائح الاجتماعية بحيث يكافح الغبن والقهر المولدان للعنف بكــل أشــكاله. إن التــنوع الفكري والمواجهة الفكرية شرطان من شروط الحرية.

والكـــرامة هي في الحرية. إن في الإنسان العربي طاقات إبداع وعمل وطني ومشاركة سياسية تؤهله حقاً ليبني وطنه بمسؤولية.

سوف نحمل همّ السلام في طريقنا إلى الفصح، أعدّنا الله جميعاً له في موسم الإمساك عن الأهواء لنتمتع نحن والناس كلهم بالنعمة القدوسة واللطف الإلهي. كان الله معكم حتى رؤية القيامة.

✞ ✞ ✞

لا سلام في دار السلام*

أتمنى أن يكون الجميع صائمين والذين لم يصوموا حتى اليوم، يمكنكم أن يصوموا من الآن فصاعداً. يجب أن نصوم. الصيام لنا. هذا صيامنا ويجب أن نصوم.

الشيء الثاني الذي أود أن أذكره أن كثيرين يعيدون اليوم ونحن نهنئهم بعيدهم ونتمنى لهم كل فرح وكل هناء. هذا بينما نحن نعيد ونصلي — وكل صلواتنا أعياد إن شاء الله — هناك قريباً منا أولاد يقتلون، شباب وصبايا يستشهدون لماذا؟ لأنهم يئسوا من هذا العالم، يعيشون وأرضهم التي يملكونها ليست لهم. بيوتهم التي يرونها بأم العين ليست لهم كل يوم.

يعرفون أنهم أصبحوا غرباء بالنسبة إلى رزقهم، أهلهم ليسوا فيها. ولا يعرف واحدهم انه إذا خرج أبوه من البيت أو أخوه أو أمه أو أخته سيعود إلى البيت أم لا.

المدارس غير مفتوحة، المستشفيات مغلقة، يتطلعون إلى المستقبل، فما هو المستقبل عندهم؟ كل واحد من أولادكم يتوقع أنه إذا تعلم، إذا اجتهد فهو يجتهد ليحصّل شيئاً في المستقبل.

أما شبابنا هناك، صبايانا هناك، أولاد اخوتنا جميعاً هناك فهم لا يعرفون ما سيكونون عليه في يوم الغد؟ يوم الأحد هم لا يعرفون بعد ساعتين ماذا سيحل بهم؟ فيما الدنيا بأسرها تقوم عليهم.

إذا رموا حصاة. فهم جماعة إرهابية، أما المدفع الذي يضربهم فليس إرهابياً. يلبسون الثياب التي أصبحت كلها عتيقة ويقال لا ينقصهم شيء. الطعام قد ينقصهم في كثير من الأماكن. أما غيرهم فلا بأس أن يأتي بالطيارات بالدبابات وبكل هذا.

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، الأحد الثاني من الصوم، ٢٠٠٢/٣/٣١

العالم أعمى وبسبب العمى لم يعد يعرف أين هو الحق ولا يعرف الحق لذا يكون مع الباطل. في النهاية إذا قيل لكم ماذا يحدث عند اخوتنا في فلسطين قولوا إن الحق يذبح ذبحاً. بيتي لم يعد بيتي، أهلي ليس عندي ضمانة لهم. المستقبل مغلق أما السلاح فيعطى لغيري وأنا أدان إذا التقطت حصاة لكي أدافع بها عن نفسي.

صار المغتصب صاحب حق، وأما الذي خسر بيته وخسر مستقبله ويخسر حياته فالحق عليه. ماذا ينتظر الناس ممن خسر كل شيء هل ينتظر منه أن يقول للمغتصب سلمت يداك؟ متى كان ذلك معقولاً؟ متى كان ذلك عادلاً؟ في هذه الدنيا، إجمالاً الإنسان يتمتع ببلاده بأرضه ببيته برزقه، يتمتع بحقوقه وله حقوق. ونعرف، أيها الأحباء، انه لا يوجد صوت واحد يقول للمغتصب أنت مغتصب خفف من ثقلك. خفف من ضغطك. خفف من ظلمك. إذا أصابك حجر تقوم القيامة أما إذا مات الشاب والصبية والأهل.. الخ فكأن شيئاً لم يحصل أو أنه ذو أهمية ويلفت النظر وكأن الناس ذباب، كأنهم حشرات. العالم الذي يحدث فيه هذا الأمر عالم يُؤسَف له. واذكروا أن من يتوقع عدالة في هذا العالم إنما هو مخطيء. يجب أن نتذكر، أيها الأحباء، أننا باسم ديننا، باسم كنيستنا، باسم إنجيلنا وصلواتنا نحن ضد الظلم نحن ضد ما يحدث في هذه المنطقة المقدسة. الأماكن المقدسة التي لاخوتنا، أماكننا المقدسة التي لم تعد بين أيدينا ليست أماكن آمنة بالنسبة إلينا. في منطقة إله السلام وأبي المراحم ليس هنالك من سلام ومن رحمة. أريدكم، أيها الأحباء، إذا صليتم لأعز شيء فيكم أن تصلوا من أجل الذين لا يقدرون أن يأتوا إلى الكنيسة مثلكم اليوم ولا يقدرون أن يجلسوا هكذا بأمان غير خائفين من قنابل أو من مدافع أو ما إلى ذلك. أريدكم أن تفكروا بهم، ولو كان في استطاعتنا أن نفعل أي شيء لكنّا فعلناه حتماً، أيها الأحباء، لأن العمل من أجل إنصاف الناس هو عمل كبير، هو عمل إحسان، هو عمل أخلاقي. كما قلت نعايد الذين يعيِّدون ولكننا نغصّ عندما نفكر أنه في هذا اليوم بالذات وفي هذه الساعة بالذات هنالك بشر يخصوننا لا بل كل

البشـــر يخصوننا. نحن مع كل مظلوم بقطع النظر عن جنسه وعن وطنه. هنالك أناس نحـــن نـــراهم بأم العين و ليتنا نتمكن من الذهاب إليهم. هؤلاء ليس عندهم ذرة مما عـــندكم إلا أنهـــم يقولون: إذا لم يكن من الموت بدّ فلماذا نعيش مظلومين؟ لماذا لا نصـــارع في حياتنا؟ فلنمت لأننا سنموت ومن لن يموت؟ والفرق بين الناس هو أن هـــنالك من يموت للاشيء ومن يموت لباطل ومن يموت لجريمة وهناك جماعة ومنهم الشـــهداء الذيـــن نذكرهم الذين وجدوا أنه فخر للإنسان أن يموت من أجل الحق. الـــبطل الحقيقي هو الذي يكون بطلاً من أجل الحق وليس من أجل الظلم وليس من أجـــل الاغتصاب. إننا هنا، أيها الأحباء، مجمعون على أننا نحن جماعة حق لا جماعة بـــاطل، نحن جماعة سلام ونريد السلام لكل الناس ولأنفسنا وهذا حق، ألسنا بشراً كسائر الناس، نحن بشر والله خلقنا. نطلب ذلك عن حق ولا نظلم أحداً. إننا نسأل الله بحكمـــته ومعرفـــته أن يـــرى المظلـــوم العدالة والإنصاف. بدون العدالة، بدون الإنصاف، ما معنى حياتنا كلها، أيها الأحباء؟

سعادة السفير (قبرص)

أود أن أعـــبر عـــن ســـعادتنا بأن نقدم لك كهدية وسام القديسين بطرس وبولس مؤسسي الكرسي الانطاكي. كنا فخورين جداً بوجودك معنا. كنا فخورين بذكـــر اسمك كشخص ناجح في عمله الدبلوماسي وفي عمله الكنسي. و لم تجد أي تعـــارض أو انفصام بين أمانتك لعملك الدبلوماسي وبين إيمانك الأرثوذكسي الذي مارســـته في الكرســـي الانطاكي. نشكرك جداً ونتمنى لك أن تعود لبلدك (قبرص) وتمارس هذه الحياة الرائعة. نتمنى لك السعادة ولكل الذين يقدّرون أتعابك. نشكرك مـــرة أخـــرى باســـم شعبنا وباسم كرسينا الانطاكي. كنا سعداء بصداقتك ونحن فخورون بك.

نطلب لك البركة.

القديس مرشدنا*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

أحـــب اليوم أن أحدثكم عن شيئين: الشيء الأول هو الصوم وفيه نعتبر أن الصوم صيامنا وأن الصلاة صلاتنا والكنيسة كنيستنا والإيمان إيماننا... الخ كما يمكننا أن نتـــبرأ مـــن كل ذلك وأن لا نكون مؤمنين وبالتالي فنحن أحرار. في الكنيسة لا يوجـــد شـــيء يفرض فرضاً. في الكنيسة يجب أن ترغب أنت في الشيء بدون أي ضغط. فلا سلطة لأحد عليك. أنت حر تماماً.

ربـــنا أعطانا الحرية التامة حتى في الكفر به وتبقى حياتك مستمرة. فالله لا يحمـــل عصاً يلاحق بها الذين يخالفون ولو أراد ذلك لاحتاج إلى عدد لا يحصى من العصي، لأننا كلنا نحتاج إلى الضرب.

لذلـــك في الصوم والصلاة إذا لم ترد أن تصوم أو تصلي فأنت حر. ولكن هذا لا يعني أن نتخذ حججاً لكي لا نصوم ولا نصلي لأن كل إنسان يمكنه أن يقوم بحد أدنى لذلك ما يمكنك أن تفعله يجب أن تفعله كثيراً كان أم قليلاً. صحيح أن لا أحـــد يلاحقـــنا بالعصي ولكن ما يمكن أن أفعله يجب علي أن أفعله. وهذا ما يتعلق بشأن الصوم.

الشـــيء الـــثاني: «تشفعوا فينا نحن الخطأة» ويا عذراء تشفعي بنا ويا أيها القديس تشفع بنا، ويا أيها الرسل والأنبياء والشهداء تشفعوا بنا.

ما قصة كلمة تشفع. إذا سمع اخوتنا البروتستانت هذه الكلمة فهم يعتقدون بأننا نحن لا يمكننا أن نتكلم مباشرة مع الله بل يجب أن يكون هنالك وسيط.

---

* الخميس ٢٠٠٢/٤/٤

ولكن الواقع هو أننا عندما نقول: «تشفع» فإننا نستخدمها بالمعنى البسيط للكلمة بالضبط كما يلجأ الطفل إلى أمه لتتحدث مع والده بشأن شيء ما. وهذا الشيء يعود إلى الطفل وليس إلى الأم أو الأخ الأكبر أو غيره ممن يتحدثون مع الوالد.

القديسون الذي نحادثهم كلهم في ذمة الله وعندما نحدثهم ونطلب إليهم فلأنهم قاموا بما نحب أن نقوم به وهو أنهم ساروا في طريق المسيح ونحن نحب ذلك لذلك نطلب إليهم أن يدلونا على الطريق التي ساروا عليها حتى يصلوا. إذن هم دليلنا حتى نسير في الاتجاه الصحيح.

القديس ليس حاجزاً نضعه بيننا وبين ربنا فلا نعود إلى رؤية ربنا. هذا كلام باطل وغير صحيح ولسنا هكذا. وعندما نكلم العذراء فإننا نكلمها حتى نسترشد بها لنصل إلى ابنها الذي نؤمن به.

يا أحباء، أود اليوم أن أركز على شيئين:

الشيء الأول: هو أنك موجود في الكنيسة بكل حريتك ولا أحد يفرض عليك وجودك فالكنيسة كنيستك وفي النهاية يمكنك أن لا تكون مسيحياً. ولكن ذلك يجب أن لا يكون حجة أو سوء استعمال وبالتالي ناتجاً عن سوء النية. والمريض يحق له أن يأكل أشياء خاصة في مرضه ولكن لا يصح أن يتخذ المرض حجة ليستمر في تصرفه عندئذ يصبح هنالك كذب في الموضوع ويجب أن ننتبه لهذه الناحية.

الشيء الثاني: هؤلاء الذين نضع أيقوناهم في الكنيسة هؤلاء لم نصنع أيقوناهم ليقفوا في الطريق بيننا وبين إلهنا. لا، الواقع أننا نفعل ذلك لأهم جاؤوا قبلنا وهم صادقون لذلك نسميهم قديسين ونعتقد أهم أفضل منا. وكل ما نطلبه أن يأخذوا بيدنا ويقودونا إلى حيث هم لأننا نتمنى أن نكون مثلهم وليس مثل الكذاب أو اللص مثلاً. أنا هنا في الكنيسة حتى أكون مثلك لذلك أرجوك أن تأخذ بيدي. وفي الكنيسة لا يفرض علينا شيء. ونحن في مسيرتنا مع القديس لن نغدو هو ولكننا

نتخذه دليلاً في الطريق الصحيح. يجب أن لا نخاف من أن نسأل الأعلم منا والأكبر.

إن شـــاء الله نكون صائمين وأن لا نتخذ حججاً نكذب فيها على أنفسنا ونكون بذلك من الكذابين.

عافاكم الله.

✠ ✠ ✠

هاءنذا أمة للرب*

نبدأ، أيها الأحباء، بذكر الثالوث الأقدس الإله الواحد.

حياكم الله، لا شك أن وجودنا في هذه الكنيسة المقدسة وأن وجودكم جميعاً الواحد مع الآخر ثمين جداً. وأنتم تعرفون أنه في هذه الأيام يصعب جداً أن يتفق إنسان مع إنسان آخر وكلما كبر عدد الناس كبرت خلافاتهم ولم يعد الواحد يفهم لغة الآخر. المحبة تنبع من إيمان هذا المكان، المحبة لغة المسيح. من يتكلم اليوم لغة المسيح إلا أنتم المؤمنين به والذين اعتمدوا باسمه ويتناولون جسده المقدس ودمه الكريمين؟ أنتم وحدكم تتكلمون لغة المحبة وهذه أقوى لغة يمكن أن يستخدمها إنسان مع إنسان.

الناس يتقاتلون ويتخاصمون عندما يبعدون الله من أمام أعينهم، عندما يبعد الإنسان الله يصبح فقط إنساناً يشتهي أن يفترس الإنسان الآخر وأن يغتصبه.

في مديح السيدة العذراء اليوم أفكر بسيدتين وليس بسيدة واحدة فقط.

السيدة الأولى هي تلك التي كان عندها ولدان. تخاصم الولدان وتقاتلا فقتل أحدهما الآخر وكانت هذه أول جريمة في تاريخ البشر. وهذه الجريمة ارتكبت بين أخوين من أم واحدة وأب واحد. أتصور كيف كانت حالة حواء أم هذين الشابين التي كانت تعيش مع زوجها في وفاق وإذ بالجريمة تحصل لأول مرة نتيجة تنافس وتسابق.

أتذكر امرأة ثانية. المرأة الثانية هي السيدة العذراء. السيدة العذراء رأت كما رأت حواء. وماذا رأت حواء؟ رأت أنه إذا وجد اثنان في هذا العالم فإنهما يتقاتلان

* كنيسة النبي الياس الغيور، دمشق، المديح الثالث، الجمعة ٢٠٠٢/٤/٥

ورأت السيدة العذراء أنه في هذا العالم يوجد مقدار لا يحد من الخطأ ومن العيوب. وهل نحتاج إلى الكثير حتى نعرف أن عالمنا ليس جنة الفردوس. ألا نرى ماذا يحدث؟ ألم نسمع بالحروب الكبيرة؟ ونحن الآن نسمع ماذا يحدث حيث ولد المسيح في فلسطين، في بيت لحم. حيث ولد مخلص العالم هناك نسمع بالمدافع تقصف الكنيسة وبالجنود يهاجمون الشباب دون شفقة أو رحمة وينهالون بالضرب على الرجال والنساء والأطفال بدون أي رادع ديني أو إيماني. ماذا يحصل عندنا؟ والمأساة الكبرى عندنا أنه عندما يخطئ الإنسان فإنه يلصق الخطأ بالآخر ودائماً عندما نختلف فالحق دائماً على الآخر.

هذه هي «الموضة» في هذا العالم. البعض يسألني كيف نصف الوضع الآن في فلسطين؟ وكان الجواب أنه لم نفكر يوماً أن ما يحدث الآن قد يحدث «ضربني وبكى» يا أخي أنا من ضُرب لذلك أنا من يجب أن يبكي. لا، المقاييس اختلفت فأنت من يُضرب وهو من يبكي. يقول المتحدثون الذين يقدمون لنا أشياء كثيرة في هذا العالم بالمنطق المعكوس بالنسبة لمن يحمل حجراً ويرمي به دبابة فتجيبه الدبابة بالقتل والدهس ومع ذلك فالحق على من حمل الحصاة ورمى بها الدبابة وليس على الدبابة التي قتلت الفتى. أهذا هو العدل؟ على الأقل قولوا إن الحق في ذلك يطال الاثنين معاً. ولكن لا، الحق دائماً على رامي الحجر. إلى هذه الدرجة وصل التحيز والتصرف اللاإنساني. هذا ما يحصل وهل يعقل أنه لا توجد أية ضمانة لأي إنسان يعيش في أرض المسيح أن يعود إلى بيته إذا ما خرج منه؟

يجب أن نضع أنفسنا مكانهم لكي نرى فظاعة الوضع وما يحصل. أقول ما أقوله حتى أُظهر إلى أي حد هي خطيئة الإنسان عظيمة.

يقولون إن الإنسان هو الذي اخترع الطائرات والتلفزيون والكومبيوتر. نعم هذا شيء حسن ولكنه اخترع أيضاً القنبلة الذرية والبارودة وكل أدوات القتل

والدمار.

كـــان إزعاج بسيط من إنسان لجاره يثير سخط كل من حوله ولكننا الآن توصـــلنا ألا نُشَهِّر إلا بالجرائم والقتل. .. ما هي هذه المدنية التي نعيشها. إذا كانت المدنـــية من أجل البشر لكي يعيشوا حياة أفضل فمرحباً بها من حيث أتت. وأما أن تكـــون مدنية القنبلة الذرية التي تقضي على الملايين دفعة واحدة ويبقى تأثيرها الضار إلى ما شاء الله فهذه ما نفعها؟ الله يعرف كل شيء ويعرف ماذا نفعل ولكنه برحمته يرحمنا ولذلك نطلب إليه الرحمة عندما نقول: يا رب ارحم.

عندما أصبحنا في هذا الوضع أراد الله أن يخلصنا. عندما ترى ضوءاً من بعيد تستأنس به وتسير نحوه ولكن إن كانت هنالك حفرة عند الضوء فلا شك أنك واقع فـــيها. لذلك عندما أتى الرب يسوع كان الناس يسيرون في خط واحد واتجاه واحد نحو الحفرة.

الآن لا أحـــد يتحدث بلغة العدل والحق إلا عند الجماعة التي تخاف الله أي عـــند الـــبعض مـــن عائلاتنا وعند المؤمنين الذين يعرفون الله ويعرفون كيف يحبون القريب.

عندما عرف الرب بهذا الشيء قال هنالك خلقة جديدة أي أنه يوجد أناس خلقوا مجدداً. نعم الرب يسوع ابن الله الوحيد الذي به كان كل شيء في البدء جاء لكـــي يغير الأشياء ويبدلها. ولكنه لا يقوم بذلك بالقوة. أنت قوي إذا كنت تعرف كـــيف تحب وكيف تقدم للناس من قلبك. هذا شيء مهم جداً، يا أحباء. السيارة المعطلة لمعها من الخارج ما تشاء فلن تسير إلا إذا أصلحت العطل.

جـــاء المسيح حتى يجعلنا خلقة جديدة. ومن أين سيجيء؟ فكما أن البشرية أتت من امرأة وهي حواء أم كل واحد وأخت كل واحد وحبيبة كل واحد كذلك جاء الرب يسوع من امرأة وهي العذراء التي نمدحها الآن.

ويسألوننا عن نظرتنا إلى المرأة. المرأة بالنسبة إلينا ليست كائناً مهمشاً. فهي أمـــنا وأختـــنا والشخص الذي نحبه. وهي خلقة الله كغيرها وقد نتعلم منها الحنان ونتعلم المحبة لأننا في بعض الأحيان نكون قساة القلوب. ومنها ولد السيد المسيح.

بالطبع تساءَلَتْ حول حبلها وهي الأكيدة من عذريتها ورفضت الفكرة في الأســـاس ولكن عندما قيل لها إن الحبل سيكون بواسطة الروح القدس أجابت دون تردد: «هاءنذا أمة للرب فليكن لي حسب قولك».

ولنتصـــور أنهـــا قالت لا فماذا كان سيحصل؟ لنتصور العالم بدون المسيح وبدون المسيحية، أنتم الآن لستم وحدكم. ملايين البشر في هذه الساعة يصلون نفس الصلاة التي تقيمونها. أنتم أقوياء ولستم مستضعفين.

اليوم نذكر هاتين السيدتين الأولى التي خلقنا معها في البداية والثانية هي التي خلقنا معها من جديد.

أدامكـــم الله وأطال في عمركم. هذه الصلاة من أجلكم والصوم صومكم. قد لا يكون جميع الحضور صائمين وأتمنى على من نسي أن يصوم أو تكاسل أن يبدأ من الآن فصاعداً وسيجد أن الأمور ستكون أفضل وأنه ليس وحده في هذه الكنيسة يقوم بذلك.

وإن شاء الله صوماً مباركاً للجميع.

✞ ✞ ✞

الصوم صومك والصلاة صلاتك*

أود أن أعايدكم جميعاً بهذا العيدِ الكريم، أعايد الآباء، أعايد المرتلين، أعايد الوكلاء، أعايد كل من يهتم بشؤون هذه الكنيسة المقدسة.

نحــن في منتصف الصيام، أقول منتصف الصيام والصيام ليس له منتصف أو ثلاثــة أربــاع لأن الصيام هو شيء داخلي يعيشه الإنسان. ولكن الكنيسة وضعت الصيام في هذا الوقت، على أمل أن نصوم. واليوم في قلب الصيام ننظر إلى الصليب. لمــاذا ننظر إلى الصليب؟. أيها الأحباء، نحن إجمالاً نعيش في كنيستنا وكأنها ليست كنيســتنا. الذي قلته لأخوتكم في أماكن أخرى هو أنه يجب أن نتبنى كنيستنا، يجب أن نتبنى الصلاة في كنيستنا. أن نتبنى الصيام، الكثيرون يسمعون بالصوم مثلاً ما دام هو حديثنا لكنهم لا يصومون. من تنتظر أن يصوم عنك؟ الإيمان، الصيام، الصلاة لا تكــون بالنــيابة عن فلان وفلان. لا يمكن لأحد أن يصلي عنك، لا يمكن لأحد أن يصوم عنك. إذا أنت لم تصم فمعنى ذلك أنك أنت غير صائم. إذا كنا نترك الصلاة لغيرنا وكذلك الصيام نتركه لغيرنا، فأين هو إيماننا؟ وكيف نؤمن؟ أبالكلام؟ الكثيرون يصومون بالكلام.

في عالمنا، أيها الأحباء، قلما نرى الناس الجديين الناس الذين يؤمنون فيعبرون عــن إيمانهم بالقول، ويعبرون عن إيمانهم بالفعل. هذا قليل وما أكثر المتكلمين. كلنا، كلنا في نفس الوضع، ما أقوله ليس موجهاً إليكم فقط، فأنا لا أخاطبكم وحدكم، أنا أخاطب الموجودين جميعاً وأنا على رأسهم. نكثر الكلام، نقلل الفعل، نقلل التعبير عن إيماننا. ترى؟ متى نخاطب بعضنا كما يخاطب الشخص أخاه أو ابنه أو ابنته، فيقول لها يــا ابنتي من كل قلبه، يا ابني من كل قلبه، يا أخي من كل قلبه. متى ندفع بقلبنا في

* كنيسة الصليب المقدس، دمشق، أحد الصليب، ٧/٤/٢٠٠٢

الإيمان. الإيمان، أيها الأحباء، ينبعث من القلب وليس إيماناً بالشفاه، بالكلام، بالتكرار يحـــل فينا، هذا ليس بالإيمان الحقيقي. قال الرب: تَدَّعون أنكم تتبعوني «من أراد أن يتـــبعني فليحمل صليبه»، يعني أن الصليب عمل، الصليب شيء مهم يجب أن تسعى إلـــيه. الأشياء لا تأتي بالسخافات وبالراحة وكما قلنا بالكلام. الصليب يتحقق بقدر ما تجعله أنت في قلبك. الرب يسوع فعل بصليبه، مات على الصليب. أنت ماذا تفعل بصـــليبك، وهل تقدم للذي ضحى بنفسه من أجلك كلاماً بكلام. أطلب إليكم أن تصبح كنيستُكم كنيستَكم، أن تصبح صلاتُكم صلاتَكم، أن يصبح الصيامُ صيامَكم. فلنأخذ أنفسنا بكل جدية والذي ليس عنده شيء في الداخل لا يقدر أن يعطي شيئاً إلى الخارج.

أولادكـــم ينتظرون منكم أقوالكم، أقوالكم في الصوم، أقوالكم في الصلاة، أقوالكم في الإيمان، ينتظرون ذلك ومنكم يتعلمون إذا أردتم أن يتعلموا. حان الوقت لكـــي تـــريدوا أن تحملوا الصليب. الصليب لا يفرض نفسه فرضاً. الصليب يأتي إذا أردناه، وإذا قلنا مرحى للصليب. صليب المسيح الذي فيه نحمل لا همومنا فقط ولكن همـــوم العـــالم بأسره هنا. أيها الأحباء، عيب علي أن أكون غارقاً في قضايا الأكل والشرب وما شاكل وأن يكون في الوقت نفسه أخي أو جاري أو قريبي أو الشخص الـــذي أراه خـــارج اهتمامي. هذا لا يصح. دينك ليس لك وحدك. دينك للذي لا يدين به. يجب أن تقدم هذا الدين من قلبك وبعينيك، بسمعك، بسلوكك، بأخلاقك يجب أن تقدم هذا الدين لذاك الذي لا يعرفه، أو الذي هو بعيد عنه.

صـــحيح أننا نقول اليوم بأننا نعيّد ولكن العيد بالنسبة لربنا يسوع المسيح لـــيس عيد التلهي وعيد الرقص لذلك نذكر هذه الأيام أخوة لكم، أخوة محرومين. هـــؤلاء الأخوة هم محرومون من أقل الأشياء التي تحصلون عليها. جئتم إلى الكنيسة وهـــم لا يقدرون أن يجتمعوا كما تجتمعون. لا يُضمن لأحد منهم أن يخرج من بيته ويعـــود. الأمهـــات والآباء حزانى، يودعون أولادهم في الصباح داعين لهم بالتوفيق

وآملـــين أن يـــروهم في البيـــت ثانية دون أن يتأكدوا من ذلك. تصوروا أن هنالك أمهات كأمهاتنا لا يقدرن أن يتوقعن عودة الابن الذي تركهن في الصباح. تصوروا أنكم بعد هذه الصلاة ستذهبون إلى منازلكم. ولكن جماعة من إخوتكم الآن في بيت لحم حيث ولد المسيح إله السلام، أب المراحم ولد هناك ولكن الناس هناك وفي أمكنة أخرى من البلاد المقدسة لا يعرفون متى ينفجر فيهم لغم، أو متى تقتحم بيتهم الدبابة وتخرجهم من منـــزلهم.

أيهـــا الأحباء، كلمة الصليب الآن تجعلنا نفهم ماذا عانى الرب يسوع من أجلـــنا جميعاً وتجعلنا أيضاً نعرف أن الرب يسوع عانى الصليب ولكن لم ينته الأمر هـــناك لأن هنالك قيامة حقّة. بعد قليل سنعيّد للقيامة وكل صليب لمسيحي صادق ينتهي بالقيامة المجيدة.

أيهـــا الأحـــباء، يطلب إلينا في هذه المناسبة أن نذكر الذين ليس عندهم ما عـــندنا والذين لا يتمتعون بما نتمتع ولا يأكلون ما يمكننا أن نأكله، ولا يتمكنون أن يصلوا كما نصلي نحن الآن. علينا أن نذكرهم وأن نطلب من الذي فدى الإنسان أن يفتح أبواب القيامة لهم وباب الرجاء.

كل عيد وأنتم بخير.

✟ ✟ ✟

فقط الإنسان يؤذي ليؤذي*

يسعدني اليوم أن أكون معكم في هذه الأمسية، وأن نسمع الصلاة وأن نتذكر العذراء مريم، وأن نتذكر طهارتها، ونتذكر الأشياء الكثيرة أيضاً: نتذكر الطهارة والصدق وطيبة القلب والأخلاق العالية. ولعلنا نتذكر هذه الأمور في عالمنا الحاضر. البعض قالوا، أيها الأحباء: نحن كيفما التفتنا في هذا العالم نرى الله، وأين نراه؟ نراه في الطاولة وفي الشجرة وفي البيت ونراه في كل شيء. وإذا جمعناها إلى بعضها البعض نكون قد جمعنا الأشياء التي تصنع الله. الله هو هذه الأشياء التي أمامنا. هذا كلام، كلام سهل وسهل على الإنسان أن يقوله. حتى إذا سألته عن الله يقول لك أنظر إلى الحائط، أنظر الزهرة، أنظر الحيوان.

نحن، أيها الأحباء، في إيماننا نفتح أعيننا أكثر والذي يقول ما كنت أقوله هو إنسان لا يفتح عينيه. نحن نفتح أعيننا وننظر، ننظر إلى الأشياءِ التي يقول عنها هذا وذاك إنها الله.

هل الله فاعل شر؟ إذا رأيت إنساناً يذبح إنساناً بدون سبب وهذا، أيها الأحباء، شيء يحصل في الدنيا التي فيها نعيش فكيف أقول إن هذا الإنسان هو قطعة من الله. نحن نعتقد أن الله قريب من الإنسان وهذا صحيح، نحن نعتقد أن هنالك لسان حال بين الله وبين الإنسان لأن الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله وهذا صحيح. صحيح أننا مقدسون.

في إيماننا أنك إذا نظرت إلى الإنسان كما تنظر إلى الخشبة فأنت لست مؤمناً يجب أن تنظر إلى الإنسان بأسمى ما يمكن من الطرق وهذا ما يجب أن يحصل ولكن هل هذا حاصل؟

---

* كنيسة القديس جاورجيوس، دمشق، صلاة المديح، ١٢/٤/٢٠٠٢

أذكـــر ما نسمعه اليوم وكل يوم، عندما نرى الإنسان يُعامل وكأنه قطعة خشـــب يُقـــتل بسهولة، يرمى في الطريق، يرمي في الشارع حتى أنه لا ينال كرامة الدفـــن. الدفن كرامة للإنسان، كلنا نحب أن نرى أهلنا ونرى أنفسنا، ليس في حالة الـــتمدد. ولكن أن يبقى كل واحد ممن نحب عنده شكل، الشكل الذي أحببناه وهو حـــي لكي نحفظ صورته على أفضل وجه، نحب ذلك. اليوم عندما أرى طفلاً مثلاً، الطفـــل الـــذي يقتل عن خمس سنين أو ست سنين أو أقل أقول ماذا يجري في هذا العـــالم؟ هـــل أقول للذي يدّعي أنه يرى الله في مجموعة هذه الأشياء يا أخي هل إذا جمعـــت قـــتل الطفل، إهانة أمه، قتل الأخ ترى ما يكوّن الله. نحن نفتح أعيننا، أيها الأحـــباء، ولأننا نفتح أعيننا نؤمن بإلهنا متجسداً في بيت لحم، إلهنا إله إذا شئت أن تـــنظر إلـــيه فإنك تراه، إذا شئت أن تلمسه يمكنك أن تلمسه، إذا شئت أن تكلمه يمكنك أن تكلمه. نحن جماعة تقول بأن الله خلق العين لترى لذلك نحن نستعمل العين وننظر.

متى يقع الخطأ في العالم؟ عندما تقول عن شيء إنه جيد فأنظر إليه بأم العين فلا أراه جيداً. نحن جماعة ننتقد لأننا نستعمل الأدوات التي أعطانا الله إياها حتى نقدّر الأشـــياء كما تحدث في هذا العالم. نقول: لو كنا قديسين، لو كنا فلاسفة، لو كنا متعلمين وأطباء ومحامين ولا هوتيين. يبقى أنه لا يجب أن نكتفي بأن تكون لنا من الله الصورة فقط. يجب أن نتجه إلى أن نكون مع الله.

لمـــاذا نصلي ونذكر القديسين؟ أولاً: لأنهم بشر تماماً مثلما نحن بشر. ثانياً لأنهـــم بشر عاشوا في اعتقادنا كما أراد الله، أي عاشوا بقرب الله. نحن جماعة تحتاج إلى الله. كـــنا في القديم لا نعرف ماذا يحدث في هذا العالم؟ الآن صرنا نعرف، صرنا نعـــرف أنك إذا كنت تتمتع في النهار فالنهار ليس موجوداً في كل مكان. وإذا كان هـــناك الدفء فليس الدفء في كل مكان. إذا كنت شبعاناً فليتك تعرف أن نصف سكان الكرة الأرضية لا تشبع الآن ونحن هنا في هذه الكنيسة المقدسة وعندما نتناول

طعـــام العشاء يجب أن نتذكر أن نصف سكان الأرض لا يشبعون ولو لم يرحمنا الله بقلـــيل من المطر لكنا لن نرتوي. أيها الأحباء، نحن نحتاج إلى الله والله لا يحتاج إلينا لكـــنه يحبنا ومن جملة محبته أنه أتى إلى أرضه فالله ليس متكبراً، والله ليس متعالياً. لا يكلمنا من فوق، من بعيد.

الله يحب الذين يخلقهم. الله يحب خليقته ولذلك نحن نؤمن أنه في بيت لحم أتـــى وأخذ لحماً مثل لحمنا وأخذ عظاماً مثل عظامنا وكلم الناس عما نتكلم ولكن بقلب أطهر وبلغة شفافة أكثر. كلمهم بمحبة قد لا تكون عندنا عندما يكلم الواحد منا الآخر.

أيهـــا الأحباء، نحن في هذا الوقت عندما أذكر العذراء، أذكر صبية، يتباهى الكثيرون بأن صباياهم لسن مثل الصبية التي نحن نصلي أمامها. العذراء كانت تؤمن بالطهارة وليس كل الآباء وليست كل الأمهات، ولا الصبايا، أو كل الشبان يؤمنون بالطهارة. عندما نقول بأن الإنسان كان طاهراً في الجبلة الأولى عندما خرج من بين يـــدي الله فكـــان له الفردوس حيث لا عدو ولا قتال ولا دولة ولا قوة. كل هذه الأشـــياء كانـــت غير موجودة شيء واحد كان موجوداً هو المحبة بين المخلوق وبين الخـــالق. عندما ساء هذا الأمر بين المخلوق والخالق ساء كل شيء ونحن في مرحلة، كلنا نحتاج فيها إلى الله تعالى.

أيها الأحبة، تأكدوا أن هنالك قانوناً، أن هنالك غريزة عند سائر الحيوانات. الحـــيوان لا يؤذي. الحيوان يعيش حسب غريزته. الإنسان وحده يؤذي لأنه يخطط لـــلأذى لـــيس عن حاجة يطلبها لكن عن طمع وعن محبة للأذى. أيها الأحباء، نحن نحتاج إلى الحضرة الإلهية. دعوا لقمة الخبز التي تأكلونها تذكركم بأن الصيام وضع من أجـــل محبتـــنا لله، من أجل أن نتذكره. صلوا لأنكم بالصلاة تذكرون الله. تذكرون قديسيه. لا تنسوا هذا نتيجة الضغط عليكم بمسائل هذا العالم. العالم لا يتمكن من أن يحل قضاياه. عالم يموت الناس فيه بالألوف والملايين. هذا ليس عالماً يستحق أن نفتخر

بـــه. أيها الأحباء، وأنتم صائمون اذكروا أنكم تعملون شيئاً من أجل علاقتكم بالله وبـــدون هذه العلاقة لا تصدقوا أنه لا يمكن لكل واحد منا إلا أن ينهش الآخر لأي سبب كان.

انظـــروا إلى الواقع وافتحوا العيون. ديانتنا ديانة أعين مفتوحة. افتحوا العيون لأنه ماذا يفعل الإنسان؟ يوجد الدواء ويوجد القتل أيضاً.

يوجـــد الشيء ويوجد ضده أيضاً، يوجد السلام وتوجد الدبابات وتوجد المدافع وتوجد طيارات النقل ولكن الإنسان يوجدها أيضاً لكي يقصف الناس ولكي يقتلهم. اليوم، أيها الأحباء، أحببت أن أتأمل وإياكم في عالمنا هذا. نحن نقول إن الله واحد أحد لأنه ليس من واحد صالح إلا هو ونحن من صلاحه فقط نشتم الرائحة من بعـــيد ونطلب منه أن يجعل من هذه الرائحة بخوراً طيلة حياتنا وأن يجعل من صيامنا وصلاتنا بركة بالفعل. شكراً.

✠ ✠ ✠

السلم نصعده درجة درجة*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

اليوم، يا أحباء، نقيم ذكرى شخص اسمه يوحنا. عاش منذ مدة طويلة تقارب ١٥٠٠ سنة وكان في دير القديسة كاترينا في سيناء. وكل من يزور الدير هناك عليه أن يتذكر أن يوحنا الذين نعيد له عاش هناك. لماذا نذكر هذا الشخص بالذات فيما يوجد بشر عاشوا هنا وهنالك لا نأتي على ذكرهم بينما يوحنا نذكره في قلب الكنيسة. هذا الشخص الذي لم نعاصره ولكن قيل عنه إنه كان ينتبه لأكله، ينتبه لنومه، وينتبه لكل تفاصيل حياته لذلك يجب أن تكون يده فوق الأشياء التي يحس بها ليتمكن من أن يسيطر على نفسه. لماذا؟ لأن ليس كل الأشياء الحسنة تأتي من الخارج ولا كل الأشياء السيئة تأتي من الخارج فقط فهذه الأشياء كلها قد تأتي من الداخل، من داخلك لذلك يجب أن تنتبه جيداً فإذا لم يكن داخلك نظيفاً فلا يمكنك أن تنصح أحداً بأن يكون نظيفاً وإذا كانت أقوالك غير سليمة فلا يمكنك أن تطلب من أحد أن تكون أقواله سليمة.

يوجد شيء يجب أن تقوم به قبل كل شيء هو الاهتمام بنفسك. يجب أن تنظف بيتك الداخلي قبل أن تطلب من الناس أن ينظفوا بيوتهم.

يوحنا السلمي، وسمي كذلك لأنه كاتب سلم الفضائل، في كتابه كان يقول يجب على الإنسان أن ينظف نفسه ليطلب من الناس أن ينظفوا أنفسهم.

في كثير من الأحيان تجد أنه الأسهل لك أن تضبط الناس، أن تضبط أولادك وأهلك وأن تمون عليهم وتؤثر فيهم أكثر مما تمون وتؤثر على نفسك.

* الأحد ١٤/٤/٢٠٠٢

كـــثيراً ما تحس بأن هنالك دافعاً في داخلك يدفعك كي لا تقول الصحيح وأن لا تعامل الناس كما يجب وبالتالي يصبح عنصر الكرامة ينقصك.

يوحـــنا الســـلمي في كتابه سلم الفضائل جعل من الفضائل درجات وأنت تصعدها درجة درجة وكانت الدرجة ١٣ هي الدرجة التي يصعب تجاوزها. كانت الدرجة ١٣ هي درجة الكبرياء.

إذا ما ابتلي الإنسان بالكبرياء فإنه يتوقف عند الدرجة ١٣ وقد يسقط عنها وفي الكتاب المقدس: «من رفع نفسه اتضع ومن وضع نفسه ارتفع».

وعـــندما يقول الإنسان كما قال الفريسي: «أنا لست كسائر الناس» فهذا الإنسان حتماً يقع. وأما الذي يقول: «يا رب ارحمني أنا الخاطيء» يكون كالشخص الـــذي يعـــرف بيته جيداً فيأخذ المكنسة ويكنس نفسه في الداخل. وهذا هو الذي يـــتمكن أن يكمل طريق الصعود لأنه عمل على نفسه. أما الذي يهمل نفسه ليتطلع إلى فلان وفلان فهو إن وصل الدرجة ١٣ لا شك أنه سيسقط عنها.

يا أحباء، إذا دخل الشر نفسك فإن عينيك لا تريان الخير والذي قلبه مملوء بالشـــر يصبح أنى تطلع يرى الشر. هذا ما يفعله الشر إذا دخل فيك. إذا دخل الشر بيتك قسمه وخربه وإذا دخل بينك وبين أقربائك أو إخوتك فصل بينكم. إذا تغلغل بالـــبلد نفســـه يقسم الناس ويتجه كل باتجاه معين. وعندما يأتي العدو يجد الجميع ضعافاً. وهذا ما حصل عندنا وحصل في عالمنا الآن. في الشرق الأوسط نجد كل فعل منعزلاً عن الآخر وهذه أسوأ طريقة يعيش فيها الإنسان لأن الشر يستولي عليه بأسهل ما يكون.

القديسون أولئك الذين جربوا وحاولوا ترتيب بيتهم الداخلي أعطونا خبرتهم وتكـــلموا من أجلنا. ونحن إذ نذكرهم ونتكلم عنهم لأنه حصل معهم الشيء الذي يجب أن يحصل معنا وأصبح يجب أن ننتبه للشيء الذي انتبهوا له.

الإيمـــان لا يخصـــنا وحدنا ولا يأتينا بالسحر. أنت تحب الكنيسة إذا رأيت بشـــراً في الكنيسة تحبهم أما إذا دخلت الكنيسة ورأيت أناساً تكرههم فإنك تدخل الكنيسة ولكنك لا تصلي فيما القصد من المجيء إلى الكنيسة هو الصلاة.

هـــنالك معركتان يجب أن تخوضهما واحدة مع الآخرين وواحدة قد تكون الأهم مع نفسك. يجب أن تعمل كثيراً على تقوية نفسك. الذي لا يتمكن من المشي كـــيف ســـيقود الناس؟ والذي لا يرى كيف سيساعد غيره على الرؤية؟ والذي لا يـــتمكن من ضبط نفسه كيف له أن يضبط الناس؟ منك تخرج الأشياء ولا تبقى في داخلك. ما في داخلك ينطلق إلى الآخر. عندك معركة ثانية في الخارج عندك معركة للشر في قلبك وهذا ما يجب أن تنتبه له وأن تشتغل عليه. لا يصح أن تفعل كذا لأن الـــناس هكذا يفعلون. يا أخي أنت بشر وأنت مثل غيرك فلماذا تنقاد ولا تقود لماذا يجب أن نكون تابعين نسير على غير هدى. لذلك حتى نصبح متبوعين يجب أن نتعب ونشقى. والقديس يوحنا السلمي خير مثل على أن الذي يعمل يصل ويبقى قدوة.

إذا حصّـــنت نفسك ضد الشر فإنه بتعاملك مع الآخرين يمكن أن تصارع الشـــر فيهم ويمكنك أن تغلبه. وهذا ما نتعلمه اليوم من القديس يوحنا السلمي الذي عاش في دير القديسة كاترينا منذ أكثر من ١٥٠٠ سنة والذي لا يزال قائماً حتى الآن وهناك الجبل حيث صعد يوحنا في محاولة ليعرف ما إذا كان الشر ينبع من داخله أم هو من العالم. ولكنه اكتشف في الجبل أن الشر في داخل الإنسان لذلك فكل كبرياء هي في غير محلها وإذا كان في الإنسان شيء حسن فهو من الله. لذلك يجب أن نمجد الله على ما أعطانا. والله معكم.

✠ ✠ ✠

لا استقالة من الكهنوت*

هـــذا المساء، أيها الأحباء، سيكون مساء مميزاً وأشكر الله أنه أتيح لي هذه السـنة أن آتي إلـيكم كما كنت أفعل في السابق وأن أراكم وأشترك معكم في هذه الخدمة الإلهية. الكل لا يعرف أني أتطلع إليكم بصورة خاصة برضىً كامل لأني أجد أن للكنيسـة مكاناً جدياً، مكاناً رصيناً، في قلب كل واحد منكم. بكل صراحة أنا أحـب هـذه الرعية لأني لم أتعود أن أرى فيها الواحد يخاصم الآخر. لم أتعود هذا الشـيء على الإطلاق ولكن كنتم دائماً تبرهنون على أنكم قادرون أن يحب الواحد الآخر وأن يكون الواحد مع الآخر. وصدقوني أن كل من لا يعرف أن يحب الآخر أو أن يحـبه الآخر فهو أكبر فاشل على وجه الأرض. إذا لم يتوصل الإنسان أن يكون عنده شخص يحبه أو يكون له شخص هو يحبه عندئذ الدنيا تصبح جهنم. وإني أشعر بأن الجو هنا مفعم بالرضى ويتجاوز الكثير من النقائص التي لا بد منها عند أي إنسان على وجه البسيطة.

وفي كنيسـتنا، أيهـا الأحباء، ليس فقط الراعي يصنع الرعية. الرعية تصنع الراعي. ماذا يمكن لراعٍ أن يفعل إذا كان الناس شتامين، وإذا كانوا كارهين الواحد للآخر. وإذا كان ليس من محبة بين الواحد والآخر؟ الراعي ليس عنده سوى الكلمة ليقولـها. المهم أن تكون هناك آذان لكي تسمع الكلمـة. وهذه الكلمة التي يقولها الـراعي، أيها الأحباء، لا تأتي منه. الكلام الذي يقال في هذه الكنيسة المقدسة ليس كـلام زيد أو عمرو من الناس ولكنه كلام الإنجيل المقدس، كلام الكنيسة المقدسة، الكـلام الذي يقوله الآن الملايين معكم. أود أن أشدد على أنك أنت تصنع راعيك ولـيس فقـط هو يساعدك حتى تصنع نفسك. والكاهن، أيها الأحباء، الراعي ليس موظفـاً، الموظف تنتهي خدمته في وقت محدد. الراعي، الكاهن لا تنتهي خدمته لأنه

*داريا، ٢٠٠٢/٤/١٦

يلبسها كل الوقت. نقول يُرْسَم، والروح القدس ليس شيئاً تصفه وتتخلى عنه غداً. الروح القدس يصبح شخصياً في حياتك أنت، يصبح لباسك، يصبح عقلك، يصبح تفكيرك، ويصبح كل شيء فيك. لذلك، أيها الأحباء، لا يُسمع في كنيستنا أن الكاهن استقال أو أن المطران استقال. ليس من استقالة، لا يمكن أن تستقيل من أبوتك لأولادك. كيف يقول الأب إنني استقلت من أبوة أولادي. هذا غير موجود عندنا في الكنيسة ولذلك فعندما نتكلم عن الكهنوت نحن نتكلم عن نعمة بدونها ليس من كنيسة. بدون الكاهن في هذه الكنيسة ليس من أسرار، ولا يمكن أن يتمم الإنسان سراً إلهياً لا إكليل لا قداس مهما كان عدد الحضور أو كانت نوعيتهم. هذا شيء مهم يجب أن نعرفه.

اليوم، المناسبة الخاصة التي أنا هنا من أجلها بالفعل هي أن نتحدث مع «أبونا» جرجس. أبونا جرجس واحد من أسرة، أسرة كهنوت. ترون واقعياً، أيها الأحباء، أن له أخاً في الكهنوت؟ أنهما مولودان من أب كاهن. الكهنوت شرف ولماذا يكون شرفاً؟ لأنه مقدس جداً. أما نحن فلسنا مقدسين. إذا كان الله يرضى بأن يكون كهنوته على بعض الأشخاص. فذلك برحمة منه. الله يعطيك دون أن يسألك إذا كنت تستحق أو لا تستحق. الكهنوت ليس وظيفة ولكنه شخصيتك ومن هنا فالكثيرون في الكهنوت ليس عندهم منه سوى الجبة والكثيرون من غير الكهنوت عندهم نوع من الكهنوت ولكنهم بدون جبة وكان من الأفضل أن يكون الكهنوت لديهم وأن تكون الجبة أيضاً لكي يعرف الناس من يحدثون ومع من يتكلمون حتى يعرفوا أباهم. ليس عيباً أن يكون الكاهن مميزاً حتى بلباسه. أنا أعرف، أيها الحبيب أنك وكل العائلة أعطيتم هيبة للكهنوت. وليس العصمة. لا أحد صالحاً إلا الله وحده ولكن البعض تعطيهم صفة فتتبهدل الصفة والبعض الآخر يحملون الصفة ويحترمون الصفة ويحترمون أنفسهم ولو كانت وسائل الاحترام في كثير من الأحيان تختلف بين واحد وآخر.

هذه الهيبة نحن اليوم نحتاجها. يظهر أحياناً أن القاعدة عند البعض من الكهنة ليست قاعدتنا وكأن البعض لا يريدون أن يكونوا مثلنا، لماذا يا ترى؟ شعبنا والحمد لله من الصنف الأول دون منازع. هذا بالنسبة إلينا، فلماذا لا ننتسب إلى أنفسنا. الكثيرون يظنون اليوم أن الكاهن كالموظف. ما هو الضروري الذي يجب أن يقوم به لأداء ذلك الواجب. الكهنوت ليس وظيفة نقوم بها في وقت ونتوقف عنها في وقت آخر. الكاهن كاهن حتى عندما يكون نائماً فليعرف ذلك أبناؤنا الكهنة. يجب أن نكون كهنة قبل كل شيء. والكاهن عنده كلماته، عنده نوع تفكيره عنده روحه. لأننا بصورة عامة لا نطعم الناس ولا نسد لهم حاجاتهم. نحن فقط كآباء نحب الناس ونقدم لهم من أنفسنا. وهكذا فقط يمكن للناس أن يحبونا.

«أبونا» جرجس أطال الله بعمرك. نحمد الله أنك في هذا العمر لا تزال بركاتك لا تنقطع عن شعبنا وإن كان من وقت لآخر سيأتي أحد إخوتك الكهنة الصغار لكي يقوم مقامك حسبما تقتضي الحاجة. ولكنك أنت الكاهن وستبقى كاهناً. ونحن نعتز ونحن سبق أن قدرنا شخصيتك وأعطيتَ ما لم يعطَ لكل الكهنة، عندنا ميدالية القديسين بولس وبطرس اللذين أسسا هذا الكرسي. لا تنسوا أنه لا يوجد كرسيان اسمهما الكرسي الانطاكي، وأن القديسين لم يؤسسا إلا الكرسي الانطاكي وكرسي رومية. رومية تأسست بعد انطاكية والذي لا يعلم هذا الأمر يجب أن يعرفه.

يسعدني أن أزين صدرك بهذا الشيء. نطلب دعاك أنت طيب ونحن طيبون.

✝ ✝ ✝

صورة العذراء باب للفرج*

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

اليوم رتلنا صلاة المديح الأخير في هذا الصوم وهو موجه للسيدة العذراء وقد سمعتم بعض القطع وقد رتلت أكثر من مرة ولكن لا ضير في ذلك ما دمتم تحبون هذا الشيء وأنا أشعر بأن القطع التي تخص السيدة العذراء محبوبة جداً لأن السيدة العذراء نفسها محبوبة. وشيء آخر أود أن ألفت النظر إليه هو أن صلاة المديح لا تُقام في كل الكنائس الأرثوذكسية كما تقام عندنا أسبوعياً فنحن نصلي مساء كل يوم جمعة أسبوعياً وفي الأسبوع الخامس نعيد القطع كلها. ما نقوله في الأسبوع الخامس هو ما يقال في باقي الكنائس الأرثوذكسية لأنه في الأساس كانت الخدمة هكذا تقام. واليوم سيكون هذا المديح هو الأخير.

أيها الأحباء، اجتزنا معظم الصوم وما بقي هو القسم الأقل لذلك أذكر الذين لم يصوموا حتى الآن أن يصوموا وأطمئنكم أن أحداً لم يمت نتيجة الصوم. وإذا نحن لم نصم فلمن الصوم وإذا كنا لا نصلي فلمن الصلاة؟

اليوم أود أن ألفت نظركم إلى أشياء خاصة. انظروا تشاهدوا أيقونة السيد وأيقونة السيدة. عندما تنظر إلى أيقونة السيد بماذا تفكر قبل كل شيء؟ قد يكون أول ما يذهب إليه ذهنك هو الصليب. إذن لمجرد أن تنظر إلى أيقونة الرب يسوع تفكر بالصليب، تفكر بالآلام وماذا قدم الرب لنا. وإن ما أعطانا إياه الله هو شيء استثنائي إلى أقصى حد.

عندما تنظر إلى أيقونة السيد تخطر لك هذه الفكرة للتو. ولكن اليوم في كل صلواتنا لم نذكر الصليب و لم نذكر الخطايا لم نقل يا رب القوات كن معنا. و لم نقف

---

* ٢٠٠٢/٤/١٩

لنطلب الرحمة والغفران. لم نكن بموقف الذي يفكر في نفسه فيحزن من أجل نفسه.

الجو الذي نخلقه هام جداً. لا يمكن للإنسان أن يستغفر ربه «ارحمني يا الله أنا الخاطئ» عندما يكون في جو غنائي وقد أخذته النشوة.

الطبـــيعي أن نتواضع عندما نتذكر خطايانا ونطلب من الرب الرحمة وهذا أقصى ما نطلبه. ونقدم الشكر لله على ما يقدمه لنا بدون استحقاق ونكرر ونعيد يا رب ارحم فإن لم يرحمنا ربنا فلا يفيدنا شيء. وإذا أراد الله أن يوازن يوم الدينونة بين ما صنعناه وبين خطايانا فلا شك أن كفة الخطايا سترجح. وإذا أراد الله أن يستخدم عدلـــــه فسنكون خاسرين لأننا لا نستحق الكثير. لذلك نقول للرب صحيح أننا لا نستحق ولكن رحمتك عظيمة تغطي المنتظرين منك الرحمة العظمى. أنت عظيم الرحمة وأكـــبر من كل خطايانا لذلك فاعتمادنا ليس على أنفسنا وما نستحقه ولكن عليك وعلى طول أناتك وما قدمته وتقدمه لنا. لقد أعطيتنا الحياة ونحن بإرادة الله نعيش.

يـــا أحباء، عندما ننظر إلى صورة المخلص نرى ما قلته أي أننا نتذكر أشياء موجعة وأشياء تجلب الألم.

عندما ننظر إلى أيقونة السيدة العذراء بماذا نفكر. عند السيد نفكر بما حصل لــــه في حياته وما يحصل معنا. ولكن عندما ننظر إلى السيدة العذراء وكأننا نرى باباً مفـــتوحاً. لم يكن الرب يسوع حاضراً ولكنه حضر، لم يكن المخلص قد أتى ولكنه سيأتي. نتطلع إلى الأمام ونفكر بماذا سيحصل. ننسى أنفسنا، يا أحباء، ونتساءل: ماذا تمـــثل لنا هذه السيدة؟ إنها تمثل كل مستقبلنا، فالحياة التي ليس فيها أمل وليس فيها رجـــاء ولا تـــرى نفسك إلا مصلوباً ينتظرك الموت، هذه الحياة لا تعاش. لا يعيش الإنســـان وصورة الموت أمامه لا تفارقه. صورة العذراء هي الصورة التي نتطلع إليها فنرى الحياة عوض الموت ونتطلع إلى المولود الجديد والذي سيشكل المستقبل. لذلك فجو الصلاة عندما نصلي للعذراء هو جو مختلف. ولا أعتقد أن الكثيرين يعرفون أن

الأبيات التي نقرأها في المديح هي قصيدة شعرية لم تكتب بلغتنا ولكن باليونانية.

وكان يمكن القول: شكراً لكِ لأنك فتحت لنا الباب وشكراً لكِ لأنك قبلت المخلص وشكراً لكِ لأنك أصبحت نافذة للنور نرى منها الضوء.

صورة العذراء تساعد على أن يكون عندنا صورة عن المستقبل. هل هذا له معنى خاص؟ نعم وقد وضع المديح في هذا الأسبوع من الصوم قصداً.

لماذا نصوم ونصلي؟ نفعل ذلك حتى نرى قيامة الرب يسوع ونرى الحياة التي أعطانا إياها الرب في القيامة أكثر مما نرى الموت الذي ننتظره في نهايتنا وقد حكم علينا به.

الصلاة مع العذراء عنصر فرح. ولكنها مع السيد تدعو إلى البكاء وسترون ذلك في الجناز الذي لا شك أنه مؤثر. وأما وضع العذراء فهو مغاير لأننا نذكر العذراء وتقول إنها رجاؤنا.

ماذا سنذكر يوم الأحد، سنذكر أن أسوأ ما في العالم لا يعادل ذرة من رحمة الله ومحبته لذلك يجب أن نقوي قلوبنا وأن لا ندع الخطيئة تغلبنا. ومهما كنا نخطيء فرجاؤنا بالله ومحبته لنا وإيماننا به أقوى بكثير من أن يتغلب الشيطان علينا. يجب أن لا تستسلم لليأس مهما ضعفتَ فلا تنس قدرة ربك وأن الله قادر أن ينجيك وعينه لا تغمض وهو حاضر لينجيك.

هذا وضع لكي نعرف أن الصوم ليس نواحاً ولا هو غرقاً في خطايانا فقط ولكن لنفكر أيضاً في ما سيأتي بعد الصوم ونعرف أننا فعلاً سنموت ولكن يجب أن لا ننسى ما يحصل بعد الموت. بعد الموت لا يوجد موت.

هذه الأشياء يجب أن نتعلمها اليوم ونعرف أن صورة العذراء نافذة للتطلع إلى الغد وأن صلواتنا مع العذراء صلوات لنفتح أعيننا جيداً حتى لا نرى السواد يلفنا. عالم الله ليس كذلك وتصرف المسيحيين كان غير ذلك حتى أن الميت كان يلف

بكفن أبيض لأنهم يلبسونه ثياب القيامة. ولن يبقى ميتاً ولكنه سيقوم. وهذا ما نتعلمه.

إذا لم تكونوا صائمين فيجب أن تصوموا. وأنا أعرف أن الكثيرين قد يفعل الكلام في الجماد أكثر مما يفعل فيهم. وإذا لم تعتادوا الصيام فأدخلوا عادة حسنة في حياتكم.

يكفيكم تقليداً لبعضكم في العادات القبيحة. لا نريد أن نكون هكذا فلنشد الهمم وإن شاء الله نلتقي يوم العيد. حفظكم الله.

✠ ✠ ✠

المسيح هو الطبيب الشافي*

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

اليوم، يا أحباء، نعيد لجمعية القديس بندلايمون يعني للمستوصف الذي عندنا. قد لا يكون جميع الحاضرين يعرفون أن عندنا مستوصفاً يستقبل مرضى يهتم بهم أطباء ممتازون بأسعار مقبولة جداً. وتجرى للمرضى الفحوصات وقد يحصلون على دواء مجاناً إن تيسر.

الكنيسة لا يمكنها أن ترى الناس يتوجعون فتتمنى لهم الشفاء من بعيد. لا، الكنيسة عندما ترى فقيراً تحاول مساعدته وإذا جاءها مريض وكان بإمكانها المساعدة قدر الإمكان فإنها حتماً تساعده.

والمستوصف ليس جديداً وكذلك الجمعيات الخيرية وهذا شيء رافق الكنيسة منذ القديم. البعض لا يعرفون ماذا تفعل كنيستهم ولكنهم يلتفتون إلى ما تعمله الكنائس الأخرى ذلك لأننا أغبياء.

يجب أن نتصل بالكاهن وأن نسأل الكاهن لأنه يعرف أكثر من غيره ويدلنا إلى ما يجب فعله.

هذه مناسبة لنطلب من أجل المستوصف وجمعية المستوصف التوفيق وأن يجد المحتاج والمريض حاجته عندهم.

وشيء آخر له علاقة بالصوم الأربعيني المقدس. الوضع الذي نحن فيه يمكن أن يوصف بأنه وضع استنفار روحي. لماذا؟ لأنه سيحصل حدث ولا أهم وهو حدث القيامة وأعظم من حدث القيامة ماذا يمكن أن يحصل؟ لا شيء أبداً أبداً.

نحن مستنفرون نصوم ونواظب على الصلاة ونشكر الله أن أولادنا يأتون إلى

---

* الأحد ٢٠٠٢/٤/٢١

الكنيسة ولو كان بعضهم لا يداومون ويعتقدون أنفسهم أكبر من الصلاة. وأكبر من الصوم. نحن نعتقد أنه ليس أحد أكبر من ربنا ولا أفضل منه وهو صام وصلى. والذي عـنده الشعور بأنه أكبر من ربنا فهذا حتماً لا يعرف شيئاً ولا يفهم في النهاية مهما تعـلم وكائناً من كان. لا يوجد أكبر من الله لا بل لا يوجد مثله. لذلك يفهم لماذا توجـد عندنا حالة الاستنفار. انقضى معظم الصوم وبقيت مدة قصيرة منه أتمنى أن نصـوم فـيها. يكفينا كذباً على الناس وعلى أنفسنا. عندنا صوم ولا نصوم وعندنا صلاة ولا نصلي وعندنا «أومن بإله واحد» ولا نعرفها وهذا يعني أننا كذابون لذلك يجب أن ننتبه جيداً وأن نتصرف في الفترة القادمة على أفضل ما يكون.

يوم الجمعة كان آخر مديح إذن ليس من مديح بعد. كنا نتطلع إلى السيدة العـذراء لنطلب شفاعاتها ولكننا لم نكن ننتبه إلى أي حد هي صالحة ومهمة وطاهرة وسمعـت كـلمة الله. لا بل كنا نرى إلى أي حد نحن صغاراً بالنسبة إليها وكم هي طاهـرة بالنسبة إلينا. كنا نراها كبيرة ونحن صغاراً. أما الذي لا يتمتع بفكر الصوم فكان يحسب أنه هو الكبير وانها هي الصغيرة أي أنه يرى الأمور معكوسة. بدأت أيام الصـوم تصـبح خلفنا وفي الكتاب المقدس أن الرب يسوع جمع تلاميذه ليحدثهم وينـبههم إلى ما سيحصل وكان بين التلاميذ اثنان أخوان اقتربا من يسوع وقالا له نريدك أن تضعنا الواحد عن يمينك والآخر عن يسارك.

التلميذان كانا يشاهدان ما يحصل. يريان يسوع يشفي المرضى ويقيم الموتى. رأيـا مـنه الناحـية الإلهية والتي بهرتهم. وهنا أراد يسوع أن يلفت تلاميذه إلى ما سـيحدث وأن ما رأوه سابقاً سيرون أعظم منه من الآن وصاعداً وأن الرب يسوع الـذي عايشـتموه ومجدتموه سيقع بين أيدي اليهود وسترونه يُهان ويُشتم ويُحاكم ويُصـلب. وسيكون بين أيدٍ غير رحيمة. ولنتصور الآن دهشة الرسل بعد سماعهم حديث السيد وتساءلوا هل يعقل ذلك؟ قال لهم نعم هذا سيحصل.

ولننتــبه هــنا إلى أي حد كان ربنا واعياً للأوضاع البشرية وهو يعرف أن الرئاســة تجلب الخلافات والشقاق وهذا ما يحصل في كل المستويات من أوطان إلى عائلات إلى أفراد وقال لهم إن الذي يجمع المال فهو يجمعه من الناس وإذا تقووا فعلى أكتاف الناس وبالتالي هم يصبحون أسياداً على الناس وأنا أريدكم أن تكونوا خداماً للــناس وليس أسياداً. وإذا أردتم أن تجدوني وتعرفوني بين الناس فالذي يخدم هو أنا ولــيس الــذي يُخـــدم وهذا هو مفهومنا للرئاسة. رئيسك هو الذي يخدمك وليس العكس. لذلك فعظمتك لا تقاس بمن يخدمونك بل بمن تخدمهم. لذلك فمؤسساتنا في الكنيسة هي للخدمة وكل من يعمل فيها يدفع ولا يتقاضى. صورة الكنيسة هذه هي أن الكبير كبير بعمله وبخدمته وليس بما يقال له. وهكذا فمقياس الكبير يكون بقدر ما تَخدم وليس بقدر ما تُخدَم.

هذه المرحلة، يا أحباء، تقول لنا بأننا إذا صمنا فلأنفسنا وإذا صلينا فلأنفسنا وأن ربنا لا يحتاجنا ونحن نحتاجه وهو الذي يرزقنا وقد نشكره على ذلك أو لا.

✞ ✞ ✞

معنا هو الله*

اليوم، يا أحباء، نصلي للمرة الأخيرة صلاة النوم الكبرى (يا رب القوات) وكنا رتلنا المديح سابقاً وهكذا ننتهي من الصلوات الواحدة تلو الأخرى فنصل إلى سبت لعازر ثم أحد الشعانين وبقدوم سبت لعازر ينتهي الصوم الأربعيني الذي يليه صوم أسبوع الآلام لثمانية أيام لذلك فالصوم الذي نمارسه هو صومان. أعلم أن الكثيرين لا يصومون لا الأول ولا الثاني ولكن نتأمل أن يصوموا. هل من أحد ندم على أننا كنا في أيام الصيام وكنا نلتقي في الساعة السادسة مساء لنصلي معاً ونتعلم من صلاتنا الكثير وأنا متأكد أن هنالك من أحب هذه الصلاة وأصبح يردد في البيت: «يا رب القوات»، «معنا هو الله» ويتذكر كلمات فيها ذكر لله وذكر للرب يسوع. وهو لن يذكر شيئاً من ذلك لو لم يتردد على الكنيسة ويسمع الترتيل والقراءات. أليس ذلك أفضل من التلهي بأحاديث فلان وفلانة؟

حلو أن يكون التسبيح لائقاً بالله. وأنا أعتبر أن فترة الصيام كانت مفيدة وسمحت للإنسان أن يخصص ولو دقائق معدودات لربه. إذن لم يكن الصوم فارغاً. فقد صلينا وسمعنا ورأينا وقرأنا. والقراءة في الكتاب مهمة جداً لأنها تساعد على الحفظ غيباً والذي لا يحفظ لا يمكنه أن يعيد القطعة ولا أن يعلمها لمن حوله. يجب أن يكون بين مخزون ذاكرتك بعض الصلوات ولا يقتصر ذلك على الأغاني والقيل والقال.

سمعت اليوم من أمريكا أن هناك من يشاهد بعض مظاهر النشاطات التي تحصل عندنا والاجتماعات التي تحصل. يجب أن نطلع الناس، وخاصة الأجانب، على ما يحصل عندنا ونقول لهم إننا لسنا بطالين وإننا لسنا كذابين وإننا نأخذ المسائل بكل

* الخميس ٢٠٠٢/٤/٢٥

جدية. فعندما نذكر الكنيسة فإننا نعني الكنيسة، وأن الصلاة هي الصلاة. ونأسف أنه لـــولا هذه المناسبة لما كنا رأينا الكثيرين ممن نراهم الآن. ولكن ليس المهم أن نراهم نحـــن بـــل المهم أن يروا هم الكنيسة. فالكنيسة كنيستهم والصلاة من أجلهم لترتفع قلوبهم ويسبحوا الرب الذي هو سيدهم وليس هو رب فلان وفلان فقط.

هـــناك أناس يقولون لماذا نعيد الأشياء ونكررها كثيراً؟ نعم، يجب أن نكرر الأشياء لترسخ في أذهاننا. الذي لم يحصل حتى الآن هو أننا لا نصوم أسبوع الآلام مع تأكـــيدي أن أحـــداً لن يموت من الصوم. ونحن لا نقبل حجة عدم وجود الوقت. أسبوع الآلام يجب أن نصوم فيه حتى نحس ولو قليلاً أننا نشارك ربنا. ومهما فعلنا لا يقـــارن بما فعله هو من أجلنا. وعلى الأقل نعرف عندما نسمع القول أخذوه وصلبوه أن ربـــنا ذهب للموت من أجلنا. البارحة كنت أقول لأناس أجانب إننا نفتح أعيننا وعندما نرى قتيلاً نقول هنالك يوجد قتيل، ولا يمكننا أن نمر به مرور الكرام. دعونا في أســـبوع الآلام نكـــن جاهـــزين كي نصلي. وإن شاء الله يكون أسبوعاً يزيد في معلوماتـــنا الـــتي تعلمـــناها. الكثيرون منكم تعلموا أكثر من غيرهم في هذا الصيام، فصاروا يعرفون بعض الصلوات التي صليناها في صلاة النوم الكبرى.

نـــتأمل أن نـــتعرف في أسبوع الآلام على أشياء كثيرة حتى نستقبل القيامة بفرح.

وكل صيام وأنتم بخير. وكل صلاة نوم وأنتم بخير. وإن شاء الله يكون الآتي أحسن من الذي مضى.

✠ ✠ ✠

مبارك الآتي باسم الرب*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

كـــل عـــيد وأنـــتم جميعاً بخير، نتذكر الآن الذين حرموا من أن يصلوا إلى كنائســـهم في الأرض المقدســـة، هؤلاء الذين لم يتمكنوا من تعييد هذا العيد، ومن يدري فقد لا يتمكنون من تعييد عيد الفصح. نسأل الله أن يكون هذا التنبوء خاطئاً. كـــل شيء يدل، أيها الأحباء، أن في كل بقاع الأرض هنالك فرح بالعيد الذي نحن نعيده. ولكن فقط في الأماكن المقدسة مكان ولادة المسيح، مكان عيشه، مكان مجيئه إلى القـــدس، مكـــان صلبه، مكان القيامة، هناك فقط لا يتم التعييد ومن يدري فقد يحـــرمون كذلـــك في عيد الفصح. إذاً نحن نذكر في قلوبنا أولئك الذين حرموا وهم محرومون ليس فقط من الذهاب إلى الكنيسة ولكنهم محرومون من الطعام فطعامهم لا يصلهم لأنهم لا يقدرون أن يتجولوا. هناك وضع لا يُطاق بالفعل ولا أحد على وجه الأرض يحلـــله. هـــؤلاء نســـأل الله أن يفرج كربهم وأن يروا نتائج تضحياتهم. إنهم يموتـــون. والإنســـان الذي يُطرد من بيته ويتوقع في كل حين أن يحصل له شيء أو لأولاده أو أن تدمـــر أملاكه هذا الإنسان يتساءل لماذا يعيش. نتمنى لهؤلاء أن يجدوا معنى لحياتهم.

اليوم، عيدنا أيها الأحباء، يشبه عيد الشعانين الأولى أي عندما كان المخلص آتياً إلى أورشليم. بماذا يشبهه؟ يشبهه بالهدوء. عندنا لا تطبيل ولا تزمير ولا شيء من ذلـــك، هكذا كان دخول الرب يسوع إلى القدس إلى مدينة الصلاة. كان مستقبلوه قلة، ما كان مع المسيح عدد من الناس بهذا العدد الذي نحن عليه بل كان هنالك عدد قلـــيل وهم كما سنفعل في دورتنا اليوم كانوا يرتلون: «مبارك الآتي باسم الرب، الله

*أحد الشعانين، ٢٠٠٢/٤/٢٨

الـــرب ظهر لنا». وكان هذا الدخول إلى القدس صورة مصغرة عن المجد الذي كان ســـيأتي للرب يسوع. ولكن، ما معنى المجد؟ عالمياً المجد يعني الفخفخة، ويعني التطبيل والـــتزمير أمـــا عـــند المخلص فالمجد يعني أن يقدم نفسه حتى الموت. هذا هو المجد. عظمـــتك تكـــون بمقدار ما تقدم، بمقدار ما تعطي، بمقدار ما تضحي وهذا هو المجد الحقيقي الذي أتى المخلص ليحققه وكلم تلاميذه عنه. إذاً اليوم نحن في تطوافنا أقرب إلى المجد الذي ذكره الرب يسوع، أي إلى البساطة وإلى الهدوء النسبي. قلة من الناس يمشون في موكبه. نحن اليوم أقرب إلى مجيء المسيح إلى أورشليم من أي وقت مضى. وهذا جيد جداً. الناس يشمخون إلى فوق عادة لكن ربنا يقول: إنك تكبر بمقدار ما تصـــغر وتـــرتفع بمقدار ما تتضع، وليس بمقدار ما ترتفع أنت ترتفع. لا، بمقدار ما تتواضع أنت ترتفع. الآن سنخرج من الكنيسة ونترل إلى دار البطريركية حيث نختم صلاتنا ونكرر تمنياتنا حتى يبارك الله العيد الذي هو عيدكم وعيد المحرومين. وشكراً.

✠ ✠ ✠

نحن مقدسون بكليتنا*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

يـــا أحـــباء، الشيء الذي نراه اليوم هو أننا نستعمل الزيت ونسميه الزيت المقـــدس، ونصلي عليه ونطلب أن يكون واسطة للشفاء. الناس يظنون أن الزيت هو مجـــرد مـــادة، زيت الزيتون، وأن الماء هو ماء لا غير وأننا نحن لحم وعظام وأن هذه ليست مقدسة. هذا غلط. يجب أن تتعلم أن كل ما فيك هو مقدس من رأسك حتى أسفل قدميك، لذلك فمعموديتك تشمل الجسد كله بالتغطيس وهي تطالك بكليتك. وجســـدك ككـــل شيء في هذا العالم يمكنك أن تحسن استعماله ويمكنك أن تسيء استخدامه. فرجلاك قد تقودانك للخير أو للشر وعيناك تنظران الحسن وتنظران البشع عـــند الناس. وخليقة الله أمامك فانظر إليها جيداً. هنالك فئة لا ترى إلا العتمة عند البشر. أذناك يمكن أن تسمعا الكلام الإلهي ويمكنهما أن تسمعا كلمات لا علاقة لها بالله. أنت مقدس بكليتك إلا إذا أسأت استخدام أعضائك وأنا متأكد أن هنالك ما يســـتحق أن تســـمعه وتراه في الكنيسة. البعض يترددون أربعين سنة على الكنيسة وبمجرد خروجهم من الباب يكونون كمن لم يسمع و لم ير شيئاً.

أيهـــا الأحـــباء، صلواتنا ليست للاستمتاع بالصوت والأداء فقط. جيد أن تكـــون حســـنة الأداء ولكنها في النهاية من أجل الصلاة وهي شيء شخصي ترفعه لإلهك ويخرج من فمك وقلبك.

قرأنا اليوم سبعة مقاطع من الإنجيل وسبعة مقاطع من الرسائل وباعتقادي أنه لا يوجد اثنان في الكنيسة يحفظان نصين من أصل السبعة.

أيهـــا الأحباء، نحن لسنا نجسين، أنت لست نجساً وأنتِ لست نجسة. نقول

*صلاة الزيت، الأربعاء ٢٠٠٢/٥/١

عن المعتمد إنه وُلد من جديد وهو مولود من الماء والروح القدس.

عـــندما نصـــلي على مياه المعمودية نصلي حتى يحل فيها الروح القدس ولا تـــبقى ماء عادياً. أريد أن نشعر بأننا مقدسون. وأننا لم نخلق للهلاك متى بلغنا الموت وانتهى الأمر. الرب أعطاك أن تعيش ولكن حسب نظامه.

أنـــتم مقدســـون، الزيـــت مقدس والماء مقدس ونحن المسؤولون عن عدم القداســـة. نحن من يفعل الخير ونحن من يفعل الشر. من أجل هذا نصوم ونسأل الله الغفـــران وأن يقوينا حتى نسير في الطريق القويم حيث نستقبل القيامة المجيدة بفرح. آمين.

✞ ✞ ✞

الخميرة الصغيرة تخمر العجنة كلها*

أيهـــا الأحباء، انتهينا من صلاة الجناز. وأحسب أنكم انتبهتم إلى أنه ورد ذكر للعظام. في النبوءة تذكرنا ما يقوله دانيال وهو أنه في وقت من الأوقات ستسمع العظـــام الـــتي في القبور صوتاً وتقوم كلها وتكون القيامة. وهذا يعني أن القبر ليس المكان الأخير الذي نذهب إليه. لذلك ترون أنه في الصلاة التي صليناها لم تجر الدموع ولم نـــبكِ. بـــالعكس بدأنا نقول إن الرب قام من بين الأموات. نرى ذلك قبل أن يحـــدث وهذا مهم جداً في حياتنا. وتذكرون أن يوم الجمعة يوم صيام، ما السبب، السبب هو أنه في يوم الجمعة حصل موت المخلص على الصليب. أما لماذا نصوم يوم الأربعـــاء فلأنه الوقت الذي حُكم عليه بالصلب. إنه حكم ظالم، وحكم لا نحبذه، ولكـــن لـــو لم يحصـــل لما صار الخلاص ولما كان تقدم ابن الله الوحيد وخلصنا من خطايانا. أيها الأحباء، في الصوم نتكلم ونقول: ابدأ بنفسك قبل كل أحد. في الصوم لـــن تصلح العالم بأسره وإذا كنت تدّعي ذلك فأنت على خطأ، لأنك تدّعي شيئاً لا يمكنك أن تحققه. ماذا يمكن أن تحقق؟ يمكنك أن تحقق شيئاً بدءاً من نفسك.

الـــيوم سمعنا بولس الرسول وكأنه يجاوب على تقولات بعضنا إننا قلة وماذا يمكننا أن نفعل بالقول هذا صحيح ولكن بولس الرسول أعطانا مثلاً وهذا المثل يعرفه كل واحد: هناك عجنة كبيرة وهناك خميرة صغيرة، تضع الخميرة الصغيرة في العجنة الكـــبيرة فتؤثر الخميرة في العجين وليس العجينة في الخميرة. فليعتبر كل واحد نفسه قطعـــة الخمـــيرة الصـــغيرة تلـــك القطعة التي تؤثر في البيت في العمل في التصرف الشخصي، تؤثر في تربية الأولاد، تؤثر في علاقة الزوج والزوجة. خميرة صغيرة جيدة تخمـــر العجنة كلها، لا تقولوا إننا نحن بشر محدودون ولا يمكننا أن نفعل شيئاً. لا،

*الجمعة العظيمة، ٣٠/٥/٢٠٠٢

يمكـــنك أن تفعل شيئاً ويمكنك أن تؤثر. ولكن ابدأ بنفسك أولاً. هكذا فعل الرب يسوع، قال توجد قيامة والقيامة تفترض أن يموت الإنسان قبل أن يقوم وهذا طبيعي، لذلـــك قـــال: أنا أموت أولاً لأقوم وأنتم تأتون بعدي، لم يقل موتوا عني بل قال أنا أمـــوت عن الكل ثم ترون أنتم القيامة وتتبعوني. بكلام آخر أنا أسير قدامكم ولستم أنتم من يسير في الطليعة.

هذه أمثولة الرب، إن شاء الله تحل البركة علينا وعسى أن تنفتح أعيننا لنرى مـــاذا فعل المخلص وأن تنفتح آذاننا لنسمع ما قاله المخلص عن موته وقيامته من بين الأمـــوات. هذا الحدث لن نراه إلا بعيني الإيمان. فلنطرح عنا كل اهتمام دنيوي لكي نـــتمكن مـــن الرؤية الواضحة والسمع الصافي. واطمأنوا أننا لن نحل مشاكل العالم والـــذي سيحلها هو ربها. أتمنى كثيراً، يا أحباء، من الآن حتى القيامة أن نضع الرب دائماً أمام وجهنا دون الالتفات يمنة ويسرة وأن نسمعه يقول: أنا سأموت عنكم ومن أجلكم ولستم أنتم الذين تموتون من أجلي وسترون أن الذي يتبعني لن يبقى في القبر بل سيكون نصيبه القيامة معكم ومع كل الذين سبقونا.

عيد القيامة ليس لأناس معينين أو أنه يطال فقط هذه القلة المسيحية بل هو لكل من خلقه الله. في عيد القيامة أتمنى أن تتوقف كل الأعمال التي لا يرضاها الضمير وأن يُسْـــمَع صوت الرب. أيها الأحباء، عندما يتوقف الإنسان عن سماع صوت الله تصـــبح الجمادات أفضل منه لأنها تحس أكثر منه وإن شاء الله لا نكون هكذا ونحن قادمون إلى القيامة.

✠ ✠ ✠

مع المسيح نموت ومعه نقوم*

أيهـــا الأحـــباء، إننا في كل التعاليم التي نوجهها إليكم نستمد أفكارنا من الإنجيل المقدس وهذا ما أريد أن ألفت نظركم إليه.

شيء آخر: اليوم هو آخر يوم نصلي فيه صباحاً صلاة المساء. ما فعلناه اليوم هـــو صـــلاة المساء. فالذي جاء منكم في أول الصلاة كان يسمع كأننا نقيم صلاة الغروب يوم السبت مساءً. لماذا قصدنا فعل ذلك؟ لأننا ننتظر القيامة. ماذا يحصل في القيامة؟ الرب يسوع يقوم من بين الأموات. من هو الرب يسوع؟ هو مخلصنا. نريد للرب يسوع أن يطلع علينا كطلوع الشمس، وعندما تشرق الشمس يشرق معها مع ظهور النور وليس العتمة. لقد قبلنا أن نجعل من نور الصباح ظلمة المساء حتى إذا ما عـــيدنا للقيامة نكون قد عدنا إلى الوضع الطبيعي. ونحن لماذا نلتفت إلى الشرق؟ لأن الشمس تشرق من الشرق وكذلك فإننا نحب أن نذكر الصباح مع المخلص الذي هو نورنا وهو نور العالم.

الـــيوم إذا لاحظتم حصل في الصلاة شيئان: الشيء الأول أننا رتلنا من كل قلبـــنا وبكـــل قوة: قُمْ يا الله واحكم الأرض. اليوم ترنمنا بالقيامة. ولكن هل القيامة الـــيوم أم غداً. الذي يعرف شيئاً عن الكنيسة الأرثوذكسية يعلم أننا نصلي اليوم عن الغـــد. لا توجد صلاة غروب مساءً. ما كان يجب أن نقوم به مساء فعلناه الآن لأن يومنا يبدأ من غروب الشمس وليس من شروق الشمس حتى إذا سئلتم تعرفون هذه الأشـــياء. عندنا بدأ يوم الأحد الآن، في الأحد سنصلي صلاة القيامة بكاملها صلاة احتفالـــية. ونحن منذ الآن بدأنا الحديث عن القيامة. لهذا هناك البعض كانوا يقولون إننا في السبت نقول قم يا الله واحكم في الأرض، وهكذا نحن نعيد للقيامة لهذا يجب

---

* سبت النور، ٤/٥/٢٠٠٢

أن ينتهي الصيام، يوم السبت. يوم القيامة يعني يوم الأحد.

اليوم سمعتم: «أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم المسيح قد لبستم هللويا». سمعنا الرسالة وهي النص الذي تلي في المعمودية بعد ترتيل أنتم الذين.. ثم نقرأ الإنجيل. ما يحصل اليوم، وما علاقته بالمعمودية؟ بالتأكيد له علاقة. ألم نقل إنه في المعمودية بطبيعتك تغطس مع المسيح فتموت معه وتقوم معه. إذن عندما ينتشل الكاهن ابنك أو ابنتك من الماء فهو يمرره من الحياة التي فيها موت إلى الحياة التي ليس بعدها موت. إذن صورة الموت عندنا نجدها في المعمودية، انتبهوا، لماذا يجب أن نتغطس بكليتنا، لأن الإنسان يموت بكليته ويقوم بكليته. اليوم يوم المعمودية. لم تكن القراءة منتشرة مثل اليوم وصغارنا اليوم يعمدون باكراً. المعمد يجب أن يتلو دستور الإيمان فإذا لم يكن يجيد القراءة فما العمل وكذلك الصغار لذلك وجد الاشبين. كانت المعموديات تحصل في سبت النور وسمي كذلك لأن الإنسان يكون في الظلمة فيخرج إلى النور. بالطبع كان المعتمدون من الكبار المهتدين وحتى الآن نجد مثلاً في أوربا البعض الذين قرأوا واهتدوا فأحبوا أن يصبحوا مسيحيين أرثوذكسيين. هؤلاء نجدهم يعتمدون. وكنا نرى هذا في روسيا عندما كانت شيوعية حيث كان يمتنع على الناس أن يعتمدوا ويمنع المؤمنون من الدخول إلى الكنيسة فكان ذلك يحصل خفية وعلى منأى من نظر رجال الشرطة السرية. في سبت النور نذكر شيئين المعمودية لأن فيها موتاً وحياة والقيامة التي بدأنا بالتعييد لها منذ اليوم.

يظن البعض أن سبت النور دعي كذلك لأنه في القبر المقدس يفيض النور. هذا غير صحيح ولكن ليس معنى هذا أنه يجب ألا تضاء الشموع لأننا نحن نفعل ذلك. ولكن هذا ليس المعنى الحقيقي. المعنى الحقيقي هو أن اليوم هو سبت المعمودية، وهذا اليوم مخصص من أجل المعمودية. مع المسيح نموت ومعه ننهض، مع المسيح نقوم، لذلك اليوم يوم مهم جداً في تاريخ الكنيسة.

أردت أن أقـــول لكم هذا الشيء حتى نسير على نور وأريد أن يخرج الذي يأتي إلى هذه الكنيسة وهو يعرف أشياء لم يكن يعرفها. نهارنا يبدأ من المساء ولا يبدأ مـــن الصبح كالأيام العادية ونحن اليوم في اليوم الأخير الذي نصبِّح فيه بصلاة المساء. ابـــتداء من الغد يعود الصبح إلى مكانه الأساسي وكذلك يغدو المساء مساء وسيأتي الرب يسوع مع نور الصباح. الرب يسوع لا يأتي في الظلمة ربنا هو الضوء، لم يأت في العتمة. إنه يأتي مشرقاً حتى يكون نورنا لنفهم ونعرف وحتى يملأنا بالفرح.

✠ ✠ ✠

المسيحي يتطلع إلى الآتي*

يا أحباء، كل عيد وأنتم بخير وأسأل الله أن تحمل أعيادنا دائماً معناها معها لأنـــه قد يحضر الإنسان عرساً ولكن قلبه لا يكون حاضراً. وقد يكون في مجال تعزية ولكـــن قلبه غير حزين. وهكذا الوضع مع كثير من الناس الذين يأتون إلى الكنيسة. ولكـــنهم لا يكونون دائماً في حالة الصلاة لذلك يمكنهم أن يقولوا لقد صلينا اليوم جـــيداً أو أننا صلينا بشكل أفضل من المرة الماضية وهكذا. ما نطلبه أن نحمل جوهر الشـــيء معنا وهذا مهم. يقول المثل «لا تقف بين قاعدين ولا تقعد بين واقفين ولا تفرح بين حزانى ولا تحزن بين أناس فرحين». إذا كنت تريد أن تجلس معهم فيجب أن تكـــون مثلهم. نطلب من الله أن يجعلنا في عيد القيامة نعيش كبشر يعيشون شيئاً كثير الأهمية وجديداً وهو القيامة المقدسة. بعد قراءة النص الإنجيلي طلبت من سيدنا أن يـــدع الكتاب مفتوحاً لأفسح في المجال لكم أن ترتاحوا قليلاً في قلب الخدمة وأن أتأمل معكم ببعض ما قيل.

الـــيوم عيد القيامة ويجب أن نقرأ الإنجيل الذي له علاقة بالقيامة. ما الذي يـــربط الإنجيل بالقيامة. الرابط بينهما أن القيامة تذكر هنا ويذكر معها البدء. ما هو الـــبدء؟ البدء نتعرف عليه بسهولة انطلاقاً من حياتنا. كل شيء له بدايته فيكون غير موجود ومن ثم يوجد. بدأنا بالشيء، بدأنا بالعمل... هناك بداية لنا ولكل ما نعمل.

عـــندما يقول الإنجيل: في البدء كان الكلمة والكلمة تستخدم بصيغة المذكر ولـــيس المؤنث. وإنجيلنا اليوم يُقْصَد فيه القول إن هنالك منذ البدء كان يوجد شيء. وهـــذا الشيء هو الكلمة. وكان منذ البدء المقصود بذلك إذا كان كل شيء له بدء فيجب أن نبدأ قبل كل بدء.

---

*أحد الفصح ٢٠٠٢/٥/٥

كيف الكلمة هي كلمة الله؟ كلمة الله هذه ليس لها أول كانت موجودة قبل أن يكـــون هنالك بدء أو نهاية فالله كما قال بعض الآباء إنه لم يكن يوماً من الأيام بدون كلمته. الكلمة يعني ابنه الوحيد الذي بعد ذلك أتى إلى الأرض وكان إنساناً. كيف يعمل الله وليس له يدان، ليس عنده شيء وهو ليس مثلنا، الله ليس رجلاً وليس امرأة وليس إنساناً، لكن الله كائن من نوع معين لا نعرف كيف هو، الله لم يره أحد قـــط. وهذا شيء يجب أن ننتبه له كثيراً، إنه الله. لم يكن الله في يوم من الأيام بدون هـــذه الكلمة وأكثر من هذا، إذاً ليس عنده يدين ليس عنده عينين وليس له أذنين... الكتاب يقول لنا: الله الذي خلق كل الكائنات هو صنع كل شيء نعلمه أو لم نصل حتى اليوم إلى معرفته. الجديد جديد عليك وليس على ربنا الذي هو أوجدها. الأشياء وجدت قبلك وقبلي ولكن ربنا قبلها وهو الذي صنعها.

ولكـــن أية كلمة كان يستخدمها الله لإيجاد الكائنات. بالطبع لم تكن عنده وســـائلنا. إذن كيف؟ يقول لنا الكتاب إن الله كان يقول للشيء كن فيكون. أنت صرت بالكلمة الإلهية والكلمة الإلهية ليست حروفاً تشكل كلمة نقرأها فتلك الكلمة الإلهـــية هي من الله، والله ليس الحروف التي تشكل اسمه (أ، ل، ل، هـــ) الاسم ليس معـــناه هذا الكائن نفسه الذي اسمه الله. يقول لنا في البدء كأن هناك شيئاً سيبدأ، ثم يذكـــر الكـــلمة، هذه الكلمة من أجل أن تصنع شيئاً جديداً. المهم ما علاقة البدء والكلمة بعيد الفصح؟ العلاقة هي أن إنساناً سيموت، نعم نحن نموت ولكننا بعد ذلك نقـــوم كأننا خُلقنا من جديد. عيدنا اليوم في النهاية هو عيد التجديد يعني أن يصبح الإنســـان جديـــداً وأن تصبح الطبيعة جديدة، وأن يغدو كل شيء جديداً بالكلمة الإلهية.

كـــل ما يظهر في العالم من اختراعات وابتكارات هي جيدة جداً ولكنها لا تعـــادل الكـــلمة والكلمة أعظم منها. الكلمة التي تقول كن فيكون هذه الكلمة التي تصنع كل شيء، «به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كوِّن».

اليوم هناك شيء جديد. يقول البعض والآخرون يتصورون أن الكنيسة أصبحت عتيقة وعمرها ألفا سنة وعادة نتطلع إلى البارحة ونحدث أولادنا عن البارحة ونحاول أن نجعلهم يتمثلون بما كنا نفعله نحن. ولكن عيدنا اليوم يحدثنا عما سيصير. ما حصل قد حصل وانتهى ولكن مشكلتك ليس فيما حصل ولكن فيما سيحصل وكيف ستعالج أنت ما سيحصل.

الله الذي خلق لا يزال يخلق اليوم وسوف يستمر في الخلق.

المسيح قام حقاً قام.

✠ ✠ ✠

كرامة الإنسان من كرامة الله*

«المسيح قام»، أيها الأحباء. في هذا اليوم المجيد أود قبل كل شيء إن أبعث بتهاني وتمنياتي إلى السيد الرئيس الدكتور بشار الأسد والى فخامة الرئيس العماد إميل لحود والى جميع الذين هم في سوريا وفي لبنان متمنياً لهم أن تكون في أيامهم أوقات يستهجون فيها بالرب، خصوصاً لأننا في هذه المنطقة من الأرض نبتهج بأن الرب خرج من عندنا. وألتفت إلى جماعتنا التي في القدس وفي فلسطين حيث هناك حصلت قيامة الرب بعد ولادته وبعدما قضى سنيّ عمره في البشارة هنا وليس في أي مكان آخر. ومن المفيد أن اذكر أن ربنا داس تراب لبنان، ويقول الكتاب إنه وصل إلى صور وصيدا.

ويجدر بنا أن لا ننسى أن بولس الرسول، هنا في دمشق، اهتدى إلى الإيمان المسيحي، وهنا سمع القول السماوي: كفاك إتعاباً للجماعات هنا، وكفاك مقاومة للمسيح ومحاولة منعه من دخول قلوب الناس، وكفاك إهانة لأولئك الذين يعترفون بالمسيح رباً والهاً لهم.

قبل أن تهتدي كنت تقول إن الإله الذي تعترفون به ليس هو الهي لان إلهكم يتكلم بالمحبة أما إلهي فيقول لي: اذهب واقتل واذبح كل من لا يؤمن إيمانك. في دمشق حصل الانقلاب وما تبعه،كما حصلت الولادة الإلهية في بيت لحم، وكما حصل الصلب في أورشليم بل قريباً منها. كذلك انقلب لسان بولس الرسول من لسانٍ مبشّرٍ بالقتل، مبشّرٍ بالعنفوان الوحشي، مبشرٍ بتحريض الناس على الناس الآخرين بسبب عقائدهم. هنا انقلب ذلك اللسان إلى لسان ينطق بالمحبة ويقول للناس إنه لا يجوز أن يبقى أي بشري غريباً عن الآخر.

---

*الكاتدرائية المريمية، دمشق، اثنين الفصح، ٦/٥/٢٠٠٢

وكما سمعتم في الترتيل "اليوم يوم القيامة" يجب - كما تقول الترنيمة - أن نتعلم أن نخاطب الناس اليوم كائناً من كان الذي نخاطبه بالقول يا أخي، وان يبدأ التفكير بأخوّة الناس لا في خصوماتهم. وقد قلنا في مناسبات مهمة جداً إن كل من يستخدم الدين لكي يستبيح كرامة الناس ويستبيح عائلاتهم وأولادهم؛ كل من يفعل ذلك باسم الدين يكون اكبر مسيء للدين كائناً ما كان دينه.

نحن هنا تعلمنا أن إلهنا واحد أحد، وكفى ظنوناً بنا أننا نقول غير هذا القول: "الله لم يره أحد قط" سمعتم هذا القول في الإنجيل المقدس ، والله واحد أحد وليس ثلاثة آلهة كما ظن البعض. وعندما نتكلم بالأقانيم، فإننا نقول إن الجوهر واحد. الأقانيم غير منفصلة، وعندما تفصل الأقنوم عن الأقنوم الآخرفإنك بذلك تقسم الإله، وإلهنا ليس أجزاءً ولكنه واحد. "أؤمن باله واحد" "باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد". فإذا تغاضينا عن شيء في هذه الجملة، نكون قد قطّعنا الحقيقة التي نؤمن بها.

هذا، أيها الأحباء، نقول به لكي نصل إلى أن الله الواحد هو الخالق الواحد الأوحد. ومعنى ذلك أن كل إنسان هو خليقة الله وليس من إنسان على وجه الأرض،كبيراً كان أم صغيراً، متعلماً أم أمياً، ليس هو خليقة لله الواحد الأحد ولذلك فوا جبك واحد تجاه كل إنسان وبدون استثناء. إن الذي ينكر على الناس الكرامة إنما ينكر على الله أنه خلق إنساناً للكرامة وليس لكي لا يكرم. لماذا نحن نشكو من أنفسنا ومن خطايانا؟ بالضبط لأنها ضد كرامة الناس ولأنها ضد محبة الناس.

لماذا نشكو مما يحصل في فلسطين عندما نرى الشاب يموت ونرى المرأة تقتل والطفل يستشهد؟ ذلك لإيماننا الراسخ بأن ذلك الشاب وتلك المرأة والطفل إنما خلقوا للعيش الكريم وليس ليموتوا على يد فلان وفلان من البشر. نحن لا ننصّب إنساناً إلهاً على إنسان آخر ولو كان أحدهما ضعيفاً لا يملك القوة والبأس لكي يقاتل

ويقاوم فيما الآخر يملك كل قوى الأرض، ولكننا لا نركع له ولا نسجد له.

أيهـــا الأحـــباء، يعيــب علينا البعض أننا دائماً مع المظلوم ومع الضعيف، الضـــعيف في القتال وليس الضعيف في الفضيلة. نحن نعتقد أن القوي بغير الحق، بغير العدل، بغير الاحترام للآخرين، هذا القوي هو ضعيف وضعيف إلى أقصى الحدود.

يقولـــون لـــنا: لماذا يكون غيرنا قوياً بطريقة مختلفة عن قوتنا؟ فنقول وهل أصـــبح مـــن العيـــب ألا يريد الإنسان أن يكون مفترساً وألا يريد أن يكون قاسياً، قهـــرياً،كارهـــاً للآخر؟ نحن نعتقد أن العيب يلحق الإنسان الذي لا يجد حديثاً مع الآخر إلا حديث القوة والقهر والانتقام والقتل والإهانة. وعندما نلتفت في هذا العيد إلى أخوتنا في فلسطين، نفكر في هذا ونطرح أسئلتنا التي سمعنا على العالم بأسره لعل العـــالم يفهم. في هذا الصباح، ألتفت أيضاً إلى إخوتنا المطارنة الذين يرعون شعبنا – وما أعز شعبنا على قلوبنا – ألتفت إليهم لأنهم في هذا اليوم يقولون لشعبنا: "المسيح قام" ويرددون ذلك حيثما وجدوا، وهم موجودون هنا وفي كل أقاصي الأرض: في أميركا، في أوروبا، في اوستراليا .حيثما وجد إخوة لكم، فهم يقولون اليوم: "المسيح قام".

أيهـــا الأحباء! أليست قيامة المسيح خلقةً جديدة للكائن البشري العائش في ضعفه وفي حيوانيته في كثير من الأحيان؟ بعد القيامة لا يتقاتل الناس، وبعد القيامة لا يتذابحون. ونحن نتطلع إلى اليوم الذي يكون فيه عدل الله على الأرض العدل الوحيد. نســـأل الله أن يوحـــي لكـــل ذوي الأمر في كل مكان ألا يكتفوا بالترقيع، فالأمور تصـــطلح فقط إذا كان الإنسان الذي وراءها إنساناً صالحاً. بدون ذلك ماذا نرجو؟. أيهـــا الأحـــباء! عيدنا عيد خِلقة جديدة لعله يكون فينا أولاً ومن ثم في كل واحد آخر.

وأعـــرف أنـــنا اليوم قد ننسى أولئك الذين استشهدوا. أيها الأحباء! كلنا

سنموت، ولكن هنالك أناسا يموتون من أجل شيء يخصك أنت، وهم يعرفون جيداً أنــه يجب عليهم أن يدفعوا الثمن لا أن يصيبوا ربحاً نتيجة عملهم. وعندنا الكثير من أولئك.

دياناتــنا في هذه المنطقة قامت على أناس يموتون من أجل الإيمان الحقيقي، وكمــا نقــول: "من أجل المسيح يموتون وبالفعل هم يموتون وكأنهم يقولون لنا إنهم رافضون للشر في كل مكان وبأية طريقة.

أيهــا الأحباء! فليرحمنا الله تعالى في عالم نحن لا نستحق فيه أكثر مما نفعل. فليســاعدنا الله لكي نتمكن من تحويل عالمنا عالماً يستحق أن يحيا فيه الإنسان. وهذا يكون بصوت واحد: "المسيح قام".

✝ ✝ ✝

المسيح فوق الجميع*

أولاً أشكر جداً الذين باركونا بحضورهم معنا والذين جعلونا نسمع الترتيل الـــذي تعودناه في دير البلمند منذ سنين طويلة يوم كانوا طلاباً فيه وهم الآن رؤساء كهنة.

معنا الآن مطران المكسيك، ومعنا مطران البرازيل، ومعنا سيدنا موسى الذي يرعى هذه المنطقة. وأشكر أبونا متى ومعاونيه والكهنة والراهبات وكل الذين حضروا أشـــكرهم واحداً واحداً. إنهم لاشكّ عيدنا الملموس، هم الذين نراهم فنبتهج وعندما نبتهج نكون نعيّد العيد الحقيقي. لا عيد بدون الابتهاج.

عـــندي الشـــعور الـــيوم وفي كل المناسبات التي تجمعنا أن أبناءنا أصبحوا يشـــعرون شـــعوراً حقيقـــياً بأننا عندما نعيّد فالعيد لهم، وعندما نجتمع فلنفرح بهم، وعـــندما يأتون إلى الدير فلأنه ديرهم، وعندما يأتون إلى الكنيسة فلأنها كنيستهم، لم يعد هناك مسافة أو غربة بينهم وبين كنيستهم وهذا ما نشكر الله عليه.

اليوم نعيّد لرسولين هما بطرس وبولس، ونحن في دمشق سنقيم القداس الإلهي يوم الأحد وليس غداً حتى يتمكن البطاركة الباقون مشاركتنا هذه الأعياد.

عـــندما نتكلم عن بطرس وبولس نجد أن التراتيل جمعتهما معاً ولكن في الواقع يختلف بطـــرس عن بولس. بطرس كان إنساناً غير فقير، والاعتقاد أن تلاميذ المسيح كانوا كـــلهم من الفقراء ظن خاطئ. بطرس كان مكتفياً وكانت عنده عفوية ظاهرة، لم يكن معقّداً وعندما دعاه الرب يسوع ترك كل شيء وأتى إليه.

هـــذا، أيها الأحباء، يجعلنا نفكّر أنه ليس صحيحاً أنه عندما يشبع واحدنا اللقمـــة يتـــنكّر للمسيح ويتنكّر لله أبيه، فالمسيح للشبعان كما هو للجوعان. المسيح

---

*دير رؤية القديس بولس، تل كوكب، دمشق، ٢٠٠٢/٦/٢٨

لكـــل الناس للمتعلّم والأمّي. بطرس الرسول هو المثل الذي عند آبائنا وعند أحبائنا الذيـــن يأتون إلى المسيح بثقة وبإيمان ولا يسألون أسئلة كثيرة ولا يتزلّفون أمام الرب ولا يظنون أنهم إذا كانوا يعرفون كلمة أو أنهم كانوا يشبعون اللقمة فمعنى ذلك أنهم صاروا أعظم من الله وأهمّ من الرب يسوع. كلا، أيها الأحباء، ليس من أحد أعظم من ذلك الخروف أعني الرب يسوع الذي، كما تقدم أنت الخروف من أجل الذبيحة يـــوم العـــيد أو يوم الفرح، هو كذلك قدّم نفسه. لم يكن عنده خروف لكي يقدمه ولكنه هو تقدّم بذاته وبذل دمه على الصليب من أجل كل واحد من الحاضرين ومن أجل الغائبين أيضاً.

بطـــرس كان كأي إنسان منّا، ولكن من كان مختلفاً عن بطرس هو بولس. بطرس كان يهودياً ولكنه عندما رأى ضوء الشمس أمامه نسي الشمعة. عندما بزغ نور المسيح أمامه تبعه و لم يبق في الظلمة التي كان فيها قبلاً.

بولس الرسول كان متعلّماً. المتعلّمون كثيرون في هذه الأيام والحمد لله، نحن ممـــن يكرهون الجهل كثيراً، وأنا أتمنى أن نبقى على أن إيماننا هو من أجل أن يشعل نوراً في قلوبنا لا ظلاماً. الذين لا يجتهدون حتى يعرفوا ما هو الحق، ما هو الجيد، ما هـــو الصالح، هؤلاء الذين يفعلون هكذا فإن إيمانهم ليس إيماننا نحن. نحن جماعة نور. كَـــذَبَ الذين قالوا في وقت من الأوقات ومازالوا يقولون إن العلم يتنافى مع الإيمان، كـــذَبَ الذين قالوا إن كتاب الكيمياء وكتاب الجغرافيا يتنافيان مع الإنجيل الشريف، هذا غير صحيح. في كتاب الكيمياء والجغرافيا والفيزياء تتعلم الشيء القليل عمّا فعله الذي قال الإنجيل والذي كتبه. نحن كما قلت جماعة نور ويشهد الله أنه لا يحدث في كنيستنا شيء ليس لمجد الله ومجد خليقته إلا عندما نخطئ، ونحن جميعاً خطأة.

أيها الأحباء، كل واحد منكم خُلق على صورة الله ومثاله، كل واحد بدون استثناء. والذي يميز بين الناس هو على خطأ. كل واحد خُلق على صورة الله ومثاله

ولذلـــك، أيها الأحباء، هذه الصورة تشوّهت وتتشوّه بأغلاطنا وخطايانا، بالكذب، بقولنا إننا نتبع الطريق المعوج. اللصّ، السارق والغشاش هؤلاء كلهم يدهنون بالطين الصـــورةَ الإلهـــية الـــتي فيهم. نحن في كنيستنا المقدسة، في كنيستكم أنتم، نقول ما أحلاكـــم إذا كانت صورة الله حلوة فيكم وهي لامعة، ما أحلى هذا، وهذا هو الجو الوحيد الذي نتمنّاه للإنسان.

قال المزمور: لا يفتخرنّ ملكٌ بغناه. غير ممنوع أن يكون عندك رزق ولكن الممنوع هو أن يصبح الرزق مصدر افتخارك. ولا يفتخرنّ المتعلم بتعلّمه، غير ممنوع علينـــا أن نـــتعلّم ولكن لا يجوز أن يغطينا هذا العلم فلا نرى خارجه أي شيء بل فليفتخر الغني وليفتخر المتعلّم بالرب يسوع. هذا نراه كل يوم في سلوك الناس. نراهم يتعـــلمون الســـنين والســـنين ومنهم يخرج الغشاش ومنهم يخرج الذي يتطاول على الآخـــرين ويهينهم ويحتقرهم. ونحن نؤمن أن العلم لا يصنع الإنسان بل الإنسان هو الـــذي يصنع العلم. كذلك الرزق والأقوال أنت تصنعها ولست أنت صنيعتها. هذا شيء مهم جداً.

أقـــول ذلـــك الـــيوم والبعض يظن أنني لم أتكلّم كفاية عن بطرس وبولس ولكـــنني قصدت أن أضع أمامكم صورة بطرس الذي ما كان في عوز ولكنه أحبّ المسيح وتبعه، وصورة بولس الذي كان معروفاً بسعة علمه واطّلاعه وظهر ذلك جلياً في أعمـــال الرسل، وبالفعل قال نتيجة علمه جملاً رائعة: إن كان فلان يفتخر بشيء وغـــيره بشـــيء آخر فأنا أفتخر فقط بأوجاعي التي أذوقها من أجل نشر كلمة الحق ونشر كلمة المسيح في العالم.

عيدنا اليوم نريده أن يقول لكل واحد منّا: المسيح فوق الكل، المسيح فوق ما عندك وفوق ما تعرف. المسيح إذا لم تكن معه فلن تكون إلاّ في ضلال.

الروح القدس يجمع*

كل عيد وأنتم بخير. عيد الكرسي الانطاكي هو عيد كل واحد منا، أي كل واحـــد ينتمي إلى الكرسي الانطاكي المبارك. ونذكر اليوم الرسل جميعاً. ما الصورة التي نرسمها عن الرسل؟ أخاف أن نتخذ عن الرسل أحياناً كثيرة صورة خاطئة. الرب يسوع المسيح ابن الله الوحيد تجسد من أجلنا، وهو إله صار إنساناً، أي هو الإنسان والإله معاً.

الرسل، هذا كان صياداً وذاك كان جابياً أو يمارس أي عمل كان. إذاً، لكل منهم كانت له صنعته. بطرس كان في القدس، ويعقوب في القدس، وهناك تأسست الكنيسة الأولى. ثم انتقل بطرس إلى انطاكية، وكذلك بولس بعدما اهتدى في دمشق إلى الإيمـــان المسيحي وكان يهودياً شريراً قدم دمشق مكلفاً تعذيب المسيحيين. هنا ظهر له الروح القدس، وهنا رأى النور، وهنا اهتدى وذهب لكي يبشر بالمسيح. إلى أين؟ إلى انطاكية. المسيح واحد والرسل كثيرون، ونعرف في ديانتنا أنه لا يوجد اثنان متطابقين. في انطاكية حصل خلاف بين بطرس وبولس وكانا اثنين، فحصل خلاف بينهما.

أيهـــا الأحباء، الخلافات بين الناس يمكن أن تؤدي إلى عداوة بينهم، أو أن تؤدي إلى رأب الصدع.

اختلف بطرس وبولس على ماذا؟ بطرس مبدئياً إنسان بسيط، يهودي عتيق وبسيط، وكان يعتقد أنه كما أن الرب يسوع كان أولا يهودياً، وبعدها أصبح يبشر بالمسيحية. إذاً فعلى كل من يود أن يكون مسيحياً أن يعبر أولا باليهودية ثم يصل إلى المسيحية. وأنتم تعلمون أن التطهير موجود عند اليهود كما عند كثيرين ممن نعرف. وكـــان بطرس يعتقد أن ما يطلب من اليهودي يجب أن يطلب من المسيحي قبل أن

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد الكرسي الانطاكي، ٢٠٠٢/٦/٢٩

يتعمد.

بولس الرسول متعلم وآفاقه أوسع. قال: إذا كان الخلاص بالمسيح، فلا نحتاج إلى أن نكون يهودا، بل نحتاج إلى شيء واحد، هو أن نؤمن بالرب يسوع فنخلص. هكذا يقول الإنجيل وهذا ما سمعوه من الرب يسوع عندما قال: "أنا هو الطريق، أنا هو الحق، أنا هو الحياة". لا يوجد طريق آخر ولا يوجد شخص آخر، وبالتالي أنا هو المخلص. وكانت حجة بولس الرسول أنه إذا كان الرب يسوع قال هذا، فكيف أنت يا بطرس تقول شيئاً آخر. وكان هذا الخلاف الأول في الكنيسة. إذاً حصلت خلافات في الكنيسة منذ مولدها، وأهمها هذا الخلاف بين بطرس وبولس.

احتكما إلى أورشليم إذ ذهبا إلى هناك حيث طرحا القضية أمام الرسل الذين لم يكونوا بعد قد تركوا المدينة المقدسة لينشروا البشارة. تم الاتفاق بإلهام الروح القدس، والاتفاق يكون دائماً نتيجة عمل الروح القدس. الخصومة بين الناس نتيجة عمل الشيطان والاتفاق بينهم هو نتيجة عمل الروح القدس. هناك صدر القرار وكانت كلمة يعقوب الرسول شيئاً مهما، قال: «لقد اتضح للروح القدس ولنا أن المؤمن بالرب يسوع إيمانه صحيح ورؤيته للطريق سليمة وأنه يحصل على الخلاص من دون أية وسيلة أخرى».

لاحظوا أن الخلاف بين الرسل حُلّ بدعوة الروح القدس، ونحن عندما نجتمع نصلي للثالوث القدوس (أيها الثالوث القدوس ارحمنا) ونذكر الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس. لماذا؟ لأننا نحن أيضاً نأتي من جهات مختلفة، وما يجمعنا هو الروح القدس. لذلك عندما تسألون متى بدأت الكنيسة، فالجواب حتماً هو يوم العنصرة، يوم حلول الروح القدس على المجتمعين في العلية. وكان بينهم، كما يقول الكتاب، من يتكلمون العربية. وقد شاء ربنا أن يكونوا موجودين، لأنه بحلول الروح القدس يحصل تفاهمهم بعضهم مع بعض رغم صعوبة ذلك.

إذا مـــا سئلنا أين الكنيسة؟ فالجواب هي حيث يجتمع المؤمنون. ونحن نقول عن العائلة إنها كنيسة مصغرة، وما دام الروح القدس يوجد في الكنيسة، إذاً يوجد في العائلـــة. في الزواج عندما يقترن اثنان ويظنان أنهما سيصيران على صورة بعضهما، فهذا خطأ لأن الله يخلقنا مختلفين. لذلك نزرع بالصلاة الروح القدس في الجميع. حتى رغم خلافاتنا، أقدم نفسي من أجلك. وإذا وجدتك مظلوماً أدافع عنك لمجرد كونك إنســـاناً. وإذا ســـألتني عـــن الطريق الذي يؤدي إلى مكان ما، دللتك على الطريق الصحيح وليس على الطريق الخاطئ.

البيت يصبح بيتاً والأسرة تشكل أسرة بحلول الروح القدس. ومن يتكل فقط عـــلى البشر كبشر لتكوين بيوت، فمصيره الفشل في معظم الحالات. ينجح الإنسان عـــندما يقول إنه لا يستغرب أن يسمع رأياً غير رأيه وتصرفاً غير تصرفه وكلاماً غير كلامه. هذا إنسان يعرف كيف يعيش مع الآخر.

يـــا أحباء، الرسل كانوا مختلفين. بولس الرسول رافقه برنابا، لكنهما اختلفا فـــترك أحدهما الآخر. وهذا وارد في الإنجيل. الرسل لم يبشروا معاً، كان كل واحد يذهـــب في اتجـــاه. والرسل لم يعملوا من أجل أنفسهم، بل من أجل المسيح الواحد الـــذي كـــان حاضراً معهم. وأنتم في بيوتكم، في تصرفاتكم، في الأديرة. لا يكون الـــروح واحداً إلا إذا كان الروح القدس نفسه لأنه لا يوجد واحد بالمفهوم الصحيح للكلمة إلا الروح القدس عندما يحضر يوحد.

الـــيوم نتكلم عن الرسل لنقول كيف أن المتفرقين بالروح القدس يصبحون واحداً. جعل الله كل بيوتنا واجتماعاتنا، رغم تفرقنا، واحدة بالروح القدس. آمين.

المخلص يخلص الجميع*

اليوم نصلي ونذكر الآباء القديسين، هؤلاء الآباء هم الذين اجتمعوا في مجمع للبحث في شؤون الإيمان.

تفكيرنا الكنسي، أيها الأحباء، له مرتكز ومصادره ولم نكن نعيش في الصحراء. وعندما أتى الرب يسوع وكتبت الأناجيل كان هنالك غيرنا يشاركنا الأرض بالضبط كما هو الوضع الآن. وكانت هنالك تيارات فكرية وأفكار تطرح هنا وهناك ومنها أفكار تهم الكنيسة والمسيحيين. وتساءل المسيحيون أين موقعهم في كل ما يطرح ويُقال وما هو الصحيح الذي يتكلمون فيه؟

نحن نتكلم في أمر لم يطرح في الأديان الأخرى وفي كل العصور. عندنا خصوصية لا توجد عند غيرنا. الآخرون إما أن يعبدوا آلهة لا تُرى أو أنهم يلجؤون إلى الأصنام فيصنعونها ويعبدونها. وهذا هو الشأن حتى اليوم ولا نوافق الذين يقولون لنا إن ربنا ليس معلوماً أين هو، وإنه لا يمكن فهمه أو رؤيته وهو فوق العقل. فكيف نعرف إذن أنه موجود.

يتحدث البعض عن روحه أو جسده وكأن فيه شيئاً يرى وشيئاً آخر لا يرى. نحن نعتقد أن الروح والجسد هما متلازمان وليسا منفصلين بل هما مرتبطان لذلك فالمعمودية ليست مجرد غسل إنما هناك عنصر روحي فيها. نحب أن نعمد الإنسان في جسده، أي أن ما ترونه فيّ وفي كل واحد منكم ليس نجساً بخلاف ما نعتقده دائماً.

روح الإنسان وجسده يمكن أن يكونا معاً نظيفين أو أن لا يكونا كذلك. ليس كل من ينظفون جيداً أجسادهم تكون نفوسهم نظيفة. قد يكونون أفضل ما

* دير مار الياس شويا، الأحد ٢٠٠٢/٧/١٤

يمكـــن في المظهر ولكن يجب أن نهتم بأرواحنا وأجسادنا معاً. وكل واحد مهما كان نوع عمله قد يجعل هذا العمل شريراً وسخاً كأي شيء آخر. يُقال فلان مادي، كلنا مـــاديون ولكن ما يرى قد يكون نظيفاً جداً أو وسخاً جداً. يفكرون بالمال. وما هو المال؟ إنه وسيلة يمكن استخدامها للخير أو للشر.

ويمكن أن نعمم ذلك على كل شيء. يمكن أن يأكل المرء بشكل صحيح أو بشـــكل خاطئ ويمكن أن يسير في شكل صحيح نحو عمل الخير أو في شكل خاطئ. حـــتى الصـــحف فقـــد تسير أحياناً في طريق الخير وأحياناً في طريق الشر. وما يميز المسيحية عن بقية الأديان أنها لا تؤمن بأن اتباعها نجسون. لماذا؟ لأن الرب يسوع هو المخلص الوحيد وهو يخلص كل البشر أكانوا يعرفونه أم لا ويخلص المؤمنين به وغير المؤمـــنين. وإذا ســـئلت من يخلص المسلمين؟ فأجيب دون تردد أن المسيح المخلص الوحيد هو الذي يخلصهم وكما يخلصنا يخلص كل الذين لا يؤمنون به.

المخلص يعني أن الله أحب الناس لذا كان روحاً محضاً فأصبح مثلنا ونزل إلى الأرض إلهـــاً وإنســـاناً. لماذا يجب أن يكون المخلص إلهنا؟ لأن الذي سيخرجنا من مغطس الخطيئة ليس آخر مثلنا لأن كل إنسان خاطئ فكيف يتخلص من الخطيئة؟ انه يخلـــص بقـــوة الله فقط. ولكن أين هو الله؟ الله ليس في الهواء بل أتى وأخذ طبيعتنا وأصـــبح مثلـــنا وظاهراً مثلنا وقد رآه الكثيرون وآكلوه ولمسوه و لم يتصرف وكأنه سيتنجس إذا اختلط بنا وهو الذي خلقنا.

أصـــبحنا نعرف أن ما تراه العينان ليس نجساً بل هو أساسي جداً في إيماننا وأن الـــرب يســـوع هـــو الاثنان معاً. اثنان في العدد لكنه لم يكن شخصين بل إلهاً وإنساناً، لديه طبيعتان لكنه شخص واحد.

أعـــتقد بعضهم قديماً أن الله روح طاهر لا علاقة له بنا إطلاقاً وأن الإنسان نجس وكذلك الخليقة.

ولكـــن كما يعلمنا الإنجيل فقد أخذنا الصورة من الرب يسوع الذي أتى وحملنا على كتفيه ولبسنا وأصبح له وجه وجسد مثلنا وجاع كما نجوع وعطش كما نعطش وتعب كما نتعب أي أنه لم يبق بعيداً عنا. وهؤلاء الذين يُخلّصون من «بعيد لبعـــيد» فهم يحتاجون إلى أن ينظفوا أنفسهم أكثر من غيرهم ونحن لا نؤمن بهم بل نؤمن بمن أتى إلينا وعاش معنا وبارك طبيعتنا «البشرية».

ويجب أن يعرف كل منا أنه مبارك. وإذا كان يشعر بأنه يتيه في الأشياء فهو الـــذي يجعلها تائهة. وإذا ارتكبت هذه اليد جريمة فليس لأنها اعتادت الجريمة بل لأن صاحبها جعلها ترتكب الجريمة. فنحن من يصنع النجاسة وليست هي أصلنا لأن كل أعمالـــنا من أكل وشرب وحديث وزواج... هي أعمال مباركة ومقدسة. وكل ما يخلقه الله يخلقه نظيفاً ونحن من نجعله وسخاً.

في أحد المجامع قال البعض إن الرب يسوع إله فقط. وهذا بالطبع خال من الصحة. لقد رأى الناس الرب يسوع وآكلوه وتحدثوا معه وكل ذلك ورد بوضوح في الإنجـــيل. لماذا نجعل الله يبدو وكأنه «قرفان» من خليقته. في إنجيل يوحنا كتب: «به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كوّن» أي أن الرب يسوع هو الخالق الوحيد في يـــد الله الآب. النقطة الأساسية في ديننا وتعليمنا المسيحي هي أننا لا نعتقد أن ما فعله الله نجس بل نحن الأنجاس. فلننظر إلى أنفسنا دائماً ولا نضع الحق على الله. نعم يمكنـــنا أن نقـــوم بأعمـــال الخير ومن لا يصدق فليجرب. نحن الذين ندنس الأمور ونجعلها نجسة. في هذا البلد لماذا تختفي الأموال؟ لأنه بالطبع هنالك من يسرق أموال الـــبلد ولو لم يكن هؤلاء الناس موجودين لما سرقت الأموال. كيف تحصل السرقات ولا أحد وراءها؟ هل هذا يصح؟

لســـنا في الأساس بخسين والبخس هو الذي يقلل من قيمة نفسه. علينا أن ننتبه إلى هذا الأمر وأن نتعلم ذلك من الآباء القديسين.

ربنا إله كامل وإنسان كامل وكان يعيش حيث نعيش ويرى الأمور كما نراها نحن ويتكلم معنا كما نحن تماماً. ربنا هو لنا فلنشعر بأنه معنا وأنه أتى من أجلنا وبدونه ليس أحد كبيراً على الخطيئة. نحن لا نعبد بشراً وليس هذا سبيلنا. الله حق والرب يسوع إله تام وإنسان تام. هذا ما نبشر به وهذا هو إلهكم. لقد تعمدتم وتتناولون على هذا الأساس. نأخذ الرب روحاً وجسداً ونطلب منه أن يكون دائماً معنا ويقوينا جميعاً.

✞ ✞ ✞

الأنبياء تكلموا فصدقوا*

نحتفل اليوم بعيد النبي إيليا. وفي المناسبة نقدم التمنيات والتهاني، أولاً لسيدنا الياس رئيس هذا الدير، وثانياً لكل الذين يسمّون بهذا الاسم المبارك.

قلت "نحتفل"، لأننا بالفعل نحن في حالة احتفال. قد لا يكون لكلامي هذا أي معنى إن أخذت الكلمة بمعناها العادي، حيث يتوقع الإنسان أن يرى في الاحتفال حـركات، وأن يسـمع بأذنيه، وأن يرى بعينيه. وأنا لم أقل أن يمارس الإنسان في الكنيسـة نشاطاً بجسده بل أن يكون في حالة سماع وفهم ويشارك الجماعة ما يحصل في الكنيسة.

لذلـك لا يصح أثناء القداس أن تجلس على الكرسي في الكنيسة وأن تحمل كتاباً تتأمل فيه دون أن تحس بمن حولك. وضع الإنسان في قاعة الدرس (الصف) هو غيره في الكنيسة ولكل وضع منطقه.

أن تحـتفل لا يعـني أن تشارك في عقلك فحسب، ولكن أن تعمل بعقلك وفكـرك وشـعورك وعواطفـك، وفي الدرجة الأولى أن تفرح. فالفرح لا تجده في الكتاب، بل تعيشه مع الناس والمؤمنين، كما في أية قاعة احتفالية.

إذاً، عـندك شـيء يلزمك بكليتك، تعيشه مع الآخرين. ولذلك، يجب أن تحـترم وجود الآخرين معك. في الاحتفال تسكت لأن غيرك يريد أن يسمع، وأنت تهذيـباً تحـترم غيرك. لذلك، فأنت تصمت وإن كنت لا تريد أن تسمع، وهذا أمر أساسي جداً. وعندما تقف في الكنيسة، يجب أن تفكر بمن يجلس وراءك، فإن كنت تحجـب الرؤية عنه لا يحق لك أن تقف. يجب أن تحترم الآخر، الآخر الموجود معك ويشـاركك الاحـتفال، وقد أتيتما الكنيسة لكي تحتفلا معاً لا أن يحتفل كل واحد

---

*كنيسة دير مار الياس شويا، ٢٠/٧/٢٠٠٢

بالاستقلال عن الآخر.

هـــذه أشياء بسيطة جداً، ولكنها هامة ويجب أن ننتبه إليها. ثمة فرق بين أن تكون ذاهباً الى مدرسة كي تتعلم، وبين أن تكون ذاهباً الى عيد كي تحتفل. الملابس ليســـت نفسها، والنفسية هي غيرها، وما تتوقعه في مكان الاحتفال يختلف كلياً عما هو في المكان الآخر.

قـــد يحـــدث لك في الصف ألا تفهم. وقد يحدث ذلك أيضاً عندما تحتفل. فليس كل من يعيش احتفالاً يعرف لماذا يتم ما يتم. لماذا تجري هذه الحركة. والكلام الـــذي يُقـــال ما معناه. وعن الموسيقى حدث ولا حرج. وقد يطغى عنصر من التي ذكرنا على العناصر الأخرى فتسمع الكلمات ولا تسمع النغمة أو العكس. وقد تفهم ما يقوله القارئ، وقد لا تفهم كلمة مما يتلوه. وكما قلت فالآتي ليحتفل إنسان يشعر بشيء من الحرية قد يساء استعمالها، ولكنها حرية لا توجد في غرفة الصف.

اليوم، نحتفل. والاحتفال هذا دعي في بعض النصوص عند يعقوب الرسول بـــالقدوة. وفي أيامـــنا تلعـــب القدوة أهم الادوار. بمن تتشبه؟ ومن تقلّد؟ من هو الشخص الذي تريد أن تكون مثله؟ ومن هو الشخص الذي تريد أن تتعلم منه؟ ممن تتعلم؟ ومن تريد أن تشبه أي من هو قدوتك؟ اليوم، عندما نقول إنه عيد النبي إيليا، فإننا نعطي كرسياً في حياتنا ولو لساعة، هذا الكرسي نقدمه لنبي وليس لأحد آخر.

الـــناس اليوم يتشبهون الواحد بالآخر ولكن ليس بأفضل شيء عنده. وهذا ينطبق على رجالنا وعلى نسائنا.

مـــن تريد أن تشبه؟ نقول اليوم إنه يجب أن تشبه النبي الياس. وبماذا تشبهه؟ إنسان يكرس حياته كي ينقل الى هذا العالم الإرادة الإلهية، لأنه ليس من أحد أحبك وســـيحبك إلى الأبـــد، وأحب مَنْ قبلك وسيبقى يحب مَنْ بعدك، إلا الذي خلقك وخلقهم.

إذا كنـــت تعلّم الناس وتقدم لهم العطايا العظيمة، فلن تكون أفضل مما أراد الله أن يقدمه. لقد أرسل الله ابنه الوحيد كفّارة عن كل خطايانا، وجاء ابنه الوحيد. وهـــذا الصليب يعني أن الابن الوحيد لله قد صُلب عليه وليس هو موضوعاً للفرجة والتباهي فقط. هذا يجب أن يعرفه الناس.

في القديم، كنت إذا أعجبت بشخص دعوت ابنك أو ابنتك على اسمه، وقد بقـــي شـــيء من هذه العادة حتى الآن. فلماذا انكمشت التسمية تيمناً بأولئك الذين كانوا رجالاً فيغدو المسمّون باسمهم هم بدورهم رجالاً لا يخافون شيئاً في سبيل قول الحق حتى الموت. القديسون من أجلك قالوا الحق، ومن أجل ذلك الحق ماتوا.

أيـــن هـــؤلاء الـــناس اليوم؟ عندنا المدّعون، وقد نكون أولهم، يَدَّعون أنهم يعطونك كل شيء جيد، ولكنهم في الواقع يعطونك من طرف اللسان حلاوة. ولكن أين قلوبهم وفكرهم واجتهادهم؟ هذه كلها ليست لك. لو كنا أيها الأحباء في مجتمع يحبنا بالفعل ولا يكتفي بأن ينتفع منا وأن ننتفع منه، لما كنا رأينا البلد بأسره كما هو الآن. فلان يتكلم، ولكن فعله لا يتطابق مع أقواله.

نحـــن نعـــيّد لمـــار الياس وأمثاله، لأنهم كانوا فتكلموا، وتكلموا فصدقوا، وصـــدقوا لانهم نقلوا لشعب الله الكلام الذي يقوله الله. الكلام الذي يعيدهم للحياة وليس للموت، ويريدهم للكرامة، وليس للامتهان.

حاجتـــنا اليوم إلى النبي الياس هي حاجة قصوى وحاجة ماسة. لأجل هذا نحـــتفل اليوم بعيد مار الياس. ما أحلى الذين يأتون بأولادهم كي يسمعوا باسم مار الياس.

لا يوجد اسم مار الياس على اللافتات وفي الإعلانات والتلفزيونات. نحن لا نقـــول عـــن شيء إنه سيء، ولكن إن لم يكن هو الشيء الطيب فالباقي يكون شيئاً حسناً.

تعيّدون اليوم ليقول هذا العيد كلمة واحدة: مار الياس قديس من أجلكم، نبي من أجلكم. وقد وقف أمام السلطات ليقول: لا أود أن أحيا في الكذب. سأقول الصدق أياً يكن الثمن. وهذا من أجلكم، أيها الأحباء. نحن، في النهاية، نعيّد لعيدكم، من أجلكم. وأسأل الله أن يجعل هذا العيد بركة ونعمة على كل واحد منكم. وشكراً".

✠ ✠ ✠

الشيطان مصدر الشر*

البارحة كنت أقول للحاضرين في هذه الكنيسة إن صلاتنا تتميز بأن لها طابعاً احتفالياً، بالضبط كما لو كان عندك عرس وتحتفل به، حيث لا يكون إنسان يتكلم فيما البقية صامتون. ولا تجد أناساً يأكلون وغيرهم يتفرج عليهم. الناس كلهم في حركة دائمة، وهكذا عندنا في الاحتفال فلا يكون كأن إنساناً يلقي درساً على الحضور وهم يستمعون. هكذا يحصل في المدرسة. وأما في الكنيسة فهي مكان العرس الذي حصل أو حيث نتناول جسد الرب ودمه أو ينزل الروح القدس على إنسان يتعمد، أو أننا نرسم كاهناً نعرفه جميعاً فيحصل له شيء خاص جداً وهو حلول الروح القدس عليه، ونحن نشاركه في الترتيل والصلاة ونقول له مستحق. يجب أن نعرف أن الذي يأتي إلى كنيستنا ليصلي فلن يكون كمن يحمل كتاباً ويقرأ فيه، دون أن يحس بمن حوله وماذا يدور في الكنيسة. هذه ليست طريقتنا في الممارسة. فكما أنك تفرح في العرس مع الفرحين ومع الحزانى تحزن هكذا عندنا في الكنيسة.

اليوم، أيها الأحباء، إذا كنا نتكلم عن احتفال، فاحتفالنا اليوم جميل. سمعتم الترتيل الذي نشكر الله عليه.

عندنا اليوم شخصان، أحدهما الذي سمعتموه يرتل. هو المطران دامسكينوس مطران البرازيل والذي هو مع الجوقة. زيّن الكنيسة بصوته وبأسلوبه. والآخر الذي شاركنا في الصلاة باكراً بالترتيل هو المطران لوقا، مطران صيدنايا، التي يعرفها بعضكم ويزورونها لأن فيها مقام السيدة.

الكثيرون عندنا لا يعرفون واقع كنيستهم وماذا يحصل في كنيستهم. فهم لا يعرفون مثلاً كيف يصير الإنسان مطراناً؟ ما سمعتموه من سيدنا دامسكينوس لم يأت

---

* دير مار الياس شويا، لبنان، ٢٠٠٢/٧/٢١

مصادفة بل جاء نتيجة عمل وجهد متواصلين. سيدنا من مطارنتنا الذين قضوا سنين في دير البلمند من أجل أن يدرسوا اللاهوت ويتعلموا كيف يجب أن يتحدثوا إليكم، وكيف يجب أن يستمعوا إليكم وخصوصاً كيف يجب أن يخدموكم. لأن الإكليريكي عندنا هو خادم للشعب. ليس الجميع هكذا حتماً ولكن هذا هو المبدأ.

يقضـي التلميذ أربع سنوات أو ست سنوات يدرس في المعهد وهذا بالطبع يكلف الكثير دون أن تشعروا أنتم بذلك. وكما يأخذ الأساتذة رواتب في الجامعات كذلك هم عندنا في المعهد. أنتم ترون النتيجة. والنتيجة أن جميع مطارنتنا قضوا سني دراستهم المطلوبة وتخرجوا كما يتخرج كل طلاب الجامعات، يحملون شهاداتهم المعترف بها من الكنائس الباقية ومن الدول. هذا شيء مهم جداً ويجب أن تعرفوه وأن تعرفوا ما يحصل في معهد اللاهوت في دير البلمند، هذا الدير الذي يجب أن تعرفوه جميعاً وهو موجود من أجلكم وموجود ليخرّج لنا مطارنة وكهنة من نوعية معينة.

في السابق كان تلميذ السرتفيكا عندما يأتي إلى الكنيسة يحس بأنه يعرف أكثر من كاهنه لأنه يقرأ بشكل سليم أكثر منه. والآن انقلبت الآية، فأصبح وضع الكهنة والمطارنة على العكس، وأصبحنا نعتز بإكليريكيينا. ولا أعتقد أن الطوائف الأخرى لديها أفضل مما عندنا. لا بل أعتقد أنها تشتهي أن يكون عندها كما عندنا.

وتجدر الملاحظة أن مصدر الإكليريكيين الأنطاكيين في كل العالم هو البلمند، ونحن نعتز بذلك. في أميركا، في أوروبا، وفي أوستراليا، نجد معظم الإكليريكيين هم من خريجي البلمند.

سمعنا اليوم كلمات من الرسول بولس. تكلم على شيئين. فقال: يا أحباء، كل واحد خاطئ. ما معنى أنه خاطئ؟ معنى ذلك أنه خاضع لروح الخطيئة إذاً يوجد روح الخضوع وفيه روح الطاعة. عندما تفعل الشر فإنك تظهر انك مطيع للشرير، لسبب الشر، أي للشيطان. أنت تطيعه وليست القصة أنك تسيء إليه أو لا تفهمه.

لا، إنك تخضع نفسك لصاحب الشر.

سؤال يطرح: هل يمكنك ألا تخطئ؟ نقول إن كل إنسان ضعيف، وكل إنسان خاطئ. لكن بولس الرسول يقول ليس صحيحاً أنه لا يمكنك أن لا تخطئ. إذا كنت تولد ولادة ثانية، وتولد نظيفاً فإنه يمكنك أن تستمر على نظافتك.

ما هي الولادة الثانية؟ هي المعمودية، معموديتنا جميعاً. المعتمد إذا شاء يمكنه أن يكون جيداً. يجب ألا نجعل ضعفنا قانوناً لحياتنا. يجب أن يكون قانون حياتنا أننا سنتجاوز ضعفنا، وأننا سنعود أنقياء مثلما بعد المعمودية. يجب ألا نطيع الشر. الشر يأتي من الشيطان. ولكن الخير ممن يأتي؟ إنه يأتي من السيد المسيح ويجب أن نطيع يسوع المسيح. في الكثير من الأحيان تعني لنا كلمة يسوع أحرفاً «ي، س، و، ع» وليس أكثر من ذلك. المسيح إما أن تطيعه وإما لا تطيعه. تطيعه فتتغلب على الخطيئة. بالنسبة إلى يسوع المسيح إما أن تعبد روح الشر أو تعبد روح الخير الذي هو يسوع المسيح. تقول إن الرب يسوع المسيح ليس بشراً وأما نحن فبشر. هذا ليس صحيحاً. الرب يسوع بشر وأخذ طبيعتنا الإنسانية بكاملها. لا ضرورة لأن نقدم أعذاراً لأنفسنا عندما نرتكب الخطيئة. فلنقل هذا الشيء سيئ ونشدد على ذلك حتى نكون خاضعين بالفعل لناموس الخير. خاضعين للأمير الذي هو ربنا يسوع المسيح الذي هو للخير وللخلاص فقط.

أردت اليوم أن أقول شيئاً هو أنه لا يوجد سحر في هذا العالم. إن مطارنتنا لا يأتون كيفما اتفق وهم يتخرجون في البلمند في مستوى علمي وروحي نفخر بهما. وعندما يخطئ المطران نقول إنه أخطأ كما يخطئ كل بشري. ونحن لا نعبد البشر بل نحبهم ونحترم الناس ونقدرهم. مليون حجة وعلة نسوقها لنبرر عمل الشر فينا. وهذا كله باطل. لقد اعتمدتم حتى تكونوا أسياداً على الشر تقبضون عليه ولا يقبض عليكم، بارككم الله.

الرحمة فوق العدل*

باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين

يــا أحــباء، كما ذكر سيدنا بولس، فأنا لي تاريخ طويل مع صافيتا وهذه المنطقة منذ أن كنت في اللاذقية، ولن أنسى أن ذلك الوقت كان وقتاً مباركاً في كل شيء.

أنــا أذكر أنني كنت أنتقل من اللاذقية إلى صافيتا في مناسبات، وأذكر مرة أني تكلّمــت عن القانون، وتكلمت عن العدل، وجعلتهما تحت الرحمة وليس فوق الرحمة. وقلت إن قانوننا في الكنيسة هو الرحمة، لذلك فالمحاكم لا تعرف التوبة... إنها تعاقــبك وتــتركك، وبعد ذلك لا رجوع إلى البداية لأن ما سجل عليك قد سجل وأصــبحت في عــداد المخطئين. في الكنيسة لا نعتقد هكذا، نحن نعتقد أنه كما أن الإنسان هو اليوم كما هو، وفي الغد هو غير الذي كان في الأول، ولذلك فإنه ليس من العدل أن تحكم عليه اليوم على خطأ ارتكبه في وقت مضى.

أيهــا الأحــباء! منذ ذلك الوقت أذكر أن شعوري كان عندما جئت إلى صــافيتا شعوراً فيه شيء من البرودة. في تلك الآونة، كنا نشعر أنه هنا في صافيتا لا يعــتزّ البعض بكنيسته كفاية، وكأنه يستحيي بالكنيسة. وفي أيامنا، نحن نجعل الناس يستحيون بنا، ولكن ليس بالكنيسة. كنت أشعر بأن هنالك فئةً تعتقد أن اسم المسيح لم يعد له مكان في لغة الناس. ولذلك يمكنك أن تذكر أي اسم تشاء، أما اسم المسيح فيعني التخلف، وكأنك تسير إلى الوراء عندما تذكره.

هــذا القــول يعني أن ولادتك لا معنى لها، أن معموديتك لا معنى لها، أن زواجك المبارك، لا معنى له. كان الإنسان في ذلك الوقت، هنا وفي أماكن أخرى، قد

---

*تدشين كنيسة القديسين قزما ودميان، صافيتا، ٢٠٠٢/٧/٢٨

أُتخمــت أذناه إلاّ من سماع صوت يبشر هنا وهنالك. أما نحن يا أحباء، فكان عندنا الاعتقاد الواقعي جداً جداً، والقلب يقودنا إلى ذلك. القلب يقول لك من هو الكبير. إذا كــان إنسان يوضع في القبر، فمعنى ذلك أنه يموت، ونحن نعتقد أنه بغير الانتصار عــلى الموت لا انتصار على شيء. شفي فلان من مرض، نعم! شفي مؤقتاً ولكنه في وقت من الأوقات سيلحق بأهلنا، بآبائنا وأجدادنا والذين سبقونا إلى الحضرة الإلهية.

أيها الأحباء، أذكر شيئاً مهماً جداً. اليوم نرى أخوة لنا وهم السادة المطارنة عــند الموارنــة وعند الروم الكاثوليك، وهذا إذا عنى شيئاً فهو يعني أن الذين كانوا يتلاعــبون على أساس أن بين الذين يذكرون المسيح والكنيسة لا يوجد إلاّ خصام، هؤلاء فليأخذوا الدرس. لم نعد نتعلم من كتبنا الروحية كيف نخاصم، نحن من كتبنا الروحــية، من الإنجيل، نتعلم ونعلّم كيف يحب الناسُ الناسَ في كل الأحوال وليس هــنالك مــن حالة استثنائية. أنا أشكركم سيدنا على مشاركتكم إيانا وأتأمّل أنني ذكرت كل ما أردت أن أذكر.

في تلــك الأيــام، أيها الأحباء! أذكر أنني كنت أصلي في إحدى القرى، وأذكــر أن هنالك إشارة أعطيت لي كي لا أعود ثانية إلى هذا المكان، لا بل سمعت نوعاً من التهديد. ولكن نحن لا نخاف من شيء، لأننا نستمد قوتنا وعزمنا من ربنا، ولذا لا يمكنك أن تجعلني أخسر أي شيء، وكلما حدث شيء فهو يحدث لما أعطانا الله إيــاه. أعتقد بعد ذلك التهديد وبعد تلك النصيحة ــ (وكانت من طرف يلبس الجبة) ــ بعدة أيام، كنت في المكان ذاته أقول أقوالاً تشبه أقوالنا اليوم، أيها الأحباء. لم أخــف، ولكن، كما قال الكتاب، كأن الأرواح الشريرة لم يعرفها الذين كانت تتســلط علــيهم إلاّ عندما رأوها. حتى الخترير ــ وهو حيوان، مثال للنجاسة كما نقــول ــ عندما أتته الأرواح الشريرة رمى بنفسه في النهر، ورمى بنفسه كي يغرق. أي أن الــروح الشرير أسوأ من الأسوأ. أما نحن اليوم، فإننا في وضع آخر، في وضع مخــتلف تماماً. من يدري، ففي وقت من الأوقات كان من الصعب أن يحقق الإنسان

لقاء مثل هذا اللقاء. هنا لا عداوة، هنا لا تقاتل، هنا لا تجويع، هنا لا استغلال. هذا المكـــان هو الوحيد في العالم الذي أنت فيه كسواك، أي كأخيك. المكان الوحيد في العالم حيث كلمة أخي تكون صادقة حتى في بعض الأوقات أكثر مما هي عليه الحال في البيـــت. هـــنا لـــكَ كنيستك والله لا يضعه أحد في جيبه، إنه معك كما هو مع الآخرين كلهم.

يبقى علينا شيء، أيها الأحباء. هل نعي نحن كما قال الرسول "أنك هيكل الله"؟ شيء مهم جداً، حتى نصنع هيكلاً مادياً نعمل وندفع مالاً وما إلى ذلك. "أنت هـــيكل الله"، الكثيرون منا، أيها الأحباء، يخطئون إلى أنفسهم، يخطئون إلى الكنيسة، ويخطـــئون إلى أصـــل الكنيسة في هذه المنطقة. الكنيسة في هذه المنطقة ليست بنت الـــبارحة، نحن من زمان طويل هنا. أرضنا مجبولة بالتقدمات التي تقدّم والتسابيح التي تـــرفع للـــرب يسوع المولود في بيت لحم. نحن آباء ولسنا أبناء، نحن معلمون لسنا تلامـــذة. الكثيرون منا، أيها الأحباء، عندهم الغنى ولكنهم لا يعرفون أن يعيشوا إلاّ كالبخيل يجوع وهو جالس على الذهب.

اليوم يوم عظيم، أيها الأحباء، وأعظم ما فيه بالنسبة إليّ أنني أراكم وجهاً لوجـــه. إذا انتبهـــتم للصلوات فستجدون أن الوجه في الكتاب هو الذي يعبّر عنك بكامله. إذا أظهرت يدك مثلاً فهذا لا يعني الكثير. وجهك يقول إذا كنتَ محباً أو غير محـــب. أيها الأحباء! كما قلت هذا يوم فرح عظيم. إني أسأل الله من كل قلبي، ولا شكّ بأن أخوتي رؤساء الكهنة يصلّون من كل قلوبهم لكم جميعاً.

اعـــرفوا أنـــني وسواي إذا لم نعرف الشخص وبمفرده فعندنا ضمانة أن الله يعـــرفه ولا نحتاج إلا أن يعرفنا الله في النهاية. نحن جماعة أبناء محبة، نحن جماعة أبناء الحـــلال، جماعـــة أبناء الكرامة. ما هو الإنسان الذي من أجل المال وغير المال يبيع كرامته، يبيع صورة الله ومثاله، ماذا يأخذ معه إلى قبره ؟ لن يبقى من هذا أي شيء.

أيهـــا الأحـــباء! يـــوم مبارك عليكم جميعاً. إنني أسأله تعالى أن يجعل منا شاهدين. إننا نتمسك بحقنا، نتمسك بالحق، ولا نتزعزع. كيف نتزعزع عمّن عُمّدنا باسمه ومُسِحنا بالميرون باسمه وتكللنا باسمه؟ كيف ننكر الذي وُلدنا منه ثانية، كيف؟

وبعدئـــذ! أقـــول كلمة فقط لشبابنا وصبايانا. أقول إنهم فرح الكنيسة ولا تنقصهم طهارة بالنسبة إلى سواهم. قلّدوا الكبار في كل شيء إلاّ في الإيمان فهو لكم وأنـــتم تحملونـــه للمستقبل. إن شاء الله تكونون جميعاً حملة للإيمان الحق. أطال الله أعماركم. شكراً

✠ ✠ ✠

المرأة ليست سلعة تجارية*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

اليوم، أيها الأحباء، بعد الصوم المقدس نعيّد لرقاد السيدة العذراء ونسمع في الإنجيل المقدس قصة عن الرب يسوع. أي تعرض علينا صورة عن الرب يسوع عندما كـــان عـــلى الأرض؟ لا أدري أننا إذا سمعنا هذه القصة اليوم فقد نصلح الكثير من تفكيرنا عما كان عليه الرب يسوع عندما كان في حالة التجسد الإلهي.

في بيـــت عنيا، في بيت لعازر. من هو لعازر؟ لعازر كان صديقا للمسيح، والـــرب يسوع كان في بيته، وكان عنده كصديق، أي أنه مثل كل واحد يمكن أن يكون عنده أناس يحبهم بطريقة خاصة. هكذا الرب يسوع كان عنده لعازر وكان في بيته.

من كان في البيت؟ كان عند لعازر أختان، صبيتان، مريم ومرتا، كل واحدة بطبع خاص، وكانتا تتخاصمان لأن عندهم ضيفاً هو الرب يسوع. كانتا تتخاصمان غـــيرة ومحـــبة به. ترى من تخدم أكثر؟ وكانت مرتا تتذمر أن كل عملية الضيافة قد أسندت لها وأما مريم فلا تهتم لهذا الأمر.

الصـــورة التي عندنا أن الرب يسوع تدخل بين مريم ومرتا لكي يقول: مرتا «يعطيها العافية» ولكن يجب ألا تهتم مئة في المئة بما تفعل، وأما مريم فقد اختارت أن تفهـــم وأن تتعـــلم وما إلى ذلك. لم يرفض مرتا و لم يرفض مريم ولكن أعطى لكل واحدة منهما حقها، أي أن الرب يسوع وقف قاضياً بين صبيتين.

الصورة التي عند البعض عن الرب يسوع كأنه كان – كما يسمع البعض – يتدنس عندما يكلم امرأة. هذا كذب وليست فيه ذرة واحدة من الحقيقة.

---

*الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد رقاد السيدة، ١٥/٨/٢٠٠٢

أيهـــا الأحباء، هنالك قصد إلهي من مجيء ابن الله الوحيد لخلاص العالم من عـــذراء، من امرأة، هذا قصد. ونحن نذكر أن الله عندما خلق الدنيا خلق آدم وخلق امرأة. هو خلقها. المرأة خليقة الله كما أن الإنسان الرجل خليقة الله لا أكثر ولا أقل. العذراء تقول إنها هي أيضاً يمكن أن تكون طاهرة، هي طاهرة، الطهارة ليست فقط لفئة من الناس، ليست فقط للرجال وحدهم، كما يظن البعض، والمرأة لا تستحق أن تكون طاهرة، هذا خطأ وغير مسيحي على الإطلاق.

اليوم نحن نعيّد مع رقاد العذراء، نعيّد لكل اللواتي تركننا إلى العالم الآخر من أمهـــات وأخـــوات ورفـــيقات وزوجات، نعيّد ونذكرهن واحدة واحدة ولا سيما اللواتي يحملن اسم السيدة العذراء مريم.

عـــندما ارتضى الله أن يتجسد ابنه من مريم ماذا فعل؟ الإنسان أهمية أعماله تُظْهِر في أي جو يعمل، معلّم بين المعلّمين، هذا بسيط، إنسان يعمل شيئاً عادياً، وهذا شيء بسيط. عندما شاء الله أن يتجسّد ابنه أتى في وسط يهودي المرأة فيه نجسة، أتى في هذا الوسط وجعلها أماً لابنه الوحيد المتجسد لأجل خلاص العالم. مَن مِن اليهود كان يمكن بعقليته ووسطه أن يقبل أن أقدس ما يمكن قد أتى إلى أنجس ما يمكن؟ الله أتـــى إلى الأرض متجسداً، أتى لكي يتحدى العقلية التي كانت في ذلك الوقت ولا تـــزال عند الكثيرين، لا بل عند الكثيرين منا. أتى لكي يكذّب كل القائلين إن المرأة دنسة في ذاتها. أتى ليذكّر الناس بأنه هو بالذات خلق المرأة كما خلق الرجل.

ذهـــب إلى بيـــت لعازر ووقف هو ومريم ومرتا، وتغدى هو ولعازر ومريم ومرتا، بالضبط كما يصير هذا الشيء عند كل واحد منا. كيف كان ينظر اليهودي إلى هـــذا المـــنظر؟ كيف يكلّم النساء؟ الرب يسوع نعرف أنه كان دائماً، حتى في رحلاتـــه القصيرة، يرافقه عدد من النساء، ما كان وقتاً ما وحده إلا في ساعات قليلة جداً عندما كان على طور ثابور، وعندما كان في المحاكمة. حتى عند الصليب كانت أمـــه وكانـــت النساء معها عند قاعدة الصليب. المخلص ما كان خائفاً من النساء،

المخلـــص كان دائماً يدعو مبشراً أن الذي خلق الرجل هو الذي خلق المرأة ولا فرق بـــين الرجل والمرأة. فقد تكون سيئة وقد يكون سيئاً، وقد تكون طاهرة وقد يكون طاهـــراً، ليس لأنه رجل هو أطهر من المرأة لأنها أنثى، هذا غير صحيح، ونحن نعرف كمـــا أن المســـيح ولـــد من امرأة، فالقيامة شاهدتها المرأة قبل كل رسول. كل هذا مقصـــود، حـــتى يعلّم الذين لا يعرفون أن الله وحده الخالق وهو يخلق الكل والكل أولاده. الكل من صنع يديه والكل على صورته ومثاله، الله ليس عنده محاباة.

هـــذا العيد نتذكّر فيه كل هذا. قد تكون المرأة عندنا من كثرة ما نسمع أن المـــرأة هكذا أو هكذا... والمرأة بنصف عقل أو... قد تكون وصمت بذلك ولكن ليست وحدها، قد يكون الرجال أيضاً ليس فقط بنصف عقل ولكن بربع عقل، هذا موجود منه بالطبع. ليس أحد أفضل من أحد، قد تكون المرأة وقد يكون الرجل تأثرا بهذه الأقوال وهذه الأمور، ولكن هذا ليس إيماننا.

الـــرب يسوع أتى من عذراء، من امرأة، من أنثى، ليقول إن هذا النبع ليس سيئاً وليس دنساً. يجب أن تعرف المرأة أنها يمكن أن تكون طاهرة بمقدار ما يمكن أن يكـــون الرجل طاهراً لا أقل. يجب ألا تتهاون أو تستخف بطهارتها. أعرف أن هناك متاجرة بالمرأة. ليت المرأة ترفض أن تكون سلعة، ليتها تكون واعية أنها أكبر من هذا بكثير وأشرف، وأشرف خصوصاً من الذي يريد أن يتاجر بها، ليتها تعرف ذلك.

والبيـــت! لا بيـــت بدون امرأة، المرأة هي البيت في النهاية، والعذراء هي الكنيسة، لذلك نضع صورتها هنا وجهاً لوجه مع صورة ابنها الرب يسوع المسيح.

فلتعرف المرأة من هي، لا من خلال ما يقول فلان وفلان من كلمات المديح والكلمات الكاذبة. فلتعرف من هي من الله تعالى الذي أرسل ابنه مولوداً من امرأة. وهـــذه المرأة كان يمكن أن تكون أية واحدة من النساء الحاضرات، لكن الله أتى في وقـــت مـــن الأوقات ما كنا كلنا فيه وأتى من تلك العذراء، العذراء مريم التي نعيّد

لرقادها اليوم.

رحم الله المريمات وكل اللواتي تسمّين على اسم العذراء تبرّكاً بها، ورحم الله كـــل الذين رقدوا على رجاء القيامة والحياة الأبدية من كل النساء وقوّى الحاضرين والحاضرات وباركهن ليشعرن بأهن حقاً مباركات.

✠ ✠ ✠

الإكليريكي أب وليس موظفاً*

في حديـــث ســـابق هنا، كنت أقول إن المؤمن يدخل الكنيسة عندنا فيرى النور، يرى الأيقونات، ويشاهد المؤمنين بلباس معين وهم يتحركون داخل الكنيسة. مـــاذا يحصـــل في الكنيسة؟ ـــ هناك احتفال، نحن نحتفل في الكنيسة كما نحتفل في مناســـبات أخرى في بيوتنا، كمناسبة عرس أو معمودية، فنرى الناس يرتبون بيوتهم بطريقة معينة، يلبسون ثيابا خاصة بالمناسبة. لماذا نقول إننا نحتفل؟ ـــ نقول ذلك لأن الناس لا يميزون بين أن نحتفل فنرتل ونشكر الله ونسبح. إذاً نحن في وضع فرح، ولا نتمزق من الحزن مثلا. وكلما كان الترتيل أفضل نكون فرحين أكثر ومرتاحين أكثر ونصـــلي لربنا بشكل أفضل. ذكرت ما قلته المرة الماضية حتى نقابل ما ذكرت بمكان آخر ندخله فنجد المقاعد وعليها الجالسون، فيما يقف شخص كأنه أستاذ في المدرسة يتكلم والناس صامتون يلقي عليهم درساً. يجب أن نميز بين أن نكون في حال احتفال - وفي الاحتفال لكل واحد دوره - أو في الصف الذي يتحدث فيه واحد فقط هو المعلم.

يتســـاءل المؤمنون عندنا كثيراً لماذا لا يكون عندنا وعظ: أن نعظ يعني أن نكلّـــم الـــناس. ولكن بالنسبة إلينا، نحن لا نعظ ولكننا نتكلم مع الناس الذين نعيش معهـــم. هـــذا مـــا أردت أن ألفتكم إليه. نحن في الكنيسة لا نتلقى دروسا. نحن في الكنيســـة نعـــيش معاً. وهذا شيء مهم جدا. أود أن أقول كذلك إننا إذا أردنا أن نـــتحدث عن الكنيسة، ما هي الكنيسة؟ إنها بالتأكيد مجموعة من البشر يعيشون معاً ولكـــن ما هي علاقة هؤلاء الناس بعضهم مع بعض؟ التاجر علاقته مع الناس علاقة تجاريـــة، وفي الشـــركة تكون علاقة البشر في ما بينهم علاقة شراكة لأن لكل منهم حصة بقطع النظر عن شخصه. صورة الكنيسة، ما هي؟ إنها بكلمة موجزة هي صورة

* دير مار الياس شويا، الأحد ٢٠٠٢/٨/٢٥

العائلة. في البيت يوجد أب وتوجد أم ويوجد أولاد، وكل واحد من الأولاد يختلف عن الآخر، ولكنهم جميعا أعزّاء. في العائلة لا يتقاضى أحد راتبا من الآخرين، فلا الأب مأجور ولا الأم مأجورة. يسمع الناس أن المطران عندنا ليس له راتب، نعم وهو كذلك.

أتذكر أني سُئلت عندما كنت مطراناً على أبرشية ماذا تريد أن نخصص لك، فقلت: لا شيء، أنا صاحب البيت وأنا رب البيت، ولذلك هذا السؤال لا يطرح عليّ، وأنا لم آت كموظف. أريد أن نزيل من أفكارنا أن في الكنيسة موظفين. الخوري ليس موظفاً، والمطران ليس موظفاً، وكذلك البطريرك. أنت تكلمه كمن يكلم والده أو أمه أو إخوته. كل ما تسمعونه في الكنيسة وما تقرأونه في الانجيل، إذا لم تضعوه في هذا الإطار، فلن تفهموه. أتمنى أن نعيد النظر في هذه الأشياء وأن نقول بأننا نتكلم ضمن عائلة. في العائلة هناك من يصعب التعامل معه، وفي المقابل يوجد من يسهل التعامل معه. يوجد آباء قساة، ولكن يوجد آباء رحماء. يوجد فيهم الجهلة ويوجد العارفون. نحن نعيش هذا في بيوتنا كل يوم. قد يعتقد البعض اننا نأتي بملائكة إلى الكنيسة. لا! ليس عندنا ملائكة. نحن كأسرة. وكيف نعرف حقيقة الأسرة؟ نعرفها بوجود أب ووجود أم، وإلا لما أمكننا القول إنهم أسرة. نحن نعيش هذا الأمر في الواقع. الرواتب التي تعطى للكهنة، نحن ضدها. لماذا؟ لأنه إذا كان والدك في البيت، فهل يأخذ معاشاً من الأولاد؟ المهم أن تعيش أنت والأولاد معاً: إذا جاعوا لا يحق لك أن تكون شبعاناً، وإذا تعبوا لا يحق لك أن تكون مرتاحاً، والذي يتصرف بدون مسؤولية تجاه امرأته وأولاده ليس أباً حقيقياً في الكنيسة. هذا هو الوضع الحقيقي.

يسألني البعض كيف هي علاقتك بالناس وكيف تعيش؟ أنا أعيش والناس يقدّمون إلي. إنهم يعملون ومن ثم يقدمون من ثمرة أعمالهم. ويسألون: ألا يوجد عندكم تقاعد؟ فأجيب: لا! فأنا لست موظفاً. وأنا مهما كان الظرف والوضع،

سأبقى أباً للكنيسة، وهكذا الأم والأخت. علاقاتنا ليست علاقات وظيفية، إنها تماماً كعلاقاتك في البيت مع أولادك، الذكي منهم وغير الذكي، الجيّد وغير الجيد، الكبير منهم والصغير. هكذا نحن نعيش، وإن لم نعش كذلك، نكون غير عارفين كيف يجب أن نعيش.

قلت في المرة الماضية إن الذي لا يعرف أننا أتينا إلى الكنيسة لكي نحتفل، وأن لكل مكانه ولكل دوره، فهو يجهل ماذا يحصل عندنا. قد يعتقد أننا نفعل ذلك لنسمع في النتيجة خطاباً أو كلمة، وهذا ليس صحيحاً، لأننا كثيراً ما نصلي دون أن يكون هناك خطاب. نعم يحصل احتفال ولكن دون أن يقف إنسان ويحدثكم، وهذا لا يؤثر في الصلاة سلباً. أشدد اليوم على هذه النقطة، لأن أولادنا لا يعرفون، وقد يحصل أحياناً أن الآباء لا يعترفون بأولادهم ويحدثونهم بلغة التجارة. الحجة أنهم يودون تأمين حياتهم. ولكن لا يحق لك تأمين حياتك فيما حياة أولادك غير مؤمنة. أنت مثلهم وأنت مسؤول عن مجيئهم. أنا مسؤول عن وجودنا معاً، وليس لي الحق في أن أكون مرتاحاً أكثر منكم. هذه هي نظرتنا إلى الكنيسة. نحن عائلة، ومن ينفِ ذلك يصعب عليه أن يتحدث مع الشماس وأن يكلم الكاهن. كل حديث على أساس أن الشماس أو الكاهن موظف يكون خطأ في أساسه. وهذا ما جعلني أطرح هذه الأفكار لنتداولها معا ونفكر فيها، لأن الكثيرين لا تخطر هذه الأمور في ذهنهم. يعتقد البعض أنه يجب أن نفكر دائماً في الأمور الغامضة والصعبة حتى يكون لحديثنا معنى، وهذا ليس صحيحاً. نحن عندنا حياتنا، ويوجد عندنا قانون واحد في الكنيسة هو قانون المحبة. تحب الناس فأنت مسيحي حقيقي وأرثوذكسي، وإذا لم تحب الناس فكل قول باطل، لأن ربك عندما أحبك تجسّد وأتى اليك أي أنه ترك عرشه وكل عظمته وأتى ليكون معك.

فقدنا البارحة مطرانا هو المطران باسيليوس سماحة، مطران حوران وجبل العرب، وسيدفن اليوم في بلدته الجوار، كنيسة سيدة البشارة.

من هو المطران؟ ـــ المطران ليس ملاكا. كلنا مولودون من أم وأب، وكلنا بشر من عظم ولحم، وكلنا خطأة. لذلك عندما نجتمع في هذا الاحتفال، فنحن نصلي بعضنا لبعض، فندعو لشعبنا وشعبنا يدعو لنا، وندعو بعضنا لبعض لأن الكبير الوحيد في هذه الكنيسة هو ربنا، ولذلك فالذي يعتبر نفسه كبيرا نقول له أنت متكبر وأنت مخطـــئ. لا أحد كبيرٌ، الكبير هو واحد وهو رب الكنيسة. يا أحباء، قال الآباء إنه حيـــث يكون المطران تكون الكنيسة، لماذا؟ لأنه لا توجد عائلة بدون أب. الأب هو الـــذي يتزوج وهو الذي يصبح عنده أولاد ويغدو بالتالي رب عائلة. لا ننسَ أنه أيام الرسل كان عددهم قليلاً جداً، وكانوا مجهولين لا يستحقون حتى الاضطهاد. وحيث تـــرى المطران، تقول توجد الكنيسة، ولماذا؟ لأنه هو الذي يرسم الكاهن، وهو الذي يرسم الشماس. معنى ذلك أن كل الأسرار الإلهية لا توجد إلا إذا كان موجوداً، وهنا تكمن أهميته.

خشـــية أن يؤلـــه المطران نفسه، نذكّره دائماً بأن ما يعطيه هو ليس من عنده، بل الله هو الذي أعطاه إياه.

رب العائلة لا يعني أن في إمكانه أن يكون جلاداً وأن يتمتع فيما سائر أفراد العائلة يتعذبون. ما هكذا يكون الآب.

لقبنا الأصلي ليس "سيدنا" وعندما نرسم يُذكر "أبونا" قبل سيدنا، وسيدنا توضع احتراماً كالابن الذي يكلم والده باحترام.

أحببـــت الـــيوم، أيها الاحباء، أن أذكر بالفعل ماذا يوجد عندنا ولماذا هو عـــندنا وما معنى ما عندنا. نذكر ما قلت من أن صلاتنا احتفال، وأن الكنيسة عائلة وليست شركة وليست حزباً أو دولة، وحيث لا توجد عائلة لا توجد كنيسة. هذه هي الصورة الحقيقية للكنيسة. أتأمل أن نذكّر بقدر ما نتمكن، أن نذكّر أولادنا بأنهم أخـــوة وأنه يوجد لهم أب وأنهم غير موظفين عند أحد. حفظكم الله وأبقاكم جميعاً عائلة واحدة.

الله هو الشافي*

مبروك.. مبروك..مبروك.. أقولها مثلثة، وأشكر الله على أننا في هذا الصباح يمكننا أن نقول مثل هذه الكلمات. قبل كل شيء علينا أن نشكر أهل أبينا الجديد الخوري اليان إذ لا تنبت نبتة إلا إذا كانت مزروعة في أرض طيبة.

ونشكر الله أن أبانا اليان هو نبتة طيبة ومن أرض طيبة. وفخر للعائلة أن ينبت منها شخص لكي يكون ليس فقط لأهله ولكن لكل الناس ولكل من يسمونه أبونا. كان محصوراً في أسرة، فأصبحت الآن أسرته كل التي تُعَمَّد وتتغذى بجسد الرب ودمه الكريمين.

نُسْأل أول ما نُسْأل عندما نواجه الأجانب بطاركة كانوا أم مطارنة من كنائس أخرى كيف أنتم؟ وهل عندكم دعوات كفاية؟ هل عندكم كهنة كفاية. نحن — والحمد لله أيها الأحباء — نحن نغذي كل أبرشياتنا في أميركا اللاتينية وأبرشيتنا في أميركا الشمالية وأبرشيتنا في أوستراليا. كلها تتغذى من هنا. ونحن والحمد لله — ولا شك أنكم شاهدتم ذلك — لا ينقصنا كهنة ولكننا نستزيد من الكهنة الأفاضل.

واليوم نحن نفتخر بأن يصبح عندنا أبونا اليان في مصف الكهنة الجليل.

يا أبانا اليان عندما كنت تمارس الطب فقط كنت ترى الناس يتألمون فتنظر إليهم نظرة حنان لكي يقوى قلبهم بك ولكي يزيد إيمانهم بأنهم قادمون إلى الصحة لا إلى الموت.

عندما كنت تشارك في العمليات، هذه العمليات التي بواسطتها ينجو الكثيرون بالفعل من آلامهم وأمراضهم كنت تعرف بأنه يجب أن ننظر إلى المريض

*الكاتدرائية المريمية، دمشق، رسامة الشماس الدكتور اليان وهبة كاهناً، ٢٠٠٢/٩/١

ليس فقط بأن نعطيه دواءً ولكن أن يرى في وجهنا الأمل، أن يرى في وجهنا الرجاء، أن يرى في وجهنا إمكان الشفاء. لأنه إذا لم يعتقد هو بأنه سيشفى فمن الصعب على أي دواءٍ أن يشفيه. يجب أن يعتقد هو أولاً بذلك. أذكر كلام بعض الذين عرفتهم. كـــانوا يقولون للمريض: نحن نعطي الدواء فقط والله يشفي، ليس نحن الذين نشفي، نحن نعطي الدواء فقط لكن الشفاء يأتي من الله وحده القادر على أن يشفي خلائقه.

هذا القول، أيها الأحباء، صلاة لا يمكن أن يقولها إلا الطبيب. والآن الذي كان يقول هذه الصلاة على عملية أو على مرض أصبح الأب اليان يتذكرها ويقول أكثر منها عندما يرى مريضاً.

"يـــا ابني" أولاً، وهذه الكلمة عزيزة علينا جداً. أنت أصبحت أباً وكل من يـــأتي إليك هو ابن لك. أن تقول يا "ابني أتكل على الله"، "يا ابني قوِ قلبك فإن الله معـــك"، "الله يريدك أن تصح وأن تعافى"، "الله يريد أن يكون عندك أمل به" "اتكل على الله". هذا ستقوله وستكرره. ابدأ كل كلمة مع المريض بتذكيره بأن الله يمكن أن يكون طبيباً له كما أنت طبيب وكما أن هناك أطباء زملاء لك.

هـــذا شيء، أيها الأحباء، يقدمه الطبيب. يقدم الأب الطبيب هذا الشيء. يقدمـــه الأب كمـــا قلت لكي يعطي رجاءً وأملاً لأبنائه المرضى. هذا لا يتنافى مع الطب، الطب يقصد شفاءً والأبوة الروحية تقصد الشفاء أيضاً، الذي يأتي وقلبه ملآن مـــن هـــذا العالم بشروره وبمتاعبه بما يراه الإنسان عند سواه وفي نفسه أيضاً وعندما ينظر الإنسان إلى هذا تمتلئ نفسه يأساً إلا إذا كان ينظر إلى الله ويراه هو فقط الموئل الأخير الذي يرجوه الإنسان في حياته.

في الطب يجب أن نوجه الناس إلى من يشفي لا إلى من يعطي الدواء فقط. الذي يعطي الدواء نقول له شكراً، أما الذي يشفي فيجب أن نعطيه من قلوبنا.

أيها الأحباء، يجب أن نقدم له الشكر لأنه خلقنا لا لكي نموت خلقنا لكي

نحيا.

إنني أطلب إليك أنه مع الدواء الذي يوصف هنالك دائماً كلمة تقال وهي كلمة الرب يسوع: أنا أشفيك، كلمة الرب يسوع الذي كان يشفي المرضى حيثما ذهب. كان يتكلم قليلاً وكان يفعل كثيراً.

أطلب إليك أن تكون حاملاً الرب يسوع في قلبك وفي يديك قبل أن تكون حـــاملاً الدواء. الدواء بدون فعل الرب يسوع لا يمكنه أن يفعل الكثير وأنت تعرف ذلك وكلنا نعرف ذلك.

الـــيوم، أيهـــا الأحباء، صار لديكم أبٌ جديد لخدمتكم. الأب الكاهن هو لخدمة كل واحد منكم ويتوقع أن تقول له متى تحزن متى ترضى متى تكون سعيداً متى تكون مرتاحاً، وهو الذي يسمع لك ولو كان عنده ألف شغلة وشغلة.

الـــيوم فرح في الكنيسة لأن الذي ينقل إليكم جسد الرب يسوع ودم الرب يســـوع اللذين بهما نخلص قد وجد. وهذا شيء لا يمكن لإنسان أن يقدمه إليكم إلا الأب إلا الكاهن. الذي هو اليوم أبونا اليان بالذات. اذكروا ذلك واذكروه دائماً.

الـــيوم زادت عائلتنا أباً أطلب إلى الله أن يعينه. والطبيب إجمالاً يتعود على الصبر والكاهن يحتاج إلى صبرٍ لا حد له. ليس كل واحد بيننا هنيئاً. الكثيرون بالفعل لا يشـــعرون أنهـــم يضغطون على الكاهن في كثير من الأحيان، لكن الرب سيكون معـــك يا أبانا اليان ويقويك وسيعرف هذا الشعب أن عنده آباء يفاخر بهم أمام كل الآباء المماثلين في أية كنيسة أخرى وفي أي شعب آخر.

بوركت وكان الله معك.

الأنانية تدمّر*

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

هـــذا يوم آخر تبتهج فيه الكنيسة المقدسة بأن هنالك إنساناً يقترب من ربه أكثر فأكثر لكي يصبح خادماً حقيقياً في حقل الرب.

أنـــا أهنئ الأب جورج وأهل أبينا جورج بصورة خاصة. أنا أعرف أنه لا ينبـــت شيء في الصخر ولكنه ينبت في أرض صالحة. لذلك فإني أنقل تهنئتي إلى أهل المرسوم جديداً وأسأل الله أن يبارك بالمبارك الجديد جميع العائلة وجميع الأقرباء وجميع المحـــبين الذين أتوا إلى هذه الكنيسة المقدسة ليشاركوا في فرح الكنيسة التي هي كما أكـــرر دائماً كنيستكم. أشكر الله أنه تمّ اليوم حلول الروح القدس في سر الكهنوت على أحد أبنائنا في هذه الكنيسة المقدسة.

لكن عندما أتكلم أن هنالك من يقترب أكثر فأكثر من الرب يسوع، أذكر بعض الكلمات التي قالها الرب يسوع. ماذا قال لتلاميذه في أحد الظروف؟ قال: من أحـــب أبـــاً أو أماً أو أخوة أو أخوات أكثر مني فلا يستحقني. يجب أن تكون لكل الناس بدون أي تمييز ويجب أن تقول للمسيح أحبك فوق كل أحد.

ربـــك مـــثل الشمس وكما أن الشمس تشرق بنورها على الصالح وعلى الخاطئ ولا تسأل على من يقع ضوءها، كذلك أنت يجب أن تكون لكل الناس

ولم يكـــتف يسوع بقوله «من أحب أماً أو أباً أكثر مني» بل أكمله قائلاً: «ومن لا يكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقني».

والحذر كل الحذر من الأنانية. الأنانية بين الأصدقاء تدمر الصداقة، والأنانية

*الكاتدرائية المريمية، دمشق، رسامة الشماس جورج مقدسي كاهناً، ٢٠٠٢/٩/٢٢

في الكنيسة بصورة خاصة تقلب الأمور وتزيف الأشياء. وهكذا هي الأنانية في الكهنة والمطارنـــة. مشـــكلة الملوك تقع في الأنانية فالأناني يفضل مصلحته على سعادتك. فلنتمســـك بالمحـــبة بدون شروط ونبتعد عن الأنانية وإن شاء الله الروح الذي انحدر عليك يكون روح شركه دائمة ومستمرة.

✞ ✞ ✞

الرحمة قانون الحياة*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

أقـدم التعازي للأحباء الذين نقيم هذه الصلاة من أجل صحتهم وراحة نفوس موتاهم وأسأل الله أن يعطيهم الإيمان القوي الذي هو السلاح ضد الأحزان وضد المتاعب والمصاعب. فلنسعَ أن يكون إيماننا قوياً عندئذ نتغلب على كل شيء.

الكثيرون من أبنائنا لا يقرأون الإنجيل وهذا صحيح، وكذلك الكثيرون منهم لا يأتون إلى الكنيسة من أجل الصلاة، وهذا أيضاً صحيح. الكثيرون ممن يصلون لا يدركون كل كلمة يسمعونها في الكنيسة، وهذا صحيح. هؤلاء الناس نلومهم ونقول لهم لو حضرتم إلى الكنيسة وقرأتم الإنجيل فإن الله ينير قلوبكم وتتضح لكم الأمور بشكل أفضل، وهذا صحيح ولكنه ليس صحيحاً كل الصحة لأنه يوجد أناس يقرأون الإنجيل وكأنهم يقرأون قصة أو رواية ويدخلون الكنيسة وكأنهم إلى مقهى.

سؤالنا: الذي لا يقرأ الإنجيل ولا يؤم الكنيسة والذي هو غير مسيحي أو الذي لا يعرف الله، إنسان كهذا كيف ستتعامل معه وهو لم يقرأ ما قرأته ولا يعرف ما تعرف؟ ستتعامل معه حسب شيء له علاقة بالطريقة. يجب أن تعرف أن الذي يؤلمك يؤلمهم وما يؤذيك يؤذيهم وما يضرك يضرهم.

اليوم ذكر الإنجيل شيئاً ما يتعلق بهذه الطريقة إذ قال: «كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم بهم هكذا». فكما تتمنى أن يعاملك الناس عاملهم أنت بالمثل. لماذا؟ لأنه ما يوجعك يوجعهم وما يؤذيك يؤذيهم. إذن يجب ألا تفتكر بما يخصك أنت فقط بل يجب أن تفكر كيف تحب أن يعاملك الناس. لا تفكر بنفسك فقط بل فكر أيضاً بغيرك. هذا شيء مهم جداً أن ندركه. ولكن الإنجيل قال اليوم

---

*الأحد ٢٠٠٢/٩/٢٩

بعد أن ذكر الكلمات السابقة «كما تريدون أن يفعل الناس بكم» لم يصمت بل قال: «إذا أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم» لأن الناس عادة هكذا يفعلون فتكون العلاقة هي علاقة مبادلة. أي أن الرب قلب المقاييس رأساً على عقب لأن ما يفعله المؤمنون يفعله جميع الناس ويقوم به حتى الوثنيون وعبدة الأصنام. فما دور مسيحيتك وربك وديانتك التي تعتز بها؟ لا شيء. إنك لا تفعل إلا ما يفعله كل الناس. القصة بالفعل أن تحب الذين لا يحبونك وأن تعطي الذين لا يعطونك وأن تفعل الخير لمن لا يقدمون الخير لك. وهذا الشيء يعرضه علينا الرب يسوع بقالب آخر فيقول هؤلاء هم كالمريض الذي دواؤه عندك وهو ربنا. فإذا كان عندك الدواء فأنت لا تعطيه لمن يتمتع بصحة جيدة. بل تفتش حيث يوجد المريض لتعطيه الدواء. وهكذا فمحبتك يجب أن تعطيها لمن لا يحبون فهؤلاء هم المحتاجون إلى المحبة وليس الأشخاص الذين قد يكون عندهم من الشيء أكثر منك.

لقد سر الكثيرون عندما قرأوا في الإنجيل «كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا» ودعوا ذلك بالقاعدة الذهبية في الإنجيل. ولكن القاعدة الذهبية ليست هذه أنها تأتي بعد ذلك لأنك حتى الآن تفكر في نفسك. أي أنك ما زلت تقايض الناس واحدة بواحدة إذن هي نوع من التجارة. ولكن بعد ذلك قال: إذا صممت ألا تصنع المعروف إلا مع الذي يستحقه فلن تجد الكثيرين ممن يستحقون وإذا كنت لن تتكلم إلا الذي يحدثك بما تستسيغه وتحبه فكم واحداً ستصادف من هؤلاء. أكثر البشر ليسوا كذلك، معظم الناس هم ممن يتطلبون أن تقدم أنت نفسك لهم. استحقوا ذلك أم لا يستحقوه هذا موضوع آخر. فكر بربك ولا تفكر بالناس. لماذا؟ لأن الناس يفكرون بالعطاء المتبادل. إذن فكر بربك فأنت لا تقدم له شيئاً لأنه لا يمكننا أن نقدم له شيئاً لأنه لا يحتاج إلى شيء. ولكن على العكس هو الذي يفعل الخير لنا وبدون مقابل. حياتنا يهبنا إياها مجاناً، وصحتنا يعطينا إياها مجاناً وكل شيء يقدمه لنا هو مجاني. وهذا ما يسمونه بالرحمة. القانون الإنجيلي عند من يعرف الإنجيل

ومـــن لا يعـــرف الإنجيل أنه كما أن الله يعاملك كأفضل إنسان موجود على وجه الأرض دون مقابل لا بل قد تنكره وتضعه جانباً في حياتك ولا تفكر به. هكذا يجب أن تعـــامل الناس مجاناً. فالإنسان الذي يعطي ويطلب بالمقابل أن يأخذ «فأي فضل لكم». ولا ضرورة لأن تكون مؤمناً بالله حتى تفعل ذلك. وهذا ما يفعله كل الناس تعطـــيهم فـــيعطونك. ولكن فقط الرحمة التي لا نهتم كثيراً في بيوتنا أن نربي أولادنا عليها. نحن نربيهم على أن يأخذوا حقهم بأنفسهم «فمن ضربك كفاً اضربه كفين». هـــذا ليس هو المطلوب. وليس ضعفاً من الله أن يفعل معنا كل خير بدون أن يسأل عـــن ردة الفعل إنه يفعل ذلك لأنه بالفعل قوي وأنت لا يمكنك أن تنال من قوة الله لأن قوته ليست مستمدة منك ولكنها مستمدة منه هو.

يجـــب أن نذكر أن قانون الحياة في النهاية هو الرحمة لأن ربنا يغفر لنا مهما فعلنا. ولو أخطأنا تجاهه كل العمر فنحن نتوقع منه في آخر لحظة الغفران إن طلبنا منه ذلك.

أيهـــا الأحباء، اذكروا الرحمة في البيت، اذكروها مع الأصحاب ومع الذين تتعاملون معهم، فالذي لا ترحمه فأنت لا تحبه. لا محبة بدون رحمة. والرحمة أن تفعل كـــل مـــا هو صالح دون طلب المقابل. حلو هو كلام الإنجيل اليوم والذي هو كلام الرب يسوع.

الله معكم.

✝ ✝ ✝

نحن أبناء الكنيسة الأولى*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

أحـــب أن أرحـــب بالأب غريغوريوس ومن معه من الإنكليز الأنطاكيين الأرثوذكـــس الذيـــن يزورونـــنا اليوم وآمل أن يسروا عندما يرون ظواهر إيمانكم وحضوركم إلى هذه الكنيسة المقدسة.

أعـــايد الأب بطرس (بطرس) ومن يعاونونه. أعايد كل الذين يهتمون بهذه الكنيســـة المقدسة وبصورة خاصة سيداتنا. أعايد الأخوية التي هنا. وأشكر الله على وجودهن وجهودهن جميعاً.

هـــذا الحضـــور اليوم يدل على أننا لم نعد نتبع الطريقة التي أتبعت لأوقات طويلة في الماضي وهو أن سيداتنا يوضعن في آخر الكنيسة. ويوضع كل الناس أمامهن حـــتى لا يـــنظر أحد إليهن. واليوم والحمد لله هنّ واجهتنا ونحن نفتخر بالفعل بهذه الواجهة.

رحبـــت بهذا الكاهن غريغوريوس والذين يرافقونه وهم إنكليز ومن إنكلترا أي ليســـوا مهاجرين إلى إنكلترا. وأغتنم هذه الفرصة لكي أخبر الذين لا يعرفون أن الكرسي الانطاكي ليس هنا فقط. يوجد أناس عندنا جهلة ونحن معروفون بأننا نجهل أنفســـنا. حتى في مستوى الحي فإننا نجد العديد من الناس يجهلون ما يوجد في الحي المجاور لهم. في فرنسا عندنا راهبات ونحن نفخر كثيراً براهباتنا اللواتي في فرنسا ونعتز بهـــن وأخبركم أن إحداهن تعمل في مستشفانا في الحصن الذي يرئسه الأرشمندريت نقولا بعلبكي الذي تعرفونه وهو كما تعرفون طبيب طبيب بالمعنى الحقيقي للكلمة.

---

*الأحد ٢٠٠٢/١٠/٢٧

وفي إنكلترا عندنا أكثر من عشر رعايا ليسوا بيونان ولا يحملون الجنسية الروسية ولكنهم إنكليز أصيلون فكروا أن هذه الكنيسة الأرثوذكسية التي تظهر في بعض الأوقات وكأن هناك أشخاصاً لا يأخذونها مأخذ الجد. ليس كل من يملك جوهرة يعرف ما هي الجواهر. هؤلاء الجماعة عرفوا أن الكنائس لا تخلق ولا نستطيع أن نصنع كنيسة.

يسألني الكثير من الأجانب الذين يزوروننا متى بدأت الكنيسة عندكم؟ أقول لهم هذا السؤال وجهوه إلى سوانا فكنيستنا بدأت عندما قال الرب يسوع «على هذه الصخرة أبني كنيستي» وبعد ذلك اجتمع الرسل في علية صهيون يوم العنصرة وهناك تأسست الكنيسة. إذن نحن موجودون منذ البداية، كما أني أقول لجماعتنا هنا وخصوصاً الذين يعيشون معنا ولا يعرفون كثيراً عن إيماننا ولا عن تاريخنا وهم متأثرون بالقول إن كل من يأتي من الخارج وحده هو المسيحي لذلك عندما تقولون هذا مسيحي فإن غالبية الذين يسمعونكم في هذا البلد يظنون أنكم تتكلمون عن إنكليز أو فرنسيين أو أميركان. أي الذين أتوا إلينا في الحروب الصليبية من الخارج. نحن لسنا معروفين كفاية هنا لأننا لا نتكلم من هنا. ولا نتكلم عن أنفسنا. نحن لا نبرز أنفسنا جيداً. ما أود أن أقوله هو أنه عندنا عدد من الرعايا في إنكلترا. أنا لست بحاجة على القول إنه عندنا في أمريكا اللاتينية خمس أبرشيات. يجب أن تعرفوا فليس أبشع من الجهل في الأشياء المهمة.

كثير من المبشرين الذين أتوا إلى هنا خصوصاً من إنكلترا وأمريكا وفرنسا وغيرها كان السلاح الذي يشهرونه في وجهنا هو القول بأننا جهلة. يمكن أننا كنا في وقت من الأوقات جهلة ولكننا الآن لسنا كذلك. الآن صار عندنا كهنة يتشرف الإنسان بالتعرف عليهم. أولادكم الذين ترونهم أمامكم لا تعرفونهم جيداً إذ لا يوجد واحد منهم لا يحمل شهادة جامعية. وهم متعلمون أكثر من معظم أولادنا. يجب أن تعرفوا هذا. هؤلاء ليسوا أولاداً أتينا بهم لنخلصهم من وضع اجتماعي بائس كانوا

يتخـــبطون به. لا إنهم ليسوا هكذا فهم يفهمون أكثر من الكثير من الناس من الذين يظـــنون أن الخـــوري شخص مهمش يستحق الإشفاق عليه. وهكذا كنا نتطلع إلى كهنتنا الذين كانوا بنسبة كبيرة منهم جيدين وأفضل من غيرهم.

في أميركا اللاتينية عندنا خمس أبرشيات. وفي أمريكا الشمالية عندنا أبرشية واحـــدة. أما في أوستراليا ونيوزيلاندا فعندنا أبرشية أيضاً واللافت أنه في ألمانيا عندنا ١٤ رعية مع كهنتهم يستخدمون اللغة الألمانية في صلواتهم ليس صحيح.

لـــيس صـــحيحاً أن كـــل من يتحدث باللغة العربية يتقن اللغة العربية. لا تغشكم المظاهر. في الأسبوع الماضي لم أكن هنا، كنت في مصر وكنت ألتقي أولادنا هـــناك وأصـــلي معهـــم حتى يعرفوا أنهم ليسوا وحدهم. لأنهم هناك يتأثرون كثيراً بالأوضـــاع الاجتماعية والسياسية، وهذا شيء طبيعي. كنا عندهم حتى يحسوا أنهم ليســـوا وحدهم في الساحة. الكرسي الانطاكي هو أهم بكثير مما يظنه البعض. لماذا؟ لأنه لم تصنعه يد إنسان. فالقسيس الفلاني مثلاً يتبعه البعض ولكن بعد سنوات قليلة يتعـــب هـــو فيرجع إلى بيته وبالتالي ينفض من حولـــه ويعودون إلى حيث كانوا. الكرسي الانطاكي أسسه الرسل بالذات وليس بالنيابة. بطرس الرسول كان أول من يذهب إلى هناك ولما ذهب بولس الرسول إلى أنطاكية، وجد بطرس هناك وقد أسس الكنيسة، فإذا كان كل ما ذكرنا حصل خلال سنوات بعد صعود المسيح، فهذا يعني أن الكنيسة تأسست منذ البداية. ويعقوب الرسول كان أول رئيس كهنة في أورشليم الـــتي كانت كنيستُها الأولى. في ذلك العهد لم يكن هنالك مطارنة بل كان الكهنة يقـــودون الشـــعب. قيمتنا لا تتعلق بقيمة الأشخاص فقط لأننا كأشخاص نحن بشر ولسنا أفضل. نحن ككل الناس وقد يوجد أناس أفضل منا. وليس صحيحاً أننا نحتكر الآدمية ونحتكر الصلاح، فلسنا نحتكر شيئاً. الله خالق البشر، زرع في كل البشر شيئاً جـــيداً وهذا يتطلب عينين لتريا. ولكن المقصود بذلك ليس الفضيلة في حد نفسها. يمكـــنك أن تجدهـــا حيـــثما تفتش ولكن ميزتنا أن كنيستنا الرسولية أسسها الرسل

بـــالذات وهذا لا ينطبق على كل الكنائس. وهذا يعني أنك عندما تكون في الكنيسة تعرف وكأن رسل المسيح بالذات هم حاضرون معك، يصلون معك ويمجدون الرب معـــك. أنـــت لست وحدك. أنت في الكرسي الانطاكي تتمتع بحضور إلهي مكثف ومهـــم. صحيح أن الله حاضر في كل مكان لكنه حاضر بقوة محسوسة وملموسة في كنائسنا، في شعبنا، في أولادنا وفي عائلاتنا. لذلك فاخوتنا الإنكليز والألمان وبصورة خاصة الذين في أميركا فقد هاجروا من هنا ولكننا نحن هنا لم نأت من مكان وتعبوا حـــتى تمكـــنوا مـــن القول أنا مسيحي وأن هنالك الرب يسوع المسيح. أنا أتبع إلهاً ســـأتعرف عليه من خلال عمله في الكنيسة. وهو لم يؤسس الكنيسة لا في نيويورك ولا في بـــاريس ولا في أي مكان بعيداً عن هنا ولكنه أسسها هنا. ولنسر على طريقه خطـــوات متـــتابعة وأبدأ بالمسيرة على التراب الذي سار عليه ربنا ومن ثم الرسل ثم أكمـــل المســـيرة. وهذا أساسي جداً. أنتم أولاد الإيمان الحقيقي وأنتم أبناء الكنيسة الحقيقية وإلا فإننا نكون كاذبين في كل ما نفعله لا سمح الله في ذلك. لأن كنيستنا لا تكذب وهي صحيحة والذي لا يصدق فليقرأ ويتمعن فيعرف الحقيقة.

نحن لا نعرف بما فيه الكفاية والإنسان يتطلع يميناً ويساراً دون أن يتطلع إلى أهل بيته وهذا شأننا مع الكنيسة الأرثوذكسية فإننا ننتظر حتى يعلّمنا غيرنا عنا.

يـــا أحباء، يجب أن نعي هذا الشيء وأن نعرف أننا لسنا هامشيين، نحن في قلـــب الكنيسة. لا أنسى عندما كنت في أحد الاجتماعات في إنكلترا وجاءني كاهن لـــيس من كنيستنا وسألني هل أنت أنطاكي؟ ولما أجبته نعم سألني بكل محبة أن أضع يدي على رأسه لتحل عليه البركة لأنني شرقي.

عادة ما نتطلع حولنا ونقول فلان صنع كذا وفلان فعل ذاك ولكن يجب أن لا يكون همنا فلاناً وفلاناً، فالذي أسس الكنيسة من فوق هو عندكم وليس حاضراً عند غيركم أكثر من حضوره عندكم وهو الذي نتبعه وهو قدوتنا.

نحن أبناء الكنيسة الصحيحة ونتبع الإله الواحد الأحد. قولوا هذا لأولادكم الذين أتمنى أن أراهم في الكنيسة مستقبلاً فهم مستقبل الكنيسة ومنهم سيكون الكهنة والمطارنة والبطاركة. أملنا فيهم ولا مستقبل إلا بهم.

✞ ✞ ✞

أنتم أبناء النور*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

كل عيد وأنتم جميعاً بخير، أوجه هذه المعايدة اليوم، لكل الذين يخدمون في هـــذه الكنيســـة ولكـــل الهيئات، لكهنتها والذين يرتلون فيها، والذين يعملون فيها والأخويات وكل المؤمنين. أعايدهم في هذا اليوم المبارك وأتمنى لهم دوام التوفيق وأتمنى لهم استمرار النشاط الذي يقومون به حتى اليوم.

الـــيوم، يا أحبائي، قبل أن تحضروا كنا نصلي ما يسمى بصلاة السحر. ما هـــي صلاة السحر؟ اخوتنا المسلمون يقولون إنهم يتسحرون أي أنهم يتناولون وجبة طعـــام عند السحر. متى السحر؟ يعني الصبح. إذن هذه صلاة الصبح التي لا نحضرها إجمالاً أو أننا نشارك في جزء منها. هذه الصلاة تجعلني أفكر. أخشى أن نكتفي فيها بصـــوت جميل أو قراءة سليمة أو منظر حسن وأخشى أن نكون نرتاح لهذه الأشياء فقط ونكتفي.

بالنسبة إليكم لاحظت أنكم تشاركون في الترتيل مثلاً وهذا حسن جداً لأنه يـــدل أننا نحس يوماً بعد يوم أن هذه الصلاة هي من أجلنا نحن وأن الكنيسة مفتوحة أبوابهـــا لنا جميعاً وليس لأشخاص معينين أو للكاهن وحده أو للمطران مثلاً لأن ما يحصـــل في الكنيســـة هـــو من أجل الجميع. وهذا ما سرني جداً وأطلب من الله أن يقويكم حتى تزيدوا في المشاركة.

مـــع ذلك فهناك ما يشغل البال. وأخشى ما أخشاه هو أن نسمع التراتيل فنفرح بها وتسبب لنا بعض الانشراح وكفى، دون أن نفكر بمعنى الكلمات التي نردد، لأن ما تعنيه هو في غاية الأهمية. الذين يعيشون في المدينة يرون جدراناً حيثما تطلعوا

---

*كنيسة مارميخائيل، دمشق، عيد مارميخائيل، الأحد ١٠/١١/٢٠٠٢

ولكــن الذين عاشوا في القرى يعلمون أنهم صباحاً يتطلعون إلى المشرق فيشاهدون الــنور وقد بدأ يبدد الظلمة من حوله ويرون الشمس قد أخذت تظهر بوهجها. وفي المســيحية عندما نتطلع ونرى الشمس تشرق وتضيء ونشاهد النور يأخذنا هذا إلى الــرب عــندما ولد وجاء بقوته هو، بقوة من أجل الخير ومن أجل الخلاص ولفداء البشــر. نحن نعتقد أن عالمنا يحتاج إلى شخص كهذا وإلى عمل كهذا لذلك فصلاة الســحر مهمــة جداً وأتمنى أن نعطيها انتباهاً أكثر. فلا نكتفي بسماع السحرية بل نقــرأها وأن تكون عندنا الوسيلة لذلك لنفهم أكثر ونعرف عما تتحدث هذه القطع لأن ما تتحدث عنه هو القيامة.

الصــورة في الصــباح الباكر حيث العالم كالغرفة المظلمة التي ينفتح بابها فتتســرب مــنه أشعة الضوء لتبدد الظلمة. هذا يذكرنا بالمسيح وبالقبر الذي فجّره فانزاحت الحجارة وبزغ منه ليكون نور العالم وكما قال: «أنا نور العالم». والنور لا يغطــى كمــا نفعل في مرات كثيرة. النور وجد لينتشر دون عائق وينير طريقنا حتى يــتمكن الناس من الرؤية ويعرفون بذلك، لأن الإنسان يسر بالنور، ولا يسر بالعتمة والظلام. الصلوات التي نتلوها صباحاً هي صلوات عن القيامة. أما الأناجيل التي تُقرأ صــباحاً، أي أناجيل السحر. فموضوعها واحد وهو الحديث عما حصل للسيد بعد القــيامة. يوجد أحد عشر إنجيلاً تُقرأ في صلاة السحر وتعاد قراءتها وكل واحد منها يسرد حادثة حصلت مع المخلص بعد قيامته. لماذا كل ذلك؟ للتأكيد على أن القيامة لم تكن كلاماً بكلام بل هي موثقة بحوادث حصلت بعد القيامة وأن المسيح لم يكن شبحاً ولا خيالاً بل هو واقع شاهده العديدون كما نرى بعضنا البعض.

لمــاذا التأكيد على القيامة؟ لأن الشاك في القيامة يشك بكل ما هو مسيحي على الإطلاق. الكنيسة الأرثوذكسية، وفيها الكرسي الانطاكي، كنيسة القيامة. لماذا هي كنيسة القيامة؟ لأننا نحن نعلم في لاهوتنا، ويجب أن نتعلم ذلك، أنه بدون القيامة مــاذا يبقى؟ لو أن الرب يسوع مات ووُضع في القبر وطمروه فماذا يبقى؟ لا يبقى

شيء لقد مات وانتهى الأمر. بعض الرسل أنفسهم قالوا ما أقوله الآن: رحمه الله لقد مـــات وانـــتهى. يعني أن إيمانهم بالقيامة كان ضعيفاً. ولكن إيمان من كان أقوى من ذلـــك؟ كـــان إيمان اللواتي قلن إذا كان قد مات ألا يحق له ما يحق لباقي الأموات؟ فلنذهب إذن لنرى القبر ونطيب الجسد وبالفعل ذهبن وكن أول من سمع بالقيامة من الملاك الذي صادفنه عند القبر.

هذا كله نجده في صلاة السحر ونسمع عنه. لذلك إذا أردت أن تأخذ درساً عـــن القيامة يجب أن تلجأ إلى صلاة السحر. وبقليل من الانتباه تعرفون أن أكثر ما يتردد في صلاة السحر هو كلمة القيامة فنسمع أنه قام من بين الأموات، قام من بين الأموات وسبى الموت، قام من بين الأموات وسبى الجحيم، قام من بين الأموات لأنه الســـيد. هذه كلها تسمعونها تتردد لأن الصلاة صلاة قيامة. وفي صلاة السحر عندما نذكـــر كلمة قيامة فمعنى ذلك أننا نتكلم عن مصيرنا. الإنسان معرض للموت، إنه يمـــوت ثم يدفن وانتهى الأمر فلماذا الصلاة؟ هل نصلي لجثة مدفونة أو لقبر حجري، لا. نحن نصلي لأنه بعد الموت يوجد شيء آخر. نعم توجد القيامة ولولا القيامة لكنا دفـــنا الميت وترحمنا عليه وانتهى الأمر. ليس الأمر كذلك. نحن نذكر الأحياء ونذكر الأمـــوات لمـــاذا؟ لأن الأحـــياء ســـيكونون في وقت من الأوقات أمواتاً والأموات ســـيعودون إلى الحـــياة. لذلك نحن نفرح يوم الأحد وفي كل الأعياد السيدية وأعياد القديســـين وميلاد الرب يسوع يكون التعييد ليوم واحد أما عيد القيامة فإننا نعيد له أربعين يوم. وفي كل يوم أحد نردد «خلصنا يا ابن الله يا من قام من بين الأموات»، وكـــيف نطلب أن يخلصنا وهو ميت. أنتم كنيسة القيامة تمجدون قيامة الرب التي في الـــنهاية تـــبدأ بهـــا وبها تنتهي. من لا يؤمن بالقيامة فهو غير مسيحي وهذا لا يقبل الجدل.

يقول لنا الكثيرون من الاخوة المسيحيين أنهم يشعرون بالكآبة وهم يصلون ويشعرون بالانكسار وعدم الراحة. لماذا؟ لأنه لا يمكنك أن تفرح أمام مشهد الصليب

وقد عُلّق عليه إنسان. ويعرفون أنهم عندما يتأملون الصليب نكون نحن نفكر بما بعد الصليب.

الكنيسة الأرثوذكسية، كنيستكم أنتم لا تتوقف ولا تعتقد أنه بالصليب يتم كل شيء. لا أنتم تقولون أن القيامة هي كل شيء. إذا لم تحصل القيامة فلماذا الصليب؟ إنه آلة للإعدام كأية آلة تعذيب أخرى. لم يكن الرب يسوع لوحده مصلوباً به كان معه اثنان مصلوبين أي أنه كان يوجد صليبان آخران كصليبه ولكنه هو قام وهما بقيا في القبر، وهذا هو الفرق بينهم. لذلك في صلاتنا فرح، في صلاتنا ابتهاج، في صلاتنا ترتيل وتوجد أنغام، وتوجد زينة للكنائس، زينة للكاهن الذي يقدس، أنتم تلبسون ثيابكم الجديدة، يعني أن الإنسان يرتب نفسه ولا يأتي بشكل غير لائق، فهو كالذاهب إلى عرس أو المقدم على فرح.

يا أحباء، الرب يسوع قال لتلاميذه الآن تفرحون وإن شاء الله يأتي اليوم الذي فيه لا أحد يقدر أن يترع الفرح من قلوبكم. أنا اليوم أعايدكم وإن شاء الله تكون أيامكم ملأى بالفرح، ويكون هذا العيد بركة عليكم جميعاً.

✞ ✞ ✞

أيها الصالح ماذا أفعل؟*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

أيها الأحباء، في هذه الفترة التي نحن نمر بها، أتمنى أن نكون صائمين. كثيرون يعتقدون أن الصوم لا يخصهم ولا علاقة لهم به.

الصـــوم لا ينحصر بأناس معينين إنه يخص كل إنسان. لذلك ألفت نظركم إلى ذلـــك. نحن نجتمع باخوتنا المسلمين الذين هم الآن صائمون. صيامهم يبرز أكثر لأن الإعـــلام يظهره فهم الأكثرية وهم أصحاب الدولة. ولكننا نحن الأقلية نقول إن الصوم ليس قضية طعام وشراب. نغتنم هذه الفرصة لنقول لاخوتنا الذين لا يعرفون الكثير عنا، والسبب هو أنتم، أيها الأحباء، يجالسكم الإنسان طويلاً ولا تتحدثون إليه عن الصليب ولا تفسرون له لماذا نذهب إلى الكنيسة أو لماذا نصلي من أجل أمواتنا. أنتم المقصرون في إيصال رسالة الكنيسة إلى الناس.

نحـــن نجـــتمع إليهم حتى نعرِّفهم بأنفسنا، وإذا لم نقم نحن بهذه المهمة فلن يقوموا هم بها أنفسهم. يجب أن ينتبه الإنسان إلى قضية كنيسته وأن يتحدث هو عنها عندما يتاح له ذلك.

كـــنا نقـــول لهم نحن اليوم في أيام صوم. وإذا كنا سنتحدث في سوريا عن الصوم فيجب أن يكون هنالك تسعون في المائة صائمين أكانوا من المسلمين أم كانوا من المسيحيين. وعندما ذكروا أن البعض منهم غير صائمين أكدت لهم أن عندنا حتماً أناساً غير صائمين. نحن لا نكذب على أحد وإن شاء الله في السنة المقبلة في مثل هذه الأيام أتمكن من القول بقلب قوي إن جماعتنا صائمون ولا نجعل الصوم كلاماً بكلام.

---

*الأحد ٢٠٠٢/١١/٢٤

نقــول لهم إننا عندما نصوم فنحن نفكر بغيرنا، ونحن ليس صحيحاً أننا في الصــوم بجــوع وهذا كله كلام باطل نحن عندما نصوم نكون نعيش العيش الطبيعي ونشــكر الله أن اللقمة لا تزال متوفرة وبدون مذلة أو تفتيش حتى نجدها. وتذكروا، كما قلت، إنه يوجد في هذه الدنيا ٨٥٠ مليون نسمة لا يشبعون.

نجــتمع مع إخواننا وسنجتمع بهم في الأسبوع المقبل. وقد دعونا أناساً من جهــات مــتعددة وهم من الذين يقبلون أن يجلسوا معنا. يوجد في دمشق أناس لا يرضــون أن يجالســونا ولا يقبلون أن يسلموا علينا على أساس أنهم يتنجسون. هذا موجــود ولكنــنا نعتقد أننا إذا كنا نظيفين ولحقتنا النجاسة من أحد فنحن نرفض النجاســة وكــأن الذي يخاف الشيء هو الشخص الذي يفكر فيه كثيراً وقد يكون ملتصــقاً بــه. سنجتمع وسيأتينا أناس من الخارج، وهم يصرحون أننا ذاهبون إلى الكنيسة الأرثوذكسية في دمشق وسنتكلم نحن حول صومنا الذي ليس عن الطعام ولا عن الشراب. صومنا لا نمنن الرب به فعطاياه لا تقابل بما نقدمه نحن له. لذلك نصوم ونصــمت «فإذا صمت ادهن رأسك... ولا تظهر للناس أنك صائم» فهنالك أناس تُصَبِّحهم فيجيبونك: إني صائم. يا أخي أنت صائم لربك وليس لي. ولماذا هذا القول وكأنــه يريد ثمناً لصومه. نحن لسنا كذلك وفي الاجتماعات التي ستحصل عندنا في قاعــة الصليب ستكون عندنا جماعة ونأمل أن يحمل الجماعة الذي سنحدثهم رسالة تقــول كــنا في قاعة الصليب عند الأرثوذكس وخرجنا بشيء ما كنا نعرفه ونحن حدثناهم عما يوجد عندنا لأن المصيبة الكبرى في الدنيا أن يكون الإنسان مع شخص لا يعــرفه جيداً. هنالك من يتساءل لماذا يجب أن نعرفه وما علاقتي به فأنا لا أستفيد مــنه شــيئاً؟ هذا التساؤل مرفوض فالذي معك هو أخوك والله خلقه كما خلقك ولذلك لا يمكنك أن تمر به وكأنك تمر بحجر. هذا ضد الإرادة الإلهية.

الإنجيل اليوم بسيط. شاب أتى إلى الرب يسوع، وهذا الشاب كان يهودياً ومعظم الذين كان يتحدث إليهم الرب يسوع كانوا من اليهود لأن الرومانيين كانوا

كالحزب الحاكم لا يتنازلون إلى الحديث مع أي كان. المسيح كان بسيطاً في حياته ومظهره.

الشاب أتى إلى يسوع وبدأ بالقول: «أيها الصالح ماذا أفعل؟..» فكان جواب المسيح أنت كيهودي لا تعتقد بذلك وأنا يهودي وأعرف أنك تؤمن بأن «ليس صالحاً إلا الله وحده» إذا كنت تسمعني أتحدث عن الله فأنا أتحدث كذلك عن نفسي وأنا أوصل الشيء الذي أخذته عن الله تعالى. عندكم الوصايا العشر وتتوافقون عليها: أنا الرب إلهك أعني إلهك أيها اليهودي. لا تسرق أي لا تسرق اليهودي الذي هو مثلك. لا تزن أي لا تزن مع امرأة يهودية ولكن يحق لك ذلك مع غير اليهودية. وأنت تعرف بقية الوصايا وكان جواب الشاب نعم أعرفها.

فما كان من يسوع إلا أن قال له أنت غني فاذهب وبع كل مالك وتعال اتبعني. ما معنى أن يبيع كل ما يملك ويتبعه. معناه أن ينسى الأنا ويشرك الآخرين في حياته كالإنسان قبل الزواج تراه يتحدث عن نفسه أنا أكلت، أنا ذهبت، أنا، أنا... ولكنه بعد الزواج تنقلب الآية ويحصل تغيير في حديثه فتسمعه يتحدث عن النحن، أكلنا، شربنا، ذهبنا... ويصبح الحديث يشمله وزوجته وعندما يصبح عندهما أولاد فالحديث يصبح عن الكل والفكر يتجه إلى الجماعة إلى كل العائلة وهذا ما هو مطلوب منا وخاصة في الصوم الذي نحن نصومه. فكروا بغيركم. فلن نرقص في جنازة ولن نشبع فيما غيرنا يجوع ولا نفرح فيما غيرنا مظلوم. لا. إذا كان هنالك من ظلم فلن نشجعه وإذا كان هنالك شبع فنتمنى أن يعم كل الناس. «لا لنا يا رب، لا لنا ولكن لاسمك أعطي التسبيح». إذن فأنا لا أصلي لأجل نفسي ولكن لكي يصلي كل شعبك ويسبحك.

أتمنى أن نعي هذا الشيء في الصوم المبارك.

الغاية هدفنا*

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين

أقدم التهاني لهذا البيت الكريم لرئيس معهدنا المطران يوحنا ولأساتذة معهدنا ولطلابنا في المعهد وخصوصاً للذين ذكروا أنهم كانوا تلاميذ في هذا المعهد منذ سنين طويلة مثل سيدنا جورج، سيدنا الياس هؤلاء كانوا أول من داست أرجلهم عتبة المعهد في أول افتتاحه وكأننا نستعيد ذكرى تلك اللحظة التي فيها يعود الكرسي الانطاكي يحظى بمدرسته بعد ألف وأربعمائة سنة على إغلاقها. هذا العيد المجيد كما قلت أتمناه دائماً انطلاقة لأشياء مهمة في كنيستنا المقدسة. قليلون يعرفون أن المصدر الوحيد لرآساتنا الروحية في الكرسي الانطاكي المقدس هو المكان الذي أنتم في كنيسته الآن. إنه المحل الوحيد لا ثاني له في أي مكان آخر. اشكروا الله على أنه فُتح مجدداً واشكروا الله على أنه بذلك أعطانا ما لا يمكن أن يمنحه أحد سواه أعني هذا الكنز الذي نسمع به كل يوم. الآن أصبحنا موضوع تهنئة من جميع إخوتنا في الكنائس الأخرى لأن الكل يحسدوننا على أبنائنا الذين تخرّجوا من هذا المعهد والذين أصبحوا يخدمون الله وكثرتهم تخدمه بإخلاص. اليوم، أيها الأحباء، عندما كنت أستمع إلى رسالة بولس الرسول لفتني شيء هو في نظري على غاية الأهمية. لقد ذكر الناموس الشريعة القوانين الأنظمة الترتيبات... الخ ذكرها كلها ولكنه كما لو كان يجب أن نتجاوزها لكي نصل إلى هدف آخر. الأنظمة القوانين كلها ترتيبات من أجل إيصالنا إلى هدف. كلّها كانت تشير إلى المسبّح. بكلام آخر إذا كنت تتبع الشريعة تتبع الترتيبات تتبع أي شيء كان فهو مجرّد وسيلة إذا لم تكن توصلك هذه الأشياء إلى الهدف فأنت إذاً تضيع وقتك. هذا مهم جداً، أيها الأحباء، في حياتنا

---

*كنيسة سيدة البلمند، لبنان، عيد القديس يوحنا الدمشقي، الأحد ٢٠٠٢/١٢/١

العملية وفي حياتنا الكنسية وفي حياتنا الطقسية. الوسيلة شيء خطر جداً. إذا كانت أقـــل من الحاجة فإنها تسيء إلى الهدف وإذا كانت أكثر من الحاجة فهي تسيء إلى الهدف أيضاً يجب أن تكون معبرة بدقة كاملة عن الهدف.

وفي مكـــان آخر كنت أقول لإخوتكم أخاف بعض الأوقات أن تأخذكم الوســيلة وأن تحـــل محل الهدف وأعطيت مثلاً أخاف أنّ الكثيرين أمام أيقونة السيد يكتفون بأيقونة السيد التي لا شيء فيها إلا أنها تدل إلى السيد. إذا لم نصل إلى السيد فقد ضللنا الطريق. كثير من الأشياء في حياتنا تتغلب الوسائل عليها. يجب أن نكون واعـــين... يقولون فلان واع ويقولون يجب أن يكون عندنا وعي. وعي لأي شيء؟ الوســـائل يـــتعلّمها الإنسان لأنها بمعظمها آلية يدرسها الإنسان في كتاب، يتعلمها الإنســـان من مكان ما، أما الذي لا يتعلمه هو كيف نوصل هذه الوسائل إلى الغاية التي وراءها. كل ما ترونه في الكنيسة المقدسة وسيلة لما هو وراء ذلك الكل. القراءة والترتيل والوعظ وكل ما نفعل وكل ما ترونه كل ما تسمعونه ليس إلا وسائل إذا لم تكن توصل إلى من هو وراءها فسنقف في منتصف الطريق، ونحن لا نسير في طريقنا إلى الهدف المنشود.

لفتني هذا المقطع من لوقا الإنجيلي ونحن نسمي إنجيله (الإنجيل السوري) أي في هـــذه المنطقة هكذا كانت هذه المنطقة تُسمى لا بل أكثر من ذلك يقول الإنجيلي لوقا إن الحادث الذي سأذكره حصل نواحي صيدا وصور أي عندنا. ماذا حصل في نواحي صور وصيدا. المخلّص كان يشفي الجماهير والشعوب التي تأتي. ولكن لوقا لا يقـــول كيف أبالقول أم بالإشارات. لم يذكر لوقا أي شيء يتعلق بهذا الموضوع. أنا أفهـــم مـــنه أنه ما دام الرب يسوع كان حاضراً فلوقا الإنجيلي يقصد أن الشافي هو الحضور، حضور الرب يسوع تماماً كما عند بولس أن كل الشرائع إذا توقفت و لم تكن تشير إلى يسوع فهي تشير إلى أشياء لا تهمّنا على الإطلاق.

أيهـــا الأحـــباء، ألفت أولادنا الذين ترون ويدرسون في معهد اللاهوت أن يكونوا حريصين دائماً على معرفة الهدف الذي من أجله يدرسون ومن أجله يتعلمون وأن يعـــرف الأســـاتذة أنه إذا لم يوصل كل شيء إلى الهدف فإنه لن يبقى له أثر في وقت من الأوقات. ما هو هذا الهدف؟ الهدف هو الرب يسوع الذي قال إنه سينشئ كنيسته وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. تطلّعوا إلى الهدف فإن العالم كله عبارة عن مجموعـــة من الوسائل تقريباً فلا تدعوا الوسائل تلهيكم عن الهدف الوحيد الأوحد. كـــل شيء بالنسبة إلينا بلا المسيح حاضراً لا يعني شيئاً على الإطلاق. وقد وعد بأن يكون حاضراً بيننا. وإذا اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه فهو حتماً حاضر بينهم.

أيهـــا الأحباء، إن حضور المسيح هو الغاية والهدف لكل ما نقول، لكل ما نفعل وكل تمنياتنا آمين.

✝ ✝ ✝

رب الكنيسة سيدها*

بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

كل عام وأنتم بخير،

نعـبّر عـن شكرنا العميق بالفعل للذين يهتمون بكنائسنا، ويهتمون بهذه الكنيسة بالذات، ومن الواجب أن أذكر سيدنا موسى الذي يرعى هذه المنطقة، وأبانا نزار راعي الكنيسة، والوكالة التي تعمل من كل قلبها.

أنـا أتذكر، يا أحباء، أننا عندما جئنا إلى هذه الكنيسة منذ عشر سنين أو أكـثر لم تكـن أشياء كثيرة من التي نراها اليوم موجودة ولكن اليوم فيها الكثير من الأناقة والنظافة والجمال وهذا ما يجعلنا نشكر الله على كل ما تم فيها. وهذا الذي تم لم يحصـل بسهولة لقد كانت هناك صعوبات من نواحٍ متعددة وتم التغلب على هذه الصعاب وهكذا تبدو الكنيسة اليوم بأبهى حلة.

والـيوم نحـن بحاجـة إلى أن نعرِّف أولادنا أكثر على الكنيسة. علينا أن نرشـدهم إلى سماع الأقوال الرسولية فيها كي يكونوا في المستقبل أبناء الكنيسة التي يخدمونها نحن لدينا اليوم الكهنة ومنهم الطبيب والمهندس وأستاذ الجامعة وعندنا حتى رئيس جامعة. لقد ذهبت الأيام القديمة حين كان مستوانا الكهنوتي ضعيفاً. نشكر الله لأنـنا صـرنا الآن مـن المحسودين ولسنا من الحاسدين، ولكن علينا أن نستمر بهذا الاهـتمام لـتكون عندنا أفضل كنيسة، هذه هي خطتنا وسنظل سائرين على هذا الطريق وليس هناك أي تردد أو رجوع.

أيها الأخوة، لقد ولدنا مرتين:

---

*كنيسة القديس نيقولاوس، دمشق، عيد القديس نيقولاوس، ٦/١٢/٢٠٠٢

الأولى: من بطن أمهاتنا وأي شيء أشرف وأجل من الأم.

والثانية: من جرن المعمودية، تجمعنا صلوات واحدة. صحيح أنه قد لا يعرف أحدنا الآخر معرفة تامة ولكن المهم أننا أسرة واحدة تجمعنا كنيسة.

كانت كنيستنا، يا أحباء، في زمن ماض مسخّرة، بعض الناس تطاولوا على الكنيسة سخّروها لهم، وهذا شيء واقعي. وربما في محاولات صدرت عن طيب قلب حاولوا أن يسخّروا الكنيسة لحزبهم، لعيدهم، لشخصهم، لمصلحتهم. هذا كان موجوداً في الماضي أما الآن فلا أحد يمكنه أن يُسخّر الكنيسة إلا لربها. الكنيسة ليست لأحد معين. إنها لكل واحد منكم. إنها ليست لأحد ليسخرها لمصلحة أو لميل من الميول. إن الكنيسة وجدت ليكون الإنسان فيها كبيراً بالصلاة. وقد سمعتم اليوم القول: احنوا رؤوسكم للرب. نحن لا نحني رؤوسنا للحم ودم. نحن لا نحني رؤوسنا لبشر بل لله فقط ولذلك فرؤوسنا دائماً مرتفعة بإذن الله ولا يوجد شيء في الكنيسة يخجل الإنسان إلا إذا صدر هذا الشيء عنه. وهذا الخجل مصدره نحن فقط.

أيها الأخوة، إن الكنيسة وجدت للكل وليس لواحد فقط، وقد وجد الكهنة من أجلكم ومن أجل خدمتكم وكذلك المطارنة الذين عندهم من الطاقات العلمية الكثير. لقد وجدوا من أجل خدمتكم ومعموديتكم وميرونكم وزواجكم. أنتم جماعة مخدومون ولستم تخدمون، لا يوجد خواجات على أكتافنا في الكنيسة، الخواجات هم كل واحد منكم، والخدّام هم الذين كنا نظنهم خواجات.

وكما قلت سابقاً لم يعد أحد قادراً على تسخير الكنيسة. لا أحد يقدر أن يستعبدنا على الإطلاق. نحن متمسكون بإيماننا هذا الإيمان الذي زرعه فينا الإله الذي نزل من السماء إلى الأرض ليخدم الناس.

والشيء الذي يجب أن نعتز به ونشكر الله عليه أننا من الناحية العلمية صرنا في أعلى المستويات ونحن نعلم أن العلم يمكن أن يكون ستاراً يخفي وراءه الكثير. فقد

تجد أناساً متعلمين ومع ذلك فهم ينحرفون عن الطريق السوي وقد يكونون لصوصاً أو قليلي الحياء.

لقــد وُجــد العلم ليُستعمل في سبيل الخير وليس للشر. وُجد ليفيد وينفع وليقدِّم الفائدة.

نحن اليوم نُعيِّد للقديس نيقولاوس، وكل عام وأنتم بخير ولنسعَ اليوم لينظر الناس إلينا ولا يلعن اسم الرب بحجتنا فنحن مولودون من جرن واحد ومن معمودية واحدة.

نحن خاطئون وكلما كَبُر الإنسان في الكهنوت كلما كَبُرت خطاياه ولأجل ذلــك صلوا من أجلنا، نحن مُجرَّبونِ مثل كل الناس. ولكن صلواتكم هي التي تقوّي الكل، نريد نفحة جديدة ليكون عيدنا جَديداً. وأنا أتمناه دائماً جديداً.

ليكن الرب معكم دائماً.

✞ ✞ ✞

اليهودية لليهودي والمسيحية للجميع*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

نرحب اليوم بالمؤتمرات اللواتي سيبحثن قضايا تخص الإدارات وما يتبع ذلك. المهم أن سيداتنا يجتمعن وليس في مكان واحد فقط ولكن في أماكن متعددة. يجتمعن يـتحدثن سوية ويرين وجوه بعضهن البعض ويتعرفن على بعضهن البعض ولا تكون أحاديـثهن من النوع الذي يجري عادة في الصالونات والبيوت. وبالتالي فهن يعطين أنفسـهن فرصـة للتحدث في أشياء تخص الخدمة التي يقمن بها ولا تتعلق بما سينلنه نتيجة ذلك. وكما ترون فنحن لا نملك مؤسسة لا تعمل فيها سيداتنا. مدارسنا فيها من سيداتنا وكذلك كنائسنا وجمعياتنا..

أتذكـر أنه لأول مرة وقفنا للترتيل في كنيسة مارجرجس في بيروت كانت توجد معنا بعض الصبايا وأتذكر أُهن بعد ذلك لم يتخلصن من الانتقاد وكأنه عيب عـلى المـرأة الوقـوف على «القراية» والترتيل شأن الرجال لأن مكانها الطبيعي في الكنيسة هو في الزاوية ليس أكثر. ولكن الآن والحمد لله، هن حاضرات ويملأن حتى الفراغ الذي يتركه غياب الرجال.

في إنجيل اليوم سمعنا دعوة إلى عرس. وفي مناسبة كهذه عادة يدعو الإنسان من يعتقد أنهم يحبونه وهو يحبهم والذين يخصونه وهو يخصهم وبالتالي انه يدعو جماعة عـلى علاقـة مميـزة بـه. هذا في المدن أما في القرى فكل إنسان يحس بأنه مدعو للمشاركة في العرس وهو يفرح ويأتي تلقائياً.

الإنجيل يقول إنه كان هنالك عرس فدعا صاحب العرس الكثيرين ولكنهم لم يحضـروا. ما القصّة؟ الأجوبة كانت متنوعة فهذا تزوج وذاك مشغول في الحقل...

---

*الأحد ٢٠٠٢/١٢/١٥

وكانت النتيجة أن أحداً لم يحضر. ترى لماذا ذكر الرب يسوع هذا المثل؟ لأنه بالفعل هـــذا ما حصل معه، وكأنه كان يتوقع أن يرى أناساً معينين وأنتظر مجيئهم ولكنهم غابوا. ولكن صاحب العرس لم يقف مكتوف اليدين قال لمن حوله:

فيما يخصنا العرس قائم وكل شيء جاهز أما الذين لم يحضروا فهذا يخصهم ومـــا أحبوا أن يكونوا أخصاءنا لذلك اذهبوا إلى الذين لم نفكر بهم و لم نحسب لهم حساباً وادعوهم إلى العشاء الذي أقمناه لغيرهم.

الذيـــن يلجؤون إلى التفاسير في الإنجيل يتطرقون إلى هذا المثل. يقولون إن الرب يسوع كان يتكلم مع تلاميذه وقد يكونون بمفردهم إذن فالحديث موجه إليهم وهو يخبرهم أن رب البيت لا يعرف سلفاً القادمين ولا عددهم ليؤمن لهم العشاء بما يكفـــيهم وحدهم. وكأن الرب يسوع كان يقول: على رب البيت أن يهيئ العشاء عشاء بالمحبة، عشاء بالرحمة، عشاء يشعرهم بتواضعك وأنه لا يوجد أناس مميزون. ما تفعله فليكن للجميع دون تفريق. ولنقل بلغتنا للذي من كنيستك والذي ليس منها، والذي من قريتك والذي ليس منها.. يجب أن تدعو الجميع وأن تكون مهيئاً لهم.

ســـأل الـــبعض ما هو الفرق الأساسي بين اليهودية وبين المسيحية؟ فكان الجواب: إن اليهودية لليهودي فقط أما المسيحية فللجميع وهذا ما يجب أن نحفظه.

المســـيح لم يـــأت لأناس معينين وهو لا يخص فقط الذين يسمون أنفسهم بمسيحيين. المسيح لم يأت من أجلهم فقط، المسيح أتى من أجل الذين يعرفوه والذين لم يعـــرفوه، مـــن ديانة ثانية كانوا أو من مدينة أخرى. بالنسبة إليه فهو يرى الجميع ويـــرى كل شيء لذلك فالذي لا نراه هو يراه والذي لا نعرفه هو يعرفه والذي لا نحبه فهو يحبه. جاء من أجل كل هؤلاء والباب مفتوح ليلجه الجميع.

وأذكر جملة قاسية لفظها الرب يسوع: لا تقولوا إنكم أولاد لإبراهيم (أي ممـــيزون) فالله قادر أن يصنع من الحجارة أولاداً لإبراهيم. وهذا يعني أننا عندما نظن

بأنــه لا يوجد في العالم غيرنا فذلك لأن الإنسان صغير جداً ويدعي الكبر فيخال أنه يملأ العالم وبدونه لا يوجد شيء وهذا دليل أنه صغير جداً وأنه لا يعرف الواقع.

لــيس عند الله من كبير. الله عنده الشخص الذي يأتي وهو يردد: «يا رب ارحمني أنا الخاطئ»، عنده الإنسان الذي يأتي ويعترف في داخله أنه قادم إلى ربه كأي إنسان ومع كل الناس. ويجد أنه كيفما تلفت يرى اخوة له.

نحن اليوم، يا أحباء، قادمون على عيد الميلاد فعسى أن نعرف أن عندنا عيداً للمــيلاد وهــو عيد مهم جداً عندنا. لذلك سنتكلم في العيد عن الميلاد وإن كنتم موجودين ساعتئذ في الكنيسة فستسمعونني. ويهمني القول إننا نحن في مناسبة الميلاد نصوم وأنا أحب أن أذكّر بذلك لأنني لا أثق كل الثقة أن الجميع يصومون لهذا أقول لكــل واحــد بأنه لا بديل عن الصوم بالنسبة إليك ولا أحد يمكنه أن ينوب عنك بالصيام. فإذا لم تصم فهذا يعني أنك أنت لم تصم. وإذا أنت لم تصل فهذا يعني أنك أنت لم تصل. ولا يمكنك القول إن الكاهن يصوم عني أو فلاناً يصلي عني. لا نيابة في الكنيســة ولا نيابة في الدين لأن الله يتطلع إليك وحدك ويجب أن يراك تقترب منه. أذكّر الآن بالصوم حتى أحث الذين لم يصوموا حتى الآن أن يبادروا فوراً إلى الصوم في الأيام القليلة الباقية. والصوم دائماً بركة. أتمنى أن نصوم جميعاً. وإن شاء الله نلقى بفرح وابتهاج عيد ميلاد الرب يسوع. آمين.

الكهنوت واحد ويختلف الأشخاص*

نشكر الله، أيها الأحباء، اننا نلتقي في هذه المناسبة الشريفة لنعيّد بمناسبة عيد القديس أغناطيوس الأنطاكي.

أشـــكر كل الذين حضروا. أشكر أولاً اخوتي المطارنة الذين حضروا لأنه بحضورهم تزداد البركة ويزداد الفرح. أشكر الكهنة والراهبات وأخص بالشكر أبناءنا الذين هم بهجتنا في المستقبل وبهجتنا التي تبدأ منذ الآن. أشكر أولادنا الآتين من دير سيدة البلمند لكي يشاركونا هذه المناسبة. اليوم، أحب أن أقول شيئين:

الشـــيء الأول: أغناطـــيوس الأنطاكي، أغناطيوس الذي من أنطاكية. هذه الكـــلمة الشريفة التي هي مرتبطة باسمه وهي تذكرنا بتيار أنطاكي كبير في الكنيسة الأرثوذكسية. لا بل في الكنائس الأرثوذكسية بأسرها.

ما هو التيار؟ الناس يقرأون الإنجيل المقدس بطريقتين فمنهم من يقرأ الكتاب على أساس كل كلمة فيه تعني شيئاً حقيقياً. لا رموز في الكتاب المقدس ولكن توجد معـــانٍ، توجـــد مقاصد إذا لم يصل الإنسان في قراءته إلى التقاطها فإن قراءته تكون بـــدون معنى. وهنالك أناس يقرأون الكتاب المقدس فيقولون هذا رمز، فالصوم هو رمز للصوم والصلاة ترمز إلى الصلاة. إذاً هنالك رموز، ورموز.

غـــير صـــحيح أنه ليس في الكتاب المقدس غير رموز. ولكنه غير صحيح كذلك أنه لا يوجد في الكتاب المقدس إلا الرموز. لا. المقصود من الكتاب المقدس أن تفهـــم كـــل شيء حسب القصد الإلهي إن في الكلمة أو في الرمز إذا كان موجوداً. هـــذا، أيها الأحباء، له علاقة بطريقتنا في الإيمان. أحياناً ننسى أن ابن الله الوحيد قد تجسد من أجلنا ونحن عما قريب سنعيد للتجسد الإلهي.

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد القديس اغناطيوس الانطاكي، ٢٠/١٢/٢٠٠٢

مـــاذا حصل في التجسد، الذي حصل في التجسد هو أن الإله كاملاً اتحد بالإنســـان كاملاً. أصبح الاثنان معاً. كيف؟ نحن لا نعرف كيف. وكما قال يوحنا الذهـــبي الفم وكما نردد ذلك في كل يوم: نحن لا يمكننا أن نستوعب العمل الإلهي الـــذي تمّ من أجل خلاص نفوسنا. لكننا نقع في كثير من الأحيان في الغلط. فنتكلم عـــن الإلـــه بدون الإنسان وأحياناً نتكلم عن الإنسان بدون الإله. الرب يسوع جمع الاثنين معاً فقد جمع الطبيعتين معاً. لم يختلطا، لم يتشوشا، بقي الإله إلهاً صافياً وبقي الإنسان إنساناً صافياً.

في كـــثير مـــن الأحيان يعطى ما للإله درجة لا تعطى لما هو للإنسان. هذا خطـــأ. فالتجسد الإلهي حصل في طبيعتين كاملتين، الطبيعة الأولى هي الطبيعة الإلهية والثانية هي الطبيعة الإنسانية.

لماذا أقول ما أقوله اليوم؟ لأن البعض عندنا عندما نكلمهم عن الصلاة، عن الصوم، عن التسبيح والأخلاق... يظنون أن هذه أمور محض دنيوية. يمكن للإنسان أن يقفز فوقها. لماذا الصوم وماذا يعني الأكل والشرب. هذه كلها أشياء مادية لا قيمة لهـــا وكأن الطبيعة الإنسانية محتقرة ناسين أنها ارتبطت بالله وارتبطت بالطبيعة الإلهية وتقدســـت. تقـــدس أكلـــك، تقدس شربك، تقدس سلوكك، وتقدست أخلاقك ومعاملـــتك مع الناس. هذا كله أصبح مقدساً ولا يمكنك أن تقول أنا تهمني علاقتي بالله وكأن الله لم يأتِ إلى الإنسان وكأنه لم يحبه، وكأنه لم يتجسد من أجله.

المدرسة الأنطاكية تنبهنا دائماً، واليوم بالذات مجال للتنبيه أنه غير صحيح أن الـــذي يقضـــي عمـــره دون أن يهتم بالإنسان هو إنسان يقوم بواجباته التي حصل التجسد من أجل تقديسها هي أيضاً.

أنت مشدود من ناحيتين، هكذا يقول الفكر الأنطاكي. بإحدى اليدين أنت مشدود إلى الله تعالى لأنه خلقك وبالأخرى أنت مشدود إلى الإنسان الذي بجانبك،

الـــذي هو أخوك. لا يمكنك أن تحب الله وتكره أخاك لا يمكنك أن تقدم ذبيحة لله وأن تـــنكر أية ضحية يقدمها أخوك. هذا تعليم أنطاكي، هذا تعليم كنيستكم، هذا تعليم الكرسي الأنطاكي المقدس. نحن لا نخاف الطبيعة البشرية ونحن نعرف أنها تخطئ بـــالقول وبالفعل والفكر وبكل شيء لكننا نعرف أنها غير بعيدة عن الحضور الإلهي، حضور الروح القدس الذي يقدسها والذي يجعلها ناصعة كالشمس مضيئة بالفضائل بالرغم من ضعفنا البشري. هذا شيء أساسي جداً أردت أولاً أن أقوله هذا الصباح.

هـــناك شـــيء آخر. إننا نسمع أحياناً وخصوصاً في الأوساط التي هي على اتصـــال مـــع الكنائس الأخرى نسمعهم يتكلمون عن الكنيسة ثم يضعونها جانباً ثم يتكلمون عن المسيح كبديل عن الكنيسة. يقصدون بذلك أن ليس هنالك من كنيسة ويقولـــون إننا نعبد الرب يسوع ونتبع الرب يسوع ولا ضرورة للكنيسة ونسوا أو تناسوا قوله: "سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها". بكلام آخر إذا كنت تـــنكر الكنيسة فأنت تنكر أن الرب يسوع صنعها وتجعلها من صنع الإنسان وحده، فتجعـــلها جمعـــية أو شركة. ولكنك تنسى أنه في الكنيسة تجد المسيح وتتناوله وتجد المعمودية على اسم الآب والابن والروح القدس.

هـــذا يجـــب أن نتذكره أيضاً في هذا اليوم. لماذا؟ لأن أمامنا شخصية هي شخصية أغناطيوس الأنطاكي.

في الترنـــيمة لأغناطيوس الأنطاكي يقال: "أيها الشهيد في الكهنة. والبعض يقولـــون أيها الشهيد في رؤساء الكهنة والصحيح في نظري أن نقول أيها الشهيد في الكهـــنة. لماذا؟ لأن الكهنوت واحد، كهنوت المطران هو ذاته في الكاهن والكهنوت ذاتـــه في الشـــماس. الكهـــنوت واحد ولذلك عندما تصل الخصومات إلى المستوى الكهـــنوتي يحدث الانقسام في الكنيسة. الاختلاف بين المؤمنين لا يسبب الانقسام في الكنيسة. فالكنيسة لا تنقسم إلا إذا أصبح هنالك فيها أكثر من كهنوت واحد.

القديـــس أغناطـــيوس يعطى لنا كصورة فالكنيسة لا تكون بدون كهنوت والكهنوت فيها واحد هذا في غاية الأهمية، أيها الأحباء.

لذلك يبدأ الكهنوت في الكنيسة المقدسة بالمطران. ومن أين يأتي الكهنوت، يأتي من جسم الكنيسة الذي هو المجمع المقدس وعليه فانتخاب المطران ليس انتخاب نائـــب أو مختار. في الكنيسة الرب يسوع يصنع الانتخاب الأول هو ينتخب تلاميذه والرســـل بدورهم ينتخبون من يخلفهم وهكذا دواليك. والنتائج لا تأتي من الخارج. لســـنا جمهورية ولسنا صف تلاميذ. نحن جماعة يأتي انتخابنا من فوق، من الذي جاء لكي ينتخبنا من أجل الخلاص.

الكهـــنوت واحد، ليس من مطران يختلف عن مطران ولا من كاهن يختلف عن كاهن وهكذا الشماس. عندنا رئيس الكهنة هو رئيس الكهنة مرتبياً ولكن ليس من كهنوت آخر. الكهنوت ذاته ولكن توجد ترتيبات لا أكثر من ذلك.

لأجـــل ذلـــك في المجمـــع المقدس حيث نجد المطارنة وكلهم من الكهنوت الواحد مثل بعضهم البعض ولا فارق بين الواحد والآخر. هناك تذوب كل الأوصاف الـــتي تطلـــق من ذكاء، ومعرفة... ولا يبقى إلا شيء واحد هو الكهنوت الواحد. لأجـــل ذلك يرتبط الواحد منهم بالآخر لا على أساس علمي ولا أساس ذكاء ولكن على أساس الكهنوت الواحد الذي يجمع بينهم.

الـــيوم أحببـــت أن أذكّر بهذين الأمرين اللذين قد لا يكونان واضحين عند الكثيرين. وأنتم تجدون أننا عندما نذكر القديس أغناطيوس الأنطاكي يمكننا أن نرى نوراً في كثير من الأشياء التي تخص كنيستنا المقدسة. كهنوت المطارنة الذي رأيتموه هـــو نفسه كهنوت أغناطيوس الأنطاكي لأجل ذلك لا يمكنك أن تقول: أنا يعجبني القديـــس أغناطـــيوس ولكن المطران الفلاني لا يعجبني. هذا كلام غير مسيحي فهذا مطـــران بقدر ما كان ذلك. قد لا يعجبك طبع المطران عندنا أما كهنوته فهو نفس

الكهـــنوت كذلـــك وأنت لا يمكنك أن تكون كاهناً عن الكاهن ولا مطراناً مكان المطران. أو مثلاً بطريركاً مكان البطريرك. هذا لا يوجد له أثر في الكنيسة. اليوم نور يشرق علينا بسبب ذلك الإنسان الطيب الذي أحب الرب وأحب أبناءه كما أحب الكنائس. يجب على من يتيسر له أن يقرأ رسائله. وهو ذاهب إلى الموت كان يكتب الرسائل. ينظر إلى فوق ويده تخط ما يقول الذي فوق ليوصله إلى أبنائه الذين هم هنا وهناك في الكنائس.

كل عام وأنتم بخير.

✞ ✞ ✞

أرضنا أرض مقدسة*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

أعـــزي آل الفقيد وأسأل لفقيدهم الراحة ولهم العزاء بالإيمان إيماننا نحن في هذه الكنيسة المقدسة.

نلاحـــظ في هـــذه الأيام أن حوادث الوفاة كثيرة جداً. كل يوم نسمع عن المـــوت وبسبل مختلفة وكأن الموت أصبح لا هيبة ولا رهبة له. صرنا نتصرف وكأن كل شيء يجب أن يتم بسرعة، وكل حياتنا أصبح إيقاعها سريعاً ونحن ندفع ثمن هذا. يجب أن نكون حذرين أكثر وماذا لو تأخر الإنسان بالوصول إلى حيث يقصد متأخراً دقائق معدودة. فلن تقوم القيامة. الاحتراز محمود في أوضاعنا اليوم.

أود أن أتحدث اليوم عن شيء آخر وهو أني أرى في كل مرة مؤمنين جدداً في الكنيسة وما أخشاه أن الذين لم يسمعونا قد يكون من الضروري أن نذكرهم بأننا في صوم وهو صوم عيد الميلاد ونحن عندنا صومنا وعندما كنا نتكلم مع المسلمين كنا نذكرهم بأنهم ليسوا وحدهم في حالة الصوم ولكننا نحن نصوم. ولكنني قلت لهم يبدو أن الذين يصومون عندكم هم كثرٌ وأما عندنا فأخشى أن يكونوا قلة مع أنه لا يوجد أي ســـبب يدعـــو إلى عدم الصوم. لا بل بالعكس فإننا نجد أنه في الصوم تستهلك كميات من الطعام أكثر مما هو ضروري. لذلك أتمنى على الذين لم يصوموا حتى الآن أن يبدأوا صومهم فعيد الميلاد أصبح على الأبواب في ٢٥ كانون الأول. وهكذا يقدم الإنســـان شيئاً من نفسه ويفعل شيئاً طاعة لكنيسته. فالصوم من أجلنا، والصلاة من أجلنا وإذا لم تكن من أجلنا فلمن هي إذن؟ إذا لم نصم نحن و لم نصل نحن فمن الذي يصوم ويصلي؟ وهل نكلف أحداً غيرنا أن يقوم بذلك مكاننا؟ هذا لا يصح وإن كنا

---

*الأحد ٢٢/١٢/٢٠٠٢

لم نبدأ الصيام حتى اليوم فإن الأوان لم يفت ويجب أن يصوم.

اليوم يوجد عندنا ضيوف بينهم رئيس كهنة وهو رئيس أحد الأديار القريبة من أثينا وهو قادم إلى المعهد اللاهوتي في البلمند ليدرّس فيه لأنه من العلماء. واعلموا أنه لن يكون عندنا كاهن ما لم يكن يحمل شهادة جامعية وإلا فلن يقبل عندنا. ومعظم كهنتنا اليوم يستطيع الإنسان أن يفخر بهم ومنهم المهندس والطبيب والمحامي... ولكن مع الأسف نحن آخر من يعلم ماذا يوجد عندنا ولكن الغير لأنه يحب أن يتعلم منا فإنه يتطلع ويرى. ونحن كثيراً ما نغمض أعيننا. يجب أن نفتح أعيننا فما عندنا أصبح الغير يشتهي أن يكون عنده كما عندنا.

هذا الشخص، رئيس الكهنة إنسان محترم جداً. إذا سألتموه أن يقارن بين شبابنا في البلمند وبين التلاميذ في أثينا أو سالونيك فسيكون الجواب دائماً ليس عندنا ما هو عندكم. أنتم عندكم شيء فوق هذه الأرض وكأنه ظل القديسين الذين هم أصلاً نشأوا في الكرسي الانطاكي. الرب يسوع، بولس الرسول، بطرس الرسول، هم من هنا إذن نحن نجلس على أرض مقدسة والحمد لله أن هذه الأرض تنتج أناساً طيبين وأوادم موهوبين ولذلك يجد الغرباء فيهم شيئاً لا يجدونه عند غيرهم.

ثم ينظر القادمون إلينا إلى الكنيسة فيجدوا أنه يجب أن يتعلموا منكم الكثير من الأشياء، يجب أن يتعلموا منكم أن يذكر الإنسان ربه في ساعات الشدة والضعف ويحضر إلى الكنيسة ويصلي. هذا يتعلمونه منكم. كما أن إيمانكم غير موجود أينما كان ولكنه موجود، والحمد لله، هنا. وهذا شيء نعتز به ونشكر الله عليه لأن الله وحده الذي يعطي الغنى للذي يستحق والذي لا يستحق. ربنا لا يعطي وينتظر البديل، إنه يعطي ويعطي بسخاء ويحبنا بدون قيد ولا شرط.

أحببت اليوم أن أقول ما قلته حتى ننتبه لأنفسنا فالذي يأتي من بعيد يتطلع إلينا ويراقبنا هل نصلي، وهل نأتي إلى الكنيسة أم لا ولا يتعلم منا.

كان البعض يعتقدون أنهم أرفع منا وأعلم وأرقى ولكنني أؤكد لكم اليوم أن الموضـــوع أصبح على العكس إذ أصبحوا يأتون ويرون ما عندنا ويشتهون أن يكون عندهم.

لنهيئ، أيها الأحباء، أنفسنا للميلاد ولنستقبله بفرح واستحقاق.

حفظكم الله وعزى الحزانى بيننا. آمين.

✞ ✞ ✞

أنت صالح إذاً هنالك صلاح*

عيد مبارك هو عيد ميلاد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

لماذا ولد السيد؟ لكي يأخذ طبيعتنا البشرية التي يعرفها هو بعدما صرنا عبيداً للخطيئة. أخذ هذه الطبيعة لكي يعجنها من جديد. ولكن هذه العجنة لن تكون فيها خطيئة إلا إذا أردنا نحن أن نخطئ. الله لا يمنعنا، إنه يعلمنا، لكنه لا يمنعنا. يقول لنا ما هو الصح وما هو الخطأ ولكنه لا يمنعنا من السير كما نشاء. لماذا؟ لأنه في النهاية هناك محاسبة. الذي تجبره على أن يكون صالحاً لا يمكنك أن تكافئه على صلاحه، فقد كان مجبراً على ذلك. وأما الذي يصنع الشر مختاراً فلا يمكنك إلا أن تقول له لقد فعلت الشر ويجب أن تؤدَّب وأن تعاقَب لأنك فعلت الشر.

الرب يسوع ولد من العذراء لكي يخلص العالم، لكي يخلصنا جميعا وينقلنا من حالة الخطيئة إلى الصلاح. كيف استقبل العالم هذا الحدث؟ منذ مدة علق البعض على حَبَل العذراء فقال إن العذراء مريم حبلت نتيجة اغتصاب أحد الجنود الرومان لها. وعليه فالرب يسوع كان له أب حقيقي كأي إنسان آخر. من يقرأ الإنجيل الذي تلوناه اليوم لا بد من أن يتساءل أنه لو كانت العذراء مغتصبة، ولو كانت زانية، كما نقول اليوم، فلماذا اندهش يوسف الذي كان خطيبها؟ لو كان هو وراء هذا الموضوع لما كان اندهش. لقد اندهش ووقف حائراً تجاه هذه القصة حتى أتى ملاك الرب وقال له يا يوسف إن امرأتك ليست بزانية ولكنها حبلى بالذي سيخلص العالم – كلمة يسوع تعني مخلص – فلا تستح بامرأتك ولا تفضحها. وقد كان عند اليهود كما عند بعض المسلمين اليوم أن المرأة الزانية يجب أن ترجم.

يوسف لم يفكر، إلا أن حادثاً ما قد حدث لمريم حتى أتى الملاك وقال له:

---

*الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد الميلاد المجيد، ٢٠٠٢/١٢/٢٥

هـــذه ليست زانية، لقد حل فيها الروح القدس وهي طاهرة. وإذا كان المسيح يولد لـــيخلص العالم، فلا يصح إلا أن يولد بطريقة طاهرة عجيبة وسامية. لقد أراد الله أن يتمجد ابنه على الأرض، فلا بد أن يُهيأ لتمجيده وعاء نظيف، طاهر. العذراء بقيت عذراء لأنها ولدت بحلول الروح القدس عليها.

اليوم في عالمنا الذي نعيش فيه ينتشر كلام كالذي ذكرته لكم. نعم، يقال، بـــل يقـــال أكثر منه عن الإنجيل وعن الإيمان المسيحي وعن المسيحيين وعن المسيح بالذات، وينكرون حتى وجود الله نفسه.

ماذا كان في أيام ولادة المسيح؟ في تلك الأيام كان هنالك حكام كما يوجد الـــيوم في العالم حكام، وكانوا يظلمون الناس كما يظلمونهم اليوم. وفي زمن ولادة المســـيح حصـــلت قصة يرتجف الإنسان إذ يفكر فيها. فالحاكم الظالم يخاف أن يأتي حاكم آخر غير ظالم. لماذا؟ لأنه يفضحه. لذلك فالحاكم الظالم عندما سمع بأن طفلاً ولـــد، وهذا الطفل أتى ليخلص الشعب، ليخلص كل إنسان من خطاياه، أمر بذبح كل الأطفال.

الـــيوم نسمع بأمر المذابح، نسمع عنها هنا وهناك وفي كل العالم. وفي ذلك الوقـــت حصلت مذبحة من هذا النوع. فالعالم لم يتغير، عالم البارحة ليس أفضل من عالم اليوم والمحيط الذي ولد فيه الرب يسوع لم يكن أفضل من الذي نعيش الآن فيه. وفي المقابل، ما نعرفه الآن ليس أفضل مما كان في المحيط الذي ولد فيه الرب يسوع. الإنســـان هـــو هو. لذلك أتى الرب يسوع لا ليقول لنا كيف نصطلح ولا ليعطينا الإيمان وحده ولكن لكي يقول لنا: إذا لم تصبح صالحاً فلن يكون هنالك صلاح.

اليوم نتعلم أن مجيء الرب يسوع لم يكن باطلاً، لكن الحقيقة هي أن العالم كله لم يتغير كثيراً. الذي يتغير هو الشخص الذي يحب الفقير ويحب المظلوم ولا يحب الظـــــلم ولا أن يتعذب الناس. وعندما يوجد هذا الشخص في العالم ويحكمه، عند

ذاك يصطلح العالم، وبدون ذلك ليس من صلاح.

إننا نسأل الرب يسوع الذي ولد في بيت لحم أن يرزق دنيانا جماعة تعرف كـــيف تكون صالحة تحب العدل عوض الظلم وتحب أن يعيش الإنسان في هذا العالم بكرامة لا أن يكون معرضاً للإهانة والإذلال.

نسأله اليوم أن يرزقنا هذا النوع من البشر لعل الأعين ترى أن هناك جماعة تحب الخير وتعمل من أجله لكل الناس.

✠ ✠ ✠

الصلاة للمؤمنين*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

في عيد القديس باسيليوس الكبير نقيم، كالعادة، القداس الإلهي الذي لا يختلف بشيء عن القداديس الأخرى ونذكر فيه رأس السنة الجديدة حسب التقويم الجديد في الأساس كان رأس السنة في أيلول. وقد حدد العيد في ذلك الوقت حتى يتمكن الناس أن يعيدوه.

متى كان يمكن أن يعيد الناس؟ كان ذلك ممكناً عند نهاية الموسم فمعظم الناس كانوا فلاحين. وكان عليهم بعد الحصاد أن يقوموا بدراسة الحنطة ثم بذرايتها وبقية المراحل لتحضير الحبوب للبيع أو للتخزين من أجل المؤونة.

وهكذا يأتي وقت تنتهي فيه الأعمال ومعه تأتي جباية الضرائب ويرتاح الناس قليلاً بانتظار أن تبدأ الدورة الزراعية من جديد. وهذا هو السبب الذي اختير فيه أيلول لتعييد الناس عيد رأس السنة أي أن العيد هو للناس وليس العكس. نحن نصلي عندما يتاح للناس أن يصلوا فإن لم يكن اليوم فغداً أو إن لم يكن الغد فبعد غد. لا يتمكن الناس من الحضور قبل الظهر فليكن ذلك بعد الظهر لأن الصلاة هي من أجل الناس ومن أجل الشعب. وعليه فقد كانت أوقات الصلاة تتناسب وأوقات البشر. فما دام الناس كانوا مضطرين للذهاب إلى الحقل باكراً ليعملوا فلتكن الصلاة باكراً قبل أن يذهبوا. والصلوات عندنا تسمى خدماً: خدمة القداس، خدمة الإكليل، خدمة المعمودية.... والخدمة لا يخدم فيها الإنسان نفسه بل هي موجهة للغير دائماً وهي موجهة للشعب الذي جاء ليتقدس. هذا ما أحببت أن أقوله لكم اليوم.

قداسنا دائماً مهم ولا يوجد قداس يختلف عن غيره. في السحرية يوجد

* الكاتدرائية المريمية، الأحد ٢٠٠٢/١٢/٢٩

تنوع في القِطع والألحان أما في القداس عندما يعلن الكاهن: مباركة هي مملكة الآب والابن... فالنص هو نفسه ولا يوجد قداس كبير وآخر صغير. هذا لا وجود له على الإطلاق لأن المهم في كل قداس هو تقديس الخمر والخبز ليصبحا دم المسيح وجسده واليوم ألفتكم كذلك إلى الرسالة التي تليت عليكم وفيها قصة بولس الرسول تذكرون يوم زارنا البابا أن رئيس جمهوريتنا ألقى خطاباً قال فيه إن دمشق ليست فقط عاصمة سياســية لكــنها عاصمة روحية لأن فيها اهتدى بولس الرسول إلى الإيمان المسيحي الصــحيح. بولس الرسول اهتدى هنا وقصة اهتدائه سمعتموها اليوم في مقطع الرسالة الــذي تــلي عليكم. وأتمنى على الكثيرين منكم أن يعودوا إلى قراءة الرسالة بتمعن ليعرفوا جيداً كيف اهتدى الرسول بولس.

بولس الرسول يهودي ويهودي متعلم إلى درجات عالية ومتعصب ليهوديته ومعروف أنه كان يخطط جيداً للإيقاع بالمسيحيين وقد توجه إلى دمشق كي يضطهد المســيحيين ويحــاول أن يعيدهم إلى رشدهم ولكن هنا استنار بالنور الإلهي وعرف خطــأه فانتقل من قاتل ومعذب ومضطهد للمسيحيين إلى مبشر بالرب يسوع وهذا يشــير صــراحة إلى أن كلاً منا قد لا يكون شيئاً فيصبح فجأة كل شيء. لا شيء يســتحيل على الروح القدس. بين القديسين الذين نعيد لهم أناس خرجوا من منطقة قارة ويبرود وكانوا يعملون قبل ذلك على سلب الناس على قارعة الطريق إذن كانوا لصوصاً فأصبحوا قديسين.

هــنالك الكثيرون ممن يدعون الصلاح وحسن السيرة ثم تسمعون عنهم بين ليلة وضحاها أن فلاناً كان يغش والآخر كان يحتال ويتصرف التصرف غير اللائق. يمكــن للإنسان أن يكون في هذا الطرف أو في الطرف الآخر وكما أنه في المعمودية ينــتقل الإنسان من عادي إلى إنسان يحمل الروح القدس كذلك يمكن للروح القدس أن يحل في أي كان ويغير سلوكه.

والإنســان الذي يطرد الروح القدس لا ينفعه لا جاه ولا غنى ولا أي شيء

ولكنه يصبح أسوأ من أي إنسان سيئ.

«الفقـــر يقاتل» هذا ليس صحيحاً. الأم والأب الصالحين يطعمان أولادهما قبل أن يأكلا والبشر الطيبون يفكرون في غيرهم عندما يقعون في ساعات الشدة.

تســـمع عن فلان وفلان ويوصفون بأحلى الكلمات والصفات ولكن فجأة يُقال هذا سرق وذاك قتل. لا كبير على الخطيئة. وما يغلب الخطيئة هو الروح القدس عندما يحل في الإنسان لذلك نحن نصلي ليعضدنا الروح القدس فإن لم يأت اليوم فغداً وإن لم يحل في الغد فبعد غد.

لا يمكننا أن نتوقف عن الصلاة لأننا نحن نكون كل يوم في حالة مختلفة وهذا شيء عادي لا يلاحظه كل الناس ولا ينتبهون إليه.

سأحاول أن أتوسع في هذا الموضوع قليلاً في عيد رأس السنة. ولكنني أعود إلى القـــول إن بولس الرسول انتقل من سفاح إلى أحد أفضل الرسل. كان عندنا في دمشـــق وسار في هذا الشارع الذي ترونه وتبتاعون منه أغراضكم قابل هنا حنانيا ثم انـــتقل إلى أورشليم القدس عاصمتنا الروحية ليتقابل الذين اهتدوا هناك قبله. وهناك التقى يعقوب الرسول أخا الرب و لم يلق غيره.

يعقـــوب هـــذا أصبح أول مطران يرسم في الكنيسة على أورشليم القدس فأصبحت عنده الصفتان: رئيس كهنة ورسول. وهكذا كانت أورشليم أول كنيسة تأسست تلتها كنيسة أنطاكية التي تنتمون إليها.

هذه الأشياء ضروري أن نعرفها ليكون حديثنا عن الكنيسة جدياً ونعبر عن واقع. نحن نتحدث عن ديانة لم تأت عن إنسان ولكن كما يقول بولس الرسول الله أرسل روحه ليحل علينا ويجعلنا نقول كلماته وليس كلمات يوصي بها الشيطان.

يا أحباء، نحن في مرحلة من حياتنا هامة جداً وأتمناها أن تكون مباركة.

أعد الكتاب

الدكتور يوسف هزيم

طباعة الكترونية

المهندس سامر شاهين

صورة الغلاف

خالد الحريري

تصميم الغلاف

توفيق الحداد

مطابع ألف باء ـــ الأديب

دمشق

الطبعة الأولى ٢٠٠٣